مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية



نصوص آبائية

-١٦١-

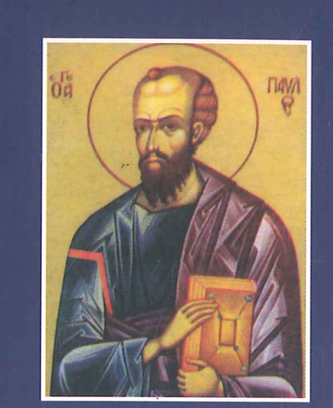
تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس



للقديس يوحنا ذهبي الفم







«نحن نحتاج إلى الحِكمة الروحية، لكي نُدرك الروحيات، ولكي نطّلع على الأمور غير المعلنة، فالروح القدس هو الذي يُعلن كل شيء، ويكشف لنا الأسرار الإلهية. إذ هو وحده الذي يعرف تلك الأسرار، وهو الذي يفحص أعماق الله، فلا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا أي قوّة مخلوقة أخرى، يمكن أن تمنحنا تلك الهبة الروحية. إن معرفة الله هذه، هي نتيجة إعلان، وليست نتيجة إجتهاد فكري، إذن فمن عرف الله، لن يتشكك في شيء البته، ولن يقول إن هذا مستحيل، وهذا ممكن، أو كيف حدث هذا. فلو أننا عرفناه كما يجب لنا أن نعرفه، أي بواسطة الروح القدس ذاته، فلن نتشكك في شيء على الإطلاق، ومن أجل هذا يقول: «مستنيرة عيون أذهانكم». فذاك الذي عرف مَن هو الله، لن يتشكك في مواعيده، ولن يرتاب فيما حدث بالفعل».

القديس يوحنا ذهبي الفم

(من العظة الثالثة)

يُطلب هذا الكتاب من :

• المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.

E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

• بيت التكريس ت : ٢٦٧٤٥٢١٩، ٢٤٨٣٦٣٨٩.

• ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة

٢٠,٠٠ جنيه

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية بالقاهرة
نصوص آبائية
-١٦٦-

تفسير الرسالة إلى أهل أفسس

للقديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمة

د. سعيد حكيم يعقوب

مراجعة

د. جورج عوض إبراهيم

٢٠١٢م

تُرجم هذا الكتاب عن النص اليوناني في مجموعة آباء الكنيسة:
ΕΠΕ، Τόμος 20، σελ. 416-717، Τόμος 21، σελ. 8-347.

اسم الكتاب :تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس

اسم المؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم

اسم المترجم : دكتور سعيد حكيم يعقوب

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة: ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي — الدور الأول محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣.

E-Mail: opcc2007@yahoo.com
Website: www.patristiccairo.com

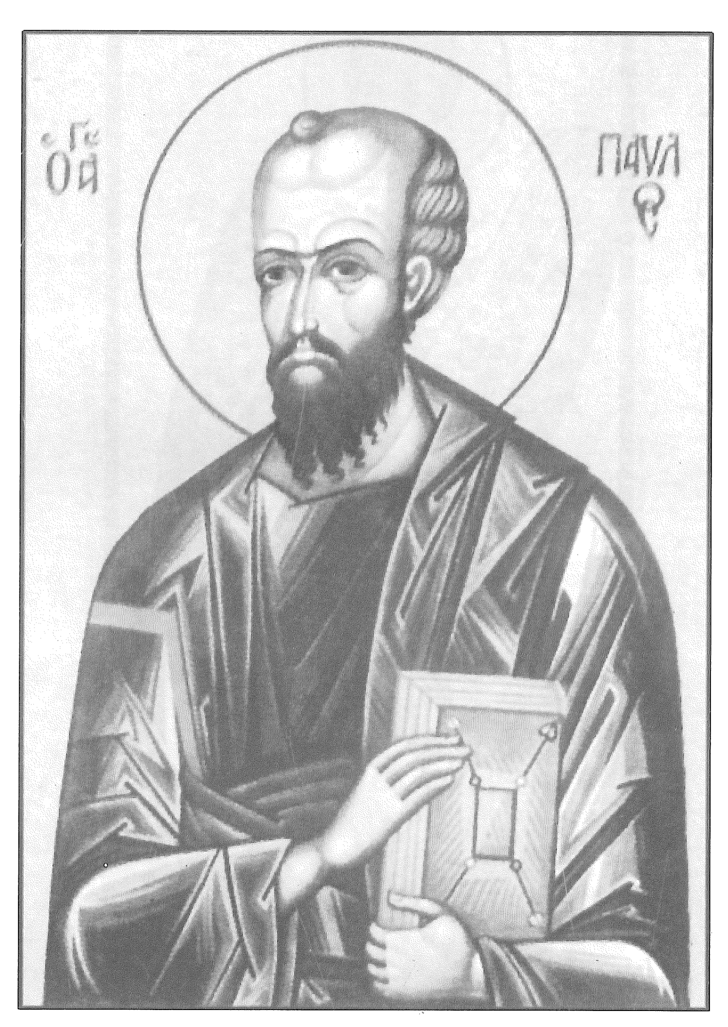
تصميم الغلاف وفصل الألوان : J.C.Center (جيه سي سنتر)، ١٤ ش محمود حافظ — ميدان سفير — مصر الجديدة ت: ٢٦٣٨٥٧٩٧.

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة بالقاهرة.

٢ش المدارس حدائق القبة ٢٤٨٢٧٠٧٤ — ٢٤٨٦٥٣٧٨

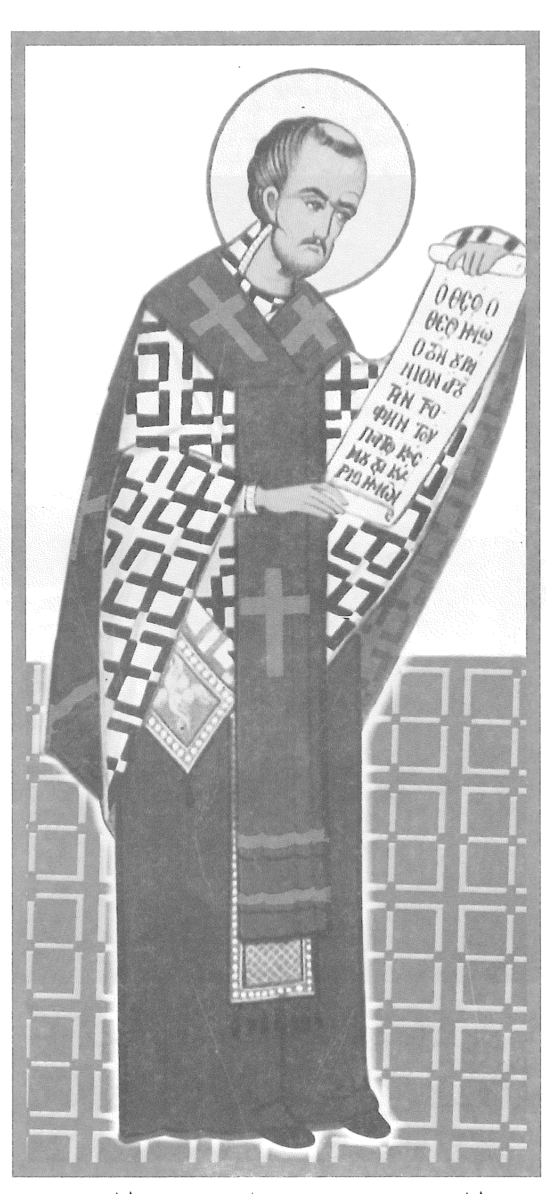
رقم الإيداع : ٣٥٢٤ لسنة ٢٠١٢ م

الترقيم الدولي : **I . S .B . N . 978 - 977 - 487 - 013 - 2**



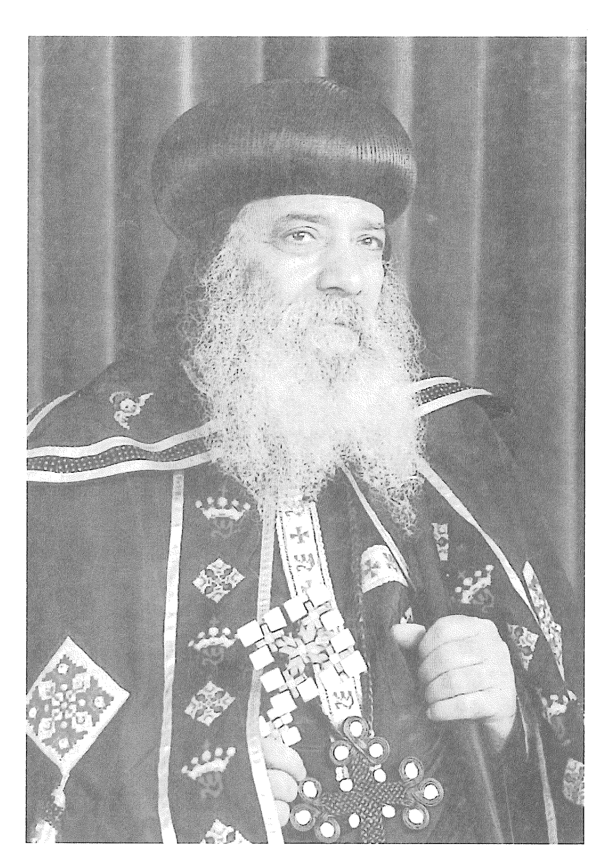
القديس بولس الرسول





القديس يوحنا ذهبي الفم





قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

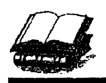
الإصحاح الثاني

الإصحاح الثالث

الإصحاح الرابع



الإصحاح الخامس



الإصحاح السادس



تفسير الرسالة إلى أفسس

مقدمة عامة:

تعد مدينة أفسس واحدة من أهم المراكز الحضارية والدينية في أسيا الصغرى في العصور القديمة، وقد إحتلت فيها عبادة أرتيميس[1]، التي عبدها أهل أفسس كما جاء في (أع١٩: ٢٤-٢٨) مكانة كبيرة ومتميزة. وكانت موضع تقدير كبير عند شعب هذه المدينة، وكان الآلاف يتوافدون من كل المناطق المجاورة للمشاركة في هذه العبادة.

وقد سادت فيها الأفكار الأسطورية، والمعتقدات الخرافية، مما جعل المدينة خليط من الثقافات المتنوعة، بالإضافة إلى الفلسفات المختلفة. هذا المناخ الثقافي والفلسفي، خلق نوعًا من التقاليد التي تراكمت عبر السنين، جعل من الصعب إختراقها، أو حتي مجرد طرح تعاليم مُغايرة لما هو سائد هناك. بطبيعة الحال هذا الخليط من الثقافات، والفلسفات، والعبادات، والتقليدات، كان يمثل عائقًا أمام كل مَن يكرز لهذه المدينة بتعاليم الإيمان. فلم يكن من السهل الكرازة بالمسيح القائم من الأموات في ظل فلسفات متعددة ومتنوعة تعتمد على المنطق فقط في رؤيتها لأمور الحياة بشكل عام، ورافضه لكل ما يتصل بمبادئ الإيمان. وهذا ما يظهر في حديث الرسول بولس عندما خاطب أهل كورنثوس قائلاً "قد حاربت وحوشًا في أفسس"[2]. وأيضًا قوله "فإننا لا نُريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في أسيا أننا تثقلنا جدًا فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضًا"[3]. ومع هذا فإن شعب هذه المدينة رغم تمسكه بعباداته وتقليداته، وإعتماده

---

[1] أرتيميس: هي إلهة الطبيعة، والنور القمري، والصيد، وأيضًا لها سيادة على الوحوش المفترسة. وهي تُجسد المهابة والنقاء العذري، والوقار، والفضيلة، والخلود، وتُعَد حامية للزراعة والحياة الطبيعية.

,Θρησκ. Και Ηθική Εγκυκλοπαιδεία Αθήνα 1963 .σελ. 263-266

[2] ١كو١٥: ٣٢.

[3] ٢كو١: ٨.



على الفلسفة والمنطق لتقييم كل الأمور الحياتية، إلا أنه قد صار من أكثر الشعوب ثباتًا في الإيمان بالمسيح بعدما قَبلِ الإيمان ونال النعمة، فأصبح موضع ثقة الرسول بولس، إذ قيل عنه أن القديس بولس قد أستأمنه على معاني عميقة للإيمان المسيحي، لأنه أقبل على تعاليم الإيمان برغبة صادقة، وشهوة روحية لمعرفة المزيد.

والواقع أن هذه الرسالة مملؤة بالمعاني اللاهوتية السامية، والمبادئ الإيمانية المستقيمة، وتعليم العقيدة الصحيح، وهذا يظهر فيما كتبه وهو مسجون في روما، إذ يقول "مصلين بكل صلوه وطلبة كل وقت.. لأجل جميع القديسين ولأجلي لكي يُعطي لي كلام عند إفتتاح فمي لأعلم جهارًا بسر الإنجيل الذي لأجله أنا سفير في سلاسل لكي أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم"[٤]. إذن فهذه الرسالة على وجه التحديد مليئة بالمعاني الروحية العظيمة، وإعلان سر الإنجيل بحسب وصفه. لأن ما كتبه في هذه الرسالة، لم يكتبه في أي رسالة أخري تقريبًا، مثلما يكتب قائلاً "لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة"[٥]، وأيضًا "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع"[٦]، ويقول أيضًا "الذي في أجيال آخر لم يُعَرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل"[٧].

وقد صُنّفت هذه الرسالة على أنها من رسائل الأسر (أي بالإضافة إلى الرسائل إلى فيليبي وكولوسي وفليمون)، لأن الرسول بولس كان مسجونًا عندما كتب

---

[٤] أف٦: ١٩ــ٢٠.

[٥] أف٣: ١٠.

[٦] أف٢: ٦.

[٧] أف٣: ٥ــ٦.

هذه الرسائل كما يقول على سبيل المثال "بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم"[٨]، لكن دون أن يشير إلى مكان سجنه.

هناك ثلاثة سجون فقط معروفة لنا قد سُجن فيها الرسول بولس، من خلال ما ورد بسفر أعمال الرسل سجن فيليبي لمدة ليلة واحدة، كما جاء بالإصحاح السادس عشر "فخرجا من السجن ودخلا عند ليدية فأبصرا الأخوة وعزياهم ثم خرجا"[٩]، ثم سُجن قيصرية فلسطين حيث سُجن لمدة عامين من ٥٧-٥٩م، إذ يقول سفر الأعمال "وقال أغريباس لفستوس كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر"[١٠]، وأخيرًا سُجن في روما، حيث "سلموا بولس وأسرى آخرين"[١١]. لكن صمت القديس لوقا عن ذكر سجون أخرى لا يعني أن الرسول بولس قد سُجن فقط في هذه السجون المشار إليها لأنه هو نفسه قد أشار إلى سجنه المتكرر والكثير كما جاء في رسالته الثانية إلى كورنثوس "في السجون أكثر" (٢كو١١:٢٣)، وأيضًا "في كل شيء تظهر أنفسنا كخدام الله: في ضربات في **سجون**"(٢كو٦:٥).

تقليد الكنيسة الأولي، يُقر بالإجماع على أن الرسول بولس قد كتب رسائل الأسر من سجنه في روما حيث سُجن من عام ٥٩ إلى ٦١م، وهذا واضح من ختام سفر أعمال الرسل "وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت أستأجره لنفسه.." (أع ٢٨:٣٠-٣١). ومن المحتمل أن السلطات كانت قد وضعت عليه حراسه لتقييد حركته وخدمته.

---

[٨] أف٣:١.

[٩] أع١٦:٤٠.

[١٠] أع٢٦:٣٢.

[١١] أع٢٧:١.

لقد أثارت الرسالة إلى أفسس، إهتمام الباحثين من كل الطوائف المسيحية في عصرنا الحالي، وذلك بسبب تعاليمها عن الكنيسة. وروح التفاؤل الذي تحمله نحو هذا العالم الحاضر.

هذه الرسالة تحمل بالحقيقة محتوي لاهوتي ثري، فهي كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم "مليئة بالمعاني والمبادئ السامية"، إذ تعلن سر الله المكتوم منذ الدهور، السر الذي أستعلن للإنسانية في شخص يسوع المسيح، والذي تحقق وتم الكشف عنه بواسطة الكنيسة، التي أظهرت قصد الله السابق لخلاص كل البشر. ولذلك في أجواء الفوضى والتفتت التي سادت العالم القديم كله، ظهرت الكنيسة كحقيقة تاريخية، تُجّسد تلك الروح المعبّرة عن تقديم عطية المحبة الإلهية للبشر كما تجلّت في شخص يسوع المسيح، الذي جمّع الكل في جسد واحد، وشركة إيمان واحدة، تحت مظله النعمة الإلهية التي جمعت الأعداء السابقين (اليهود والأمم) في هذا الجسد الواحد. هذه الشركة الجديدة في جسد المسيح، أفرزت حياة نقية وسامية لأعضاء هذا الجسد الواحد، وهي الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

إن عمومية موضوع الرسالة، بإعتبارها رسالة لا تخص كنيسة محلية بعينها، تعاني من مشاكل محددة على سبيل الحصر، بل تخص كل كنيسة المسيح، قد أعطى الدافع لباحثين معاصرين، أن يَصفوا الرسالة إلى أفسس "بأنها ملخص لتعاليم الرسول بولس" أو برسالة التعليم عن المعمودية" أو "رسالة التعاليم اللاهوتية العميقة"، لأنها بالحقيقة تحوي تعاليم لاهوتية غاية في العمق. إذ لخص فيها الرسول بولس تعاليمه اللاهوتية الخاصة بالتجسد، والفداء، وغفران الخطايا، وعطية النعمة، وإعلان سر التدبير الإلهي، وإنجماع كل شيء في المسيح.

أخيرًا تجدر الإشارة إلى أن إهتمام الرسول بولس بهذه المدينة، يظهر فيما كتبه لتلميذه تيموثاؤس، الذي إستأمنه على التعليم هناك، حتى لا تُنقض أساسات



التعليم الذي أرساه في كنيسة أفسس، إذ يقول: "كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَمْكُثَ فِي أَفَسُسَ، إِذْ كُنْتُ أَنَا ذَاهِبًا إلي مَكِدُونِيَّةَ، لِكَيْ تُوصِيَ قَوْمًا أَنْ لاَ يُعَلِّمُوا تَعْلِيمًا آخَرَ، وَلاَ يُصْغُوا إلى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا، تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ اللهِ الَّذِي فِي الإِيمَانِ".[١٢]

محتوي الرسالة:

تعرض الرسالة إلى أفسس كما سبق الإشارة لموضوع عام، وهو إعلان سر التدبير الإلهي للبشرية بواسطة الكنيسة، حيث صار البعيدين والقريبين(اليهود والأمم)، متحدين معًا في جسد واحد، بعد أن كانوا أعداء وهذا هو عمل المسيح، الذي بصليبه وقيامته، حلّ السلام في العالم، وتحققت المصالحة بين الإنسان والله، وتكفّل الروح القدس برعاية وإستمرار هذه الشركة المحييّة التي جمعت كل المؤمنين بإسم المسيح في جسد واحد. هذه العطايا الإلهية شُرحت هكذا بالتفصيل في الجزء الأول من الرسالة (الإصحاحات من ١ـ٣)، بينما الجزء الثاني (أي الإصحاحات من ٤ـ٦)، يُشير إلى الموضوعات العملية والتطبيقية الخاصة بالتعاليم اللاهوتية للجزء الأول.

يبدأ الجزء الأول (١:١ ، ٣:١) بعْد المقدمة المعتادة، بتسبيح للثالوث القدوس (١:٣ـ١٤) حيث يصف الرسول بولس تحقيق مشيئة الله من جهة إنجماع كل شيء في المسيح يسوع، والذي لنا فيه الفداء بدم صليبه، وفي هذا التسبيح تتلخص كل طروحات الرسالة الأساسية. ثم يتبع ذلك شكر الرسول بولس لله، من أجل ما أُخبر به عن إيمان أهل أفسس، ومحبتهم، ثم تضرعه لله من أجل نموهم وتقدمهم الروحي (١:١٥ـ٢٣) وهذا التضرع قد تكرر مرة أخري في (٣:١٤)، وإكتمل بالتمجيد الوارد في (٣:٢٠ـ٢١).

---

[١٢] ١تيمو ١:٣.

ثم تكلّم بعد ذلك في (٢: ١-١٠)، عن خلاص المسيح، ومحبة الله نحو البشر، وقيامة أولئك الذين ماتوا في خطاياهم، إلى حياة جديدة مع المسيح، وقد ظهرت الثمار في الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها. وفي هذه الحياة الجديدة، حياة السلام، أي حياة الكنيسة، يشترك اليهود والأمم معًا في جسد واحد (٢: ١١-٢٢)، مثل بناء قائم، لكنه قائم على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح حجر الزاوية.

فيما يخص سر خلاص البشر بالمسيح، والذي تحقق في الكنيسة، وكذلك الإرسالية والخدمة الخاصة بالرسول بولس في هذا السر، فهذا نجده في (٣: ١-١٣). بعد ذلك يطلب الرسول بولس في صلواته إلى الله، أن يُعمّق داخلهم المحبة، حتى يمتلئوا إلى كل ملء الله (٣: ١٤-١٩)، ويختم بتمجيد إلى الله (٣: ٢٠-٢١).

في الجزء الثاني، أي العملي (٤: ١-٦، ٢٠)، يقدم الرسول بولس النتائج المترتبة على الخلاص الذي قدمه المسيح، لأعضاء الجسد الواحد. فقد تحدث أولاً عن وحدة الكنيسة بواسطة مواهب الروح القدس المعطاة للمؤمنين (٤: ١-١٦)، ثم أشار إلى الإنسان العتيق والإنسان الجديد (٤: ٢٥، ٥: ٢١). بعد ذلك يذكر بعض ثنايا الإنسان الجديد داخل حياة الشركة، مثل العلاقة بين الزوجين (٥: ٢٢-٢٥)، علاقة الأولاد بالآباء (٦: ١-٤)، علاقة العبيد بسادتهم (٦: ٥-٩). ثم يصف "سلاح الله الكامل"، في (٦: ١٠-٢٠) والذي يجب أن يلبسه كل مسيحي لمقاومة القوات الشيطانية التي تُمثل خطر دائم على المؤمنين. هذا هو معنى الحياة الجديدة في الكنيسة، فهي لا تمثل حالة قاطعة ونهائية، بل بداية للجهاد الذي يتطلب يقظة مستمرة. وتنتهي الرسالة ببركة من الرسول بولس موجهة إلى مستقبليها (٦: ٢٣-٢٤).

صحة الرسالة:

تُقدم الرسالة إلى أفسس بعض السمات الخاصة بها، مقارنةً برسائل القديس بولس الأخري وهذه السمات لها علاقة بتعاليمها اللاهوتية، والصياغات اللغوية لهذه التعاليم. مما جعل الباحثين المعاصرين يُبدون بعض الملاحظات المتعلقة بهذا الأمر:

١- أنه يغيب عن الرسالة ملامح خاصة بتعاليم الرسول بولس، مثل: الكلام عن البر الذي بالإيمان، مستقبل شعب الله المختار بحسب خطة التدبير الإلهي، إنتظار مجيء الرب، إتحاد المؤمن بالمسيح في المعمودية.

٢- لا يشير الكاتب إلى كنيسة محددة أو كنيسة محلية، بل يتوجه إلى الكنيسة بشكل عام، إلى كل جسد المسيح.

٣- يُشكّل التعليم عن الكنيسة (الإكلسيولوجي) القاعدة لتفسير الخريستولوجي وليس العكس.

٤- ما قيل عن الزواج في (٥: ٢٢-٢٣)، لا يتوافق مع موضوع الزواج في الرسالة الأولي إلى كورنثوس الإصحاح السابع، أيضًا السجل الخاص بالمواهب في (٤: ١١)، لا يتفق مع ما جاء بالرسالة إلى رومية (١٢: ٦)، وكورنثوس الأولي (١٢: ٤).

٥- رسل وأنبياء الكنيسة، يظهرون وكأنهم نماذج تخص الماضي فقط كما جاء في الإصحاحات (٢: ٢٠، ٣: ٥، ٤: ١١)، وليس كشخصيات حية في العصر الذي كُتبت فيه الرسالة إلى أفسس.

٦- الرسالة تتشابه في مواضع كثيرة منها مع الرسالة إلى كولوسي (تقريبًا ربع الرسالة).

٧- أيضًا عندما يُذكَر عدو الخير في باقي رسائل الرسول بولس، تأتي تسميته بالشيطان الذي سُحق على الصليب، أما في الرسالة إلى أفسس نجد أن التسمية

السـائدة هـي (διάβολος) أي روح الشـر أو المخـادع، ويشـدد علـى سـطوته وطغيانه، ويضع كرسيه في الهواء، أي في الفضاء بين الأرض والسماء.

بسبب هذه الملاحظات فإن كثيرين من الباحثين المعاصرين، إعتبروا أن الرسالة إلى أفسس، هي لأحد تلاميذ الرسول بولس الذي فهم وهضم لاهوت معلمه بشكل تام، وعبر عنه بنجاح من خلال مشاكل العصر اللاحق الذي عاش فيه (مابين عامي ٨٠ ـــ ٩٠)[13].

ويرى بعض الباحثين أن من المحتمل أن يكون الكاتب هو أنسيمس الذي ورد إسمه في ختام الرسالة إلى كولوسي، وقد كتب هذه الرسالة كمقدمة لكل رسائل الرسول بولس[14].

ويمكن الرد على هذه الملاحظات في النقاط التالية:

١ـ من جهة إختلاف الصياغة اللغوية في رسالة أفسس بالمقارنة بالرسائل الأخرى، فهذا راجع لإستخدام شخص بعينه لكتابة الرسالة، وهذا يسري على الرسالة إلى كولوسي. أيضًا فإن التشابه بينهما لا ينبغي أن يقودنا إلى النتيجة التي إنتهي إليها بعض الباحثين بأن كاتب الرسالة هو تلميذ للقديس بولس. بل إن التشابه يرجع إلى أن الرسالتين قد كُتبتا في نفس الفترة الزمنية تقريبًا، وربما يكون الرسول بولس قد إستخدم نفس الكاتب ليُملي عليه الرسالة. وقد ورد إسم تيخيكس في نهاية بعض المخطوطات، وهذا يدفعنا إلى القول بأن تيخيكس ربما يكون هو الشخص الذي أملئ عليه الرسول بولس هذه الرسالة. ولا ينبغي أن نتخيل

---

[13] أنظر «Esquisse d' une solution nouvelle du problem de l' epitre aux Ephesiens» RHR 1935, P. 254,284.

وقد إنتقد وجهة النظر هذه الباحث p. benoit في مقاله له بعنوان
«l ' horizon paulinion de l'epitre aux Ephesiens» RB 49(1937) P. 342-361 506-525
ورأى أن الكاتب قد يكون أحد تلاميذ الرسول بولس إلا أنه قد كتبها تحت إشرافه المباشر والمستمر.

[14] G. Good speed «the key to Ephesians» 1956 , p 14.



أن الرسول بولس قد أملي هذه الرسالة كلمة كلمة على محررها، بل ربما قد أعطاه مجمل المعاني، لكي يحررها وحده.

أما فيما يختص بإختلاف تعاليمها اللاهوتية عن باقي الرسائل، فهذا يعود إلى هدف الرسالة العام، والذي لا يتوجه نحو كنيسة محددة، بل يطرح موضوعات محل إهتمام مشترك. وعن غياب بعض التعاليم الأساسية للرسول بولس عن هذه الرسالة مثل البر الذي بالإيمان، فهذا أمر غير دقيق، لأنه في هذه الرسالة يتحدث عن الخلاص وليس عن البر، وفيما يتعلق بمستقبل شعب الله المختار، فإن الرسالة وهي تتكلم عن سر التدبير الإلهي تذكر أن هذا الشعب اليهودي بات يُكوّن مع الأمم جسد الكنيسة الواحد، الذي هو مركز إهتمام الرسول بولس. وبخصوص إنتظار مجئ الرب، فقد ورد الكلام عنه بمحتوي إسخاتولوجي (أي أُخروي) في الإصحاحات (١٤:٣، ٨، ٣٠:٤، ٦:٥، ١٣:٦).

وعما قيل بأنه لم يرد ذكر إتحاد المؤمنين بالمسيح في المعمودية، فهناك عدة إشارات في الرسالة تشير إلى هذا، في الإصحاحات (١٨:١، ٥:٢، ٤:٤، ١٤:٥، ٢٦).

أما الداعمين لوجهة النظر القائلة بأن الرسالة تُقدم الرسل والأنبياء بإعتبارهم نماذج تخص الماضي، فإنهم يتجاهلون الإصحاحات (٥:٣، ١١:٤) التي تتحدث عن الرسل والأنبياء، وهي آيات تخص الحاضر، كما يقول "كما قد أُعلن **الآن**"، الأمر الذي يعني أن الكاتب يعيش في أجواء الرسل والأنبياء (الآن).

من ناحية أخرى فإن لم يكن الرسول بولس هو الذي كتب هذه الرسالة، فهذا يجعلنا نفترض وجود شخصية عظيمة في الكنيسة الأولي بقدر ومكانة الرسول بولس، يمكن أن ننسب له رسالة لها كل هذه الأهمية الكبيرة.

وفوق كل هذا تجدر الإشارة إلى أن آراء الكتّاب الكنسيين الأوائل وشهادتهم عن صحة الرسالة إلى أفسس، ونسبتها إلى الرسول بولس، فيها ما يكفي للتأكيد على أن الرسول بولس هو كاتب هذه الرسالة. مثل الرسالة الأولي

للقديس إكليمنضس الروماني (٤٦:٤)، رسالة بوليكاربوس إلى أهل فليبي (١:٣ ،٥:١)، رسالة إغناطيوس أي رسالة (١٢)، إيريناؤس دحض الهرطقات (٥:٢ـ٣)، إكليمنضس الأسكندري الطبقات (٤:٨). بالإضافة إلى تطابق الأفكار اللاهوتية للرسالة في خطوطها العامة، مع الأفكار الأخرى التي وردت في باقي رسائل القديس بولس.

الظروف التاريخية لكتابة الرسالة:

الواقع أنه ليس من السهل إعطاء إجابة مُحددة عن الدافع لكتابة هذه الرسالة، لأنه لا توجد معلومات أو إشارات داخل الرسالة تُحدد الدافع لكتابتها، الأمر الذي جعل ساحة البحث حول هذا الدافع واسعة. حيث يرى بعض الباحثين أن الرسالة إلى أفسس قد كُتبت حوالي سنة ٩٠م، وأن الدافع لكتابتها هو سيادة روح الفردية، والمادية، وروح التشاؤوم في أسيا الصغرى، في نهاية القرن الأول. وفي مقابل هذه الروح التشاؤومية، وبشكل عام كل التوجهات التي تدعوا للإنقسام والتفتت في ذلك العصر، جاءت الرسالة إلى أفسس لتقدم نموذج وحدة الكنيسة بإعتبارها جسد المسيح، كأيقونة تعكس الخلاص الذي قدمه الله، والذي يحياه المرء داخل الكنيسة كحقيقة مُعاشة، وفي نفس الوقت تُشدد الرسالة على مسئولية المسيحيين تجاه هذا العالم.

ويرى البعض الآخر أن الرسالة كُتبت لتجسير الهوة التي نشأت بين المسيحيين من الأمم، واليهود في أسيا الصغرى، وخاصةً بعد تدفقهم على كنائس أسيا الصغرى بعد سنة ٧٠م، أي بعد إحتلال أورشليم من الجيوش الرومانية. ويرى آخرون أنها كُتبت إما لكي تؤكد لكنائس الأمم، على أن وعود الله نحو شعبه، تشمل هذه الكنائس أيضًا، وإما أنها كُتبت لتُشكل إطارًا لتقديم تعاليم المعمودية للمعمدين الجدد من المسيحيين.

إلا أن الـرأي الأقـرب للصـواب هـو أن الرسـول بـولس أراد أن يجمـع تعاليمـه اللاهوتيـة في قالـب واحـد أو وحـدة واحـدة، وخاصـةً تلـك المرتبطـة بـالتعليم عـن الكنيسـة (الإكليسيولوجي)، وذلـك بعـد مقاومـة الهراطقـة في كولوسـي، حتـى يستطيع المؤمنين وهم متحدون معًا في جسد المسيح ، أن يواجهوا الهراطقة وأعمالهم التي تهدف إلى تفتيت هذا الجسد الواحد، وتعكير صفو سلام الكنيسة التي هـي جسد المسيح.

وهـذا واضـح ممـا كتبـه في الرسـالة إلى كولوسـي، مُحـذرًا مـن خـداع هـؤلاء الهراطقة وتعاليمهم المنحرفة، قـائلاً "أنظـروا أن لا يكـون أحـد يسـبيكم بالفلسـفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح"[١٥]. وهـذا عينه ما كتبه في الرسالة إلي أهل أفسس "لا يغركم أحد بكلام باطل"[١٦].

إذن فمـن الواضـح أن هـدف الرسـول بـولس كـان متجهًـا نحـو تأصـيل وترسـيخ التعاليم المرتبطة بالكنيسة بإعتبارها جسد المسيح، والمنوط بها إعـلان سـر التـدبير الإلهي، وحكمة الله المتنوعة.

---

[١٥] كو٢: ٨.

[١٦] أف٥: ٦.

أهمية وقيمة الرسالة لعصرنا الحالي:

هذا العصر الذي نعيش فيه يتسم بالإحباط، والتشاؤم، والفردية، والأنانية، وعدم قبول الآخر وإقصائه وتهميشه، وفي هذه الأجواء تأتي أهمية الرسالة إلى أفسس، من خلال ما جاء فيها عن:

١. وحدة الكنيسة.

٢. سلام المؤمنين.

٣. سر الزيجة.

وحدة الكنيسة:

إن إبتعاد البشر عن الله مصدر حياتهم ووجودهم، كانت نتيجته سيادة روح المُشاحنات والإنقسامات، والعداوات، والإحقاد، والخصومات، وبشكل عام إنقسام المجتمع إلى أفراد، حيث يرى كل واحد في الأخر تهديدًا له، ويجد نفسه في حالة دفاع مستمر، أو في حالة تحفّز وهجوم. وقد طُرحت في عصر الرسول بولس بعض الأفكار الخاصة بمجموعة من الفلاسفة كانت تُسَمى بالرواقيين، وهؤلاء تحدثوا عن إمكانية وحدة الجنس البشري، إذ هم كما يرون أن الإنسانية تُشكّل جسد واحد. هذا الأمر بطبيعة الحال لا يمكن تحقيقه عمليًا لأن البشر ليسوا بالطبيعة قادرين على تحقيق هذه الوحدة. هذا ما شرحه القديس بولس بوضوح، إذ يرى أن الوحدة بين البشر، يمكن أن تتحقق كعطية من الله فقط، لأنه هو وحده القادر أن يجمع الكل في خليقة جديدة، في شركة حياة جديدة، وهذا الأمر قد تجلّي في "الكنيسة"، والتي وصفت في الرسالة "بجسد المسيح".

الكنيسة جسد المسيح:

الكنيسة تُشكّل جسدًا واحدًا، لكنها ليست هكذا بحسب طبيعتها، بل صارت هكذا بنعمة رأس هذا الجسد، الذي هو يسوع المسيح. وهكذا فقط تصير الوحدة ممكنه، ويستطيع البشر أن يتحدوا فيما بينهم، وهذا يتحقق عندما يكونوا متحدين بالمسيح. هذه الوحدة التي تحققت في الكنيسة هي وحدة جوهرية وأساسية، طالما أن كل عضو يرى في الآخر، شخصًا مساويًا له، أخًا له، وعضوًا في نفس الجسد. هكذا تظهر الكنيسة بإعتبارها المدينة الجديدة التي تجمع داخلها أشخاص يربطهم رابط واحد، بواسطة هذه النعمة الإلهية التي تُصيّرهم عائلة واحدة، عائلة بيت الله، وتمنحهم مرة أخرى ذلك الرجاء المفقود، نحو حياة جديدة، أي الحياة الأبدية.

عندما يستخدم الرسول بولس تعبير "**جسد واحد**"، فهو يعني به كل الإنسانية والتي رغم تفرقها، إلا أنها واحدة، لأنها خلقت من الله الواحد. الله لم يتوقف عن أن يعتني بها، وأن يعمل ليعيد تشكيلها لتصبح "**جسدًا واحدًا**" تحت قيادة رأس واحدة، أي المسيح له المجد.

هذا العمل هو الذي يدعوه الآباء "بخطة التدبير الإلهي"، أي أن يصير الجميع أعضاء في جسد إبن الله المتأنس، الذي هو رأس هذا الجسد بطبيعة الحال. لقد أراد الرسول بولس بهذه العبارة "**جسد واحد**"، أن يبيّن ليس فقط وحدة العالم، بل أيضًا قصد الله والهدف النهائي من هذه الخطة لأجل خلاص العالم، بواسطة الكنيسة التي هي جسده. لقد تم عمل الله على مراحل، والكنيسة تشكّل المرحلة الأخيرة النهائية لهذه المراحل.

وفي تعليقه على قول الرسول بولس "جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم أيضًا في رجاء دعوتكم الواحد" (أف٤:٤)، يُشير القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أن قصد الرسول بولس هنا هو كل المؤمنين في كل المسكونة، وأينما وجدوا، وهذا

ينسحب على الكائنين الآن، والذين كانوا، والذين سيأتون. فالذين أرضوا الله قبل مجيئ المسيح، هؤلاء هم "جسد واحد"، لأنهم هم أيضًا قد عرفوا المسيح، وهذا يتضح من قول المسيح "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يو٨:٥٦). وايضًا "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني" (يو٥:٤٦). ولم يكن ممكنًا أن يكتب الأنبياء عن شخص لم يعرفوه، فهم لم يجهلوا ما قالوه. أيضًا هو لم يفصل الجسد عن الروح، لأنه هكذا لن يكون جسد، لأنه في الجسد الواحد يوجد روح واحد.

والمؤكد أن القديس يوحنا ذهبي الفم كان يعرف، كل الصور الكتابية والصفات التي تتصف بها الكنيسة، لكنه كان يُفضّل تعبير "جسد المسيح"، لأن هذا التعبير يبيّن عمق العلاقة بين الجسد ورأس هذا الجسد، وأهمية الشركة بين الأعضاء رغم تنوعهم، ووحدتهم رغم تميّزهم. أيضًا هذه الوحدة هى وحدة حقيقية، وهي قائمة على مثال وحدة أعضاء الجسد الإنساني، والتي بالرغم من تنوعها وتعددها، لكنها تشكل إنسانًا واحدًا. هذه الدعوة التي أطلقها الرسول بولس كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، هي دعوة لنبذ الإنقسام وتجزئة وحدة الكنيسة. فالمسيح قد صار رأسًا للجميع، ووهب الجميع ميراثًا أبديًا واحدًا، وجعلهم متساوين في الكرامة، فلماذا التشامخ، ومحاولة زرع روح الإنقسام والفرقة بين أعضاء الجسد الواحد؟ وهذا عينه قد ناقشه الرسول بولس بالتفصيل في رسالته إلى أهل كورنثوس. فالسمو الروحي، والمواهب الممنوحة من الله، تعتمد على نقاوة كل عضو، وعلى إرادة الله. كما يتضح في قوله "قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢:١١). ولذلك فمسئولية هؤلاء الأعضاء كبيرة، فعلى قدر المواهب المعطاة لهم، على قدر إتساع مساحة هذه المسئولية تجاه باقي أعضاء الجسد. أما هنا فيقول إلى أن ننتهي جميعًا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف٤:١٣). ولذلك دُعيت الكنيسة أيضًا بالملء، لأننا جميعًا أخذنا من ملء المسيح، أخذنا مواهب متنوعة وكثيرة من أجل



بنيان جسد المسيح. هذه الوحدة التي للجسد تتحقق كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم من خلال عمل الروح القدس الذي يجمع الأعضاء معًا ويوحدهم في جسد الكنيسة"[17]. لأن المسيح إذ هو رأس هذا الجسد، يمنح الروح القدس لأعضاء هذا الجسد المقدس، كما يمنح الرأس الإنساني الحياة، إلى الأعضاء الجسدية. ولذلك فقد أعتبر القديس يوحنا ذهبي الفم، الإنقسام الذي يحدث في الكنيسة، ليس بأقل شرًا من الهرطقة"[18]. يقول أيضًا "إنه أمرٌ مُفزعٌ أن تُجزأ جسد إلهك (الكنيسة) فالكنيسة هي البيت الأبوي، جسد واحد وروح واحد. فلنستأصل هذا المرض الذي يُفسد جموع المؤمنين". ثم يستطرد قائلاً: "إن كنا نُريد أن نتمتع بالروح الذي يأتي من الرأس، فلنكن مترابطين فيما بيننا بشدة، **لأن هناك طريقين للقطع من جسد الكنيسة، الواحد أن نجعل المحبة تبرد، والثاني عندما نتجرأ على فعل أشياء لا تليق بهذا الجسد، وهكذا نفصل أنفسنا عن ملء الكنيسة بهذين الطريقين**"[19]. والوحدة هنا لا تعني الذوبان وفقدان الهوية، بل تعني أيضًا أننا كيانات مستقلة، إلا أننا نتمتع بحياة جديدة في المسيح يسوع، وتربطنا رابطة روحية واحدة، وبهذا نحن نشكّل معًا الكنيسة التي هي جسد المسيح، أي أن هذه الرابطة العضوية التي توّحدنا تتجلى في عمل الروح القدس الذي يُخلق من جموع كثيرة تحمل مواهب متنوعة، توافقًا وإنسجامًا في إطار شركة حقيقية للمؤمنين الذين يُكوّنون معًا هذا الجسد الواحد.

سلام المؤمنين:

٢ـ داخل الكنيسة (التي هي جسد المسيح)، يتجاوز الأعضاء الخلافات التي تُفرق وتُبعد فيما بينهم، ويصبح سلام المسيح حقيقة مؤكدة. لأن رأس هذا الجسد هو الذي يتكفل بصنع هذا السلام وتحقيقه، لكن هذا يتطلب أن يبقى الأعضاء

---

[17] είς την πεντηκοστήν, ομίλ. 1B: PG 50,463.

[18] Βλ. Εφες. ομίλ. IB,5. PG 62, 87.

[19] أنظر تفسير الرسالة إلى أهل أفسس ص١٨٦.

أمناء للرأس، رافضين لكل أمور هذه العالم الحاضر، بكل ما فيه من أغواءات وإغراءات. وهكذا صارت الكنيسة "جسد المسيح" بعد أن نال هذا الجسد، الخلاص بدمه، إذ هو مخلص الجسد كما يقول الرسول بولس.

إن السلام الحقيقي الذي ينشده الإنسان المسيحي يتمثل في الراحة الداخلية، التي يسعي نحوها وسط عالم يسوده القلق والتوتر والإضطراب. وهذه الراحة الداخلية تعكس جوهر الضمير النقي، والذي بدوزه يعكس علاقة روحية وثيقة بالمسيح. سلام المؤمن الداخلي إذن والذي يبقى راسخًا رغم ما تحمله الحياة من قسوة ومتاعب كثيرة، يرجع في حقيقة الأمر لهذه الحياة الروحية المستقرة التي يحياها المؤمن. هذا السلام على هذا النحو هو الذي حمله المسيح إلى العالم. وسلام المسيح هو سلام فائق للعقل، ليس له مثيل في العالم كله، هكذا قال المسيح له المجد: "سلامي اترك لكم سلامي اعطيكم ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا" (يو١٤: ٢٧). ويعلق القديس كيرلس الأسكندري على هذه الآية بقوله: [إن عبارة "سلامي أعطيكم" لا تعني سوي روح المسيح، لأن الرسول بولس يقول "وسلام الله الذي يفوق كل عقل. يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع". هذا السلام الذي يفوق كل عقل، وكل رئاسة وسلطان، وكل العروش والربوبيات، هو روح المسيح الذي به يصالح الإبن كل الكائنات مع الله الآب، ويجعلها تُفكر في الأمور الإلهية وترغب العمل بها][٢٠]. هكذا تحرص الكنيسة على أن تصلي من أجل [الرئيس، الجند، والرؤساء، والوزراء، والجموع، وجيراننا ومداخلنا، ومخارجنا، زينهم بكل سلام يا ملك السلام]. أي أن السلام هو زينة النفس والذي يعطيه هو ملك السلام فقط. هذا هو السلام الداخلي الذي لا يمكن أن يسقط أبدًا، لأنه عطية إلهية دائمة لا تنقطع.

---

[٢٠] أنظر شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ج٨، الإصحاح ١٤، ص١٤٨-١٥٠.

سر الزيجة:

٣ـ إن خاصية العضو في جسد المسيح، يترتب عليها حياة مماثلة تليق بهذه العضوية في كل مناحي الحياة، وهذا يتضح على وجه الخصوص في المحبة المتبادلة بين الزوجين. ولا نجد في أي نص من نصوص العهد الجديد تشديد على الإلتزامات المتبادلة بين الزوجين، وقداسة هذا السر، وتشبيه العلاقة بين الزوجين، بالعلاقة بين المسيح والكنيسة، بقدر نص الرسالة إلى أفسس والذي يقرأ في تتميم مراسم سر الزيجة، وخاصةً ما ورد بالإصحاح الخامس (٥:٢٢-٢٣). إن ما يهدف إليه الزواج المسيحي هو كمال الإنسان في المسيح، فهناك ضرورة لأن يتقدم الزوجان على الدوام من الحياة الجسدية إلى الحياة الروحية، ومن إنقسام الطبيعة إلى وحدة الأقنوم. هذه المسيرة تصبح ممكنه في حالة تحقق سر الجسد الواحد في المسيح يسوع فقط. ولذلك هذا السر، هو سر عظيم، بسبب إن إتحاد الرجل بالمرأة هو على مثال محبة المسيح للكنيسة. وهكذا تتحول محبة الزوجين بعضهما لبعض من محبة نفسية وإجتماعية إلى مستوي روحي وكياني متفرد. فالوحدة بين الرجل والمرأة هي من ثمار الحياة الجديدة التي أسسها المسيح، فهما يُشكلان معًا وحدة واحدة في المسيح، ولهما نفس الإمكانيات والقدرات، ونفس الشركة الواحدة في الثالوث "الذي خلقهما من البدء ذكرًا وأنثي" (مت١٩ :٤).

د. سعيد حكيم يعقوب



الإصحاح الأول

الإصحاح الأول

العظة الأولي : (أفسس ١:١-١٠)

" بولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، إِلَى الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفَسُسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (أف١ :١ــ٢).

١ـ إن حرف الجر (διά) أي (بـ) الذي جاء في عبارة "بمشيئة الله" يشير إلى الآب. فما معني ذلك؟ هل ستقول إن الإبن أقل من الآب؟ لا على الإطلاق. ثم يقول "إلى القديسين الذين في أفسس والمؤمنين الذين في المسيح يسوع". لاحظ كيف أنه يدعو رجالا متزوجين وأنجبوا أبناءً وخداما، بالقديسين. وهذا يظهر في نهاية الرسالة، عندما يقول "أيها النساء أخضعن لرجالكن"[٢١]، وأيضًا "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب"[٢٢]، و"أيها العبيد أطيعوا سادتكم"[٢٣]. تأملوا مدي الفتور الروحي الذي كان سائدًا، وكم كانت الأمور المختصة بالفضيلة أمورًا نادرةً، وكم كان، أولئك الذين يسلكون بالفضيلة قليلون، حتى أنه يمدح أناس في العالم، ويقول عنهم إنهم مؤمنون وقديسون.

"**نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا**" لقد تحدث عن النعمة، وأن هذه النعمة هي من الله الآب، لأن هذا هو برهان تلك النعمة، كيف؟ إسمعه هو نفسه وهو يقول "بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب"[٢٤]. ثم يُضيف "والمسيح يسوع ربنا"، لأنه من أجلنا صار مسيحًا، وظهر في جسدٍ.

---

[٢١] أف٥: ٢٢.

[٢٢] أف٦: ١.

[٢٣] أف٦: ٥.

[٢٤] غل ٤: ٦.



" مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (أف ١ : ٣)

هنا هو يُشير إلى الله الذي هو أبو ربنا يسوع المسيح المتجسد، وإن لم ترغب في هذه الصياغة، عندئذ تقول إنه أبو الله **الكلمة**. "الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح". يُذَكِّر اليهود بالبركة، وبالتأكيد بالنسبة لهم لم تكن روحية، أي مثلما يقول الكتاب "يبارك الرب"[٢٥]. وأيضًا "يبارك ثمرة بطنك"[٢٦] و "الرب يحفظ دخولك وخروجك"[٢٧]. لكن الأمر هنا ليس هكذا، كيف؟ يقول "بكل بركة روحية".

ماذا ينقصك بعد؟

لقد نلت الحياة الأبدية،

وصرت حرًا، وإبنًا، صرت بارًا، وأخًا، وشريكًا،

صرت شريكًا في الملك، وشريكًا في المجد، وكل شيء قد وُهِبَ لك.

يقول: "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء"[٢٨]. إن المسيح المتجسد باكورة الجنس البشري قد سجدت له الملائكة، والشاروبيم، والسارافيم، فماذا يبقي بعد؟

"بكل بركة روحية"، هنا لا يوجد أي شيء جسدي، فقد إستبعد الأمور الجسدية، عندما قال "في العالم سيكون لكم ضيق"[٢٩]، بعدما قادنا للروحيات. لأنه كما أن المأسورين بالجسديات لا يمكنهم أن يسمعوا الروحيات، هكذا لم

---

[٢٥] عد٦: ٢٤.

[٢٦] تث٧: ١٣.

[٢٧] مز ١٢١: ٧.

[٢٨] رو٨: ٣٢.

[٢٩] يو١٦: ٣٣.

يستطيعوا أن ينالوا الروحيات، وما كان لهم أن ينالوها إن لم يكونوا قد إبتعدوا عن الجسديات.

ماذا يعني بقوله: "بكل بركة روحية في السماويات؟"، أي ليست في الأرض، كما كانت لليهود "تأكلون خبز الأرض"[30] وأيضًا "إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً"[31]. و "يبارك الله ثمرة أرضك"[32]. لا يوجد هنا شيء مثل هذا، ماذا إذن؟ يقول "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"[33]. أيضًا يقول: "فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أُشبهه برجل عاقل بني بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الأنهار وهَبت الرياح ووقعت على هذا البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسًا على الصخر"[34]. لكن ما هو الصخر إن لم تكن الأمور السماوية التي هي أسمى من أي تغيّر وتحول؟ لأنه "كل مَنْ يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضًا به قدام أبي الذي في السموات ولكن مَنْ ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبي الذي في السموات"[35]، وأيضًا "طوبي لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله"[36] وأيضًا "طوبي للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات"[37]، وأيضًا "طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات"[38].

أرايت كيف أنه يُشير دائمًا إلى السموات، وليست هناك أي اشارة للأرض، ولا للأمور الأرضية؟ وأيضًا يقول "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضًا

---

[30] إش ١:١٩.

[31] خر ٣:٨.

[32] تث ٧:١٣.

[33] ١٤:٢٣.

[34] مت ٧:٢٤ـ٢٥.

[35] مت ١٠:٣٢ـ٣٣.

[36] مت ٥:٨.

[37] مت ٥:٣.

[38] مت ٥:١٠.



ننتظر مُخلصًا هو الرب يسوع المسيح"[٣٩]. وأيضًا "إهتموا بما فوق لا بما على الأرض"[٤٠]. ثم يضيف إلى عبارة "في السماويات" "في المسيح يسوع" أي أن هذه البركة قد أُعطيت بالمسيح، وليس بواسطة موسى. حتى أننا لا نُمَيزَ فقط من حيث الصفة، بل ومن جهة الوسيط أيضًا، كما يقول في الرسالة إلى العبرانيين "وموسى كان أمينًا في كل بيتهِ كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكإبن على بيته وبيته نحن"[٤١].

٢ـ يقول " كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ " (أف ١: ٤).

ما يقوله يعني الآتي: إن الذي باركنا هو الإبن، وقد إختارنا. إذن فالإبن هو الذي سيعطينا كل البركات والخيرات في الأبدية، هذا هو الديان، الذي سيقول: "تعالوا إليَّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم"[٤٢]، وأيضًا "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي"[٤٣]. وهذا ما يُحاول أن يُظهره، في كل رسائله. إن كل الأمور المختصة بنا، ليست خططًا حديثة، بل هي معدَّة هكذا من السماء، ولم تتغير عن الهدف الذي كان منذ البدء، بل تدبّرت وتعّينت هكذا منذ البداية، وهذه علامة تثبت العناية الأبوية العظيمة[٤٤]. ماذا يعني بقوله "الذي إختارنا فيه؟" يعني أن هذا قد صنعه في المسيح، وقبل أن نُخلق نحن، أو ربما قبل خلق العالم. وبالصواب قال "تأسيس"، كي يُظهر أن هذا (العالم) قد خُلق من سمو عظيم جدًا. لأن سمو الله، هو سمو عظيم ولا يُوصف، ليس من حيث المكان، بل

---

[٣٩] في٣: ٢٠.

[٤٠] كو٣: ٢.

[٤١] عب٣: ٥ـ٦.

[٤٢] مت٢٥: ٣٢.

[٤٣] يو١٧: ٢٤.

[٤٤] "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها" (أفسس٢: ١٠).

من حيث الطبيعة التي تختلف تمامًا (عن طبيعتنا)، وأن بين الخالق والمخلوق هوة لا حدود لها.

فليخجل الهراطقة عندما يسمعون هذا الكلام. لماذا إختارنا؟ "إختارنا لنكون قديسين وبلا لوم قدامه". ولكي لا تعتقد أن إختيارنا مُرتبط بالإيمان فقط، أشار إلى نوعية الحياة. ولهذا إختارنا، لنكون قديسين وبلا لوم. وقد إختار اليهود ذات مرة "وقد إختارك الرب لكي تكون له شعبًا"[٤٥]. فإن كان البشر عندما يختارون، يختاروا الأفضل، فبالأكثر يكون إختيار الله. ومن حيث إنهم أُختيروا، فهذا دليل عناية الله ومحبته للبشر، ودليل على برّهم، لأنه على أية حال قد إختار الأبرار. الإبن هو الذي جعلنا قديسين، ولكن يجب أن نبقى قديسين. والقديس هو ذاك الشريك في الإيمان، الذي يسلك بلا لوم، الذي يحيا في تقوى ولا يمكن لأحد أن يُدينه. إن الله لا يطلب القداسة والسلوك بلا لوم فحسب بل يجب أن تظهروا هكذا أمامه. فهناك أشخاص قديسون، وبلا لوم بحسب حكم البشر، فهم يشبهون القبور المبيضة، ويرتدون ثياب الحملان. لكنه لا يطلب مثل هؤلاء، بل أولئك الذين يقول عنهم النبي "فيرد الرب لي كبرّي وكطهارة يدي"[٤٦]، عن أي طهارة يتحدث؟ تلك التي "أمام عينيه" إنه يطلب القداسة، التي تراها عين الله.

وإن كان قد أشار إلى أعمالهم الصالحة، إلا أننا نجده يعود مرة أخري إلى النعمة، إذ أن هذا الأمر لا يتم بجهدٍ، ولا بإمكانية، بل بالمحبة. غير أن الأمر لا يقتصر على المحبة فقط، ولا هو بسبب فضائلنا لأنه إن حدث هذا (أي أن نكون قديسين بلا لوم) بالمحبة فقط، لكان من اللازم أن يخلص الجميع، وإن صار بسبب فضائلنا فقط، لكان ظهور الرب وكل ما يتعلق بالتدبير الإلهي أمرًا زائدًا

---

[٤٥] تث١٤: ٢.

[٤٦] مز ١٧: ٢٤.



لا حاجة له. إذن فهذا يتم لا بسبب **محبته** فقط، ولا نتيجة **لفضائلنا** فقط، بل **لكليهما** معًا. لأنه يقول "الذي إختارنا" فالذي يختار يعرف مَنْ الذي يختاره.

ثم يقول " فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي " (أف ١: ٥).

الفضيلة لن تُخلّص أحدًا إن لم يكن هناك محبة. أخبرني إذن، إن لم يكن الله قد دعا بولس، وأحبه، وجذبه إليه، فبماذا كان ينتفع بولس، وهل كان بإمكانه أن يُظهر ما أظهره؟

وأيضًا، كل ما حصلنا عليه من خيرات لم يكن بسبب فضيلتنا، بل نتيجة لمحبته أيضًا. لأننا إذا سلكنا بالفضيلة وبالإيمان، وإقترينا إليه، فهذا هو عمل من دعانا إليه. لكن يبقي أن نُتمم عملنا نحن أيضًا، فإن كان قد جعلنا مستحقين، لمثل هذه الكرامة، وهذه الإمتيازات العظيمة، ونقلنا من حالة العداوة إلى حالة البنوة، بعد أن إقترينا إليه، فهذا في الحقيقة هو عمل المحبة الفائق.

٣. يقول "في المحبة إذ سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح". أرايت كيف أن لا شيء قد حدث بدون المسيح؟ ولا شيء يصير بدون الآب؟ **الآب سبق وعيَّن والمسيح مضي في تحقيق ما عيّنه الله الآب.** وقد تحدث بهذه الكلمات لكي يسمو بما تم، مثلما يقول في موضع آخر "ليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع المسيح"[٤٧]. لأن العطايا التي مُنحت كانت عظيمة، ولكن الأعظم جدًا هو أنها قد مُنحت بالمسيح، لأنه لم يرسل للعبيد واحدًا منهم، بل أرسل إبنه الوحيد نفسه.

ثم يُضيف "حسب مسرة مشيئته"، أي أن مشيئته قد أرادت ذلك بشدة. وقد يستطيع المرء أن يقول أن هذه هي شهوته. لأنه عندما يذكر عبارة "مسرة مشيئته"، في كل موضع فهي تعني "مشيئته السابقة"، لأن له مشيئة أُخرى، مثل مشيئته أن لا يهلك أحد من الخطاة، هذه مشيئته الأولي، أما المشيئة الأخرى فهي أنه أهلكهم لأنهم صاروا أشرارًا. لأنه على أية حال لا يُجرب أحد ولا يُجبره على فعل شيء، بل

---

[٤٧] رو٥: ١١.

يتركه ليفعل ما يُريد، وهذا ما نراه في كلمات الرسول بولس إذ يقول: "لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا"[٤٨]، " فَأُرِيدُ أَنَّ الْحَدَثَاتِ يَتَزَوَّجْنَ وَيَلِدْنَ الأَوْلاَدَ وَيُدَبِّرْنَ الْبُيُوتَ، وَلاَ يُعْطِينَ عِلَّةً لِلْمُقَاوِمِ مِنْ أَجْلِ الشَّتْمِ" (اتيمو٥:١٤).

إذن فهو يدعو المشيئة الأولي، بعبارة "مسرة مشيئة"، أي المشيئة القوية، المشيئة المقترنة بإرادة صلبة، كما يحدث معنا، لأنني لن أتردد في إستخدام كلمات شائعة، حتى أكون أكثر وضوحًا للبسطاء، إذ نحن أنفسنا لكي نصبو إلى قوة المشيئة، نقول أننا نعمل بحسب صلابتنا، ما يريد أن يقوله القديس بولس إذن هو أن الله يشتهي خلاصنا بشدة.

ما هو سبب محبته لنا كل هذا الحب؟ ولماذا يُريد أن يُقربنا إليه بشدة؟ إن ذلك يرجع لصلاحه فقط، لأن النعمة هي الصلاح. ولهذا فقد سبق وعيننا للتبني أي لنكون أبناءه، فقد كان يرغب ويشتهي بشدة تحقيق ذلك، بهدف إعلان مجد نعمته.

ثم يقول: " حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ " (أف ١ : ٦).

إذن، إن كان لأجل هذا الهدف أنعم علينا بنعمته وبغنى، فهذا لكي يُظهر نعمته فينا، حتى نبقي فيها ونتنعم بها، لمدح مجد نعمته.

يقول "**لمدح مجد نعمته**"، مَنْ الذي يمدحه؟ ومَن الذي يُمجده؟ هل نحن؟ أم الملائكة؟ أم هم رؤساء الملائكة؟ أم كل الخليقة؟ وما هو هذا المدح؟

لا شيء، لأن الله لا يعوزه شيء ولا يحتاج لشيء. إذن لماذا يُريد أن نمتدحه ونمجده؟ السبب هو لكي تصير محبتنا له أكثر دفئًا، وتشتعل داخلنا بشدة، لأنه لا يريد شيئًا منّا، فهو لا يشتهي سوى خلاصنا فقط، ولا يطلب أن نخدمه، ولا أن

---

[٤٨] اكو٧:٧.



نمجده، ولا أي شيء آخر، إنه يفعل كل شيء لأجل خلاصنا. ومَنْ يُمجِد، ويمدح النعمة التي أُعطيت له، سيكون أكثر غيرة، وأعظم شأنًا.

يقول **"التي أنعم بها علينا"** لم يقل "التي أنعم بها" وفقط، بل "التي أنعم بها علينا"، بمعني أنه ليس فقط قد خلّصنا من الخطايا، بل جعلنا مستحقين لمحبته. تمامًا مثل شخص قد أخذ مريضًا بالبرص وقد تشوه بسبب المرض، والفقر، والجوع وقد أصابته الشيخوخة، ثم جعله على الفور شابًا، جميلاً، بل ويفوق كل البشر في الجمال، وتشع وجنتاه نورًا قويًا، وتطغي أشعة النور على نظرات عينيه. وبعد أن أعاد إليه زهرة شبابه ألبسه الأرجوان، وزّينه بكل كرامة، هكذا فعل الله فقد زيَّن نفوسنا، وجعلها جميلة ومستحقة للمحبة. فمثل هذه النفس تشتهي الملائكة، ورؤساء الملائكة، وكل القديسين الإقتراب منها. لقد سكب علينا النعمة، وجعلنا محبوبين لديه، لأن المرنم يقول "فيشتهي الملك حسنك"[49].

٤ـ لاحظ إذن الأقوال القاسية التي قِيلت، والأحاديث التي تفيض نعمة التي قيلت حتى الآن. فلم يعد الغنى موضع إعجاب، ولا الأمور الأرضية، بل السماويات، وما في السماويات. ألا تدعو الطفل الذي يتمتع بمظهر جميل، ونعمة غزيرة، حين يتحدث، أنه طفل متميز ورائع؟ هكذا الحال بالنسبة للمؤمنين. لاحظ ماذا يقول أولئك الذين إستؤمنوا على أسرار الإيمان، هل يمكن أن يكون هناك فم مملوء نعمة أكثر من ذلك الفم الذي يتكلم بكلمات عجيبة، بقلب طاهر وشفتين نقيتين، مُتناولاً من المائدة السرائرية، ببهاء شديد، ودالة كبيرة؟ وهل هناك ما هو أجمل من الكلمات التي بها نجحد الشيطان، والتي بها نتحد بالمسيح، كلمات إعتراف الإيمان قبل المعمودية وبعدها؟ فلنفكر في الذين دنسوا المعمودية، ولنئن في قلوبنا، لكي نستطيع أن نربحهم مرة أخري.

---

[49] مز ٤٥: ١١.

يقول " الْمَحْبُوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ " (أف ١: ٧).

بأي طريقة يكون هذا؟ المدهش ليس فقط في أنه قَدَمَ إبنه وفقط، بل أنه قدمه بهذه الطريقة، أي قدم إبنه الحبيب ذبيحة. والأمر الفائق للوصف أنه قدم إبنه الحبيب لأجل المبغضين. لاحظ مدي تكريمه لنا، فإن كان قد بذل إبنه الحبيب لأجلنا، حين أبغضناه، وعندما كنا أعداءًا، فما الذي لم يفعله لكي ننعم بالخلاص؟

ثم يقول "**غفران الخطايا**". هكذا ينزل من أعلى إلى أسفل، فبعدما تحدث أولاً عن التبني، والقداسة، وأننا صرنا بلا لوم، يتحدث عن الألم، دون أن يُقلل من حديثه، بل تسامى به ورفعه من أسفل إلى أعلى. لأنه ليس هناك ما هو أسمى من أن يسكب دم إبنه لأجل خلاصنا، هذا أعظم من التبني، ومن كل العطايا الأخرى، إنه لم يشفق على إبنه. عظيم هو غفران الخطايا الذي تحقق بسفك دم الإبن، وأعظم من كل شيء. لاحظ كيف صرخ قائلاً:

" حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا " (أف ١: ٨).

بالطبع العطية السابقة هي غنى، لكن بالأكثر جدًا هذه العطية (عطية النعمة). يقول "التي أجزلها لنا"، فهو غنى وبفيض أيضًا، أي إنسكب بطريقة فائقة للوصف. فمن غير الممكن أن يُعبر المرء عن هذه العطايا التي أختبرناها بكلمات. لأن الغنى، هو ذلك الغنى الذي يفيض، وقد أعطاه لنا بوفرة، وهو ليس بإنسان، بل مِن الله، لذلك من المستحيل وصفه.

٥ــ ثم يُضيف " بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ " (أف ١: ٩).

أي أنه جعلنا حكماء وفطناء، حسب الحِكمة الحقيقية والفِطنة الحقيقية. يا لها من محبة! لأنه أعلن أسراره لنا، لقد عرّفنا ما بداخل قلبه، هذا هو السر المملوء بكل حِكمة وفِطنه. فهل باستطاعتك إذن أن تجد مثيلاً لهذه الحِكمة؟ وأولئك



الذين لم يكونوا مستحقين لأي شيء، رفعهم إلى الغنى الحقيقي (غنى نعمته). وهل يوجد مثيل لهذا الغنى؟ فذاك العدو الذي كان مكروهًا، أصبح فجأةً في السماء. وليس هذا فقط، بل إن هذا قد حدث في ذلك الوقت تحديدًا، وهذا عمل الحكمة، الذي تم بالصليب.

يطول الكلام هنا، لكي نُظهر كيف أن هذا هو عمل الحكمة، وكيف جعلنا الله مستحقين أن نكون حُكماء. "حسب مسرته التي قصدها في نفسه" أي أنه أراد ذلك، ومن أجل هذا كانت الآلام الشديدة، لكي يُعلن لنا السر (سر مشيئته). وما هو هذا السر؟ هو أنه يُريد أن يرفع الإنسان إلى السماء. وهذا قد تم.

" لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شيء فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ " (أف ١ : ١٠).

ما يقوله يعني أن السماويات كانت قد إنفصلت عن الأرضيات، لم يَعُد لها (أي للملائكة والبشر) رأس واحد. لأنه في وقت الخلق كان هناك إله واحد، إلا أن الوضع لم يَعُد هكذا بعد أن إنتشر الضلال الوثني، وإبتعد البشر عن طاعة الله.

يقول **"لتدبير ملء الأزمنة"**، لاحظ مقدار الدقة في كلامه، فبعدما أظهر أن البداية، والهدف، والمشيئة، وقصده الأول، هي أمور خاصة بالله الآب، بيّن أن العمل قد تم بالمسيح، ولم يدعوه في أي موضع بالخادم. يقول "أختارنا فيه.. إذ سبق فعيّننا للتبّني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته.. الذي لنا فيه الفداء بدمه.. التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح". ولم يُدَع الإبن في أي موضع بالخادم. وإن كانت عبارة "في المسيح" و "بيسوع المسيح"، تتضمن أن المسيح خادم، فلتلاحظ كيف يتنقل بهذا الأمر، لأن القديس بولس بمجرد أن بدأ رسالته، قال "بمشيئة الله" هذا يعني أن الآب أراد، والابن أتم العمل. غير أن هذا لا يعني أن الآب أراد أن يكون الإبن خارج هذه الإرادة، وأن يكون الآب معزولا عن هذا العمل لأن الإبن هو الذي أتمه، بل يعني أن كل شيء

مشترك بين الآب والإبن، فكل ما للآب هو للإبن، وكل ما للإبن هو للآب، لأنه يقول: "كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي"[٥٠].

لقد تحقق ملء الأزمنة في مجئ المسيح. لأنه بعد أن صنع كل شيئ بواسطة الملائكة، والأنبياء، والناموس، وعلى الرغم من ذلك، لم يتحقق شيء، بل إن سعي الإنسان كان نحو الشر، نحو هلاكه، فهلك بصورة أفظع مما حدث في الطوفان، عندئذٍ كانت خطة التدبير الإلهي (أن يكون خلاص الإنسان) بالنعمة، حتى لا يبدو وكأنه قد خُلِق بلا هدف. هذا ما دعاه "ملء الأزمنة" ودعاه "حكمة" لأنهم في الوقت الذي كانوا فيه على وشك الهلاك، أُنقذوا من الهلاك. يقول **"ليجمع"**، ماذا يعني بقوله "ليجمع؟"، يعني يوّحد، لكن لنحاول أن نفهم معنى هذه الحقيقة. فكما هو مُعتاد لدينا أن تُقال كلمة تجميع، عندما يلّخص المرء حديثًا مطولاً في كلمات وجيزة. هنا هو يعني أن المسيح جمع في ذاته كل الأزمنة الطويلة السابقة، أي أوجزها. "لأنه متمم أمر وقاض بالبر"[٥١]، والمعني (أنه متمم كلمته وأوجزها بالبر)، أي أنه شمل العهود السابقة، وأضاف إليها، وهذا هو معنى "جمع". وهناك معني آخر، أنه جعل للجميع: الملائكة والبشر رأسًا واحدًا، وهو المسيح المتجسد.

أعطى للملائكة بداية أخرى، فالبشر رأوا الله **الكلمة**، بينما الملائكة رأوا الله **الكلمة** بالجسد كائنًا على الأرض"[٥٢]. كما لو أن شخصًا قد تحدث عن منزل

---

[٥٠] يو١٧: ١٠.

[٥١] رو٩: ٢٨.

[٥٢] هذا المعني قد شرحه القديس يوحنا ذهبي الفم في عظه كان قد ألقاها في الإحتفال بعيد الميلاد، إذ يقول: "أري سرًا عجيبًا ومدهشًا، أسمع أصوات رعاة يصلوّن بتسبيح سماوى. ملائكة يرتلون، رؤساء ملائكة يمجدون، الشاروبيم يسبحون، والساروفيم يتهللون، الجميع يحتفلون برؤية الله على الأرض والإنسان في السماوات. وهذا الكائن أصلاً في السماء، يرونه بسبب تنازله ـ كائنًا على الأرض، وهذا الذي هو أصلاً على الأرض (أي الإنسان)، يرونه ـ بسبب محبة الله للبشر ـ موجودًا في السماء. "ميلاد المسيح" للقديس يوحنا ذهبي الفم، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. سعيد حكيم يعقوب، يناير ٢٠٠١.



تهدم جزء منه، والجزء الآخر بقي قويًا ومتينًا، إلا أنه أعاد بناء المنزل من جديد، وجعله أكثر متانة وقوة، بأن وضع له أساسًا قويًا، هكذا هنا أيضًا قد وضع الجميع تحت رأس واحد. لأنه لا يحدث أي إتحاد ولا ترابط تام بين الجميع، إلا عندما يُوضع الكل تحت رأس واحد، وهكذا يكون لدينا إتحاد حتمي، مصدره السماء.

إذن مادمنا قد إستحققنا هذه العطية، وكل هذه الكرامة، والمحبة الإلهية، فيجب ألا نُخجل مَنْ أحسن إلينا، وألا نُبطل فاعلية هذه النعمة العظيمة التي نلناها، ولنتمثل بالحياة الملائكية، ولتظهر في حياتنا سيرة وفضيلة ملائكية. نعم أتضرع إليكم وأترجاكم، كي لا يصير كل هذا، سببًا لدينونتنا والحكم علينا، بل سببًا للتمتع بالخيرات السمائية، التي ليتنا ننالها جميعًا، في المسيح يسوع ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثانية (أفسس١: ١١-١٤)

" الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شيء حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ " (أف١: ١١-١٤).

١- لقد إهتم القديس بولس بقدر استطاعته أن يُظهر لنا وبكل السُبل، محبة الله غير الموصوفة نحو البُشر. ومن حيث إنه من غير الممكن أن يُظهر محبة الله نحو البشر بشكل كامل، لأنها غير موصوفة، إسمع ما يقوله هو نفسه "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقة عن الأستقصاء"[٥٣]. ومع هذا فقد حاول أن يُظهرها بقدر إستطاعته. إذن ماذا يقول؟ يقول "الذي فيه أيضًا نلنا نصيبًا معينين سابقًا". قال قبل ذلك "إختارنا"، وهنا يقول "نلنا نصيبًا". ولأن نصيب الميراث قديمًا لم يكن مرتبطًا بالأختيار ولا بالفضيلة بل بالقرعة، إذ أن القرعة لا تتم بالمعرفة المسبقة، وفي مرات عديدة تتجاوز السالكين بالفضيلة، وتذهب لغير المستحقين كليةً، فلاحظ كيف يُصحح الأمر قائلاً: "معينين سابقًا حسب قصد الذي يعمل كل شيء". أي أننا لم ننل نصيبًا، ولا تم إختيارنا مصادفةً، لأن الله هو الذي يختار، والله هو الذي يُحدد النصيب، ولكن كل هذا "حسب قصده"، هذا ما يقوله في رسالته إلى أهل رومية "الذين هم مدعون حسب قصده لأن الذين سبق فدعاهم فهؤلاء مجدهم أيضًا"[٥٤].

وبعدما قال "المدعوين حسب قصده"، أظهر في ذات الوقت إمتيازهم الذي صار مقارنةً بباقي البشر، قال نلنا نصيبًا. وحتى لا يُعتقد أن الإرادة الحرة قد أُبطلت،

---

[٥٣] رو١١: ٣٣.

[٥٤] رو٨: ٢٨-٣٠.

وهي موضع مسرة أكثر من أي شيء، فإنه يُشدد على النصيب الصالح. لأن النصيب المرتبط بالقرعة، لا علاقة له بالفضيلة، بل يأتي عشوائيًا، كما يبدو الأمر كما لو كانت القرعة قد تمت، وبناء على ذلك تم إختياركم. غير أن الإختيار تم على أساس (المشيئة الإلهية الصالحة)، لأنه يقول "سبق فعينهم"، بمعنى أفرزنا بعدما إختارنا لنفسه، أي أنه عرفنا قبل أن ننال نصيبًا لأن علم الله السابق عجيب، وهو عالم بكل شيء قبل أن يحدث. ولكن لاحظ كيف يحاول الرسول بولس بكل الطرق أن يبرهن على أن الله لم يغيّر قراره، بل هذه هي خطته منذ البدء. حتى لا نكون أقل من اليهود في شيئ من حيث إختيار الله، ومن أجل هذا صنع كل شيئ لتحقيق هذا الغرض.

لكن كيف يقول المسيح نفسه: "لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة؟"[55]، وقال أيضًا لتلاميذه "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا"[56]، وأيضًا الرسول بولس نفسه يقول "كان يجب أن تتكلموا أنتم أولاً بكلمة الله"[57]. إن هذا الكلام قد قيل، حتى لا يعتقد أحد أن كل ما تم قد تم بالمصادفة. لأن الرسول بولس يقول "حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته"، أي أنه قد أكمل كل شيئ، بعد أن أتم هذا العمل، فبعدما دبّر كل شيء من السماء، فهذا قد أتمه بحسب مشيئته. حتى أن دعوته للأمم لم تأت لمجرد أن اليهود لم يسمعوا له، ولا لأنه إضطر إلى ذلك، ولا لأنه دُفع منهم.

ثم يقول " لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ " (أف ١: ١٢ــ ١٣).

لاحظ كيف يُشير الرسول بولس إلى أن المسيح هو مصدر كل شيئ، ولم يذكر إسمه في أي موضع بإعتباره عاملاً أو خادمًا، كما يقول في رسالته إلى

---

[55] مت١٥: ٢٤.

[56] مت١٠: ٥.

[57] أع١٣: ٤٦.

العبرانيين "الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه"[58]، أي بإبنه. يقول "كلمة الحق"، لم يقل كلمة المثال، ولا كلمة الصورة. ثم يكمل "إنجيل خلاصكم". وبالصواب دعاه إنجيل خلاصكم، مذكرًا إياهم بالناموس، و بالجحيم أيضًا. لأن الكرازة لا تحمل شيئًا آخر، سوى بشارة خلاص مفرحة خاصةً وأن أولئك المستحقين للهلاك، لم يهلكهم بعد.

٢ــ " الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ " (أف ١ : ١٤).

هنا أيضًا يُشير إلى العناية الإلهية الفائقة، من حيث أننا خُتمنا، فهو لم يشر فقط أنه ميزّنا لسبق تعيّننا أو سبق إختيارنا، بل أشار أيضًا إلى أولئك الذين سيكونون من نصيبه، هكذا أفرز الله أولئك ليؤمنوا، وختمهم لينالوا خيرات الدهر الأتي. أرايت كيف أنه بمرور الزمن، جعل هؤلاء مستحقين للإعجاب؟ أي أنهم كانوا موجودين في علمه السابق فقط، ولم يكونوا معروفين لأحد، ولكن عندما خُتِموا، صاروا معروفين، لكن ليس مثلنا، لأن قليلين هم الذين سوف يصيرون معروفين، فالإسرائيليون أيضًا خُتِموا، إلا أن هذا كان بالختان الجسدي، كالحيوانات المستأنسة، والكائنات غير العاقلة، ونحن أيضًا قد خُتمنا، ولكن كبنين "بالروح القدس".

وماذا يعني بقوله "بروح الموعد"؟ يعني أننا نِلنا الروح بحسب الوعد. فقد كان هناك وعدين، واحد بالأنبياء، والثاني بالإبن. وبالنسبة للوعد الذي تكلّم به بالأنبياء، إسمع ما يقوله يوئيل النبي "أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلامًا ويرى شبابكم رؤى"[59]، أما بالنسبة للوعد

---

[58] عب ١ : ١ــ٢.

[59] يوئيل ٢ : ٢٨.

الثاني "بالإبن" فإسمع ما قاله المسيح له المجد "ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"[٦٠]. وبالطبع ينبغي، كما يشير الرسول بولس، أن نؤمن بالمسيح أنه هو الله، لكنه لم ينتهج هذا النهج، بل فحص الموضوع بإعتباره أمرًا يخص الإنسان، كما يقول في رسالته إلي العبرانيين "حتى بأمرين عديمي التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية"[٦١]. هكذا هنا أيضًا يقدم الأشياء التي أُعطيت بالفعل من قبل، دليلا على تحقيق وعده بخيرات الدهر الآتي. لهذا فقد دعاها "عربونًا"، لأن العربون هو جزء من الكل. لقد إشترى ما يخص خلاصنا، وأعطاه لنا فيما سبق عربونا.

ولماذا لم يعط كل شيئ على الفور؟ لأننا نحن أيضًا لم نعمل كل ما علينا. لقد آمنا، وهذا الإيمان يُعَد بداية، وهو قد أعطى لنا عربونًا. وعندما نُظهِر إيماننا، بأعمالنا، حينئذً سيُعطي كل شيئ، بل أنه أعطى كرامة أخري، أي أعطى دمه ووعد بشيئ آخر أيضًا. وكما يحدث في حالة الحروب بين الأمم، حيث يُعطون رهائن، هكذا الله الآب، قد أعطى إبنه كضمان وميثاقًا للسلام، وأعطانا الروح القدس المنبثق منه (من الآب). لأن الذين هم شركاء بالحق في الروح القدس، يعرفون أنه هو عربون ميراثنا. هكذا كان الرسول بولس الذي تذوق خيرات الدهر الآتي، في هذه الحياة الحاضرة، ولهذا كان يشعر بألم، وبأنين شديد لكي يتحرر من كل ما هو أرضي، لأنه كان يرى بأعين أخري، وإنتقل بفكره كليةً إلى هناك (إلى الحياة الأبدية). أما أنت فإنك لا تشارك في هذه الأمور الخاصة بعطايا الروح القدس، ولذلك لا تستطيع رؤية (خيرات الحياة الأبدية)، ولا تستطيع وصفها. لكن إن كنا جميعًا شركاء في الروح القدس، كما ينبغي لنا أن نشترك فيه، فحتمًا أننا سنُعاين السموات وما في السموات.

---

[٦٠] أع١:٨.

[٦١] عب٦:١٨.

ولأي شيء يهدف هذا العربون؟ يهدف لنوال الفداء والخلاص، طالما أن الفداء الكامل، سيتحقق في الدهر الآتي. الآن نحن نعيش في هذا العالم، وتحدث لنا أمور إنسانية كثيرة، ونحيا مع أناس أشرار، ولذلك فإن الفداء التام والكامل يتم حين لا يكون هناك مجالاً للخطية، وحين تزول الآلام والأتعاب، حين لا يكون هناك إختلاط بالآخرين (بحيث لا يمكن التمييز بين البار والشرير)، أما الآن فلا يوجد سوى العربون. نحن بعيدون الآن عن تلك الشهوات، ووطننا ليس على الأرض (بل في السماء)، فوجودنا هنا مؤقت، الآن نحن الذين تعيّنا لنكون "لمدح مجده" متحررين من الخطية.

إنه يقول هذا بصفة دائمة. لماذا؟ لأن هذا كان كافيًا لاقناع السامعين له. فإن كان الله قد صنع كل هذا من أجلنا فقط، ألا يكون ذلك مدعاة للشك؟ ولكن إن كان قد صنع هذا لأجل نفسه، ولكي يعلن صلاحه، فكأنه يقدم مُبررًا على أن هذه الأمور لم تكن لتقدم بشكل أخر، وهي أمور نرى أنها كانت تقال عن اليهود في حالات كثيرة "إصنع هذا من أجلنا ومن أجل إسمك"[٦٢]، وأيضًا قال الله ذاته "من أجل نفسي أفعل"[٦٣]، وموسى أيضًا يقول "إفعل هذا إن لم يكن لشيئ آخر فإفعله لمجد إسمك". لأن هذا يُقنع، ويحث المستمعين أن يثقوا في أنه سيُتمم كل ما وعد به، بسبب صلاحه هو.

٣. ولكن ينبغي علينا ألا نُظهر لا مبالاة ونحن نسمع هذا الكلام. لأنه إن كان يُتمم هذا، بسبب صلاحه، إلا أنه يطلب منّا أن نفعل كل ما نستطيع فعله. لأنه قال "أني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون"[٦٤]. إذن يجب أن نفهم، أنه يطلب منّا أن نُقدم كل ما نستطيع لمدح مجده، فهو يخلص البشر، الذين صاروا أعداءه، بل ويُبقي الذين صاروا أحباءه، أحباءًا له، لأنهم إذا رجعوا

---

[٦٢] مز ١٠٩: ٢١(س).

[٦٣] إش٤٨: ١١.

[٦٤] ١صم٢: ٣٠.



إلى العداوة القديمة، فإن كل شيء سيبطل ويصبح عديم الجدوي، خاصة وأنه لا توجد معمودية أخري، ولا مصالحة ثانية، "بل قبول دينونة مُخيف.. أن تأكل المضادين"[٦٥]. لأنه إن حدث وبقينا أعداءه على الدوام، في الوقت الذي فيه نطلب منه المغفرة، فإننا لن نتوقف عن أن نكون أعداءه، ونحيا في فجور وفسق ونصبح في حالة أسوأ، وسنكون عميانًا، عندما يأتي شمس البر. ألا ترى الشعاع الذي يفتح عينيك؟ إعتني بعينيك، حتى تصبحا صالحتين، صحيحتين، وحادتي البصر. لقد أظهر لك النور الحقيقي، فإن تجنبت هذا النور، وركضت مرة أخري نحو الظلمة، فأي دفاع وأي عذر ستقدم؟ لا يوجد، لأن هذا السلوك يُعَّد دليلاً على بغضة لا توصف. لأنه إن كنت لم تعرف الله، ووُجِدت في حالة عداوة معه، فلك بعض العذر في هذا، ولكن إن كنت قد تذوقت الطيب والعسل[٦٦]، ثم هجرت كل هذا، وعدت إلى قيئك مرة أخري، فإنك لا تقدم شيئًا آخر، سوى دليل على بغضك وإحتقارك الشديد.

لكنك قد تقول إني مُضطر بسبب طبيعتي، نعم أنا أحب المسيح، لكنني مجبر بسبب طبيعتي. فإذا كنت تعاني من العوز والقهر، فستنال الصفح، ولكن إن كان سقوطك بسب اللامبالاة، فلن تنال أي صفح. إذن لنفحص هذا الأمر بالتدقيق، أي هل كان إرتكاب الخطايا نتيجة لإجبار وإكراه، أم نتيجة تراخي ولا مبالاة كبيرة للغاية. يقول الناموس "لا تقتل"، أي إجبار وأي إكراه هنا؟ إذن فأنت تُكره نفسك على القتل. لأنه مَن منّا يريد أن يغمس سيفه في رقبة قريبة، ويُصبغ يده بالدماء؟ لا أحد. أرايت أن العكس هو ما يحدث، فحين يُخطيء المرء، لا يكون هذا راجعًا لضغوط وإكراه. لأن الله وضع حنوًا ورفقا في طبيعتنا، حتى نحب بعضنا بعضًا، لأن الكتاب يقول "كل حيوان يُحب نظيره وكل إنسان

---

[٦٥] عب١٠: ٢٧.

[٦٦] كانت الكنيسة تُعطي المعمدين الجدد عسلاً وطيبًا ولبنًا.

قريبه"[٦٧]. أرايت كيف أننا نحمل في طبيعتنا بذور الفضيلة؟ بينما بذور الشر، فهي خارج الطبيعة، فإن سادت علينا بذور الشر، فهذا دليل على تراخينا الشديد.

ما الذي يُجبرك على ممارسة الزنى؟ قد يقول المرء إنه طغيان الشهوة. أخبرني لماذا؟ أليس من المسموح أن يكون لك علاقة حميمة مع زوجتك، وأن تُوقف طغيان هذه الشهوة؟ بل قد يقول أن حالة من العشق تُسيطر عليَّ لكي أشتهي زوجة قريبي. لكن ولا هذا أيضًا يأتي بسبب الضغوط، لأن العشق ليس وليد الإجبار، لا أحد يُحب بالإجبار، بل برغبته وبكامل إرادته. فمن حيث أن يجتمع أحد بامرأة (في إطار الزواج)، فهذا إحتياج طبيعي، لكن أن يُحب هذه أو تلك، فهذا ليس نتيجة لإجبار ولا هو رغبة في إتحاد جسدي (بأن يصيرا جسدًا واحدًا)، بل هو زهو وغرور، وفسق، يتجاوز حدود اللذة.

إذن فلتخبرني، ما الذي يتوافق مع العقل والمنطق، أن يكون للمرء زوجة شريكة في إنجاب الأولاد، أم تلك التي ليست بزوجة؟ ألا تعرفون أن المحبة تُولد أو تنشأ من الأعتياد؟ فهي لا تدين للطبيعة بشيئ. لا تتهموا الشهوة كسبب في ممارسة الفسق والفجور، فهذه الشهوة قد أُعطيت من أجل الزواج، ولأجل الإنجاب، وليست لأجل الزنى والفجور. والقوانين الوضعية أيضًا تعرف أن تصفح عن الخطايا التي ترتكب تحت ضغوط، ولا وجود لخطية تُرتكب تحت ضغوط، بل أن الخطايا تنشأ من الفجور. فالله لم يخلق الطبيعة الإنسانية لترتكب الخطية بهذا الشكل. لأنه لو حدث هذا، لما كان هناك عقاب أو دينونة، لأننا نحن أيضًا لا نُحاسب عن الخطايا التي تُرتكب تحت ضغوط أو بالإكراه، وبالأكثر جدًا يصفح الله الكليّ الصلاح، والمحب للبشر محبة فائقة، عن الخطايا التي تُرتكب تحت ضغوط.

---

[٦٧] حكمة إبن سيراخ١٣:١٥.



ماذا إذن؟ هل من إجبار يدفع الإنسان للسرقة؟ قد يقول المرء نعم، لأن الفقر قد يقود للسرقة. هذا غير صحيح، لأن الفقر يُلزمك أن تعمل، لا أن تسرق، إذن الفقر يقود للعمل، بينما السرقة تأتي نتيجة للخمول، لذلك فإن هذه الخطية هي نتيجة للامبالاة. فالفقر ليس بطالة بل هو الذي يفتح الشهية للعمل. ولكي تعلم أكثر عن هذا الأمر: فإني أتساءل أيهما أكثر صعوبة وكُرهًا للنفس، أن يقضي المرء الليل ساهرًا ينقب البيوت، ويتجول في الظلام، ويتعرض لخطر القتل، ويرتعد ويموت خوفًا، أم يلتفت لعمله اليومي بجد وإجتهاد، ويتمتع بالأمان دون خوف؟ لا شك أن هذا هو الأسهل، والدليل على ذلك أن الكثيرين يمارسون هذا العمل اليومي الجاد.

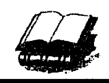
٤ـ أرايت كيف أن الفضيلة تتوافق مع الطبيعة، بينما الشر هو بخلاف الطبيعة، تمامًا كما هو الحال مع المرض والصحة؟ وما الذي يجبرك أن تكذب وأن تقسم؟ ليس هناك ما يدفع لذلك، فهذا أمر نلجأ إليه بمحض إرادتنا، وليس فيه أي إجبار. قد لا نكون موضع ثقة، إلا أن ما يكسبنا ثقة الغير هو سلوكنا وحياتنا المستقيمة، وليس القَسَمْ. أخبرني، لماذا لا نصدق البعض حتى وإن أقسموا، ونصدق البعض الآخر حتى وإن لم يقسموا؟ أرايت كيف أنه ليس هناك ضرورة للقسم على الإطلاق. يقول البعض، إذا تكلم فلان فأنني أصدقه دون أن يقسم، أما أنت فلا أصدقك حتى وإن أقسمت. إذن لا حاجة لنا للقسم، فهو دليل على عدم الصدق، فإن هذا القسم لا يُكسب سمعة الإنسان الورع، حتى أن ذاك الذي يقسم بصفة دائمة، حتمًا لن ينتفع بقسمه في أي مكان، بينما مَنْ لا يقسم، فإنه يتمتع بأمانته. وقد يظن البعض إن إستخدام القسم أعطى لكي نصير موضع ثقة وتصديق. هذا غير صحيح، إذ أننا نرى أن الذين لا يقسمون، هم الجديرون بالثقة بدرجة أكبر.

ولكن هل من الضروري أن يكون المرء غضوبًا ويميل إلى توجيه الإهانة؟ قد يُجيب نعم. إلا أن الغضب قد يقودك خارج دائرة نفسك، ويؤجّجك، ولا يجعلك تهدأ. أن يُهين المرء غيره، فهذا ليس نتيجة للغضب، بل نتيجة لصغر نفسه، فلو كان توجيه الإهانة نتيجة للغضب، لِما كان في وسع كل البشر أن يتجنبوا ذلك،

عندما يغضبوا. يجب ألا يكون هدف غضبنا هو إهانة أقربائنا بل رجوع الخطاة إلى طريق الله، وأن نُقيم الساقطين، ولا نكون متوانيين. لقد أُعطيّ لنا الغضب لإستخدامه كشوكة لمحاربة الشيطان، لكي نثور ضده، لا لكي يثور الواحد ضد الآخر. لدينا أسلحة، لكن يجب أن لا نستخدمها لكي نُحارب بها أنفسنا بأنفسنا، بل نستخدمها بالكامل في مواجهة العدو. هل أنت حاد الطبع؟ حسنًا، لتكن هكذا ضد خطاياك، بكّت نفسك، أنّب ضميرك، ولتكن حَكمًا قاسيًا، وقاضيًا لا يرحم في مواجهة خطاياك. هذا هو الربح الذي تجنيه من وراء الغضب، وهذا هو السبب الذي لأجله وضع الله فينا الغضب.

أيضًا هل هناك مُبرر يدفعك للسلب؟ لا على الإطلاق، أخبرني ما هي الضرورة التي تدفعك لأن تخطف أو تسلب؟ أي سبب قهري يدفعك لذلك؟ يقول إنه الفقر وعدم توفر الإحتياجات الضرورية. أقول لك من أجل هذا تحديدًا لا ينبغي أن تسلب، فإن ذلك الغنى الذي يأتي عن طريق السلب لا أمان له. أنت تفعل نفس الشيئ، تمامًا كما لو كان شخصًا ما سُئل عن سبب وضع أساسات بيته على الرمل فإنه يُجيب أنه فعل هذا بسبب البرد الشديد والأمطار، بينما لأجل هذا تحديدًا كان ينبغي ألا يضع الأساسات على الرمل، لأن مثل هذه الأساسات تسقط سريعًا أمام الأمطار والرياح. فإن أردت أن تغتني، فلا تكن جشعًا، إن أردت أن تترك لأولادك ثروة، فلتربح ثروتك بحق وعدل، هذه هي الثروة التي تبقى في أمان، أما الثروة التي تأتي عن ظلم الغير، فسرعان ما تُفقد وتتلاشى.

أخبرني، هل تُريد أن تغتني وتأخذ ثروة غيرك؟ إذن عليك أن تعرف أن هذه ليست ثروة، بل الثروة هي أن تملك ما هو لك فقط، أما ذاك الذي يمتلك أموال غيره، فلا يكون غنيًا. هكذا أولئك الذين يبيعون الأقمشة الحريرية، فبينما يأخذونها من الآخرين (على سبيل الأمانة)، فقد يُقال عنهم أنهم أغنى الناس. إن هذا الحرير ليس ملكًا لهم وليس لهم الحق في بيعه. فهؤلاء البائعون لا يُعتبرون



أغنياء، لماذا؟ لأن هذه الأقمشة هي في حوزتهم حقاً، إلا أن أثمانها ليست لهم، حتى وإن كانت تُعطى لهم، فذلك لا يُعد ثروة لأنه إن كانت الأموال التي نحصل عليها بطريقة شرعية لا تجعلنا أثرياء، وإن كنّا سوف نرحل سريعًا، فكيف يكون من الممكن لتلك الأموال التي تأتي عن طريق السلب تجعلنا أثرياء؟ إذن لا ينبغي أبدًا أن تشتهي الغنى، لأنه ليس هناك ضرورة لذلك. ما المتعة التي تريدها من وراء الغنى؟ هل تشتهي أن تطول أيام حياتك؟ إن الذين يعيشون هكذا تكون أعمارهم قصيرة. لأنه مرات عديدة يُحكم عليهم بالموت في وقت مبكر، بسبب السلب والجشع، ودون أن يتمتعوا إلا بالقليل فقط من الممتلكات، وينقادوا إلى جهنم، وكثيرًا ما تُصيبهم الأمراض، بسبب إنغماسهم في اللذات والشهوات، ويصابون بالإجهاد الشديد ويعرضون أنفسهم للموت.

وأريد أن أعرف لماذا يتصارع البشر بكل الطرق من أجل الحصول على الغنى؟ على الرغم من أن الله قد وضع حدًا، وفقًا لقياس معين يخص طبيعتنا، حتى لا نحتاج لطلب الغنى مثلما حدد أن نرتدي ثوبًا واحدًا أو أثنين، وليس هناك حاجة لأكثر من ذلك لتغطية الجسد. ما الحاجة لآلاف من الملابس التي تفسدها العثه؟ أيضًا هناك سعة محددة للمعدة، وعندما تُعطى أكثر، فإنها تصاب بالأذي، وما المنفعة من قطعان الماشية، وذبح اللحوم؟ نحن نحتاج إلى بيت واحد يأوينا، فما الحاجة لبيوت فاخرة بحدائق فسيحة؟ هل تُشيدونها لكي تسكنها النسور والطيور الجارحة، وتتركون الفقراء عراه؟ كم هي مستحقة للجحيم مثل هذه الأمور؟ ومرات عديدة يشيدون مباني فاخرة في أماكن لا يعرفونها، مستخدمين فيها أحجار كريمة، وأعمدة، فما الذي لم يبتدعوه؟ ومع هذا لم يتمتعوا بهذه البيوت، ولا تركوا آخرين يتمتعون بها، لأن وحشة المكان لا تتركهم ينتقلون إلى هناك، ومع هذا لا يتوقفون عن سلوكهم هذا.

أرايت كيف أنه لا منفعة من وراء تشييد هذه المباني، بل أن السبب وراء هذا كله، هو فقط التباهي، والمجد الباطل الذي أرجو أن تتجنبه حتى تستطيع أن

تتجنب الشرور الأخرى وتنال الخيرات التي وَعَدَ بها الله أن يعطيها للذين يحبونه، بالمسيح يسوع ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة الثالثة: (أفسس١: ١٥-٢٣)

" لِذَلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ " (أف١: ١٥-١٩).

١- ليس هناك ما يعادل هذه الأحشاء الرسولية، ولا شيئ يساوي لطف وحنو المطوب بولس، الذي صلى لأجل مدن ومقاطعات بأكملها، وكتب للجميع "لا أزال شاكرًا إلهي من أجلكم. ذاكرًا إياكم في صلواتي". تأملوا في الكم الهائل من الذين في ذاكرته، الأمر الذي من الصعب على المرء مجرد تذّكره، فما أكثر الذين كان يذكرهم في صلواته، شاكرًا الله لأجلهم، كما لو كان قد نال هو أعظم بركة.

يقول "لذلك"، أي لأجل المستقبل، والخيرات المنتظرة لكل مَنْ يؤمن ويحيا بإستقامة. إذن فكان من اللائق أن يشكر الله لأجل كل ما حققه وأعطاه للجنس البشري، سواء قبل أو بعد هذا، لكن يليق به أيضًا أن يشكر الله لأجل إيمان الذين آمنوا. يقول "إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين".

هكذا في كل موضع، نجده يضم ويربط الإيمان بالمحبة، في تزاوج مُدهش. وهو لم يذكر قديسي هذه المدينة فقط، بل الجميع. قال "لا أزال شاكرًا إياكم في صلواتي". ماذا تطلب وماذا تترجى؟ "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان". إننا نتمنى لهم أن يدركوا أمرين، **الأول:** ينبغي لهم

أن يدركوا الأمور التي دُعيوا إليها، **والثاني:** كيف أنهم تحرروا من القيود السابقة، لكنه يقول أنها أمور ثلاثه التي أريد أن يدركوها.

ما هي؟ هي هكذا:

(١) ـ لكي ندرك خيرات الدهر الآتي، لأنه من خلال هذه الخيرات التي تنتظرنا، سندرك غنى الله الفائق الذي لا يوصف، فمن ناحية علينا أن ندرك كيف آمن الرسول بولس به، بينما نحن لا نزال غير مستحقين.

(٢) ـ ندرك أيضًا قوته وسلطانه غير المحدود.

(٣) ـ أنه صالحنا لنفسه، بعد أن كنُا أعداءه كل هذا الزمان. "لأن ضعف الله أقوى من الناس"[٦٨]. فالله قد جذبنا إليه، بنفس بالقوة ذاتها التي قام بها المسيح من الأموات، بل وصنع أكثر من ذلك بكثير.

" الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شيء تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شيء لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ " (أف ١ : ٢٠ــ٢٣).

حقًا عظيمة ولا تُوصف تلك الأسرار التي جعلنا الله شركاء فيها والتي لم يكن من الممكن أن ندركها إلا فقط عن طريق شركتنا في الروح القدس، ونوالنا هذه النعمة الجزيلة. من أجل هذا صلى الرسول بولس قائلاً "أبو المجد"، أي ذاك الذي أعطانا خيرات كثيرة لأنه من خلال الخيرات الموجودة على الأرض، يدعو الله هكذا، مثلما يقول "أبو الرأفة وإله كل تعزية"[٦٩]، وأيضًا يقول النبي

---

[٦٨] ١كو ١: ٢٥.

[٦٩] ٢كو ١: ٣.



"الرب صخرتي وحصني"[٧٠]. "أبو المجد"، ليس ممكنًا أن يُعبر عن هذه الأمور بالكلام، وفي كل موضع يدعو تلك الخيرات الإلهية مجدًا، الأمر الذي يُمثل في اللغة الإنسانية رمز وتسمية لكل ما هو مُشرق وبهي. "وأبو المجد" هو نفسه أبو المسيح يسوع ربنا.

ماذا إذن؟ هل الإبن أقل في المجد؟ لا يستطيع أحد أن يقول هذا على الإطلاق، حتى وإن كان مجنونًا. "كي يعطيكم"، أي يسمو بأذهانكم ويُنشطها، لأنه من غير الممكن إدراك هذه الأمور بطريقة أخرى. "ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة"[٧١]. **نحن نحتاج إلى الحكمة الروحية، لكي نُدرك الروحيات، ولكي نطّلع على الأمور غير المعلنة، فالروح القدس هو الذي يُعلن كل شيء، ويكشف لنا الأسرار الإلهية. إذ هو وحده الذي يعرف تلك الأسرار، وهو الذي يفحص أعماق الله، فلا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا أي قوّة مخلوقة أخرى، يمكن أن تمنحنا تلك الهبة الروحية. إن معرفة الله هذه، هي نتيجة إعلان، وليست نتيجة إجتهاد فكري، إذن فمن عرف الله، لن يتشكك في شيء البته، ولن يقول إن هذا مستحيل، وهذا ممكن، أو كيف حدث هذا. فلو أننا عرفناه كما يجب لنا أن نعرفه، أي بواسطة الروح القدس ذاته، فلن نتشكك في شيء على الإطلاق، ومن أجل هذا يقول: "مستنيرة عيون أذهانكم". فذاك الذي عرف مَن هو الله، لن يتشكك في مواعيده، ولن يرتاب فيما حدث بالفعل".**

٢ـ إذن فالرسول بولس يصلي أن يُعطي لهؤلاء روح الحكمة والإعلان، بل ويُبرهن هو نفسه أيضًا على هذا بالأفكار قدر استطاعته، ومن خلال كل ما حدث بالفعل. لأنه كان يريد أن يقول أن هناك أشياء قد حدثت بالفعل، وغيرها لم يحدث بعد، وجعل من الأمور التي حدثت برهانًا على التي لم تحدث بعد. لقد أراد أن يقول: "لتعلموا ما هو رجاء دعوته" وأيضًا "ما هو غنى مجد ميراثه في القديسين".

---

[٧٠] مز ١٨: ٢.

[٧١] ١كو ٢: ١٤.

هذه ليست مُعلنه، لكنها ليست خافية على المؤمنين. فما هو المعلن؟ أننا آمنا أنه بقوته قد أقام المسيح، لأن الأمر المثير للدهشة هو قدرة شخص ما على جذب إنسان للإيمان وإقناعه بأهميته، وهذا يُعَّد أعظم من أن يُقيم ميتًا وسأحاول أن أوضح ذلك.

لقد قال المسيح للميت "لعازر هلم خارجًا"، وعلى الفور أطاع وخرج، وقال بطرس أيضًا "يا طابيثا قومي"، فلم تخالف الأمر. وسيتكلم الرب في اليوم الأخير، وحينئذٍ سيقوم أولئك سريعًا "والأحياء الباقون لا يسبقون الراقدين"، وسيتم كل شيئ "في لحظة في طرفة عين" ثم تكون النهاية. لكن أن يؤمن المرء، فهذا أمر يختلف عن ذلك. إسمع الرب نفسه، الذي يقول أيضًا "كم مرة أردت أن أجمع أولادك.. ولم تريدوا؟"[72]. أرايت كيف أن هذا (الإيمان) أكثر صعوبة؟ إذن فهو يبرهن على كل شيء بالإيمان، لأن التأثير على الإرادة بواسطة الأفكار الإنسانية، أكثر صعوبة جدًا من التأثير على الطبيعة. ولهذا السبب فإن الله ذاته يرغب أن نكون صالحين، بإرادتنا.

وبالصواب قال "وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته". لأنه عندما عجز الأنبياء والملائكة، ورؤساء الملائكة أن يفعلوا شيئًا، بل وكل الخليقة المنظورة وغير المنظورة، فالخليقة المنظورة قائمة أمام الجميع لكنها عاجزة أن تقودهم (لمعرفة الحق)، وكذا أيضًا غير المنظورة. عندئذ رتب مجيئه إلينا بحسب تدبيره، موضحًا أن هذا الأمر كان يحتاج إلى قوة إلهية. "غنى مجد ميراثه"، أي المجد الذي لا يُعبر عنه. لأنه أي كلام يستطيع أن يُعبر عن ذلك المجد، والذي كان فيه القديسون في ذلك الوقت؟ لا يوجد، فالأمر يحتاج بالحقيقة إلى نعمة لكي يدرك ذهن الإنسان، ولو شعاعًا صغيرًا فقط من هذا المجد. لقد

---

[72] لو١٣:٣٤.



أدركوا بعض الأشياء من قبل، لكن الله أراد لهم أن يعلموا أكثر، ويعرفوا بوضوح.

أرايت قدر الأمور التي صنعها؟ أقام المسيح، فهل هذا أمر هيّن؟ لكن لاحظ أيضًا، قوله أجلسه عن يمينه، هل هناك كلام يقدر أن يصف هذا؟ فالإنسان الذي خُلِق من الأرض، والذي صار أداة تحركها الشياطين، أنظر أين رفعه. هذه هي عظمة قدرته "لقد رفعه إلى السماء"، وأظهر أنه أسمى من كل طبيعة مخلوقة. يقول: "**فوق كل رياسة وسلطان**"، "فوق كل رياسة" إنه أمر هام أن ينال المرء نعمة الروح القدس، لكي يكون له ذهن حكيم، حتى يعرف المسيح بالحقيقة، هناك حاجة حقًا للإعلان الإلهي. تأمل مدي بُعد الفارق الشاسع بين الطبيعة الإلهية، والطبيعة الإنسانية، فقد رفعه من هذه الحالة المتدنية، إلى تلك الكرامة السامية، فهو لم يرفعه درجة واحدة، ثم إلى درجة ثانية، ودرجة ثالثة. يا للعجب فهو لم يقل فقط فوق، بل (υπερανω)، أي أعلي بكثير لأن الله أسمى من هذه القوات العالية. إذن فقد رفع الإنسان في شخص يسوع المسيح إلى السماء، ذاك الذي أتى إلى جنسنا بإختياره، ورفعه من أدني درجة، وقاده إلى أسمى مقام، والذي لا توجد كرامة أسمى منه.

يقول " فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ "، وليس فوق بعض الرياسات، بل " فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى " (أف ١: ٢١).

صار أسمي من كل مَنْ في السماء. هذا الذي أُقيم من الأموات، الأمر الذي يدعو إلى الدهشة والإعجاب، لأنه لا يوجد شيء يستحق الإعجاب أمام "**كلمة الله**". تمامًا بقدر تفاهة الحشرات أمام الإنسان، هكذا الخليقة كلها، لا تساوي شيئًا أمام الله. فإن كانت كل البشرية تُحسب كلعاب الفم، "وكغبار الميزان"[٧٣]، فقد أعتبر القوات غير المنظورة كلا شيء. لكن من حيث أنه رفعه وهو من

[٧٣] إش ٤٠: ١٥.

طبيعتنا، فهذا حقًا أمر عظيم ومُثير للدهشة لأنه رفع الإنسان (في المسيح)[٧٤] من أسافل الأرض، وإن كانت كل الأمم كنقطة في دلو، فأي جزء من النقطة يكون الإنسان؟ إلا أن الله قد جعله أسمى من الجميع (في المسيح). "ليس في هذا الدهر فقط. بل في المستقبل أيضًا". وبناء على ذلك فهناك أسماء لبعض القوات السمائية، غير معروفة لنا.

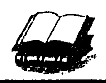
" **وَأَخْضَعَ كُلَّ شيء تَحْتَ قَدَمَيْهِ** " **(أف ١: ٢٢).**

ليس فقط جعل الإنسان (في المسيح) أسمى من كل شيء، وكرّمه أكثر من الجميع، ليس من خلال المقارنة بينه وبين الكل، بل أخضع كل شيء له. كم هي مذهلة هذه الأمور! لقد صارت كل القوات المخلوقة عبيدًا للإنسان، بسبب سُكنى الله **الكلمة** في الطبيعة الإنسانية. لأنه هناك حالات يوجد فيها شخص أسمى، وبالرغم أنه لا يوجد آخرون يخضعون له، إلا أنه يُكرّم أكثر، غير أن الأمر هنا مختلف، فإن الآب "أخضع كل شيئ تحت قدميه". وليس فقط قد أخضع له كل شيئ، لكنه أخضعه إلى أقصي حد، ولهذا قال "تحت قدميه".

"**وإياه جعل رأسًا فوق كل شيئ للكنيسة**". كم هو مدهش هذا الأمر أيضًا! إلى أين رفع الكنيسة؟ لقد رفعها كما بآلة، وقادها إلى سمو عظيم، وأقامها على ذلك العرش. لأنه حيث يوجد الرأس، هناك يوجد الجسد. ومادام الرأس والجسد قائمين معًا، فلا يوجد فاصل بينهما، لأنه إن كان هناك إنفصال، فلن يكون هناك جسد، ولا رأس.

يقول: " **فوق كل شيء**" ماذا يعني بقوله "فوق كل شيء؟" يعني أنه لم يترك ملاكًا، ولا رئيس ملائكة، ولا أي كائن آخر يكون أسمى منه. وهو لم

[٧٤] يتكلم القديس يوحنا ذهبي الفم عن المسيح الذي يمثل الجنس البشري، فما تم للمسيح كان لحساب الإنسان.



يكرّمنا بهذه الطريقة فقط، بل لأنه جعل كل جنسنا مُتآلفًا معه، ومُتحدًا به، وتابعًا له.

" **الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ** " (أف ١: ٢٣).

يقول هذا الكلام، حتى لا تعتقد، عندما تسمع كلمة رأس أنه يقصد أن المسيح هو رئيس للكنيسة وفقط، بل ليؤكد لك أنه ليس فقط مجرد قائدًا لها، بل إنه رأس للجسد.

ثم يقول "**ملء الذي يملأ الكل في الكل**".

بعد ذلك، وكأن ما قاله لم يكن كافيًا لإظهار مدي القرابة، والصلة الوثيقة، فماذا قال؟ قال إن الكنيسة هي التي تكمل الرأس (المسيح)، لأن الجسد يُكمل الرأس، والرأس يكمل الجسد.

لاحظ الطريقة المنظمة التي يستخدمها الرسول بولس، كيف أنه لم يترك كلمة واحدة إلا ويظهر مجد الله بقوله كما أن الرأس يُكمَّل بالجسد، والجسد مكون من أعضاء مُتنوعة، وهو يكمل بالأعضاء مُجتمعه، كل عضو له أهميته الخاصة، ولا يُقدمه كوحدة واحدة. لأنه إن لم تكن أعضاء كثيرة، واحد فيها هو يد، والآخر رجل والآخر عضو آخر، فلن يكتمل الجسد. إذن فجسده (جسد المسيح) يَكمُل بكل الأعضاء. وعندما نكون كلنا متحدين ومرتبطين معًا، عندئذٍ يكتمل الرأس، ويصير الجسد كاملاً وصحيحًا.

٣ـ أرايت غنى مجد ميراثه؟ أرايت مدى عظمه قدرته في المؤمنين؟ أرايت مدى عظمة رجاء دعوته؟ إذن يجب علينا أن نوقر رأسنا، ولنقدر ونتذكر لأي رأس ينتمي جسدنا، إنه ينتمي لمن أُخضع له كل شيء. وبحسب هذا النموذج أو المثال ينبغي أن نكون أفضل من الملائكة، وأعظم من رؤساء الملائكة، لأنه كرّمنا أكثر من هؤلاء جميعًا. لأنه كما يقول في رسالته للعبرانيين "لأنه حقًا لم يمسك

الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم"[٧٥]. لم يمسك رئاسات ولا سلطات، ولا سيادات، ولا أي قوة أخرى، لكنه أخذ طبيعتنا، وأجلسها عن يمين الآب. لماذا أقول أجلسها؟ لأنه جعل طبيعتنا ثوبًا له وليس هذا فقط، بل "أخضع كل شيء تحت قدميه". كم من الميتات قد أجتازها؟ كم من النفوس قد (أنقذها)؟ هل آلاف؟ أم عشرات الآلاف؟ إنك لا تستطيع أن تقول أن هناك شيء مساوي لهذا.

إذن فقد صنع أمرين عظيمين: **الأمر الأول**، أنه هو نفسه تواضع إلى أقصى حد، **والأمر الثاني**، هو أنه رفع الطبيعة الإنسانية إلى أعظم سمو، لقد خلّصها بدمه. فقد تحدث أولاً عن أنه وضع نفسه وإتضع للغاية، ثم تكلّم بعد ذلك عما هو أقوى من ذلك، عن الأمر الأعظم والجوهري. وإذا كان قد قال إننا لم نكن مستحقين لأي شيء وأننا مستحقون لهذه الكرامة فقط، وحتى لو لم يُشرْ إلى الذبح، لكان هذا كافيًا، ولكن عندما يحدث الأمران، فأي لغة تستطيع أن تُعبر عن هذا؟ وعندما نتأمل ما حدث، نجده أسمى من حدث القيامة. لم يكن يتحدث عن "**كلمة الله**" بل عن (الإنسان يسوع المسيح)، إذ يقول "إله ربنا يسوع المسيح".

فلنستحِ عندما ندرك هذه الصلة، وهذه القرابة، فلنرتعد لئلا يُنزع أحد من هذا الجسد، ربما يسقط أحد منه، أو قد يظهر أنه غير مستحق. فلو أن أحدًا وضع فوق رأسنا أكليلاً أو تاجًا من ذهب، ألا نبذل ما في وسعنا حتى نبدو مستحقين لهذه الأحجار الثمينة التي لا حياة فيها؟ أما الآن فلا يوجد تاج فوق رأسنا، بل رأسنا صار هو المسيح، الأمر الذي يُعَّد أعظم وأسمى بكثير، ألا نعتبر أن هذا الأمر يستحق الحديث عنه؟ إن الملائكة ورؤساء الملائكة وكل تلك القوات، يسجدون لهذا الرأس، أما نحن فعلى الرغم من أننا جسده، فلا نستحي ولا نرتعد، لا لهذا السبب ولا لغيره، فأي رجاء للخلاص سيكون لنا؟

---

[٧٥] عب٢:١٦.

فلنتأمل العرش الملوكي، ولنفكر في العظمة الفائقة للكرامة التي لنا، وهذا سيقدر أن يجعلنا نرتعد أكثر من الخوف من جهنم، إن كنا نُريد ذلك بالطبع. لأنه حتى إن لم يوجد عذاب، لكننا بعد أن نلنا هذا الكرامة العظيمة، وجدنا أشرارًا وغير مستحقين، فأي جحيم وأي عقاب سنكون مستحقين له؟ عليك أن تفكر في الرأس الذي تنتمي له، وهذا وحده يكفي، وإلى يمين مَنْ تجلس هذه الرأس، وفي أي سمو هي، إنها فوق كل رياسة وسلطان وقوة، غير أن جسد هذا الرأس، مُداس من الشيطان.

ليت هذا لا يحدث، لأنه لن يكون من الممكن بعد ذلك أن يكون جسدًا. إن رأسك يلقي وقار وخشية أولئك المحسن إليهم من العبيد، فهل تعرّض جسدك لإهانة الأعداء؟ فلو أن شخصًا قيّد أرجل الملك بسلاسل وقيود، ألا يكون مستحقًا أقصى أنواع العقوبة التي قد يتعرض لها؟ لكن الحديث ليس عن جسد الرب، فسنتكلم عن ذلك الجسد، الذي صُلب وقُدِمَ ذبيحة.

فإن كنت أنت عضو في جسد المسيح، فلنتحمل الصليب، لأن المسيح تحمّله. نتحمل اللطم. نتحمل الضربات. نتحمل الجروح. هكذا كان جسد المسيح، ذلك الجسد "الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر"[٧٦]، وكل ما فعلته يديه، كان لأجل الإحسان لكل محتاج، ولم يخرج من فمه أي شيء غير لائق، لقد سمعتم أنهم يقولون عنه أن "به شيطان" لكنه لم يجب بشيء. نحن نتحدث عن هذا الجسد، وهو لا يختلف شيئًا عن الجسد الإنساني، أي عن أولئك الذين يشتركون في الجسد، ويتذوقون الدم. تأملوا في أننا نذوق ونشترك في جسد ذاك الذي يجلس في السماء، الذي تسجد له الملائكة، الذي توجد حوله القوات السمائية التي لا حصر لها.

---

[٧٦] ابط٢:٢٢.

يا للعجب كم هي كثيرة تلك الطرق المؤدية لخلاصنا! لقد جعلنا جسده الخاص، لقد أعطانا جسده، إلا أن كل هذا لم يثنينا عن فعل الشر ! يا لهذا الظلام، وهذا السقوط العظيم، ويا لهذا الجمود في المشاعر ! يقول فكروا في ما هو "فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله"[77]. وبعد كل هذا ، نجد أن مازال هناك البعض ممن يهتمون بالمال، والعشق، وتسود عليهم الشهوات. ألا ترون أن كل ما هو زائد في جسدنا وبلا نفع، يُقطع ويُنزع عنّا. إذ لا منفعة تُرجّى من بقائه في هذا الجسد، حين يكون قد هَلَكَ أو تعفن أو مات، لأنه في هذه الحالة يضر باقي الجسد.

إذًا ينبغي ألا نتواكل وتأخذنا الجرأة لأننا صِرنا أعضاء الجسد (جسد المسيح). فإن كان الجسد ذاته، على الرغم من أنه جسد طبيعي، قد يُقطع عضوًا منه، أو لا يُقطع، فكم بالحري ما يتعلق بالأختيار والرغبة والقصد، فإن لم يبقى كما ينبغي وإن لم يسلك كما يليق فأي رُعب لن يصيبه؟ فعندما يُحرم الجسد من الطعام، عندما تُغلق منافذ الجسم (الفم والأنف، ...)، فإنه يموت، لأن إغلاق هذه المنافذ يؤدي إلى هلاكه. هكذا نحن أيضًا عندما نغلق أسماعنا تمامًا عن كل ما هو نافع، فإن نفوسنا تهلك، عندما لا نتناول طعامًا روحيًا، عندما تفسدنا بعض الأفكار الخبيثة، التي بدلاً من أن تُنقي أفكارنا فهي تلوثها، كل هذه الأمور، تُفرز أمراضًا، بل أمراضًا خطيرة ومُخيفة، تؤدي إلى فساد وتعفن، وسيحتاج الأمر إلى الكي بالنار. المسيح في هذه الحالة لن يأتي إلى مكان عرس هذا الجسد.

فإن كان قد أبعد وأخرج ذاك الذي لم يكن عليه لباس العرس، الذي كان يرتدي ملابس ملوثة، فما الذي يفعله بذاك الذي يُدَنِس جسده؟

أنني أري أن كثيرين يتناولون من جسد المسيح، بشكل عَرضي، وربما كعادة، وكواجب، أكثر منه معرفة ورؤية. وقد يقول أحد عندما يأتي وقت

---

[77] كو ٣:١.



الصوم الأربعيني المقدس، أو يوم الثيوفانيا (الظهور الإلهي)، إنه مهما تكن حالة الإنسان، عليه الإشتراك في الأسرار المقدسة. غير أن وقت الإقتراب إلى الله ليس هو عيد الظهور الإلهي، ولا الصوم الأربعيني، بل وقت صدق ونقاوة النفس. وعندما يكون لديك مثل هذه النفس النقية، ستقترب دومًا من الله، وبدون هذه النفس لن تقترب أبدًا. "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجئ"[٧٨]. أي تذكرون الخلاص الذي تم لأجلكم، وتذكرون إحساناتي. تأملوا أولئك الذين إشتركوا في الذبيحة قديمًا، ومدى التقشف الذي عاشوا فيه، وما الذي لم يصنعوه؟ ما الذي غاب عنهم؟ لقد كانوا يطهرون نفوسهم على الدوام. بينما أنت تأتي إلى الذبيحة التي ترهب منها الملائكة، وتعتبر أن الأمر مرتبط بالفترات الزمنية (المواسم والأعياد). وكيف ستظهر أمام عرش المسيح، وتجرؤ على الإقتراب من هذا الجسد بيدين وشفتين مدنستين؟ فأنت لا تود أن تُقَبل إمرأة ولو للحظة، بفم كريه الرائحة، فهل تريد أن تُقبّل ملك السموات بنفس دنسه؟ هذا الأمر يعتبر إهانة.

أخبرني، ترى هل كنت تريد أن تأتي إلى الذبيحة، بأيدي ملوثة؟ لا أعتقد، بل إنك ستُفضل ألا تأتي مطلقًا على أن تأتي بأيدي ملوثة. إذن فبينما أنت ورع هكذا في هذا الأمر اليسير، فهل تتجرأ وتأتي وتقترب من جسد المسيح، بنفس دنسه؟ إن الأيدي تلمس الذبيحة للحظة، بينما هي تبقى في النفس وتذوب فيها بالكامل. ألا نرى الأواني المقدسة، كم هي نظيفة، كم هي لامعة؟ لذلك يجب أن تكون نفوسنا نقية ومقدسة ومُشرقة. لماذا؟ لأن هذه الأواني هي هكذا نظيفة وبراقة لأجلنا نحن، فهي لا تشترك فيما هو بداخلها، لا تشعر به، بينما نحن ندرك أهميته ونشعر به. إذن أنت هنا لا تريد أن تستخدم أواني ملوثة، فهل تأتي بنفس دنسه، أرى أن هناك شيء شاذ في هذا الأمر. أنكم عندما تكونون أطهارًا لا تأتوا للإشتراك في الذبيحة، وهذا يحدث مرات عديدة، بينما في الإحتفال بالقيامة،

---

[٧٨] اكو ١١:٢٦.

حتى وإن كنتم قد إرتكبتم خطية عظيمة، فإنكم تأتون وتقتربون من الذبيحة المقدسة. يا للعجب، لهذه العادة، وهذا الفكر الباطل؟ إذن عبثا تُقدم الذبيحة كل يوم، وعبثا نقف أما المذبح، لأنه لا أحد يشترك فيها.

٤ـ أقول هذا، لا لكي تشتركوا هكذا جُزافًا وبدون إستعداد، بل لكي تُعدوا نفوسكم، لكي تصبحوا مستحقين للإقتراب من الذبيحة. هل أنت غير مستحق للإشتراك في الذبيحة والتناول منها؟ إذن فأنت غير مستحق للشركة في طلبات وصلوات التناول. هل تسمع الشماس يقف ويقول، ليخرج مَنْ لا يستطيع أن يُقدم الطلبات وأنت تقف بوقاحة؟ لكن أنت لست من التائبين (الموعوظين)، بل يمكنك أن تشترك، إلا إنك لا تحرص على ذلك أبدًا، وتعتبر ما يتم بأنه غير ضروري وكأنه لا يعنيك في شيء. أرجو أن تنتبه فهناك مائدة ملوكية مُعدة، وملائكة يخدمون هذه المائدة، وهناك الملك نفسه، فهل تقف وتتثأب؟ هل ثيابك قذرة، ومع هذا لا نجد مبررًا لذلك؟ هل هي نظيفة؟ إذًا فلتبقى وتشترك في المائدة. إنه يأتي كل مرة لكي يرى كل مَنْ يشترك في المائدة، يتحدث مع الجميع، والآن سيتكلم في ضميرك، ويقول (أيها الأحباء كيف تقفون هنا وليس عليكم ثياب العرس؟) لم يقل لماذا تجلس على المائدة؟ لكن قبل الجلوس، يقول له بأنه غير مستحق، أن يأتي، لأنه لم يقل لماذا تجلس، بل قال لماذا أتيت؟

وهذا ما يقوله لنا جميعًا، نحن الذين نقف هنا بعدم حياء وبوقاحة. لأن مَن لا يشترك في الأسرار المقدسة، هو عديم الحياء وأحمق، حين يقف في الهيكل، أي كل مَنْ هو خاضع لنير الخطية. تمامًا مثلما يحدث ويكون رب البيت جالسًا على المائدة، فإنه لا يحب أن يظهر من الخدام أولئك الذين صاروا أعداءه، بل يَبتعدوا، هكذا هنا أيضًا عندما **تُقدم ذبيحة المسيح، ويُذبح رب الخراف، وبمجرد أن نسمع فلنصلي جميعًا معًا، وعندما نرى الستائر وقد فُتحت، حينئذٍ فلنفكر في أن السماء إنفتحت، والملائكة تنزل. تمامًا كما أنه لا يُسمح بوجود أحد من غير**



المؤهلين للشركة في الأسرار، هكذا لا يُسمح أن يوجد أحد من المؤهلين لكنه في ذات الوقت دنس.

أخبرني، لو أن أحد كان مدعوًا إلى مائدة طعام، وكان عليه أن يغسل يديه، وجلس وكان مستعدًا لتناول الطعام، لكنه لم يشارك في الطعام، ألا يُعَد هذا إهانة لمن دعاه؟ ألم يكن من الأفضل له ألا يحضر؟ هكذا أنت أيضًا، لقد أتيت ورفعت أنغام التسابيح مع الجميع، واعترفت بأنك مستحق، خاصةً وأنك لم ترحل مع غير المستحقين، فكيف بقيت، ولم تشترك في المائدة المقدسة؟ قد يقول أنا غير مستحق، إذن فأنت بالتالي تكون غير مستحق للأشتراك في الصلوات والتسابيح الخاصة بالسر.

لأن الروح القدس لا يحل فقط على الذين أعدّوا أنفسهم للإشتراك في المائدة المقدسة، بل أيضًا بتسابيح أولئك الحاضرين. ألا ترى كيف تكون الدقة في تنظيف أي مائدة طعام بعد تنظيف البيت أولاً، هذا ما يحدث فنحن ننظف الكنيسة من كل ناحية، بالتسابيح، وبصوت الكاهن، وبنفس الطريقة لكي يهيأ كل شيء في كنيسة نقية "لا دنس فيها ولا غضن". إن هذه الأعين وهذه الآذان غير مستحقة لهذه المشاهد أو المناظر، فيقول الكتاب "لا تمسه يد (الجبل) بل يُرجم رجمًا بهيمة كان أم إنسانًا"[٧٩]. هكذا لم يكونوا مستحقين أن يأتوا (إلى الجبل)، وإن كانوا بالطبع بعد ظهور الله، أتوا إلى سيناء، ونظروا أين كان يقف الله. إلا أنه مسموح لك بعد ذلك أن تأتي وتنظر، على أن تخرج خارجًا وقت إتمام سر الإفخارستيا، لأنه غير مسموح لك أن تبقى أكثر مما هو مسموح لأحد الموعوظين. لأن عدم مشاركتك في سر الإفخارستيا لا تتساوى مع مشاركتك فيه بتهاون ولا مبالاة، لأن هذا يعد إهانة شديدة للسر، الأمر الذي يعرضك لدينونة، ويجعلك غير مستحق لهذا السر العظيم.

---

[٧٩] خر ١٩: ١٣.

كان من الممكن أن أتكلم أكثر، وعن أمور مُخيفة، لكن حتى لا أثقّل على أذهانكم، يكفي ما قيل، لأنه مَنْ لا يتعقل بهذا الكلام، لن يتعقل بما هو أكثر منه. **ولكي لا أجعل خطيئتكم أعظم، أترجاكم ألا تتغيبوا عن الكنيسة، بل أن تعدوا أنفسكم لتكونوا مستحقين للحضور والاشتراك في الأسرار الإلهية.**

أخبرني، لو أن ملكًا ما أصدر أمرًا وقال، إن فَعَل شخص أمرًا ما، فإنه سيشترك في مائدتي، ألا يفعل كل شيء لكي يحقق هذا الأمر؟ لقد دُعينا إلى السموات، إلى مائدة الملك العظيم والعجيب، فهل نرفض الدعوة، ونؤجل الذهاب، ولا نُسرع، ولا نركض إلى حيث دُعينا؟ وأي رجاء لنا في الخلاص؟ لا نستطيع أن نلوم ضعفنا، ولا طبيعتنا، فقط تراخينا وخمولنا هو الذي يجعلنا غير مستحقين.

هذا ما تكلمت به أنا، ولكن ليت الذي ينخس القلوب ويُعطي روح الإنسحاق والتبكيت، ينخس قلوبكم، ويغرس البذار في أعماق نفوسكم، حتى بمخافته تدركون روح الخلاص، وتأتون إليه بدالةٍ وشجاعةٍ. لأن الكتاب يقول "بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك"[80].إذن لا شيء قديم، لا شيء يرى، لا شيء قاسٍ. لأن مثل هذه هي النباتات النضرة الرائعة التي تعطي ثمارًا مُدهشة، وأعني ثمار شجر الزيتون، وهي قوية، حتى أن الجميع يأتون حول المائدة، وليس صدفة يجتمعون هنا، بل بمخافة وتضرع. لأنه هكذا ستلتقون بالمسيح نفسه هناك. ليتنا جميعًا ننال هذا المجد بالمسيح يسوع ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقدرة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[80] مز ١٢٨: ٣.





الإصحاح الثاني

الإصحاح الثاني

العظة الرابعة: (أفسس٢:١-١٠)

" وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا" (أف٢: ١ــ٣).

١ـ هناك موت جسدي، لكن هناك أيضًا موت نفسي. غير أن إشتراك الإنسان في الموت الجسدي ليس إثم، وبناء على ذلك فحدوثه لن يؤدي لهلاك الإنسان، طالما أن ذلك لم يكن نتيجة إرتكاب خطية، لأن الموت الجسدي مرتبط بالطبيعة، وليس بالإرادة، وقد نتج بالطبع عن كسر الإنسان الأول للوصية، إلا أنه إنتقل بعد ذلك إلى كل البشرية، وسرعان ما بطل. أما الموت النفسي، فنظرًا لأنه مرتبط بالإرادة، فإنه يخضع للإدانة، وليس هناك مِن حل. لاحظ إذن كيف أن القديس بولس بعدما أظهر بالفعل أن شفاء نفس قد ماتت يعتبر أعظم بكثير من قيامة موتي، فإنه يعود فيقدم هذا الأمر الآن كشيء عظيم وهام.

يقول "وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أف ٢: ١ــ٢).

أرايت مدى وداعة الرسول بولس، وكيف أنه يجتذب المستمع إليه من كل ناحية ويعزيه، دون أن يزعجه؟ إذن فلأنه قال أنكم قد وصلتم إلى أقصي حدود الشر ـ لأن هذا هو معنى "كنتم أمواتًا" ـ وحتى لا يُسبب لهم ضيقًا شديدًا، لأن الناس يخجلون حين تُعرض خطاياهم السابقة، حتى وإن كانت قد غُفِرَت لهم ولم



تّعد تثير خطرًا، فإنه يُشير إلى الشيطان بإعتباره المحرض على إرتكاب الشر. هذا ما يقوله في رسالته إلى أهل كورنثوس، لأنه بعدما قال "لا تضلوا لا زناه. ولا عبده أوثان"، وبعدما ذكر تلك الشرور أضاف "لا يرثون ملكوت الله"، وعندئذً قال "هكذا كان أناس منكم"، لم يقل كنتم شيء مثل هذا، بل قال "أناس منكم".

عند هذه النقطة يخرج علينا الهراطقة ويقولون إن هذا الكلام "رئيس سلطان الهواء"، ينسحب على الله، وكُتب عن الله. وبعدما يطلقون العنان بسفاهة شديدة جدًا للسانهم غير المُلّجم، فإنهم ينسبون هذا الكلام إلى الله، برغم أنه يخص الشيطان وحده. إذن كيف نُغلق أفواه هؤلاء الهراطقة بنفس هذا الكلام ذاته الذي يستخدمونه؟ فإن كان الله بارًا كما يقولون، لكنه إرتكب هذه الحماقات، فهذا لا يكون عمل شخص بار، بل شخص ظالم، ودنس إلى أبعد حد. إلا أنه من غير الممكن على الإطلاق أن يكون الله دنسًا. ولكن لماذا يقول عن الشيطان **إنه "رئيس هذا العالم؟" لأن كل الجنس البشري تقريبًا سلّم نفسه له، والجميع صاروا عبيدًا له بإرادتهم ورغبتهم.** أما المسيح الذي وَعَدَ بخيرات لا حد لها، فلم ينتبه له أحد، بينما الشيطان الذي لم يَعد بأي شيء، والذي يُرسل البشر للجحيم، خضع له الجميع. فإن كانت مملكته من هذا الدهر، وله أتباع أكثر من الله وكثيرون يخضعون له، أكثر من خضوعهم لله، فيما عدا قليلون، فإن ذلك يرجع إلى تراخينا.

يقول: "حسب رئيس سلطان الهواء الروح". هذا يقوله أيضًا لأن له المكان الذي تحت السماء، ولأن أرواح الهواء هي القوات غير الجسدانية (التي تعمل تحت سلطانه)، ومن حيث أن مملكته هي مِن هذا الدهر وأنها ستَبُطل مع هذا الدهر، فإسمع ما يقوله الرسول بولس في نهاية الرسالة: "فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"[٨١]. إذن فلكي لا تقول إن الشيطان غير مخلوق، إذ سمعت

---

[٨١] أف١٢:٦.

أنه رئيس هذا العالم، فإنه يدعو زمن إنحراف البشر في موضع آخر بالعالم الشرير، بالطبع دون أن يقصد المخلوقات. لأنني أعتقد أنه إذا كان الشيطان قد صار رئيس سلطان الهواء أي ما تحت السماء، إذن فإنه لن يتخلى عن سلطانه، حتى بعد سقوط الإنسان

يقول "**الذي يعمل الآن في أبناء المعصية**" أرأيت كيف أنه لا يجذبنا بالعنف ولا بالطغيان، بل بالإقناع؟ فقد إستخدم كلمة معصية، كما يمكن للمرء أيضًا أن يدعوها خداعًا، لأنه بالخداع والمراوغة يجذب إليه كل أتباعه. والرسول بولس هنا لم يُعزيهم فقط بهذا الكلام، بأن يجعل نفسه شريكًا لهم في إرتكاب الخطية ، بل بأن يضع نفسه في معية هؤلاء، إذ يقول "**الذين نحن أيضًا جميعًا تصرفنا قبلاً**". يقول "جميعًا"، لأنه لا يستطيع أن يقول أن هناك أحد قد أستُثني.

" **فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا " (أف ٢ : ٣).**

ماذا يعني بقوله "**بالطبيعة؟**"، إنه يقصد بكلمة الطبيعة هنا الولادة "**كالباقين أيضًا**"، أي دون أن نتصرف في أي شيء بطريقة روحية. وحتى لا يتهم الجسد، ولكي لا يعتقد أحد أن هذا يُمثل خطية كبيرة، لاحظ كيف يجنبّهم ذلك، بقوله: "**عاملين مشيئات الجسد والأفكار**"، أي شهوات اللذة. لقد أثرنا غضب الله، أي أننا كنا سبب الغضب، وليس شيء آخر سوى ذلك. لأنه كما أن الذي يُولد من إنسان، هو بالطبيعة إنسان، هكذا نحن أيضًا، وكذلك الباقين، كُنا بالطبيعة أبناء الغضب.

٢ــ " اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ " (أف ٢: ٤).

ليس فقط رحيمًا، بل غنيًا في الرحمة، مثلما يقول في موضع آخر "ككثرة مراحمك"[٨٢]، وأيضًا "أرحمني يا الله.. حسب كثرة رأفتك"[٨٣]. ثم يقول: "من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها". ومن أين يتضح أنه أحبنا؟ لأن تلك الأمور لم تكن مستحقة للمحبة، بل للغضب، ولإدانة كبري. إذن فمحبته هذه هي بسبب غنى رحمته.

" وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ " (أف ٢: ٥).

المسيح هنا أيضًا وسيط، وبناء على ذلك فالأمر يستحق منا الإيمان. لأنه إذا كان الباكورة حيٌّ، فنحن أيضًا أحياء، أي أن الله أحيانا مع المسيح.

أرايت كيف أن كل شيء قد قيل عن المسيح المتجسد؟ أرايت عظمة قدرته نحونا نحن المؤمنين، فإنه قد أحب الأموات أبناء الغضب. أرايت مدى عظمة رجاء دعوته؟

ثم يقول " وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ " (أف ٢: ٦)

أرايت غنى مجد ميراثه؟ فمن حيث أنه أقامنا معه، فهذا معروف، وأيضًا "**أجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع**"، لكن كيف يكون هذا أمرًا مؤكدًا؟ تمامًا مثلما أنه "أقامنا معه". لأنه حتى قيامة المسيح، لم يكن أحد قد قام على الأطلاق، إلا فقط حين قام الرأس، فأقامنا معه، كما حدث في العهد القديم، فعندما سَجَدَ يعقوب عندئذ سَجَدَتْ معه زوجته أيضًا ليوسف، وهكذا أجلسنا معه، فحينما جلس الرأس جلس الجسد معه. ولذلك أضاف "مع المسيح" فإن لم يكن يقصد هذا المعني، فإنه يعني أنه أقامنا معه بالمعمودية. إذن كيف أجلسنا معه (في السماويات)؟ يتضح ذلك من خلال قوله "إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه"

[٨٢] مز ٦٩: ١٦.

[٨٣] مز ٥١: ١.

"وإن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضًا معه"[٨٤]. نحن في حاجة ماسة إلى الروح القدس، روح الإعلان، لكي ندرك عمق هذه الأسرار.

وحتى لا ينتابك أي شك، أنظر ماذا أضاف:

" لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (أف ٢ : ٧).

ولأنه قد تكلّم عن الأمور المختصة بالمسيح، والتي تبدو وكأن لا علاقة لنا بها، فقد يقول أحد وماذا يهمنا نحن إن كان المسيح قد قام؟ لذلك أظهر أن **ما يختص بالمسيح، يخصنا نحن أيضًا، لأن المسيح مُتحد بنا،** إذ قال "ونحن أمواتًا بالخطايا أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات". فكما سبق وذكرت، فإن المسيح هو رأس الجسد، وأنه يُريد لنا النعمة الغنية، وهذا سيُبرهن عليه في الدهور الآتية. كيف؟ يكون ذلك بفضل نعمته. وكيف سيُظهره، إن لم يكن هذا قد حدث؟ سوف يُظهره في الدهر الآتي. كيف؟ من خلال الخيرات التي ستكون عظيمة ومؤكده. أكثر من أي وقت آخر. لأن ما يُقال الآن يبدو لغير المؤمنين حماقة، إلا أن الجميع سيعرفونها (أي غنى النعمة) في حينه (أي في الدهر الآتي).

أتريد أن تعرف كيف أجلسنا معه أيضًا؟ إسمع المسيح نفسه الذي يقول لتلاميذه " تجلسون أنتم أيضًا على أثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الأثني عشر"[٨٥]. وأيضًا " أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعِّد لهم من أبي"[٨٦]. حتى هذا أيضًا قد أعده. وحسنًا قال "باللطف علينا في المسيح يسوع". لأن الجلوس عن اليمين، هو علامة كرامة، تفوق كل كرامة، والتي ليس بعدها كرامة.

---

[٨٤] ٢تيمو ٢ : ١١ـ١٢.

[٨٥] مت ١٩ : ٢٨.

[٨٦] مت ٢٠ : ٢٣.



إذن فهو يقول هذا، لأننا نحن أيضًا سنجلس. إن ذلك يعتبر حقًا غنى فائق، كما أن عظمة قدرته الفائقة هي بالحقيقة أيضًا لا تُغلَّب. إذن سنجلس مع المسيح. ألا يستحق الله من أجل ذلك أن تضحي من أجله حتى وإن كنت بعد تمتلك آلاف الحيوات، فإن كان ينبغي عليك أن تجتاز النار، أما كان ينبغي عليك أن تحتمل هذا بإرادتك؟ يقول أيضًا "إن كان أحد يخدمني فليتبعني وحيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمي"[٨٧]. إذن إن كان يجب أن نُقطَّع إربًا كل يوم من أجل هذه الأمور، ألا ينبغي أن نقبل هذه الآلام بإرادة كاملة؟ فَكِّر في أين يجلس الإبن، إنه يجلس فوق كل رئاسة وسلطان. ومع مَنْ يجلس؟ مع الآب. فمَنْ تكون أنت؟ أنت ميت، وبالطبيعة إبن الغضب. وماذا حققت أو أنجزت؟ لا شيء. بالحقيقة إنها الآن اللحظة المناسبة لنصرخ ونقول "يا لعمق غني الله وحكمته وعلمه"[٨٨].

يقول " لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ " (أف ٢ : ٨).

ولكي لا يتركك أن تفتخر، لاحظ كيف يدعوك إلى الإتضاع، لأنه يقول "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان".

بعد ذلك أيضًا ولكي يُحدد مدى المساهمة التي يمكن أن تُقدمها إرادتنا الحرة، أضاف مشاركتنا نحن أيضا، ثم ألغاها مرة أخرى، بقوله "وذلك ليس منكم". وهو يعني بذلك أنه حتى الإيمان ليس منا. لأنه إن لم يكن المسيح قد أتي، إن لم يكن قد دعانا، فكيف كان من الممكن لنا أن نؤمن؟ لأنه يقول "كيف يؤمنون بمَنْ لم يسمعوا به"[٨٩]. يتضح من هذا أنه حتى الإيمان نفسه لم يأت عن طريق قدراتنا. فيقول "هو عطية الله". فهل كان الإيمان كافيًا لكي يُخلصنا؟ إن الله قد طلب مِنا هذا الإيمان حتى لا يكون الخلاص بدون مشاركتنا أو بدون

[٨٧] يو ١٢ : ٢٦.

[٨٨] رو ١١ : ٣٣.

[٨٩] رو ١٠ : ١٤.

فعل داخلي. قال إن الإيمان يُخلّص، لأن الله أراد أن نَخلُص بالإيمان أيضًا. أخبرني كيف يمكن للإيمان أن يُخلّص بدون أعمال؟ إنها "عطية الله".

"لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ " (أف٢ : ٩).

قال ذلك لكي نكون سعداء بعطية النعمة هذه. ماذا إذن؟ هل الله يرفض أن نتبرر بالأعمال؟ لا على الإطلاق، إلا أنه لا يوجد أحد قد تبرّر بالأعمال فقط، وذلك لكي يُظهر نعمة الله ومحبته للبشر. لقد خلّصنا بالنعمة، حتى أنه لا يمكن لأحد أن يدّعي أن لديه ما يفتخر به.

٣. ولكي لا تصير متكاسلاً، وتتوانى عن الإهتمام بالأعمال، عندما تسمع أنك تستطيع أن تحقق كل شيء بالإيمان لا بالأعمال، إنتبه لما أضاف، يقول:

" لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا " (أف٢ : ١٠).

فَكِّر في ما يقول، إنه يشير هنا إلى الولادة الجديدة، فهي بالحقيقة خليقة جديدة. لقد جاء بنا من العدم إلى الوجود، فقد كُنا أمواتًا، بسبب الوضع الذي كنّا عليه قبلاً، أي وضع الإنسان العتيق، أما ما وصلنا إليه الآن، فلم نكن نحياه من قبل. إذن فهذا العمل هو بالحق خليقة جديدة، وأفضل بكثير من الخليقة الأولي، لأن ما أخذناه من الخليقة الأولي، هو أننا نلنا الحياة فقط، أما الولادة الجديدة، فقد منحتنا القدرة على أن نعيش الحياة كما ينبغي في جمالها الروحي.

يقول "لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها". إذن فهناك ضرورة لأن نسلك بالفضيلة بصفة دائما، والتي يجب أن تنمو حتى مماتنا. لأنه لا يفيدنا شيئًا إن سلكنا طريقًا يؤدي إلى مدينة ملوكية، وقبل النهاية نجلس ولا نستكمله، بسبب التراخي، في اللحظة التي نكون فيها قد قطعنا الجزء الأكبر



من الطريق. هذا هو رجاء دعوتنا أن نسلك في "أعمال صالحة". وبناء على ذلك لن ينفعنا سلوكنا في هذا الطريق شيئًا إن لم نكمله حتى النهاية.

هكذا هنا أيضًا لا يأمر أو لا يوصي بأن نُنجز عملاً واحدًا فقط، بل كل الأعمال. **لأنه كما أن حواسنا خمسه، ويجب أن نستخدمها كلها كما ينبغي، هكذا يجب أن نمارس كل الفضائل.** فإن كان هناك شخص عفيف، لكنه لم يمارس عمل الرحمة، وفي نفس الوقت يكون طماعًا، أو لا يتمنى الخير للآخرين، أو لا يُعطي مما له، حينئذٍ يصير كل شيء باطلاً. لأن فضيلة واحدة لا تكفي أن تجعلنا نقف بدالة أمام عرش المسيح، بل هناك ضرورة لأن نُمارس الفضيلة في كمالها وفي تنوعها.

إسمع الرب نفسه الذي يقول لتلاميذه "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"[٩٠]. وأيضًا "فمَنْ نقض إحدى الوصايا الصغرى وعَلَمَ الناس هكذا يُدعَّي أصغر في ملكوت السموات"[٩١]. أي يُدعَّي هكذا في القيامة، إذ أن مَنْ ينقض الوصايا لن يأتي بالطبع إلى الملكوت، لقد إعتاد المسيح أن يدعو وقت قيامة الأموات، بالملكوت يقول "مَن نقض واحدة.. يُدعَّي أصغر"، يجب علينا إذن ممارسة كل الفضائل.

ولا حظ كيف أنه لا يمكننا أن ندخل الملكوت بدون عمل الرحمة، بل إنه إذا قصّرنا في ممارسة هذه الفضيلة فقط، فإننا سنذهب إلى الجحيم لأنه يقول: "لأني جُعت فلم تطعموني عَطِشت فلم تسقوني"[٩٢]. بسبب مَنْ، ولأي سبب نأتي إلى الجحيم؟ يقول بسبب أنني "جُعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني". أرايت كيف أنه وإن لم يُدانوا بشيء آخر غير ذلك، إلا أنهم هلكوا بسبب هذا فقط؟ ومن أجل ذلك فقط حُرمتَ العذارى الجاهلات، من الدخول إلى العرس كما جاء بالمثل،

---

[٩٠] مت٢٨:١٩.

[٩١] مت٥:١٩.

[٩٢] مت٢٥:٤١_٤٢.

رغم أنهنْ كُنْ عَفيفَات، وكما يقول القديس بولس "القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب"[٩٣]. فكّر إذن في أنه بدون العِفة لا يمكن أن يرى أحد الرب. ولا يُفهَمْ من ذلك أنه لمجرد وجود العفة يمكن أن يرى أحد الرب، فكثيرًا ما يُمنَعْ كثيرون من تحقيق هذه الرؤية. وأيضًا إن أكملنا كل شيء، ولم نُساعد القريب، فلن ندخل إلى الملكوت.

أين يتضح هذا؟ في مثل العبيد الذين "أؤتمنوا على الوزنات. لأن فضيلة ذلك العبد كما جاء بالمثل كانت كاملة، ولم ينقصه شيء، ولكن لأنه كان مُتراخيًا في عمله، طُرِد خارجًا. فقد تصبح جهنم هي مصير المرء بسبب الكلام السيء أو النميمة. لأن المسيح له المجد يقول: "من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم"[٩٤]. وحتى ولو صنع المرء كل شيء، لكنه كان شتامًا، فلن يدخل الملكوت. وينبغي ألا ينسب أحد القسوة إلى الله، عندما يطرد مَن يسقط في هذه الإنحرافات، من ملكوت السموات. لأنه إن كانت المخالفة التي يرتكبها أحد بين الناس، تجعله غير مستحق للتواجد في حضرة الملك، وإذا تعدى أحد القوانين الرئيسية، أو بعضًا منها، فإنه يفقد منصبه، أو إذا زَنى وصار خاضعًا لسيطرة الشهوة، فإنه يصبح غير مستحق، وحتى إن كان قد أنجزَ أعمالاً صالحة لا حصر لها، فإنه يهلك. أما إذا إرتكب جريمة قتل، وإكتُشفت، فإن هذا يكفي للحُكم بإعدامه. فإن كانت قوانين البشر تُطبَّق هكذا بكل حزم وشدة ودقة، فبالأكثر جدًا، القوانين الإلهية.

وقد يقول أحد إن الله صالح. لكن إلى متى سنتكلم بهذا الكلام الأحمق؟ أقول إنِه كلام أحمق، لا لأنه غير صالح، بل لأننا نعتقد أن صلاحه يُفيدنا عند إرتكابنا خطايا، رغم أننا كثيرًا ما تكلمنا في هذا الموضوع. إسمع ما يقوله

---

[٩٣] عب١٢:١٤.

[٩٤] مت٥:٢٢.

الكتاب المقدس "لا تقل أنه يتجاوز عن كثرة ذنوبي لأن رأفته كثيرة"[٩٥]. هذا لا يمنعنا من القول بأن رأفته كثيرة، ليس هذا هو ما يحثنا عليه، بالرغم من أنه يريدنا دائمًا أن نتكلم عن هذا الأمر، وهذا ما يُرجِع اليه الرسول بولس كل الأشياء، وأيضًا للسبب الآتي: يقول لا يكن إعجابك بمحبة الله للبشر سببًا لكي تخطيء، وتقول "سيُخلصني من كثرة ذنوبي". إننا نتكلم كثيرًا عن صلاح الله، لا لكي نرتكب الخطايا، ونتجرأ على فعل هذا، معتمدين على صلاحه، لأنه في هذه الحالة سيصبح الصلاح سببًا لفقدان خلاصنا، أنه يظهر صلاحه حتى لا نيأس بسبب خطايانا، ولكي نتوب عنها. لأن "صلاح الله إنما يقتادك إلى التوبة"[٩٦]، وليس لمزيد من إرتكاب الشرور. فإن أصبحت شريرًا بسبب صلاح الله، فإنك بالأكثر جدًا تفتري على هذا الصلاح أمام الناس. لأنني أرى كثيرين يفترون على إمهال الله وطول أناته. فأنت ستُدان، لأنك لم تتعامل مع صلاح الله كما ينبغي.

٤- **هل الله مُحِب للبشر؟** نعم. **وهل وهو ديان عادل يصفح عن الخطايا أيضًا؟** نعم، لكنه يعطي كل أحد بحسب أعماله. **هل يتجاوز عن الإثم، ويمحو التعديات؟** نعم، لكنه أيضًا يحاسبنا. **ماذا إذن أليست هذه الأمور مُتناقضة؟** ليست متناقضة، إذا ما نظرنا إليها أو فحصناها بحسب زمن حدوثها. إنه يحرر من الإثم هنا عن طريق المعمودية والتوبة، أما هناك فسيحاسبنا عما إقترفناه، بالنار والعذابات. وقد يقول أحد إن كنت أُطَردْ وأُحرَمْ من الملكوت، لأنني إرتكبت الشرور، سواء كانت واحدة، أو شرورًا لا حصر لها، فلماذا لا أرتكب الشرور كافة؟ هذا قول إنسان جاحد؛ لكن مع ذلك سنُجيب عليه:

يجب عليك ألا ترتكب الشرور، إذا كنت تريد لنفسك نفعًا. لأننا جميعًا سنُحَرمْ من الملكوت (إذا ما إرتكبنا الشرور)، لكننا لن ننال نفس القِصاص، بل البعض سيعاني وسيتألم كثيرًا والبعض الآخر أقل. فلو أنك أنتَ وغيركْ قد

---

[٩٥] حكمة ابن سيراخ ٦:٥.

[٩٦] رو ٢:٤.



إستهنتما بالناموس الإلهي، فمَنْ أخطأ كثيرًا، ومن أخطأ قليلاً، فكلاهما سيُحَرمْ من الملكوت، وسيشعران بالفرق في جهنم.

وهل يُهدد أولئك الذين لم يمارسوا عمل الرحمة، بأنهم سُيطرحون ليس فقط في النار، بل في النار المعدة لأبليس وملائكته؟ لا شيء يُغضب الله بهذا القدر الكبير، مثلما تُغضبه هذه الشرور، فهو يضع هذه الخطية (عدم ممارسة عمل الرحمة والبر بالفقراء) في مقدمة الخطايا. لأنه إن كان يجب أن نُحِب أعداءنا، فإن مَنْ يؤذي الأحباء، يكون بهذا السلوك أشر من الوثنيين. فأي عذاب سيكون مستحقًا له؟

ونظرًا لفظاعة الخطية التي يرتكبها الإنسان، فإنها تكون سببًا في أنذاره بأنه سيكون مصاحبًا للشيطان، فُويلٌ لمَنْ لا يتصدق. فإن كان هذا قد طُبِق في العهد القديم، سيطبق بالأكثر جدًا في العهد الجديد. وإن كان كسب المال والتمتع به متاحًا في العهد القديم، إلا أنه كانت هناك عناية شديدة بالفقراء، وكانت مساعدات كبيرة تُقدم لهم، فكيف بالأوليّ (في العهد الجديد)، عندما نأخذ وصية مثل عدم التمسك بالأمور المادية؟ لأنه ما الذي لم يصنعه الناس في العهد القديم؟ لقد أعطوا وبصفة دائما عشور دخولهم للأيتام، والأرامل، والغرباء. لكن ربما يسألني أحد متعجبًا لماذا يُطالب المسيحيون بتقديم العشور؟ هذا تساؤل يبعث على الألم، فإن كان نسيان تقديم العشور في العهد القديم يعتبر أمرًا خطيرًا، فكم يكون الخطر الآن.

السكيرون أيضًا لا يرثون ملكوت الله. لكن ماذا يقول البعض؟ فإن كنت أنا والسكّير نواجه نفس المصير، أليس في ذلك عزاء كثير؟ أجَل، لأنكما لن تواجهان نفس المصير، أنت وذاك، ولن يكون هناك عزاء. لأن المشاركة في الآلام كان لها عزاء حين كانت التجارب تتناسب مع قدراتنا، لكن عندما تتجاوز قدراتنا، فلن تتركنا ننال أي عزاء. إذن فلتقل لمَنْ يتعذب في النار، أن فلانًا يعاني

نفس المعاناة، وستجد أنه لن يشعر بأي عزاء. ألم يهلك جميع الإسرائيليين معًا؟ أي عزاء وجده هؤلاء في هذا الأمر؟ ألم يكن ذلك هو ما سبّب لهم حزنًا شديدًا؟ ومن أجل هذا قالوا "فنينا وهلكنا وضعنا".

وما هو العزاء في هذا الوضع؟ من الظلم أن نعزي أنفسنا بهذا الرجاء. يوجد رجاء واحد فقط، وهو ألا نُلقَّى في النار التي لا تُطفأ، فمن سيسقط فيها، لا يمكن أن يجد أي عزاء هناك، حيث صرير الأسنان، والبكاء، والدود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ. فلتخبرني إذن، هل سبق وفكرت في عزاء ما عندما تكون في ضيقة ونكبه؟ هل يمكنك أن تتماسك؟ أترجاك وأتوسل إليك، ألا يخدع أحد منا نفسه باطلاً، وألا نعزي أنفسنا بهذا الكلام، بل لنمارس تلك الفضائل التي تقوينا وتعيننا على خلاصنا. والحقيقية هي أنك ستجلس مع المسيح، فهل تفكر بتدقيق للتأكد من ذلك؟ فإن لم تكن هناك خطية أخري، فأي عذاب يمكن أن نتوقعه من ترديد هذا الكلام، لأننا بهذا الكلام نتحول إلى كسالى، وتعساء، وغافلين، فهل ننشغل بهذا الكلام بينما تنتظرنا كرامة كبيرة بهذا القدر؟ وعندما تفكر في أولئك الذين نالوا نعيم الفردوس، ألا تشعر بأن حزنًا شديدًا يتملكك؟ فعندما تنظر إلى أناس وقد تحولوا من عبيد، ومن أصول إجتماعية متواضعة ولم يتعبوا إلا يسيرًا في هذه الحياة الحاضرة، ثم أصبحوا شركاء في العرش الملوكي هناك في حياة الدهر الآتي، ألا يُعد هذا في حد ذاته أشد وطأة من عذابك؟ لأنه إن كنت تنظر الآن إلى أولئك وهم سعداء، بينما أنت الذي لم ترتكب أي شر، ستشعر بالعذاب أكثر من أي عقاب، وتَحزَن وتبكي، وتعتبر ذلك موتًا متكررًا، فما الذي سوف ينتابك عندئذٍ؟ لأنه إن لم يكن هناك عذاب في جهنم، ألا تُعد فكرة ملكوت الله كافية، لفنائك وهلاكك (إذا ما حُرمت منه)؟ ومن حيث أن ما قيل سيتحقق بالفعل، فيمكنك أن تعرفه من خبرة الأمور (الحياتية).

إذن ينبغي ألا نُعزي أنفسنا باطلاً بمثل هذا الكلام، بل لنكن حريصين وحذرين، ولنهتم بخلاص نفوسنا ولنمارس الفضيلة، ولندفع أنفسنا نحو تحقيق

الأعمال الصالحة، لكي نُحسب مستحقين لنوال المجد الفائق في المسيح يسوع ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة، والكرامة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الخامسة: (أفسس٢:١١-١٦):

" لِذلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ. " (أف٢: ١١ـــ ١٢).

١- هناك أمور كثيرة تبين محبة الله للبشر، **أولاً** أنه خلصنا بنفسه، **ثانيًا** أنه خَلَصَنا بينما نحن خطاه، **ثالثًا** أنه قادنا إلى هذا السمو الفائق. وكل هذه دلائل، تشكّل في حد ذاتها أعظم برهان على محبته للبشر، الأمر الذي أثاره الرسول بولس الآن في الرسالة. لقد قال كُنا أمواتًا بالذنوب والخطايا، وأبناء الغضب، فخلصنا. وهو يذكر الآن مع مَن جعلنا متساويين، يقول **"لذلك أذكروا"** لأننا قد إعتدنا جميعًا، حين نُرفع من وضع مزدري به إلى كرامة عظيمة، أن لا نتذكر حالتنا السابقة، ونكتفي بتذوق متعة هذا المجد الجديد. هذا هو السبب الذي دفعه للقول "لذلك أذكروا". يقول "لذلك" عن أي "ذلك" يتحدث؟ عن أننا خُلقِنا لأعمال صالحة. وهذا يكفي لكي يُقنعنا أن نهتم بممارسة الفضيلة. "أذكروا"، لأن هذا التذكر يعتبر كافيًا ليجعلنا معترفين بفضل من أحسن إلينا.

يقول "أنكم أنتم الأمم قبلاً". لاحظ كيف يقلل من شأن المزايا اليهودية، ويجعل نقائص الأمم محل إعجاب. إنها لم تكن في الحقيقة نقائص، إلا أنه تحاجج وأقنع كل من اليهود والأمم بسلوك وطريقة حياة كل منهم. ثم يقول: "المدعوين غرلة". لقد كانت كرامة اليهود لمجرد أنهم مدعوين، وكانت المزايا جسدية، لأن لا الغرلة تنفع في شيء، ولا الختان، ثم يُضيف: **"من ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم"**. أي أنتم الذين دُعيتم هكذا من قِبل اليهود.

لماذا إذن بينما يريد أن يُظهِر أن النعمة التي نالوها ترجع إلى أنهم صاروا شركاء لليهود، يعود فيبُطل مرة أخرى الإمتياز اليهودي؟ إنه لا يُبطله، بل أثنى عليه وأشاد به في النقاط الأساسية، ولكنه أبطله في الجوانب التي لم تكن الأمم شركاء فيها.

لأنه يقول بعد ذلك "أنكم رعيه مع القديسين وأهل بيت الله". لاحظ أنه لم يبُطل الإمتياز الخاص باليهود. هذه الأمور كما يقول لا أهمية لها، ويوضح قائلاً ولا تظنوا أنكم بلا قيمة لأنكم لم تختتنوا، إذ أنتم في الغلفة، وأن هناك إختلاف أو فرقًا (بينكم وبين المختونين). فالمخيف في هذا الأمر حقًا، أن يحيا المرء بدون المسيح، ويُنزع من رعويته، بينما هذا الختان ليس هو الرعوية. بل أن (الخروج خارج نطاق الرعوية الحقيقية)، هو أن يكون المرء غريبًا عن عهود الموعد، وبلا رجاء في حياة الدهر الآتي، وبلا إله في هذا العالم، كل هذه هي سمات هؤلاء الناس.

لقد تحدث عن السماويات، والآن يتحدث عن الأرضيات التي كان لها تقدير كبير لدى اليهود. هكذا المسيح أيضًا كان يعزي تلاميذه بقوله "طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات"[٩٧]، ثم أضاف تعزية أقل من هذه التعزية، إذ يقول "فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم"[٩٨]، هذه التعزية بالطبع من حيث وضعها هي أقل، إلا أنها عظيمة وذات قيمة من حيث إنها قريبة من الإيمان، ولها قوة كبيرة. إذن فهذه هي رعويتهم، ولم يقل منفصلين، بل قال أجنبيين عن رعوية إسرائيل ولم يقل أنهم لم ينتبهوا لهذه الرعوية، بل أراد أن يؤكد علي أنهم لم يشتركوا فيها، وكانوا غرباء.

إن التأكيد على هذه الأمور كان واضحًا في كلامه الذي يُظهر مدى الفجوة الكبيرة التي تفصلهم (عن هذه الرعوية). لأن الإسرائيليين أيضًا كانوا خارج هذه

---

[٩٧] مت٥:١٠.

[٩٨] مت٥:١٢.



الرعوية، لكن ليس كغرباء، بل كمتوانين وكسالى، ولأنهم سقطوا من العهد، لكن على أية حال ليس كغرباء، بل كغير مستحقين. وماذا كانت عهود الموعد؟ "جميع الأرض لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد"[99]، وكل الأمور الأخرى التي وَعَدَ بها أيضًا. يقول "لا رجاء لكم وبلا إله" ورغم أنهم عَبَدوا آلهة كثيرة، إلا أن هذه لم تكن آلهة، لأن الوثن لا يُعد شيئًا.

٢ــ " وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ " (أف٢: ١٣ــ١٥).

وقد يقول البعض، وهل الإنضمام لرعوية إسرائيل يُعدّ إمتيازًا عظيمًا؟ ماذا يقولون؟ لقد جمع الله كل شيء ما في السماء وما على الأرض، وأنت الآن تتحدث عن الإسرائيليين؟ يقول نعم، لأن تلك الأمور - أي الإنضمام لعضوية الجسد الواحد - ينبغي أن ننالها بالإيمان أما هذه الأمور - أي الثبات في هذا الجسد الواحد - يتم بأعمالنا نحن. ثم يقول "**ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين**" بالنسبة للرعوية. لأن البُعد والقُرب يعتمدان على الإرادة.

"**لأنه هو سلامنا الذي جعل الأثنين واحدًا**" ماذا يعني بقوله "جعل الأثنين واحدًا؟" لم يقل أنه قادنا إلى هذا السمو، بل قادنا وإياهم إلى أعظم سمو، إلا أن النعمة بالنسبة لليهود كانت أعظم. لأن الوعد كان لهم وكانوا هم الإقرب، بينما لم يَعِدنا نحن، ولم نكن قريبين، بل بعيدين. لأجل هذا يقول "وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة"[100]. لقد وَعَدَ الإسرائيليين، لكنهم كانوا غير مستحقين، بينما نحن لم ننل الوعد، بل كُنا غرباء، لم يكن لدينا أي شيء مشترك مع

---

[99] تك١٣: ١٥.

[100] رو١٥: ٩.

الإسرائيليين، إلا أنه جعلنا واحدًا، ليس بأنه قد ربطنا بهم، بل أنه جعلنا وإياهم واحدًا.

سأسوق لكم مثالاً لتوضيح هذا الأمر، فلنفترض أن هناك تمثالان واحد من الفضة، والآخر من الرصاص، وحدث أن تم صهرهما تمامًا في بوتقة وخرج كلاهما في كيان واحد مطليًا ذهبًا، فإن هذا العمل هو الذي جعلهما واحدًا. نسوق المثل بطريقة أخرى، فلنفترض أن هناك شخصان واحد عبد والآخر إبن بالتبني، ثم حدث صدام بينهما وبين الأب، إلا أن أحدهما بإعتباره إبنًا قد حرمه من الميراث، بينما الآخر هرب ولم يعرف له أب، بعد ذلك صار الأثنان وارثين، وإبنين حقيقيين. هنا نال الأثنان نفس الكرامة، وصارا واحدًا، أحدهما بعدما أتي من بعيد، والآخر من مسافة أقرب، وقد صار العبد إبنًا حقيقيًا وفي وضع أفضل مما كان عليه قبل الصِدام.

ثم يضيف "**ونقض حائط السياج المتوسط**". ما هو حائط السياج المتوسط هذا؟ بحسب قوله: "**أي العداوة مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض**". وقد أدعى البعض أنه يقصد الحائط الذي كان قائمًا بين اليهود والأمم، لأنه لم يكن يسمح لليهود أن يختلطوا بالأمم. لكنني لا أعتقد هذا، أن الحائط هو الحاجز الذي كان يفصلنا عن الله "أي العداوة"، كما يقول النبي " آثامكم صارت فاصلة بينكم وبيني"[١٠١]. الحائط المتوسط إذن هو العداوة التي كانت قائمة لدى اليهود والأمم تجاه الله، وطالما كان الناموس قائمًا فإنه ليس فقط لم يَبطُل، بل أيضًا قد تَدّعم، لأن الرسول بولس يقول "لأن الناموس ينشيء غضبًا"[١٠٢]. إذن تمامًا كما أنه يقول في رسالته لأهل رومية "لأن الناموس ينشيء غضبًا"، ولا ينسب كل شيء

[١٠١] إش٥٩:٢.

[١٠٢] رو٤:١٥.



للناموس، بل لأننا خالفناه، هكذا هنا أيضًا دعا الناموس "حائط السياج المتوسط"، لأنه أنشأ عداوة بسبب مخالفته.

لقد كان الناموس هو السياج، إلا أن ذلك كان لأجل توفير الحماية والأمان، ولذلك دُعيَّ "سياجًا"، لكي يحيط بما يريد حمايته، إسمع أيضًا ما يقوله النبي "وأقمت سياجًا حوله"[١٠٣]، وأيضًا "هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق"[١٠٤]، أي أنه يقصد الحماية والأمان. وأيضًا "أهدم جدرانه فيصير للدوس"[١٠٥]، وأيضًا "أعطاهم الناموس عونًا"[١٠٦]، وأيضًا "الرب مُجرِي العدل والقضاء لجميع المظلومين عرف بني إسرائيل أفعاله"[١٠٧]. هكذا صار الناموس حائط سياج متوسط. لا لكي يحفظ اليهود أو يجمعهم، بل لكي يفصلهم عن الله. هكذا كان الحائط المتوسط، الذي هو السياج.

وما هو هذا الحائط المتوسط؟ هو الذي قال عنه "**مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض**". كيف؟ لقد تم ذلك بعدما ذُبِحَ، فأبطل العداوة هناك (عند الصليب). وليس بهذه الطريقة فقط، بل بحفظ الناموس. ماذا إذن، فإن كُنا قد تحررنا من المخالفة الأولي، فهل نحن مُلزمين بحفظ الناموس؟ لقد حدث ما سبق الكلام عنه، لكنه قد أبطل هذا أيضًا. إذ يقول "مُبطلاً ناموس الوصايا في فرائض". يا لعظم محبة الله الفائقة ! لقد أعطانا الناموس لكي نحفظه، ولأننا لم نحفظه وكان ينبغي أن نُعَاقَب، فلذلك أبطل الناموس. كما لو أن أحدًا سلّم إبنه إلى مُعلّم أو مُربي، وإذ إنه لم يُطع معلمه، فإنه يأتي ويأخذه منه محررًا إياه (من عقابه) ثم يعود به إلى بيته. أي محبة عظيمة هذه!.

---

[١٠٣] إش ٥:٢(س).

[١٠٤] مز ٨٠:١٢.

[١٠٥] إش ٥:٥.

[١٠٦] إش ٨:٢٠(س).

[١٠٧] مز ١٠٣:٦ـ٧.

ماذا يعني بقوله "مُبطلاً ناموس الوصايا في فرائض"؟ إنه يُظهر الإختلاف الكبير بين الوصية والفرائض. فإما أنه يتحدث عن الإيمان، ودعاه فرائض، لأنه بالإيمان وحده خَلَصنا، إما أنه قَصَدَ الوصية، كما قال المسيح "إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم"[108]. أي "إن إعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك إن الله أقامه من الأموات خَلصت"[109]، وأيضًا "لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح أو من يهبط إلى الهاوية أي ليصعد المسيح من الأموات لكن ماذا يقول الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك"[110]. **أعطى إيمانًا، لكي تنال حياة.** ولكي لا يتعطل الخلاص تحمّل هو ذاته العذاب، وطلب من هؤلاء الإيمان (بهذا العمل الخلاصي).

٣ـ "لكي يخلق الأثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا". أرايت كيف أن الأممي لم يصر يهوديًا، بل إن كليهما قد أصبحا في وضع جديد. لا لكي يجعل الواحد مثل الآخر، بل أنه خلق الأثنين خِلقةً جديدة. وبالصواب يستخدم في كل موضع كلمة "يخلق"، ولم يقل يُحّول، وذلك لكي يُظهر نتيجة فعله الخلاصي، حتي لو كانت عملية الخلق الثانية غير مرئية، فهذا لا يقلل من حقيقتها ولا ينبغي لنا أن نجحد الإيمان، لأن عناصر الطبيعة ذاتها تدفعنا نحو الإيمان. يقول "لكي يخلق الأثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا". أي أنه لم يوصِ أحدًا آخرًا أن يصنع هذا، بل هو نفسه قد صهر الأثنين (اليهودي والأممي)، كما في بوتقه، وأخرج منهما إنسانًا واحدًا مثيرًا للدهشة، بعدما جَاز هو أولاً الآلام الكثيرة، لكي يخلق في نفسه إنسانًا جديدًا، الأمر الذي يُعَد أعظم من الخلق السابق.

---

[108] مت٥:٢٢.

[109] رو١٠:٩.

[110] رو١٠:٦ـ٨.



هذا إذن هو معنى "في نفسه". أي أنه أعطى هو أولاً النموذج والمثال. لأنه أمسك اليهودي من جهة والأممي من جهة أخرى، بعدما وقف هو في الوسط ومزجهما معًا وأزال كل ما هو أجنبي وغريب، وأعاد خلق الإنسان الجديد بواسطة الماء والنار. ليس بالماء والتراب أو الطين، بل بالماء والنار. لقد صار يهوديًا مختونًا، وصار لعنة، وصار أمميًا بدون ناموس، وتفوق على الأمميين واليهود. يقول "إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا"، أي سلام لكليهما مع الله، وبين بعضهما البعض. لأنه إن بقى اليهود والوثنيون كما هم، وبدون أن يتخلص أي منهم من حالته الخاصة ما كان لهم أن يتصالحوا معًا، ولا كان بإمكانهم أن يأتوا إلى حالة أسمى وأعظم. لأن اليهودي آنذاك لم يكن ليتحد بالأممي، إلا عندما يصير مؤمنًا، وهذا يُشبه أناسا موجودين بمنزل به غرفتان، بالطابق العلوي وبالطابق السفلي، وغرفة أخرى كبيرة متسعة في الطابق العلوي، فمن غير الممكن أن يتواجدوا معًا، إلا إذا صعدوا إلى أعلى في الغرفة الأكثر إتساعًا.

"صانعًا سلامًا" السلام الذي مع الله، هذا ما يُظهره الكلام اللاحق.

يقول: " وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أف ٢: ١٦).

لم يقل "يصالح" فقط، بل ما يعنيه أن هذا الصُلح هو صُلح تام وكامل، مُظهرًا بهذا أن الطبيعة الإنسانية كانت غير مُصَالحة، كما هو الحال مع القديسين قبل الناموس، "في جسد واحد"، أي في جسده ثم يكمل "مع الله". وكيف حدث هذا؟ حدث هذا بعدما جاز الآلام وتحمل الإدانة "بالصليب قاتلاً العداوة به". لا يوجد كلام دقيق وحاسم أكثر من هذا.

يقول إن موته قتل العداوة وأفناها. وليس ذلك بأمر أحد آخر، ولا بما عمله فقط، بل بالآلام التي جازها. لم يقل ألغاها، أو أبطلها، بل قال "قاتلاً العداوة"، حتى لا تكون هناك فرصة البته لتقوم مرة آخري. وكيف لها أن تقوم؟ تقوم بسبب

شرورنا الكثيرة، ولكن مادمنا متحدين معًا في جسد المسيح، فلن تقوم هذه العداوة مرة أخري، بل تبقى ميته، أي أن هذه العداوة لن تقوم مطلقًا، وإن ظهرت عداوة أخرى، فهي ليست تلك العداوة القديمة التي هدمها المسيح، بل أنت الذي تُنشيء عداوة أخرى. يقول الرسول بولس "لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله"[111]. فإن لم نهتم بأي شيء جسدي، فلن تُنشأ عداوة أخري، بل يظل ذلك السلام الإلهي قائمًا.

٤ـ تأمل إذن كم هو سيئ جدًا وشرير أن تعود للعداوة مرة أخرى، بينما الله قد صنع الكثير لكي نتصالح. إن هذه العداوة لا تتطلب معمودية جديدة ونقاوة، بل يعقبها جهنم، ولن يكون هناك بعد غفران للخطايا، بل لومًا وإدانة. إن إهتمام الجسد هو التمتع، والإسراف، والطمع وكل خطية. ولكن لماذا يدعوها إهتمام الجسد حيث أن الجسد لا يمكنه أن يفعل شيئًا بدون النفس؟ إنه لا يقول هذا لإدانة الجسد، مثلما يقول "الإنسان الطبيعي"[112]، فهو لا يقول هذا لكي يدين النفس. لأنه لا الجسد ولا النفس لديهما القدرة من ذاتهما أن يصنعا أي شيء نبيل وعظيم، إن لم ينالا نعمة من فوق. من أجل هذا فإن الأمور التي تمارسها النفس من ذاتها، تُسمى أمور طبيعية، ليس لأنها طبيعية بالحق، بل لأنها تقود إلى الهلاك، إذ إنها لا تنال المعونة من الله[113]. لأن الأعين أيضًا هي أعضاء جيدة، ولكنها بدون النور ترتكب أخطاء لا حصر لها، وهذا يرجع لمرضها، وليس لطبيعتها. إذن لو كانت الأخطاء طبيعية، ما كُنا لنستطيع أن نستخدمها حيث يجب أن نستخدمها. لأنه لا يوجد شيء شرير بالطبيعة.

---

[111] رو٨: ٧.

[112] ١كو٢: ١٤.

[113] "الإنسان الطبيعي" هنا بحسب رؤية القديس يوحنا ذهبي الفم هو الإنسان في حالة غياب النعمة الإلهية.

إذن لماذا يدعو الإهتمامات الجسدية خطية؟ لأنه حين تسود الإهتمامات الجسدية على ذاك الذي يحيا في هذه الأزمة ويتشبث بها، فإنه سينشأ عنها شرور لا حصر لها. لأن عمل الجسد هو في خضوعه للنفس، ولكن أن يسود على النفس فهذا هو الشر. تمامًا كما أن الجواد يُوصف بأنه جميل وقوي، إلا أن هذا لا يظهر بدون الفارس الذي يمتطيه، هكذا الجسد أيضًا لا يظهر صلاحه إلا إذا إنقطعت ميوله نحو الخطية. بل ولا الفارس تظهر مهارته بدون معرفة وخبرة، لأنه يتحمل مسئولية العمل الأصعب مما تقوم به الخيول. إذن يجب على الجسد أن يختبر عمل الروح أكثر من أي شيء، وأن يُعطي له مجالاً حتى يكتسب هذه المعرفة الروحية، فهي تجعل الفارس أكثر قوة، هذا الروح هو الذي يعطي جمالاً للنفس والجسد. لأنه تمامًا كما أن النفس تُدرك بالجسد، وتظهره جميلاً، بينما إذا حرمته من طاقتها الخاصة وتأثيراتها، حينئذ سيشبه رسامًا مزج الألوان معًا، ونتج عن هذا منظر مشوه، إذ أن كل لون سيبدأ في الذوبان والإنحلال، هكذا عندما يترك الروح الجسد والنفس، فإنه سينتج عن هذا الترك أسوأ وأكبر منظر للتشوه والقبح.

إذن لا تُسيء للجسد بإعتباره أقل من النفس، فإنني لا أحتمل أن أقلل من شأن النفس، لأنها لا تستطيع أن تحقق أي شيء بدون الروح. وإن كان ينبغي أن نقول شيئًا، فإن النفس تستحق إنتقادًا أكثر من الجسد. لأن الجسد لا يستطيع أن يفعل شيئًا شريرًا بدون النفس، بينما النفس تستطيع أن تفعل الكثير بدون الجسد. لأنه حين يكون الجسد في طور الإنحلال ولا يستطيع أن يَتُوب، فإن النفس تصنع الكثير. فالسحرة والمشعوذون، والحاسدون يسببون إنهاكًا للجسد. ومن ناحية أخري فإن المتع والملذات لا تعود إلى إحتياج الجسد، بل إلى عدم حرص النفس، أي أن الطعام وليس التنعم هو إحتياج الجسد. فإن أردت أن أضبط إندفاع الفرس أمسكت اللجام بقوة، بينما الجسد لا يستطيع أن يضبط النفس في شهواتها.

إذن لماذا يدعوها إهتمامات الجسد؟ لأنها صادرة كلها من الجسد. أي عندما يسود الجسد، ويعزل العقل، وتحرم النفس من السيطرة عليه، فإنه يخطئ. هذا يعني أن عمل الجسد يظهر من خلال خضوعه للنفس، لأن الجسد بحد ذاته، ليس حسنًا ولا شريرًا. فما الذي يستطيع أن يفعله الجسد من ذاته؟ إنه يكون حسنًا حين يكون متحدًا بالنفس وخاضعًا لها. فهو قابل أن يكون صالحًا أو شريرًا، لديه ميل إلى الأثنين. الجسد يشتهي، لكن ليس النجاسة ولا الزنا، بل يشتهي الإتحاد (الزيجي) بالآخر، الجسد يشتهي الطعام لا التنعم، ولا المسكرات، بل شرب الماء. لأنه من حيث أن الجسد لا يشتهي المسكرات، فهذا ما يتضح لك من خلال حدود إمكانياته التي لا يستطيع أن يتخطاها إذا أراد الشراب.

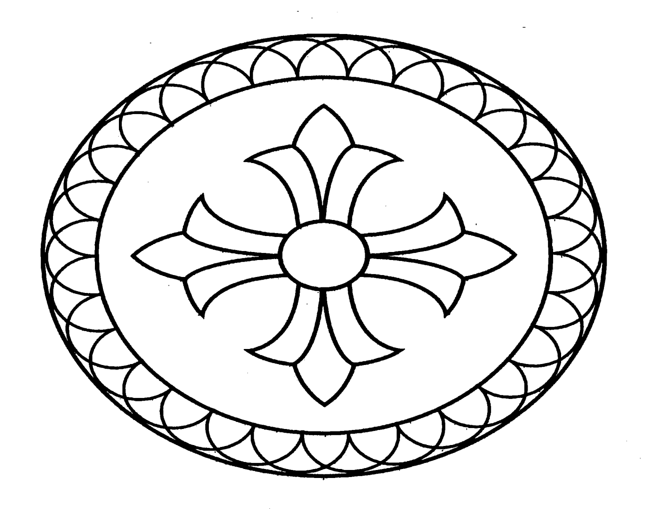
هذا ما يتعلق بالجسد، أما عندما يصل إلى حالة الأنغماس في الملذات ويسمُن فالأمر هنا يتعلق بشهوة النفس. وبرغم أن الجسد صالح، إلا أنه يعتبر أقل من النفس، وكما أن الرصاص أقل قيمة من الذهب، إلا أن الذهب يحتاج للرصاص عند لحامه، هكذا فإن النفس تحتاج إلى الجسد. وهذا يشبه ما يحدث لطفل من أصل نبيل يمتلك لعبًا ويسلك بعفوية الطفل، فإننا لا نلوم المرحلة العمرية للطفل، بل التصرفات التي تصدر عنه، هكذا الأمر بالنسبة للجسد.

إلا أننا نستطيع أن نكون غير خاضعين للجسد، أن أردنا ذلك، وأن لا نخضع للأمور الأرضية، بل للسماويات وللروح. لأنه عندما يوجد شخص في مكان ما، فإن الحديث عنه لا يدور حول الوضع الذي يكون عليه في ذلك المكان، بقدر ما يكون عن رغبته أو إرادته. حقًا إننا نقول عن كثيرين حتى لو كانوا متواجدين معنا أنهم غير موجودين، أي نقول مثلاً أنك لم تكن هنا أي أنك تفكر في شيء آخر.

ماذا أقول أو ماذا أقصد؟ أنك كثيرًا ما تقول لشخص ما ـ مُحلقًا بفكره بعيدًا ـ أنك لست هنا معنا، أو أقول أنا لست موجودًا هنا معكم فنفسي محلقة بعيدًا،

وهل هناك ما هو أكثر من تواجد الشخص معنا بحسب الجسد؟ ومع ذلك لا يبدو جسديًا أنه معنا.

فلنرجع إلى أنفسنا، ولنتطلع نحو السماء ونتحد بالروح، ولنقيم في السلام، وفي النعمة الإلهية، بعدما نتحرر من كل الأمور الجسدية، لننال الخيرات التي وعدنا بها يسوع المسيح ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة السادسة (أفسس٢: ١٧ـ ٢٢):

"فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ. فَلَسْتُمْ إِذن بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ " (أف٢: ١٧ـــ٢٢).

" فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ " (أف٢: ١٧).

١ـ يقول الرسول بولس إن الرب يسوع لم يرسل لنا هذه الأخبار المفرحة مع آخر، ولم يعلنها بواسطة شخص آخر، لكنه هو ذاته قد أعلنها بنفسه. لم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة، لأن إصلاح كل الشرور الكثيرة، والإعلان عن كل ما قد حدث، لم يكن في إستطاعة أحد آخر، بل فقط من خلال حضوره هو بذاته. لقد قَبِل الرب أن يأتي في صورة عبد وخادم، وأتى "وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين". إنه يدعو اليهود قريبين، في مقارنتهم بنا.

" لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ " (أف٢: ١٨).

يتكلم عن السلام الذي لنا مع الله. يقول لقد صالحنا، والمسيح نفسه يقول: "سلامًا أترك لكم سلامي أعطيكم"[١١٤]، وأيضًا يقول "ثقوا أنا قد غلبت العالم"[١١٥]، "ومهما سألتم بإسمي فذلك أفعله"[١١٦] وأيضًا "لأن الآب نفسه هذه جميعها تعد دلائل على السلام الإلهي. ولكن كيف وبأي طريقة؟ "لأن به لنا

[١١٤] يو١٤: ٢٧.

[١١٥] يو١٦: ٣٣.

[١١٦] يو١٤: ١٤.

[١١٧] يو١٦: ٢٧.



كلينا قدومًا في روح واحد إلى الآب". هذا لا يعني أن النعمة تكون أقل بالنسبة لنا، وتكون أكثر بالنسبة لليهود، بل هي نعمة واحدة للجميع. إذن فقد توقف الغضب بموته، وجعلنا أحباء للآب بالروح القدس.

أنه يستخدم هنا أيضًا كلمة (في، أي في روح واحد)، مثل كلمة (به) "لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحد" أي أنه قادنا إلى الآب بالروح القدس.

" فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ" (أف ٢: ١٩).

أرايت كيف أنه أعلن عن أننا رعية مع القديسين، وأن الوعد ليس فقط لليهود، بل أيضًا لأولئك الرجال القديسين والعظماء مثل إبراهيم ومَن كان معه، وموسي، وإيليا؟ لقد سجل أسماءنا في نفس الرعية. لأنه يقول "الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطنًا"[118] لسنا بعد غرباء عن القديسين ولا نُزلاء. لأن النُزلاء هم أولئك الذين لن ينالوا الخيرات السمائية. لأن "الإبن يبقي إلى الأبد"[119].

يقول "وأهل بيت الله" فالذي ناله أولئك منذ البداية بأتعاب كثيرة، هذا قد تحقق لنا بنعمة الله. هذا هو رجاء الدعوة.

" مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ" (أف ٢: ٢٠).

لأحظ كيف أنه يجمع دومًا الأمم، والرسل، والأنبياء، والمسيح معًا، فمن ناحية قد صِرنا جسدًا واحدًا، ومن ناحية أخرى قد صِرنا مبنيين. وفضلاً عن هذا، فإنه يظهر الإتحاد الذي حصل فيما بيننا يقول "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء" أي أن الأساس هو الرسل والأنبياء. وهو هنا يضع الرسل أولاً، وإن كانوا قد أتوا

---

[118] عب ١١: ١٤.

[119] يو ٨: ٥٥.

بحسب الترتيب الزمني بعد الأنبياء، فقد أراد أن يَبني بهذا أساس وأصل واحد للجميع، وأن الجميع بناء واحد. تأمل كيف أن الآباء الأولين هم أساس الأمم. وهو هنا يُركز على هذه الجزئية ويتكلم بدقة أكثر عندما يتناول هذا الحدث، وأكثر مما تكلم به عن التطعيم في الزيتونة البرية، حيث ذكر إن ذلك يُعَد مجرد تطعيم في الزيتونة، ليس إلا.

٢- ويقول بعد ذلك إن الذي فيه كل البناء هو المسيح. لأنه هو حجر الزاوية يضبط ويمسك الحوائط والأساسات. لاحظ كيف أنه يربط الجميع معًا، إن الرسول بولس يجعل المسيح تارةً يحفظ ويدعم البناء من فوق، حتى يمسك ويضبط كل الجسد، وتارةً أُخري يجعله يدعم البناء من أسفل، بأن يكون هو هذا البناء ويوضح ذلك بقوله "لكي يخلق الأثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا". لقد جمع الجدارين معًا ووحدّهما بنفسه، كما خلق البناء كله فيه. ويقول أيضًا إنه "بكر *كل خليقة*"[١٢٠]. أي أنه يسند كل شيء.

" الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ " (أف٢: ٢١).

هذا يعني أن المسيح هو الذي يسند ويضبط كل شيء، سواء الشكل، أو الجدران، أو أي شيء أخر. وهو يدعو المسيح في موضع آخر، بالأساس. يقول "لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا غير الذي وُضِعَ" الذي هو "يسوع المسيح"[١٢١]. "الذي فيه كل البناء مركبًا" هنا يُظهر الأمر المستقيم، أن البناء كامل وتام وأنه من غير الممكن بأي طريقة أخري، أن يأتي أحد إلى هذا البناء إن لم يحيا بكل جدية وتدقيق.

---

[١٢٠] كو١: ١٥.

[١٢١] ١كو٣: ١١.



ثم يقول: " يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا ِللهِ فِي الرُّوحِ " (أف٢: ٢٢).

يكرر قوله "هيكلاً مقدسًا.. مسكنًا لله في الروح". إذن ماذا يُريد من هذا البناء؟ يريد أن يسكن الله في هذا الهيكل. وأن كل واحد فيكم يعتبر هيكل، والجميع معًا هيكل، والله يسكن فيكم بإعتباركم جسد المسيح، وهيكل روحي. لم يتكلم عن مجيئنا نحن لله، بل قال "به لنا قدومًا إلى الآب"، لأننا لم نأت إلى الآب من تلقاء أنفسنا، بل هو الذي قادنا إليه. يقول المسيح "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" وأيضًا "أنا هو الطريق والحق والحياة"[١٢٢]. لقد جمع هؤلاء مع القديسين، ثم عاد أيضًا للمثال السابق، ولم يتركهم لكي ينفصلوا عن المسيح. إذن سيُبني هذا البناء (أي جسده) إلى أن يجئ، ولهذا قال الرسول بولس "كبنّاء حكيم قد وضعت أساسًا"[١٢٣] وقال أيضًا إن المسيح هو الأساس. إذن ما معني هذا؟ لقد تكلّم عن هذا بأمثلة، مثلما قال عن الآب أنه "الكرام"، وعن نفسه أنه أصل الشجرة أي (جذر الشجرة).

---

[١٢٢] يو١٤: ٦.

[١٢٣] يو٣: ١٠ـ ١١.



الإصحاح الثالث



الإصحاح الثالث

" بِسَبَبِ هذَا أَنَا بُولُسُ، أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ " (أف٣: ١ـ٢).

تكلّم هنا عن عناية المسيح الفائقة، ثم تجاوز الموضوع، لكي يتحدث عن أن جهاده وإهتمامه كان من أجل الأمم، والذي يعتبر صغيرًا وزهيدًا تمامًا إذن ما قُورن بعناية المسيح، إلا إنه يُعد كافيًا لكي يجذبهم للمسيح. يقول "بسبب هذا أنا أسير" لأنه إن كان سيدي قد صُلِب لأجلكم، فبالأكثر جدًا، يجب على أن أكون أسيرًا. ليس المسيح فقط هو الذي سُجِنَ، بل سَمح أيضًا لخدامه أن يُسجنوا.

ثم يقول "**لأجلكم أيها الأمم**". هذه الكلمات تحمل تأكيدًا قويًا، فهو يريد أن يقول إننا لم نشمئز منكم ولم نبغضكم بل سُجنا لأجلكم، وأنا قد تمتعت بهذه النعمة الجزيلة. "**إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم**". إنه يُشير هنا إلى النبوة التي قيلت لحنانيا، عندما قال له الرب "أذهب لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل"[١٢٤].

أما عن تدبير النعمة، فيقصد بها الرؤيا التي رآها وهو في طريقه إلى دمشق، فهو يوضح ذلك بقوله إنني لم أعرف الحقيقة من بشرٍ، أنظروا إلىّ، فبينما أنا شخص بمفرده إلا أن الله يُعلِنْ لي تدبيره لأجلكم. لأن الرب قال لي "إذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدًا"[١٢٥]. يقول "إن كنتم قد سمعتم" إذن فقد كان تدبيرًا عظيمًا أن يدعو إنسانًا لم يُقنعه أحد، بل جاء إقناعه من فوق، إذ قال له "شاول

---

[١٢٤] أع٩: ١٥.

[١٢٥] أع٢٢: ٢١.



شاول لماذا تضطهدني"[١٢٦]، ثم بعد ذلك يُصيبه بالعمى بواسطة هذا النور السري. "إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم".

ثم يقول: "أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ" (أف٣:٣).

ربما يكون الله قد سبق وأخبرهم بواسطة آخرين، أو يكون قد كتب إليهم عن طريق أبولس. هنا يبيّن أن كل شيء هو مِن الله، وأننا لم نُقدم أي شيء من أنفسنا. ماذا إذن؟ أخبرني ألم يَخلُص بولس بالنعمة، وهو ذلك العظيم، والمدهش، والمشرّع، والذي تَعلَمَ بإجتهاد عظيم عند أقدام غمالائيل؟ هو سر إذن أن يرفع الأمم فجأة إلى وضع أسمى من وضع اليهود.

يقول: "كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ " (أف٣:٤).

٤ـ يا للعجب! إنه لم يكتب كل شيء، ولا كتب ما كان ينبغي أن يكتبه. وهذا راجع لطبيعة الأمر، بينما في موضع آخر كان الشر هو سبب، كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين، والرسالة إلى أهل كورنثوس. يقول "الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح " أي تدركون كيف أنني فهمت هذه الأمور التي تكلّم بها الله، وأن المسيح جلس عن يمين الله. ثم بعد ذلك يشير إلى الكرامة التي نالها، "فهو لم يصنع هكذا بإحدى الأمم"[١٢٧] وما هي تلك الأمة التي صنع معها الله هكذا؟

يقول: " الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ " (أف٣:٥).

ماذا إذن، أخبرني ألم يعرف الأنبياء خطة التدبير الإلهي؟ كيف قال المسيح آنذاك أن موسى والأنبياء كتبوا هذا عني؟ وأيضًا "لو كنتم تصدقون موسى

---

[١٢٦] أع٩:٤.

[١٢٧] مز١٤٧:٢٠.

لكنتم تصدقونني"[128]، وأيضًا "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي"[129]. يقول هذا الكلام، إما لأنه لم يُستعلن لكل البشر، لأنه أضاف "الذي في أجيال أُخَر لم يُعرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن"، وإما لأنه لم يُعرف من خلال الأعمال ذاتها "كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح". تأمل إذن لو أن القديس بطرس لم يسمع دعوته من الروح القدس ليذهب إلى الأمم، ما كان له أن يذهب إليهم. إسمع ماذا يقول: "هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا"[130]. أي أن الله إختار هؤلاء بالروح القدس، لكي ينالوا هذه النعمة. إذن لقد تكلم الأنبياء، لكنهم لم يعرفوا (سر التدبير الإلهي أو سر المسيح) هكذا بالتدقيق، ولا الرسل أيضًا، إلا بعدما سمعوا فيما بعد، لأن هذا يفوق كثيرًا إمكانيات الذهن البشري، وتوقعاتهم وإنتظارهم.

" أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ " (أف٣: ٦).

ماذا يعني بقوله "أن الأمم شركاء في الميراث والجسد؟" هذا هو الأمر العظيم أن يكوّنوا معًا جسدًا واحدًا، فذلك هو الضمان الكبير. فمن حيث إنهم مدعون، فهذا يعرفونه، ولكن ليس بهذا القدر الكبير، هذا هو الذي يدعوه "سر". ثم يقول "**ونوال موعده**"، فإن كان اليهود شركاء في موعد الله، فإن الأمم كذلك أيضًا "في المسيح بالإنجيل"، أي أنه قد أُرسل إلى هؤلاء أيضًا، لكي يؤمنوا، وبالطبع ليس إيمانًا سطحيًا، بل إيمانًا بالبشارة المفرحة. إن هذا لا يعتبر شيئًا بسيطًا، لأنه يكشف لنا ما هو أهم، وهو أنه ليس البشر فقط، ولا الملائكة، ولا رؤساء الملائكة، ولا أي قوة مخلوقة أخرى، قد عرفوا هذا، لأنه كان سرًا، ولم يكن قد أُعلن بعد.

---

[128] يو٥: ٤٦.

[129] يو٥: ٣٩.

[130] أع١٠: ٤٧.

يقول "**تقدرون أن تفهموا درايتي**". ربما يقصد ما قاله لهؤلاء في أعمال الرسل، أي أن درايته، في أنه يعرف أن الأمم قد دُعوا. وهذه المعرفة، هي التي يدعوها "درايتي بالسر"، وقد قال عن المسيح أنه هو الذي "يخلق الأثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا". لأنه هو وبطرس قد عرفا بالإعلان، أنه لا ينبغي أن يزدريا بالأمم، وهذا ما ذكره في دفاعه:

" الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ " (أف ٣ : ٧).

لقد قال قبلاً "أنا أسير"، لكنه أيضًا ينسب كل شيء لله. "حسب موهبة نعمة الله"، إن إستحقاق هذه الكرامة هو بحسب قوة العطية، إلا أن العطية وحدها لم تكن كافية ما لم يكن قد وضع فيه القوة أيضًا.

٥- إذن فالكرازة كانت عمل عظيم ناتج عن عطية عظيمة، ولم تكن المحاولات الإنسانية مهما كان قدرها كافية لتتميمها. لأنه قدم ثلاثة أمور في الكرازة:

(١) رغبة حارة مع مجازفة.

(٢) نفس مستعدة لاحتمال كل شيء.

(٣) حكمة وتعقل.

لأنه لم يكن كافيًا أن تكون هناك رغبة في الإقدام وتحمل المخاطر، بل كان هناك أمر هام لنوال قوة الروح القدس أيضًا، وكذلك الحياة التي بلا لوم: انظر أولاً إلى شخصه، وإسمع لما يقوله "لئلا تلام الخدمة"[١٣١]، وأيضًا "لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر.. ولا في عِلة طمع"[١٣٢]. أرايت كيف أنه بلا لوم؟ وأيضًا يقول "معتنين بأمور حسنه ليس قدام الرب فقط بل قدام الناس

---

[١٣١] ٢كو ٦ :٣.

[١٣٢] ١تس ٢ :٣ــ ٥.

أيضًا"[133]. ثم بعد ذلك، وبعدما طرح كل هذه الأمور، يكتب "إني بإفتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموتِ كل يوم"[134]، وأيضًا "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم إضطهاد؟"[135]. وأيضًا "في صبرٍ كثيرٍ. في شدائدٍ في ضروراتٍ. في ضيقاتٍ. في ضرباتٍ في سجونٍ "[136].

بعد ذلك يذكر خطته وترتيبه، يقول "صِرتُ لليهود كيهودي. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس"[137]. وأيضًا قد حلق شعر رأسه، وصنع كل شيء لأجل خلاصهم. والأهم من هذا كله، صنع كل هذه الأمور بقوة الروح القدس. "لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي"[138]، وأيضًا "لأنه ما هو الذي نقصتم فيه عن سائر الكنائس"[139]، وأيضًا "لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل وإن كنت لست شيئًا"[140]. لأنه بدون هذه الأمور، ما كان ممكنًا لهم أن يؤمنوا. إذن فإن الناس لم يصبحوا مؤمنين بسبب معجزاته، فلم تكن المعجزات هي السبب في الإيمان، ولم يكن يفكر في الإفتخار بسبب المعجزات، بل يفتخر بسبب أمور أخرى. إذن يجب أن يكون بلا لوم، وأن يكون قادرًا على التدبير، ولا يخشى المخاطرة، وقادرًا على التعليم. لقد أنجز الجزء الأكبر من كرازته عن طريق هذه الصفات، فإن وُجِدَت هذه الصفات فلن يحتاج إلى معجزات.

---

[133] ٢كو٨:٢١.

[134] ١كو١٥:٣١.

[135] رو٨:٣٥.

[136] ٢كو٦:٤ـ٥.

[137] ١كو٩:٢٠ـ٢١.

[138] رو ١٥:١٨.

[139] ٢كو١٢:١٣.

[140] ٢كو١٢:١١.



نحن نري أن الرسول بولس قد أنجز وحقّق الكثير جدًا في كرازته، قبل أن يفعل المعجزات. أما الآن فبرغم إننا لا نمتلك أي شيء من هذه الصفات، إلا أننا نُريد أن نسود على كل شيء. لأنه إن إنفصلت صفة عن الأُخري أصبحت لا فائدة منها. لأنه حقًا ما فائدة أن يكون المرء مُغامرًا ولا يخشى المخاطر، بينما تكون حياته ملومه؟ لأن المسيح يقول "إن كان النور الذي فيك ظلامًا. فالظلام كم يكون"[١٤١]. وما الفائدة إن كانت حياة المرء بلا لوم، في الوقت الذي يكون فيه متوانيًا وكسولاً؟ لأن المسيح يقول "مَنْ لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني"[١٤٢]، و "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف"[١٤٣]. وما الفائدة أن يكون المرء لديه الأثنين[١٤٤]، ولكنه يكون غير قادر على أن يُدير ويُدبر ولا يعرف كيف ينبغي "أن يُجاوب كل واحد"[١٤٥]، إننا نستطيع أن نمتلك تلك الصفات (التي كانت للرسول بولس) حتى وإن كُنا لا نستطيع عمل المعجزات.

ولكن إن كان الرسول بولس قد قدم الكثير، إلا إنه كان ينسب كل شيء للنعمة، هذه هي سمة الخادم الأمين. وما كان لنا أن نعرف ما حققه من إنجازات، إن لم تدفعه الضرورة لإعلان ذلك. تُرى هل نحن مستحقون حتى لمجرد تَذَكُر الرسول بولس؟ فهو وإن كانت النعمة ترافقه وتعضده، إلا أنه لم يكتف بهذا، بل جاز أخطارًا لا حصر لها محتملاً لها جميعًا. أما نحن المحرومون من تلك الدالة وهذه الجرأة، هل لنا أن نصون أو نحفظ أولئك الذين قد أؤتومنا عليهم، أو نُضيف للرعية أولئك البعيدين لينضموا إليها؟

نحن أناس نهتم في كل لحظة وبإجتهاد، بالإنغماس في المتع والملذات، ونطلب الراحة في كل موضع، ولا نستطيع تحمل الأخطار، ولا حتى في الأحلام، بل نقول

---

[١٤١] مت٦:٢٣.

[١٤٢] مت١٠:٣٨.

[١٤٣] يو١٠:١١.

[١٤٤] يقصد أنه لا يخشى المخاطرة لكن حياته ملومة ، أو أن حياته بلا لوم لكنه يسلك بتراخي وكسل.

[١٤٥] كو٤:٦.

إننا لا نُريد إحتمالها. نحن بعيدون كثيرًا عن حكمة القديس بولس، كبُعد السماء عن الأرض، ولذلك فإن رجال اليوم هم بعيدون كثيرًا عن رجال الأزمنة الماضية، فإن تلاميذ تلك الأيام أفضل من معلمي اليوم، رغم أنهم كانوا يعيشون وسط العامة والطغاة، وكانوا يَلقَون مقاومة من الجميع بشكلٍ عام، إلا أنهم لم يخضعوا لهم ولو للحظةٍ.

٦ـ إسمع إذن ماذا يقول لأهل فيلبيي "لأنه وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضًا أن تتألموا لأجله"[١٤٦]، وأيضًا يقول لأهل تسالونيكي "فإنكم أيها الأخوة صِرتم متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية"[١٤٧]. وعندما كتب للعبرانيين قال "لأنكم قبلتم سلب أموالكم بفرح"[١٤٨] ويكتب إلى أهل كولوسي مؤكدًا نفس الأمر "لأنكم قد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله"[١٤٩]، وهو بهذا الكلام يؤكد على حقيقة الأخطار التي إجتازوها. ويكتب إلى أهل غلاطية قائلاً: "أهذا المقدار إحتملتم عبثًا إن كان عبثًا"[١٥٠]. وأنت ترى أن هؤلاء جميعًا قد تفرغوا لعمل الخير. ولذلك كانت النعمة تعمل في تلك الأيام، وهكذا عاشوا في أعمال صالحة. إسمع ماذا كتب إلى أهل كورنثوس الذين وبخهم بأمورٍ كثيرة، غير أنه لم يشأ أن يثبت ذلك عليهم، عندما يقول "هوذا حُزنكم أنشأ فيكم من الشوق بل من الغيرة"[١٥١]، وأيضًا ما قاله لأهل كورنثوس بخصوص تيطس[١٥٢].

---

[١٤٦] في١:٢٩.

[١٤٧] ١تس٢:١٤.

[١٤٨] عب١٠:٣٤.

[١٤٩] كو٣:٣.

[١٥٠] غل٣:٤.

[١٥١] ٢كو٧:١١.

[١٥٢] ٢كو٨:١٦ـ١٧.



هذه الأمور لا يستطيع المرء أن يراها اليوم ولا حتى في المعلمين، حتى أن كل شيء يبدو قد فُقد وتلاشى. والسبب في ذلك هو فتور المحبة، وأن الخطاة لا يُعَاقَبون. إسمع إذن ما قاله الرسول بولس لتيموثاوس "الذين يُخطئون وبخهم أمام الجميع"[١٥٣]. كذلك أيضًا فإن القادة قد أصابهم المرض، فإن كان الرأس سقيمًا، فكيف يمكن أن يكون باقي الجسد صحيحًا مُعافًا؟ لاحظ إذن مدى حجم الأمور غير المألوفة التي تسود الآن. لأن أولئك الذين كانوا يعيشون بإستقامة، وكان لديهم جرأة ودالة، قد سكنوا قمم الجبال، ورحلوا من هذا العالم، بعدما إنفصلوا عن إهتمامات الجسد، وكأن هذا الجسد غريب وليس خاصًا بهم. لقد دخل الفساد إلى الكنائس، وإخترقتها شرور وخطايا كثيرة، وإنتهي الأمر بضمائر القادة إلى أن أصبحت تُباع وتُشترى. وبسبب هذا نشأت شرور لا حصر لها، ولم يَعُد يوجد أحد بإمكانه تصحيح هذه الأوضاع، ولا أحد ليوبخهم. بل إن الفوضى وعدم النظام إتخذ له طريقًا وإستمر هكذا في مسيرته. هل أخطأ أحد وأُدين لأجل هذا؟ إن من يخطئ لا يسعي لأثبات براءته، لكنه يحاول أن يجد آخرين ليشاركوه في جريمته. وقد يقول، ما الذي سوف يصيبني من جرّاء التهديد بجهنم؟

٧- صدقوني، لو لم يكن الله قد أعد لنا عقابًا في الدهر الآتي لرأيتم مآسي أكبر من مآسي اليهود تحدث يوميًا. ما معني هذا؟ لا ينبغي أن يغضب أحد، لأنني لن أذكر أسماء، فلو أن شخصًا جاء إلى الكنيسة بهدف أن يفحصكم أنتم الموجودين معنا هنا الآن، أو من الأفضل أن نقول ليس الآن، بل لو أن شخصًا فحص بدقة، أولئك الذين يأتون ويعتمدون، بعد التناول من الأسرار المقدسة يوم الإحتفال بالقيامة، واراد أن يعرف بدقة أعمالهم وقد وُهَبَ نعمة الأفراز والتمييز، فإنه سيجد خطايا كثيرة أثقل من خطايا اليهود. وسيكون في مقدرته أن يجد أناسًا وقد سلموا أنفسهم للشعوذة، والسحر والعرافة، وآخرين يعملون بالدعارة والزنا،

---

[١٥٣] ١تيمو ٥: ٢٠.

وكذلك مَن يسكرون ويشتمون ولا أريد أن أتحدث عن الطمع، لربما أُسيئ لبعض ممًا يتواجدون هنا.

ماذا لو أن شخصًا أراد أن يفحص جميع الذين يعيشون في المسكونة بأسرها، فهل تتصور أن يجد خطية لم ترتكب؟ وماذا عن القادة والحكام؟ ألا يجدهم يشتهون المال، ويتاجرون بالمناصب، حاسدين، يزهون بذواتهم، شرهين، عبيدًا للمال؟ إذن حين يسود الجحود والشر إلى هذا الحد، فأية كوارث لا نتوقعها؟ ولكي تعرفوا مقدار العِقَاب الذي سيلحق بأولئك الذين تسود عليهم هذه الخطايا، تأملوا النماذج التي عاشت في العهد القديم. عندما سرق جندي جزء من الأموال المقدسة، هَلَكَ الجميع. تري هل تعرفون التاريخ؟ إنني أتحدث عن عخان إبن كرمي الذي سرق المقدسات. ومن أجل هذا قال النبي "إمتلأت الأرض من المنجمين والأجانب"[١٥٤] إن الشر يسود الآن في كل مكان، ولا أحد يخاف الله. فلنخف الله إذن، لأن الله يدين الأبرار مع الأشرار، كما حدث مع دانيال والثلاثة فتيه، وكما يحدث لأعداد لا حصر لها، وكما يحدث في الحروب التي تنشب الآن أيضًا. لأن هؤلاء من ناحية يتخلصون من ثقل خطاياهم عن طريق هذه العقوبات، أما أولئك فلا يتخلصون من خطاياهم بسبب تقسي قلوبهم، ومن أجل هذا كله فلنلاحظ أنفسنا. ألا ترون الحروب الحادثة؟ ألا تسمعون عن الكوارث؟ ألا تمتثلون وتخضعون لإرادة الله، بسبب هذه الأشياء؟ إن أممًا ومدنًا قد إبتُلعت بكاملها وفُقدت، وأستُعبد الآلاف للبربر، وإن لم نكن قد وصلنا إلى تعقل وحكمة أكثر، من خلال الإنذار بجهنم، فعلى الأقل لنبتعد عن هذه الشرور.

وهل هذه الأمور كانت مجرد تهديدات ولم تحدث بالفعل؟ لقد نال هؤلاء عقابًا قاسيًا، إلا أننا سننال نحن عقابًا أشد، إن كنا لا نفيق وندرك ما حدث من كوارث للقدماء. أعرف أن حديثي مزعج، ولكن إن إنتبهنا له، فإنه سيعود

[١٥٤] أنظر إش٢:٦.



بالفائدة. لا ينبغي بالطبع أن نتحدث دائمًا عن كل ما هو مفرح، بل نتكلم عن كل ما يحمل قوة ليجعل النفس أكثر إتضاعًا وأكثر حكمة. لأن هذه ستكون لنا أساسًا للخيرات المستقبلية والتي ليتنا جميعًا ننالها في المسيح يسوع الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة السابعة: (أفسس٣: ٨ـ٢١)

" لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا " (أف٣: ٨ـ١١).

١ـ أولئك الذين يأتون إلى عيادة الطبيب، لا ينبغي أن يكتفوا بمجرد الذهاب إلى هناك، بل يجب أن يتعلموا كيف يُعالجون أنفسهم، وكيف يستخدمون الدواء. ونحن أيضًا الذين نأتي إلى الكنيسة، لا يجب أن نأتِ بسطحية وعدم تبصر، بل لكي نتعلم التواضع البالغ القيمة الذي للقديس بولس. ماذا يعني هذا؟ يعني أنه عندما أراد أن يتكلم عن عظمة نعمة الله، ماذا قال:

قال: "لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هذِهِ النِّعْمَةُ " (أف٣: ٨).

هذا الكلام يأتي نتيجة للتواضع، ولهذا فهو يحزن على إرتكاب الخطايا والتعديات السابقة، وهو حين يتذكرها يتضع، مثلما قال عن نفسه إنه كان "مجدفًا ومضطهدًا وفقيرًا". لكن لا شيء يعادل هذا الوضع الجديد الذي هو فيه. لقد قال قبلاً (كنت مجدفًا ومضطهدًا وفقيرًا)، ودعا نفسه "مثل السقط"، ولكن عندما إتضع بعد أن صنع وحقق أعمالاً عظيمة، قال عن نفسه "أصغر جميع القديسين"، كان هذا كله نتيجة لتواضع لا حدود له.

يقول "لي أنا أصغر جميع القديسين". لم يقل أصغر الرسل، إذ أن ذلك التصغير "أصغر جميع القديسين" هو أقل من أصغر الرسل أي أنه قال هناك "أنا الذي لست



أهلاً أن أُدعى رسولاً"[155]. لكنه هنا يقول "أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة". وما هي هذه النعمة؟

" أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ"(أف٣: ٩ـ١٠).

حتى أن هذا السر لم يُستعلن لبشر، لكن هل ينير الملائكة ورؤساء الملائكة والسلاطين والرؤساء؟ يقول نعم، لأنه كان مكتومًا في الله خالق الجميع بيسوع المسيح". وهل تجرؤ يا بولس أن تتكلم بهذا الأمر؟ يقول نعم أجرؤ لكن كيف أُعلن للملائكة؟ أُعلِن "بواسطة الكنيسة". ولم يقل فقط "حِكمة الله المتنوعة"، بل قال "حِكمة الله الكثيرة التنوع"[156]. إذن ماذا يعني هذا الكلام، ألم يعرفه الملائكة؟ بالطبع لم يعرفوه، فإن كان الرؤساء لم يعرفوه، فبالأكثر جدًا لم يكن من الممكن أن تعرفه الملائكة. ماذا إذن؟ هل رؤساء الملائكة أيضًا لم يعرفوه؟ نعم ولا هؤلاء أيضًا. ومن أين لهم أن يعرفوه، ومَن هو ذاك الذي سيعلنه؟ سُيعلن بواسطتنا لأننا عرفناه، فصار من الممكن أن تعرفه الملائكة ورؤساء الملائكة. إسمع الملاك الذي يقول ليوسف "وتدعو إسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[157].

٢ـ إذن فقد أُرسل القديس بولس للأمم، بينما الرسل الآخرون قد أُرسلوا لليهود. فهو يقول إن الرسالة العجيبة والمدهشة جدًا، قد أُعطيت لي أنا أصغر جميع القديسين. وهذا هو عمل النعمة، أن تُعطي أو تُسلّم الأمور العظيمة إلى أيدي الصغير، أن يصير كارزًا بالإنجيل للأمم لأن ذاك الذي صار كارزًا بالإنجيل

[155] ١كو١٥: ٩.

[156] بحسب النص اليوناني الذي رجع إليه القديس يوحنا ذهبي الفم.

[157] مت١: ٢١.

لكثيرين، قد صار عظيمًا، والسبب هو "أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصي". فإن كان غناه لا يُستقصي، بعد أن ظهر (في الجسد)، فبالأكثر جدًا يكون جوهره، وإن كان لا يزال سرًا[158]، فإن كان مازال سرًا، فبالأكثر جدًا قبل أن يُعرفَّ.

ولهذا فقد دعاه سرًا، لأن الملائكة لم يكونوا يعرفونه، ولم يُعلن لآخر قط. ثم يقول: "**وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح**".

أن ما عرفه الملائكة هو فقط "إن قسم الرب (نصيب) هو شعبه"[159]، وأيضًا "رئيس مملكة فارس وقف مقابلي (قاومني) واحدًا وعشرين يومًا وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي"[160]. ولذلك فلا يوجد ما يدعو للغرابة في أن الملائكة لم يكونوا يعرفون هذا السر. لأنه إن كانوا لم يعرفوا الأمور المختصة بالعودة من السبي، فبالأكثر جدًا لم يعرفوا الأمور المختصة (بسر المسيح)، وهذا ما يقوله الإنجيل "الذي يخلص شعبه"، ولم يذكر شيئًا عن الأمم. إلا أن الروح القدس قد أعلن ما يختص بالأمم. فمن حيث إن الأمم قد دُعوا، فالملائكة بالطبع كانوا يعرفون هذا، أما من حيث إنهم دُعوا للتمتع بنفس الهبات والإمتيازات التي أُعطيت لليهود، وأن يجلسوا بالقرب من العرش الإلهي، فمَنْ كان يتوقع هذا؟ مَنْ كان يصدق ذلك؟ يقول "**السر المكتوم منذ الدهور في الله**". هذا التدبير السري يُعلنه الرسول بولس بشكل أكثر وضوحًا في الرسالة إلى رومية. يقول "في الله خالق الجميع بيسوع المسيح"، وبالصواب قال: "بيسوع المسيح". لأن ذاك الذي خلق كل شيء بيسوع المسيح، يعلن به هذا (السر) أيضًا لأن "بغيره لم يكن شيئًا مما

---

[158] وقد أعلن الكتاب أن التجسد هو سر. كما جاء في رسالة القديس بولس إلى تلميذه تيموثاوس "عظيم هو سر التقوي الله ظهر في الجسد" (اتيمو٣:١٦).

[159] تث٣٢:٨ـ٩.

[160] دا١٠:١٣.

كان"[١٦١]. وعندما يتكلّم عن الرؤساء والسلاطين يكون قد شَمَلَ الذين فوق، والذين أسفل.

" **حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ (أي حسب قصد إرادته الأزلية)" (أف٣: ١١).**

يقول إنه أُعلِنَ الآن، إلا أنه لم يتقرر الآن (أي سبق تدبيره منذ الأزل)، وتقرر من فوق. "**حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا**"، أي بحسب سابق علمه الأزلي، لأنه كان يعرف مقدمًا الأمور المستقبلية والأمور التي ستحدث، وهكذا فقد حددها أو عينها. "حسب قصد الدهور"، تلك التي خلقها بيسوع المسيح. أي أن كل شيء قد خُلِقَ بيسوع المسيح.

يقول " الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ " (أف٣: ١٢).

أي لم نُقاد كأسرى، ولا كأناس يطلبون الصفح، ولا كمذنبين. لأنه يقول "لنا جراءة وقدوم بإيمان عن ثقة" أي بشجاعة. من أين أتت؟ من الإيمان بالمسيح.

٣ــ " لِذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لاَ تَكِلُّوا فِي شَدَائِدِي لأَجْلِكُمُ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ " (أف٣: ١٣).

كيف تكون لأجلهم؟ وكيف تكون لمجدهم؟ هذا راجع إلى أن محبة الله لهم كانت فائقة، حتى أنه بذل إبنه الوحيد لأجلهم، وجعل خدامه يجوزون المتاعب لأجلهم. لأنه لكي ينال هؤلاء كل هذه الخيرات، سُجِن بولس من أجلهم. إذن فهذا ناتج من محبة الله الفائقة لهم، الأمر الذي يقوله الله بالأنبياء "أقتلهم بأقوال فمي"[١٦٢]. لكن كيف فقدوا شجاعتهم، بينما آخر يتألم؟ يضطرب ويتزعزع، لقد قال ذلك عندما كتب إلى أهل تسالونيكي قائلاً: "كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات"[١٦٣]. فليس فقط يجب ألا نحزن، بل ينبغي أن نفرح أيضًا. فإن كنتم قد

---

[١٦١] يو ١: ٣.

[١٦٢] هو ٦: ٥.

[١٦٣] ١تس٣: ٣.



تعزيتم بالنبوة، فقد سبق وقلنا لكم، أننا سنُعاني هنا، لماذا؟ لأن هكذا قال الرب (في العالم سيكون لكم ضيق).

" **بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ " (أف٣: ١٤ــ١٥).**

إنه يُظهر هنا رغبته في الصلاة لأجلهم. لم يقل فقط أصلي، بل رفع تضرعًا بإنسكاب داخلي بإحناء الرُكَب. "الذي منه تُسمي كل عشيرة" أي الذي خلقها ليس وفقًا لعدد الملائكة، بل خلق بحسب وضع كل عشيرة في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، وليس بحسب اليهود.

" **لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ " (أف٣: ١٦ــ١٧).**

لاحظ مدى الغيرة التي يصلي بها لكي تحل الخيرات على هؤلاء حتى لا يعودوا إلى حياتهم القديمة. كيف حدث هذا؟

"بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم". كيف؟

" **وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ " (أف٣: ١٨ــ١٩).**

ما صلى من أجله في بداية الرسالة، هذا ما يُصليه الآن.

ماذا قال في بداية الرسالة؟ قال: "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين" والآن يقول الكلام ذاته "حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع



القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو" أي تعرفوا معرفة دقيقة، السر الذي رتبته العناية الإلهية لأجلنا "العرض والطول والعمق"، أي ما اقتضته محبة الله الفائقة في كل مكان. لقد شبّه أبعاد هذه المحبة، بالأعضاء الجسدية التي تكوّن أو تشكّل الإنسان، شمل ما هو فوق، وما هو أسفل، وكل شيء بشكل عام. لأنه إذا كنت تقول إنني أعلم بكل هذا، فذلك لا يرجع إلى قدراتي على الكلام، بل لقوة الروح القدس العامل فيّ. يقول "أن تتأيدوا بالقوة (قوة الروح القدس)"، في التجارب تبقوا ثابتين في الإيمان. حتى أنه لا توجد طريقة أخرى يمكن أن تتشدد بها إلا بالروح القدس، سواء كان هذا بسبب التجارب أو بسبب الأفكار الجسدية.

أما عن كيفية حلول المسيح بالإيمان في قلوبنا، إسمع المسيح نفسه الذي يقول "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"[١٦٤]، إنه يحل في القلوب التي تؤمن، والمتأصلة في محبته، والراسخة في الإيمان. يقول "حتى تستطيعوا"، لأن الأمر يتطلب قوة عظيمة.

" لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ. وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شيء، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا " (أف٣: ٢٠).

ومن حيث أنه صنع أكثر مما نطلب أو نفتكر، فهذا واضح مما كتبه الرسول بولس. لأنه يقول، إنني أصلي، لكن المسيح سيصنع أكثر جدًا مما أطلب حتى بدون صلاتي، وليس فقط أعظم أو أكثر مما أطلب، بل "أكثر جدًا"، وهذا واضح من "القوة التي تعمل فينا"، لأننا لم نطلب هذه الأشياء أبدًا، ولا إنتظرناها.

" لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ " (أف٣: ٢١).

حسنًا ختم كلامه بتسبحة وتمجيد. لأنه يليق بمَنْ منحنا كل هذه الهبات أن يُمَجَد ويُبَارَك لأن هذا هو بعض من الإمتنان لعظمة وفيض تلك العطايا التي وهبنا

[١٦٤] يو ١٤: ٢٣.

إياها الله بيسوع المسيح. "له المجد في الكنيسة" وحسنًا جدًا قال هذا، لأن الكنيسة هي وحدها الباقية إلى الأبد.

٤. من الضروري أن نبيّن ما هي "العشيرة"، لأنه بالنسبة للحياة الحاضرة هناك عشائر، أي أجناس، ولكن كيف توجد في السماء عشائر، حيث لا يُولد أحد من آخر؟ إما أنه يدعو رتب السمائيين "عشائر"، كما هو مكتوب "عشيرة مطري"[١٦٥]، أو أنها مُستمده من لقب الأب أو الآباء. إذن لم يسأل الرسول بولس كل شيء من الله، لكنه طلب منهم الإيمان، والمحبة، وليس فقط المحبة، بل المحبة المتجذرة والمتأصلة، التي لا تحركها ريح، ولا يُسقطها أي شيء آخر.

وقد سبق أن قال إن الشدائد مجد، فهو يقول إن كانت شدائدي هي مجدًا لكم، فبالأكثر جدًا تكون شدائدكم أنتم. ورغم هذه الشدائد، إلا أنه كان يصلي أيضًا، حتى أننا حين نُترك لا ينبغي أن نتضايق، لأن الذي وهبنا كل هذه العطايا، لن يتخلى عنا. فإن كنا في إحتياج إلى صلاة القديس بولس، فهذا لكي نعرف محبة الله، فنحن نحتاج إلى روح تعضيد، فمن ذا الذي يستطيع أن يعرف طبيعة المسيح إذا إعتمد على الأفكار الإنسانية؟ وهل يصعب علينا أن نعرف أن الله يُحبنا؟ إنه أمر صعب جدًا أيها الأحباء. ولأن البعض يجهل أن الله يحبنا، فلهذا يقول إن شرورًا لا حصر لها تحدث في العالم، والبعض يجهل محبة الله الفائقة لنا. والرسول بولس أيضًا لم يطلب أن يعرف مقدار تلك المحبة ولا قياسها، تُرىّ، لماذا ؟ لأنه يريدنا أن نعرف أن محبته لنا فائقة وعظيمة. ويقول إنه قادر أن يُدلل على هذا، من خلال المعرفة التي إستحققناها نحن. فهل يوجد ما هو أعظم من أن يستند الإنسان علي قوة الله، وأن يحل المسيح في داخله؟ إن ما نطلبه كثير، لكن الله يعرف أن يمنح أكثر جدًا مما نطلب، ذلك لأنه ليس فقط يُحبنا، بل يُحبنا بشكل فائق الوصف.

---

[١٦٥] ١صم١٠:٢١.



أيها الأحباء، لنحرص على اختبار محبة الله. هذا شيء عظيم حقًا، فليس هناك ما يفيدنا أكثر من محبة الله، ولا شيء يقودنا إلى التغيير سوى محبة الله، هذه المحبة قادرة أن تسود على النفس، أكثر من الخوف من جهنم. ولكن من أين لنا أن نُدرك هذه المحبة؟ ندركها مما قيل سابقًا، ومن الأمور التي تحدث كل يوم. ولماذا حدث كل هذا؟ وهل هناك ضرورة دفعت الله للمحبة؟ ليس هناك أي ضرورة. السبب الذي يطرحه في كل موضع، هو المحبة، وهذه هي المحبة أن يَحسِن للبشر، دون أن ينتظر منهم شيئًا.

٥- إذن لنتمثل نحن أيضًا بمحبة المسيح. لنصنع الخير نحو الأعداء، ولنحتمل أولئك الذين يبغضوننا، والذين يتحولون عنّا. هذا يجعلنا مماثلين لله. لأنه يقول "لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم. أليس العشارون أيضًا يفعلون هكذا"[١٦٦]. لكن ما هو الدليل على المحبة؟ أن يُحب المرء ذاك الذي يُبغضه. أسمحوا لي أن أذكر لكم مثالاً، أجده في الأمور غير الروحية لأنني لا يمكنني أن أجده في الأمور الروحية. ألا ترون أولئك المأسورين بالعشق؟ فبينما يكون هؤلاء محتقرين جدًا ممن يحبون وتدبر لهم الدسائس، ويتكبدون خسارة فادحة، إلا أنهم يتطلعون لعشيقاتهم، ويشتعلون بالحب، ويحبوهن أكثر من أنفسهم، بل ويسهرون على أعتاب بيوتهن؟ لنأخذه لنا مثالاً، لا لكي نُحب مثل هذه النوعية من النساء، أقصد الزانيات، بل لتكن محبتنا للأعداء على هذا النحو.

فلتخبرني إذن، ألا يعامل هؤلاء النساء، أولئك المُحبين لهن، بصورة أكثر مهانة من معاملة الأعداء، ألا يجعلونهم يُنفقون كل ثرواتهم عليهن، ثم يحتقرونهم علانية، ويأمروهم على ممارسة أمور أكثر صعوبة من تلك التي يأمرون بها عبيدهن؟ برغم أنه لا يستطيع أحد أن يُلاقي مثل هذا مِن العدو، كما يُلاقي المحب من محبوبته التي تُسيئ معاملته، وتحتقره، وبقدر ما تزداد محبته لها، بقدر ما تحتقره أكثر، وتصبح سببًا في إفساده أكثر. فهل هناك نفس أكثر قسوة

---

[١٦٦] مت٥: ٤٦.

ووحشية، من تلك النفس التي تتصرف هكذا، وعلى الرغم من ذلك يبقي المحب أمينًا في حبه لها.

إلا أننا قد نجد هذه المحبة في الأمور الروحية، ولكن ليس في هذه الأيام التي فَتُرت فيها، بل نجدها لدى الرجال العظماء القدماء. **فالمطوب موسى** فاق في محبته أولئك الذين يحبون محبة الهوى. كيف؟ أولاً بعدما ترك البلاط الملكي بما يحمله من تنعم ومتع، وخدم وأمجاد، وفضّل أن يكون مع شعبه الأسرائيلي، رغم أنه ليس فقط لا يستطيع أحد أن يصنع هذا، بل سيخجل عندما يراقبه آخر ويظهر أنه قريب لعبيده، وليس فقط عبيد، بل كانوا يُعَدون دنسين. إلا أن موسى ليس فقط لم يشعر بخجل نحو هذه القرابة، بل دافع عن شعبه بقوة شديدة، وعرّض نفسه للأخطار من أجله. كيف؟ لقد رأى شخصًا يَظلم، فدافع عن المظلوم، وقتل الظالم.

غير أن شيئًا مثل هذا لم يحدث تجاه الأعداء، نعم كان هذا أمرًا عظيمًا، ولكن ليس بقدر عظمة ما حدث بعد ذلك. ففي اليوم التالي رأى نفس الحدث، رأى أن من دافع عنه يظلم غيره، ونصحه أن يتوقف عن ظلم أخيه، ولكن ذاك رد عليه بجحود: "مَن جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا"[١٦٧]. هل هناك مَن لا تغضبه هذه الكلمات؟ فإن كان الحدث السابق، قد وقع بسبب الغضب وإضطراب في الذهن، لكان في إمكان موسى أن يقتل هذا أيضًا. لأنه ولا ذاك الذي أنصفه كان بمقدوره أن يُدينه بل لأنهما كانا أَخوين فقد تكلم بهذا. وعندما ظُلم، لم يَقل "مَن جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا؟" ولماذا لم يَقُل هذا الكلام قبل ذلك؟ لو قال هذا، لأجابه موسى قائلاً، إن ظلمك وقساوتك، قد جعلاني رئيسًا وقاضيًا.

ولك أن تلاحظ أن البعض يوجه هذا الكلام الآن إلى الله، وأيضًا يريدونه قاسيًا في مواجهة ظالميهم، ويَشكُون طول أناته على ما يُظلَمون فيه، أما عندما يَظلمُون، فإنهم لا يطلبون شيئًا مثل هذا على الإطلاق. هل يوجد أكثر مرارة من

---

[١٦٧] خر٢: ١٤.



هذا الكلام؟ لكنه بعد كل ذلك، أُرسِل إلى هؤلاء الجاحدين الناكرين للجميل ولم يَرفُض، بل إنه بعد كل الآيات والعجائب التي صنعها، أراد هذا الشعب أن يرجمه عدة مرات، ونجا من أيديهم، ودائمًا ما كانوا يتمردون عليه، لكنه أحبهم حبًا قويًا، حتى أنه عندما اخطأوا تلك الخطيئة الشنعاء توّجه إلى الله قائلاً "والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فأمحني من كتابك الذي كتبت"[١٦٨]. يقول إنني أُفَضِل أن أهلك مع هؤلاء، على أن أخلص بدونهم. إنه بالحقيقة حُب قوي وفائق للوصف. ماذا تقول يا موسى؟ ألا تبالي بالسماء؟ بلى، ولكنني أقول ذلك لأني أحب الذين ظلموني. أتطلب أن يُمحي إسمك من الكتاب الذي كتبه الله؟ وما الذي سأعانيه، هكذا يقول، طالما أن المحبة هي التي تلزمني أن أفعل هذا؟

وماذا حدث بعد ذلك؟ إسمع ماذا يقول الكتاب في موضع آخر "تأذى موسى بسببهم"[١٦٩]. كم مرة إزدروا به كم مرة رفضوه ورفضوا أخاه وكم مرة طلبوا أن يرجعوا إلى مصر؟ وبعد كل هذا ظلت محبته لهم مشتعلة، وكان مستعدًا ليتألم من أجلهم. هكذا يجب على المرء أن يحب أعداءه، محتملاً الضربات والبؤس، وأن يفعل كل شيء من أجلهم، ويشتهي خلاصهم. ألم يطلب بولس أن يكون محرومًا من المسيح لأجل أخوته؟

ولكن هناك ضرورة أن يكون المثل الأعلى الذي تقتدي به هو الرب. لأنه هكذا يسلك الرب بمحبة فائقة، إذ يقول "فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين"[١٧٠]. إن المسيح يأخذ المثال من الآب، أما نحن فنأخذ المثال من المسيح نفسه. لقد أتى لأجل هؤلاء، أي بحسب تدبير الله، صار عبدًا من أجلهم، إتضع وأخلي ذاته من أجلهم، أخذ شكل العبد، عندما جاء إليهم لم يمض إلى طريق

---

[١٦٨] خر ٣٢:٣٢.

[١٦٩] مز ١٠٦:٣٢.

[١٧٠] مت ٥:٤٥.

أمم، وأوصى تلاميذه بنفس الوصية، وليس هذا فقط، بل كان يجول يشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب.

ماذا إذن؟ لقد إندهش الجميع وتعجبوا وقالوا "من أين لهذا هذه كلها؟" بينما هؤلاء الذين أحسن إليهم، قالوا "به شيطان"، "وهو يجدف"، "ويضل الشعب"، "وإنه مُضلّ". تُرى هل نبذ أو هجر هؤلاء؟ لم يحدث هذا أبدًا، بل إنه حين سمع هذا الكلام، أحسن إليهم بالأكثر، وذهب إلى هؤلاء الذين كانوا مزمعين أن يصلبوه، فقط لكي يخلصهم. وماذا قال بعدما صُلب؟ قال "يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"[171]. وقَبِلَ هذا، حيث عُذّب، وبعدما إجتاز كل الآلام، وحتى النفس الأخير، صنع كل شيء من أجل هؤلاء، وصلى لأجلهم. وما الذي لم يفعله لأجل هؤلاء بعد الصليب؟ ألم يُرسل رسلاً؟ ألم يُجري معجزات؟ ألم يجعل كل المسكونة تهتز؟ هكذا ينبغي أن نُحِب الأعداء، هكذا نتمثل بالمسيح.

وهكذا فعل الرسول بولس، فقد رُجِم، وجاز آلاما لا حصر لها، وصنع كل شيء لأجل خير هؤلاء. إسمعه هو نفسه وهو يقول: "إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص"[172]، وأيضًا "لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله"[173]، وأيضًا "إن كنت أنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطُعِمتْ بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة فكم بالحري يطعم هؤلاء الذي هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة"[174]. **ألا يظهر من كل هذه الأقوال التي قيلت مقدار الحنو والمحبة الشديدة التي يحملها لهم؟ إن التعبير عن مدى هذا الحب وهذا الحنو أمر غير ممكن. هكذا يجب أن نُحب الأعداء، هذا هو معني أن نُحِب الله، الذي أوصانا بأن نحب، وسلّم لنا هذه الوصية كناموس جديد للحياة، ونحن إذ نتمثل به، ينبغي أن**

---

[171] لو٢٣:٣٤.

[172] رو١٠:١.

[173] رو١٠:٢.

[174] رو١١:٢٤.



تُحب العدو. وعليك أن تدرك أنك حين تُحِب عدوك فأنت لا تُحِسن إليه، بقدر ما تُحِسن إلى نفسك، وحين تصنع هذا فأنت تطيع الله.

ونحن إذ نعرف هذه الأمور، نطلب أن تسود المحبة فيما بيننا، حتى أنه بعدما تتحقق هذه المحبة بشكل تام وكامل، ننال الخيرات التي وَعَدنا بها ربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.





الإصحاح الرابع

الإصحاح الرابع

العظة الثامنة: (أفسس٤:١)

" فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ " (أف ٤ : ١ــ٢).

إن فضيلة المعلمين تتضح وتُستعلن في عدم طلب كرامة أو مجد من تلاميذهم، بل إن ما يَصبون إليه هو خلاص نفوسهم فقط، كما أنهم وهم بصدد تحقيق هذا الهدف يبذلون قصاري جهدهم، لأن من يطلب المجد والكرامة ليس بمعلم، بل مستبد. لأن الله لم يجعلك معلمًا لهم، حتى تتمتع برعاية أكثر، بل لكي تتجاوز أمورك الخاصة، وتعتني بأحوالهم وتسعى إلى بنائهم. هذا هو عمل المعلم، وهكذا كان المطوب بولس، فقد تحرر تمامًا من الزهو والإفتخار، وسلك كما لو كان شخصًا عاديًا وسط كثيرين وربما أصغر منهم. ولذلك كان يدعو نفسه خادمهم، وقد تكلّم كثيرًا مع هؤلاء، كما لو كان عبدًا. لاحظ كيف وهو يكتب لأهل أفسس، لم يكن يوجه لهم أمرًا ولم يحدثهم بتعالي بل بطريقة المتوسل والمتواضع.

يقول "فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها" ماذا تطلب؟ أخبرني هل تسعي أن تربح أنت شيئًا؟ لا على الإطلاق، بل يقول لكي أُخَلِص آخرين. إلا أن أولئك الذين يتوسلون أو يترجون، يكون هدفهم تحقيق تلك الأشياء التي هي موضع إهتمامهم، فهو يقول ما يهمني قد كتبته في موضع آخر "لأننا الآن نعيش إن ثبتم أنتم في الرب"[١٧٥]. لأن شهوة نفسه الشديدة هي في تتميم خلاص تلاميذه. يقول "أنا الأسير في الرب" إنه مقام عظيم، وأعظم من أجواء القصور الملكية وقصور النبلاء، بل وأعظم من كل شيء الأمر، الذي قاله

[١٧٥] ١تس٣:٨.



لفليمون حين يكتب له قائلاً "إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح"[١٧٦].

إذن فهو لا يرى شيئًا أكثر إشراقًا من هذا الأسر في المسيح، ومن تلك السلاسل التي قيدتا هاتين اليدين المقدستين، ومن أن يكون معلمًا، أو رسولاً، أو مبشرًا. فالأكثر بهاءً من كل شيء هو أن يكون مقيدًا لأجل المسيح، فمن يُحِب المسيح، يعرف ما نقوله، مَنْ يعرف أن يحب بشدة، ويكون منشغلاً بهذه المحبة للرب، يستطيع أن يختبر قوة الأسر، وسيُفَضِل أن يُسجن لأجل المسيح على أن يسكن في السماوات. لقد أظهرت هذه السلاسل يدية أكثر بهاءًا من كل زينه ذهبية ومن كل تاج ملكي. فليست التيجان المرصعة بالأحجار الكريمة هي التي تجعل الرأس مشرقة وبهية، بل إن البهاء والمجد يكمن في تلك السلاسل الحديدية التي تكبل اليدين من أجل المسيح. وبالتالي السجن أكثر بهاءً من القصور الملكية ومن السماء نفسها، ولماذا أقول أبهى من القصور الملكية؟ لأنه كان أسيرًا فيه لأجل المسيح.

إن مَنْ يحب المسيح يعرف هذه المكانة، يعرف هذه الفضيلة، ومقدار النعمة العظيمة، التي تُعطي لجنس البشر الإمكانية لأن يُسجن من أجل المسيح. **أن يُسجن المرء من أجل المسيح، يعتبر أبهي وأمجد من أن يجلس عن يمينه، بل وأبهى من أن يجلس على أثني عشر عرشٍ، هذا الحدث أكثر عظمةٍ ومجدٍ.** ولماذا أتحدث عن الأمور الإنسانية؟ أشعر بالخجل لأني أُقارن الثراء والزينة الذهبية بالسجن، أما من جهة تلك الأمور العظيمة، فحتى وإن لم يكن الرسول بولس قد نال أي مكافأة من أجل الآلام التي جازها، فهذا بحد ذاته يُعد مكافأة، أي أن يُعاني المرء هذه الآلام من أجل المحبوب، فهذا تعويض كافٍ.

---

[١٧٦] غل ١:٩.

هذا الكلام يعرفه أولئك الذين يحبون، حتى وإن لم يكن الحُب لله، بل للبشر، هؤلاء يفرحون أكثر حين يُعانون، أكثر منه حين يُكرّمون ممن يحبون. إن المعرفة الجيدة لتلك الأمور تعود إلى تلك الجماعة المقدسة، أي للرسل. إسمع المطوب لوقا الذي يقول "أما هم فذهبوا فرحين من أمام الجميع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه"[١٧٧]. قد يبدو هذا في نظر الآخرين، مثارًا للسخرية، أن نقول حُسبوا مستأهلين أن يهانوا، وإنه لفرح أن يهان المرء، ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين يعرفون مقدار الشوق الشديد للمسيح، فهذا يُعَّد أمرًا يستحق الغبطة والفرح أكثر من أي شيء آخر. فلو أن واحدًا خَيرَّني بين أن يمنحني السماء كلها، وبين تلك السلاسل، لفضّلت هذه السلاسل. ولو خَيرَني أحد بين الجلوس في الأعالي مع الملائكة، وبين الجلوس مع بولس في السجن، لفضّلت السجن. ولو خَيرَني بأن أكون في معية تلك القوات السمائية التي هي حول العرش السمائي، أو أكون مثل بولس السجين، لفضّلت أن أكون سجينًا. لا يوجد شيء أكثر إستحقاقًا للغبطة والتطويب من تلك السلاسل. إنني أرغب أن أُوجد في تلك الأماكن، إذ يُقال أن السلاسل، مازالت موجودة، حقًا إني مُعجب بأؤلئك الرجال بسبب محبتهم للمسيح. لدّي رغبة في أن أري تلك السلاسل التي كانت الشياطين تخاف منها وترتعب، ولكن الملائكة كانت توقرها وتمجدها.

٢ـ لا يوجد شيء أفضل من أن يحتمل شخص الآلام من أجل المسيح. إنني لا أطوب بولس لأنه أُختطف إلى الفردوس، بقدر ما أطوبه لأنه أُلقي في السجن. لا أطوبه بهذا القدر لأنه سمع كلمات لا يُنطق بها، بقدر ما أُطوبه لأنه تحّمل تلك القيود. أما من حيث إن هذه السلاسل هي أعظم من كل هذا، إسمع كيف أنه هو نفسه يؤكد على ذلك، لأنه لم يقل "أطلب إليكم أنا الذي سمعت كلمات لا ينطق بها"، لكن ماذا قال؟ قال "أطلب إليكم أنا الأسير في الرب". فإن كان لم

---

[١٧٧] أع٥:٤١.



يكتب هذا في كل رسائله، فهذا لا يدعو للحيرة، لأنه لم يكن مسجونًا على الدوام، بل في فترات زمنية محددة. إنه من الأفضل لي (هكذا يقول) أن أتألم من أجل المسيح، على أن أُكَرَمْ من المسيح. هذه أعظم كرامة، وهذا هو المجد الذي يتجاوز كل شيء. فإن كان المسيح قد صار عبدًا من أجلي، وأخلى ذاته وتجرد من مجده، فقد أعلن بهذا أن مجده الحقيقي قد إستُعلن على الصليب، فقد إجتاز الآلام من أجلي، فلماذا لا أقبل أنا إحتمال الآلام؟ لتسمعه إذن وهو يقول "أيها الآب ... مجّد إبنك"[178].

ماذا تقول؟ ألم يقودونك إلى الصليب مع لصوص ومجرمين، وعانيت لعنة الموت، وتعرضت للبصق واللطم، وتدعو كل هذا مجدًا؟

يقول نعم، لأنني عانيت كل هذه الآلام من أجل أحبائي، وأعتبر أن هذا أعظم مجد. فإن كان ذاك الذي أَحبَ أولئك المستحقين النحيب والرثاء، الذي أحب التعساء والبؤساء، وإعتبر المجد بأن يُوجد وسط الآلام، ويتعرض للإزدراء، وعَدَ هذا كله، أكثر إكرامًا من جلوسه على العرش الإلهي. فبالأكثر جدًا ينبغي عليّ أنا أن أعتبر كل هذا الهوان بأنه مجد، يا لغبطة هذه القيود، يا لغبطة هذه الأيدي التي زينتّها هذه السلاسل. لم تكن أيدي بولس مستحقة لمثل هذه الكرامة العظيمة عندما شَفَتْ المقعد في لسترا، بقدر ما كانت موثوقة بالقيود. فلو أنني كنت أعيش في ذلك الزمان لأحتضنت هذه السلاسل ووضعتها في حدقة عيني. وما توقفت عن تقبيل هاتين اليدين اللتين إستحقتا أن تُقيدا من أجل ربي وإلهي.

هل تتعجب من بولس الذي لدغته الأفعى، ولم تؤذه مطلقًا؟

لا تتعجب لأن هذه الأفعى وقّرت السلاسل، بل البحر بمجمله إحترم هذه السلاسل، لأنه كان مُقيدًا آنذاك. فلو أعطيتني الآن القدرة على أن أقيم أمواتًا، لفضلت السلاسل على هذه القدرة. ولو أنني كنت غير مرتبط بالإهتمامات

---

[178] يو ١٧: ١.

والإنشغالات الكنسية، وكان الجسد قويًا، ما كنت أتردد أن أقطع هذه المسيرة الطويلة، لكي أري فقط هذه السلاسل، والسجن الذي سُجن فيه. وبرغم من أن هناك أثار كثيرة لمعجزاته في أماكن كثيرة في العالم، فهي ليست بقدر سمات الآلام التي في جسده. ولا يُبهجني، حين أقرأ الكتاب، أن أعرف أخبار المعجزات التي صنعها بقدر ما أبتهج حين أقرأ عن الآلام التي إجتازها، عندما جُلِدِ وسُحِل. يقول "كان يُؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضي"[١٧٩]. هذه الأمور هي حقًا عجيبة، لكنها ليست بقدر تلك الآلام التي عاناها.

"فوضعوا عليهما ضربات كثيرة وألقوهما في السجن"[١٨٠]، وأيضًا (أي بولس وسيلا) "كانا يصليان ويسبحان الله"[١٨١]، ويقول أيضًا "فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات"[١٨٢].

أتريدون أن تعرفوا مدى عظمة هذه السلاسل الحديدية التي قيدت جسد الخادم الأمين من أجل المسيح؟ إسمع المسيح نفسه وهو يقول "طوبى لكم"، متى؟ هل عندما تُقيمون أمواتًا؟ لا، لكن متى؟ هل حين تُشفون عميانا؟ لا مطلقًا، فمتى بالأحري؟ "إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين"[١٨٣]. فإن كان مجرد سماعنا للإهانة يجعلنا مطوبين هكذا، فما بالك بما يحدث لنا، حين تتحول الإهانة اللفظية إلى فعل ويُمارَّس التعذيب علينا؟ إسمع المطوب بولس الذي يقول في موضع آخر "وأخيرًا وُضِع لي إكليل البر"[١٨٤]. لكن القيود هي أكثر بهاءً من هذا الإكليل، فليجعلني الله مستحقًا لهذه القيود،

---

[١٧٩] أع١٩:١٢.

[١٨٠] أع١٦:٢٣.

[١٨١] أع١٦:٢٥.

[١٨٢] أع١٤:١٩.

[١٨٣] مت٥:١١.

[١٨٤] ٢تيمو ٤:٨.



هكذا يقول، أما الإكليل فأنا لا أحتسب له. عوضًا عن كل التعويضات، يكفيني أن أتألم من أجل المسيح. أعطني القدرة على أن أقول ذلك القول، "أكمل نقائص شدائد المسيح"[185]، ولن أحتاج شيئًا بعد ذلك.

٣ـ وقد إستحق القديس بطرس هذه القيود. لأن الكتاب يقول إنه كان مربوطًا بسلسلتين، وُسلم للعسكر ونام. لقد كان فرحه كبيرًا إلى هذا الحد، الذي يجعله لا يرتبك، ودخل في نوم عميق، ولم تتجاذبه الأفكار. وإذ كان نائمًا بين عسكريين، جاء ملاك وضربه في جنبه وأيقظه. ولذلك إن قال لي أحد، ماذا تُريد أن تكون، هل الملاك الذي ضَرَبَ جنب بطرس، أم بطرس الذي أُنقذ؟ بالطبع أُفضّل أن أكون بطرس الذي من أجله جاء الملاك، فأنا سأنتفع من تلك القيود. ماذا إذن؟ وكيف صلى أن ينجو من شرور كثيرة؟ لا تتحير، صلى لأنه كان يخشي أن يموت، خاف الموت لأن هذه كانت بداية الآلام وهو يريد أن يحيا ليكمل مسيرة آلامه. إسمع المطوب بولس نفسه ماذا يقول "لي إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا ولكن أن أبقي في الجسد أُلزَم من أجلكم"[186]. وقد حسب ذلك هبة عندما كتب "وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضًا أن تتألموا لأجله"[187].

لقد حَسَبَ هبة الآلام أعظم من الإيمان، لسبب واحد فقط وهو أن هذه الآلام هي هبة من الله. بالحقيقة هي هبة عظيمة، وأعظم من أن يجعل الشمس والقمر يتوقفان، وأعظم من أن يحرك الكون، وأعظم من أن نقهر الشياطين أو نخرجها، فالشياطين لا تحزن عندما نخرجها بإيماننا، بقدر ما تحزن عندما ترانا نتألم ونُسجن من أجل المسيح، لأن هذه الآلام تعطينا أعظم دالة أمام الله. أن يُسجن أحد لأجل المسيح، فهذا أمر حسن، لا لأن هذا يمنحنا ملكوته، بل لأن الآلام صارت

---

[185] كو ١: ٢٤.

[186] في ١: ٢٣ـ٢٤.

[187] في ١: ٢٩.

من أجل المسيح، ولا أُشيد بالقيود لأنها تحملنا إلى السماء، بل لأننا نصبر عليها من أجل رب السماء. كم هو إفتخار عظيم أن يعرف أحد أنه سُجن من أجل المسيح؟ وهل هناك متعة، وكرامة، وبهاء أعظم من هذا؟ أريد دومًا أن أتكلم عن هذه الأمور، وأرغب أن أتحمل تلك السلاسل، ومادمت أُحرم من هذا في الواقع، ليتني أُقيد نفسي بالسلاسل، من خلال تهيئة النفس لهذا الأمر.

٤ـ "فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن فأنفتحت في الحال الأبواب كلها وإنفكت قيود الجميع"[188]. أرايت أن القيود قد إنفكت وفقدت طبيعتها؟ تمامًا كما أن موت الرب قد أمات الموت، هكذا قيود بولس قد فَكَتْ قيود المسجونين. وزعزعت أساسات السجن، وفَتَحَتَ الأبواب، بالرغم من أن هذه بالطبع ليست خاصية القيود، بل بالعكس فهي تؤّمن عدم هروب المسجون، وليس فقط أن تفتح له الأبواب. فمن ناحية الخواص الطبيعية للقيود ليست هي هذه، لكن خواص القيود من أجل المسيح هي هكذا.

لقد سجد حارس السجن لبولس وسيلا. إن خاصية القيود الطبيعية، لا تقود أيضًا حارس السجن عند أقدام المسجونين، بل على العكس من ذلك فهي تجعل المقيدين خاضعين له. لكن الآن الحارس الذي كان حرًا هو الذي تحت أقدام المسجون، الذي قيد المسجون، يترجي المُقَيَد أن يحله من رباطات الخوف. وأنت أيها السجان ألست أنت الذي قيدته؟ أخبرني ألم تُغلق عليه في السجن الداخلي؟ ألم تربط رجليه في المقطرة الخشبية؟ فلماذا ترتعد؟ لماذا تخاف؟ لماذا تبكي؟ لماذا تستل سيفك؟ يقول إنني لم أسجن شخصًا مثل هذا، لم أكن أعرف أن أولئك الذين يُسجَنون من أجل المسيح لديهم قوة عظيمة بهذا القدر. ماذا تقول؟ لقد نالوا سلطانًا أن يفتحوا السماوات، ألا يستطيعون أن يفتحوا سجنًا؟ هؤلاء الذين حلوا

---

[188] أع١٦:٢٦.



المربوطين من الشياطين، هل ستقيدهم قطعة حديد؟ أنت لا تعرف هؤلاء الرجال، من أجل هذا يمكن أن يُصفح لك عن جهلك بهم.

بولس هو السجين الذي توقره كل الملائكة. والذي كانت مناديله ومآزره تخرج الشياطين، وتشفي الأمراض، بالرغم من أن رباطات الشياطين هي أكثر قسوة بكثير من الحديد والماس، لأن هذه الرباطات تُقيد النفس، بينما السلاسل تُقيد الجسد. إذن فذاك الذي حَرَرَ النفوس من قبضة الشياطين، ألا يستطيع أن يُحَرِر جسده؟ ذاك الذي حل المربوطين بُربط الشيطان وحَرَرَهم من سلطانه بمآزره، **ألا يستطيع أن يحل** نفسه بقوته؟ **لقد قُيِّد أولاً، حينئذٍ حَلَ** أولئك الذين كانوا مُقيدين، لكي تعرف أن خدام المسيح وهم مُقيدين لديهم قدرة أعظم من الأحرار. فلو إن شخصًا غير مقيد فعل هذا، لمَا كان هذا موضع إندهاش. إن القيود ليست علامة ضعف، بل بالأكثر هي علامة قوة عظيمة، لأنه هكذا تظهر قوة القديس أكثر إشراقًا، فبينما هو مُقيد سَادَ على الأحرار، وصارت له القدرة على أن يحل ليس نفسه فقط، **بل الآخرين المقيدين أيضًا**. ما فائدة الأسوار إذن؟ وماذا حققوا أكثر من أن يزجوا به في السجن الداخلي، طالما أن الأبواب الخارجية قد فُتحت؟

لكن لماذا حدث كل هذا في منتصف الليل واقترن بزلزلة؟

إسمحوا لي أن إبتعد قليلاً عن الكلمات الرسولية، وأتطرق قليلاً إلى الأعمال الرسولية حتى أصل أو أبلغ إلى قيود بولس، إسمحوا لي أن أتأمل فيها بهدوء أكثر. لقد أُمسكت بتلك القيود، ولن يفصلني عنها أحد. الآن أنا مقيدٌ وبشدة بالحب، مثلما كان هو مقيدًا بالمقطرة الخشبيه. إن هذا القيد لا يستطيع أحد أن يحله، لأنه مربوط بمحبة المسيح، هذا القيد، بل ولا الملائكة أيضًا تستطيع أن تحله. لنسمع بولس نفسه وهو يقول "لا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا

مستقبلية ولا علو ولا عمق. تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا"[189].

لأجل مَنْ حدث كل هذا في منتصف الليل؟ ولماذا إقترن بزلزلة؟ إسمعوا التدبير الإلهي وتعجبوا. كل القيود إنفكت وُفتحت الأبواب. وهذا كله قد حَدَثَ من أجل حافظ السجن فقط، ولم يحدث هذا بهدف الإستعراض، بل لكي يَخلُص. لأنه من حيث أن المقيدين لم يعرفوا أنهم تحرروا، فهذا كان واضحًا من كلام بولس. ماذا قال؟ قال "لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا لأن جميعنا ههنا"[190]. لأنه كان من غير المعقول أن يبقي الجميع بالداخل إن كانوا قد رأوا الأبواب قد إنفتحت وأنهم متحررين من القيود. لأن أولئك الذين تسلقوا أسوارًا وسطوحًا، وإجتازوا الحواجز، وتجرأوا أن يفعلوا كل شيء، ما كان لهم أن يصبروا على بقائهم داخل السجن في اللحظة التي إنفكت فيها قيودهم، وإنفتحت الأبواب، والحارس كان لا يزال نائمًا. ولكن بدلاً من القيود الحديدية، سادت عليهم قيود النوم، فقد تحققت المعجزة، دون أن يتعرض حافظ السجن، الذي كان يجب أن يَخلُص، لأي أذي. ولذلك تم تقييد المساجين في الليل، وليس في النهار، كان يجب أن يراهم مُقيدين على وجه السرعة مرة أخرى، وهم نائمون. أما إذا كان ذلك قد حدث في النهار، لتسبب في فوضى كبيرة. إذن لماذا حدثت زلزلة وتزعزعت أساسات المبني؟ لكي يستيقظ ويقوم حارس السجن، ويرى ما حدث، لأنه هو وحده الذي كان يستحق الخلاص.

٥- ولكن عليك أنت أن تتأمل نعمة المسيح الفائقة. لأنه جيد أن نتذكر نعمة الله ونحن نتكلم عن قيود بولس، أو من الأفضل أن نقول إن هذه القيود كانت نتيجة لنعمة الله. يوجد البعض ممن يتشككون في أن السجان قد خَلُص، ويدينون الأمور التي من أجلها كان ينبغي أن يُعجبوا بمحبة الله للبشر، وليس هناك من

---

[189] رو٨:٣٨ـ٣٩.

[190] أع١٦:٢٨.



شيء يستحق التشكك والحيرة. لأن مثل هؤلاء المرضى يسيئون إلى الطعام الذي يقوتهم، والذي كان يجب أن يقدّروه، والذين يقولون إن العسل مُر، وقد عميت أبصارهم وأظلمت أفكارهم من حيث كان ينبغي أن يستنيروا ، وهذه الأمور كلها لم تحدث بسبب أن طبيعة الأمور هكذا ، بل بسبب مرض هؤلاء السُقماء، إذ أنهم لم يستطيعوا أن يستخدموها كما ينبغي.

إذن ماذا يقولون؟ أنهم يتذمرون ويشتكون، بينما كان يجب أن يعجبوا بمحبة الله الذي جعل ذاك الذي سقط في أقسى أنواع الشرور في حالة أفضل. ولكن كيف لم ينسب السجان هذه المعجزة للسحر والشعوذة، بل خَرَّ ساجدًا أمام بولس وسيلا ، وصرخ بصوت عالٍ؟

أُمور كثيرة حدثت في هذه المعجزة:

أولاً: سمعهما وهما يُسبحان الله، بالطبع ما كان لهما أن يُسبحا هذه التسابيح إن كانا من السحرة، لأنه يقول *"ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله"* [١٩١].

ثانيًا: لأنهما لم يهربا ، بل منعا حارس السجن من قتل نفسه. وما كان لهما أن يبقيا في السجن، لو كانا قد فعلا هذه المعجزة من أجل نفسيهما ، بالرغم من أن الفرصة كانت مهيئة للهرب من السجن. غير أن محبتهما للناس كانت فائقة، فقد منعا حارس السجن الذي قيدهما من قتل نفسه. كأنهما قالا له، لقد قيدتنا بعنف وقسوة شديدة، لكي تُحِل أنت نفسك من قيود الخطية المُرة. لأن كل إنسان يقيد بحبال الخطايا ، وهذه القيود ملعونة، بينما القيود التي من أجل المسيح، هي قيود مباركه، وتستحق كل الإمتنان. وكون أن هذه القيود الحديدية، تحل قيود الخطية، فهذا قد إتضح من خلال كل ما حدث. أرايت كيف أن أولئك الذين قُيدوا بقيود حديدية قد حَلوا من قيودهم؟ وأنت أيضًا سترى نفسك وأنت تُحلّ من

---

[١٩١] أع١٦: ٢٥.

قيود أخرى خطيرة. وهذه القيود هي قيود المقيدين الآخرين، وليس قيود بولس، وهي ناتجة عن قيود الخطية. فأولئك الذين كانوا داخل السجن كانوا مُقيدين بقيود مزدوجة، وحافظ السجن أيضًا كان مُقيدًا بقيود الخطية. هكذا أولئك المسجونين كانوا مُقيدين بقيود حديدية وبقيود الخطية أما حافظ السجن فكان مُقيدًا بقيود الخطية فقط. لقد حَلَ بولس قيود المسجونين، لكي يقتنع حافظ السجن إقتناعًا راسخًا فيقوده هذا للإيمان، لأن القيود الحديدية التي حُلت كانت منظورة.

هكذا صنع المسيح، أو ربما بشكل عكسي، حيث كان الشلل مزدوجًا. فما هو؟ شلل الخطية، والشلل الجسدي. ماذا فعل المسيح؟ قال "ثق يا إبني مغفورة لك خطاياك"[192]. أولاً حَلْ قيود الشلل الحقيقي، أي الشلل النفسي، وبعد ذلك شفى الشلل الجسدي، لأنه حينما قال قوم من الكتبة في أنفسهم هذا يجدف عَلِمَ يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك، أم يُقَالْ قم وأمشي؟ ولكن لكي تعلموا أن لإبن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذٍ قال للمفلوج "قم أحمل فراشك وأذهب إلى بيتك"[193]. لقد أكد على المعني الروحي بالشيء المحسوس، وعلى الشفاء النفسي بالشفاء الجسدي الذي تحقق. ولماذا فعل هكذا؟ لكي يتم ما قيل "من فمك أدينك أيها العبد الشرير"[194].

ماذا قال هؤلاء؟ قالوا "من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده" ولا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا أي قوة مخلوقة أخرى، وأنتم قد إعترفتم بهذا، ماذا كان ينبغي أن يقول؟ إن ما أصبح واضحًا هو أنني أغفر الخطايا، وذلك يعني أنني الله لأن الله وحده هو الذي يغفر الخطايا. إلا أنه لم يقل هكذا، بل قال "لكي تعلموا

---

[192] مت ٩: ٢.

[193] مت ٩: ٣ـ٦.

[194] لو ١٩: ٢٢.



أن لإبن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا حينئذٍ قال للمفلوج قم أحمل فراشك وأذهب إلى بيتك". إذن عندما قال أنني أتممت ما هو أكثر صعوبة، فمن الواضح أنه لم يبق بعد أي حُجة أو إعتراض على إتمام الأمر الأسهل. لهذا أجرى المعجزة الروحية أولاً، لأن المعترضون كانوا كثيرون أيضًا، وقاد المشلول من الشفاء الروحي إلى الشفاء الجسدي. إذن لم يكن إيمان حارس السجن نتيجة لعمل هين ويسير، فقد رأى المسجونين، ولم ير أو يسمع شيئًا، رأى أنه لم يحدث أي شيء عن طريق السحر، لأنهما كان يسبحان الله، رأى كل شيء قد تم بمحبة فائقة، لأنهما لم يقاومانه، وإن كانا يقدران على فعل هذا. وهذا كان ممكنًا لأنهما تحررا معًا من القيود، وحررا السجناء الآخرين، وكان بإمكانهم جميعًا أن يهربوا. لكنهما لم يفعلا هذا، حتى أنهما ليس فقط من خلال المعجزة، بل بسلوكهما أيضًا، أظهرا له معني المحبة، كيف؟ حين نادي بولس بصوت عظيم قائلاً "لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا لأن جميعنا ههنا".

أرايت كيف أنه يتكلم خلوًا من المجد الباطل والإفتخار بل يتكلم بحنو ورأفة؟ لم يقل إن هذه المعجزة قد صارت من أجلنا، بل قال "جميعنا ههنا"، كأنه واحد من المسجونين. فإن كانا قد تحررا قبل هذا، وبدون أن تحدث المعجزة، لكان ممكنًا أن يصمتا، ويحلا كل المسجونين. لأنه إن كانا قد صمتا ولم يُمسكا يديه بصياحهما العالي، لكان قد طعن رقبته بالسيف وقُتِلَ. لهذا فقد نادي بولس بصوت عظيم، لأنه كان في السجن الداخلي. لقد أذيت نفسك، (هكذا يقول لنفسه)، بأن ألقيت في غياهب السجن هذين اللذين سيُنقذانك من الخطر.

لكنهما لم يسلكا كما سلك حافظ السجن. فلو أنه قَتَلَ نفسه، لاستطاع الجميع أن يهربوا. أرايت أنهما فضلا البقاء في السجن، على أن يَريَا هذا الحارس وهو يهلك؟ لقد فكر في نفسه لو كانا هذان ساحران، لكانا قد حلاّ كل المسجونين، وهما نفسهما كانا سيخرجان من السجن، لأنه كان من الطبيعي أن يُسجن كثيرون من السحرة هناك. ومن ناحية أخري فإنه كثيرًا ما سبق لهذا

السجن أن إستقبل مثل هؤلاء السحرة، ولم ير شيئًا من هذه العجائب، فإن الساحر لن يُزعزع أساسات السجن، حتى يوقظ الحارس، ويجعل هروبه أكثر صعوبة.

٦ـ لكن لننظر إلى إيمان حارس السجن فيما بعد. يقول سفر الأعمال "طلب ضوءًا وإندفع إلى الداخل وخرَ لبولس وسيلا وهو مرتعد ثم أخرجهما وقال يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟"[195]. كان يمسك ضوءًا وسيفاً، وقال "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟"

"فقال آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك"[196]. كأنه يقول إن هذا ليس هو تعليم السحرة، لأن السحرة لا يُعلّمون بمثل هذه التعاليم، فلم يرد في كلامهم أي ذكر للشيطان. أرايت أن حافظ السجن هذا كان مستحقاً أن يخلص؟ لأنه بعدما رأي المعجزة، وتغلب على الخوف، لم ينس ما هو لخيره، بل وسط كل هذه الأخطار الشديدة، إهتم بخلاص نفسه، وأتي إليهما كما يليق بمعلمين إذ خرَ عند أقدامهما.

يقول "وكلماه وجميع مَنْ في بيته بكلمة الرب فأخذهما في تلك الساعة وغسلهما من الجراحات وإعتمد في الحال هو والذين له أجمعون"[197]. أرايت رغبة هذا الإنسان وحماسه الشديد؟ لم يؤجل الأمر، لم يقل لننتظر حتى يطلع النهار، لم يقل لنرى أو لنفكر، بل برغبة جارفة إعتمد هو وأهل بيته جميعًا، وليس كما يحدث الآن، إذ الكثيرون يهملون تعميد الخدَم، والزوجات، والأولاد. أترجاكم أن تصيروا مثل حافظ السجن هذا، لا أتحدث عن المنصب، بل عن رغبته وإرادته. لأنه ما المنفعة من المنصب، عندما تكون الإرادة مريضة أو ضعيفة؟ فذاك الذي كان متوحشًا، وقاسيًا، وإعتاد على ممارسة العنف، وكان دومًا يفكر بالشر، تحوّل

---

[195] أع١٦: ٢٩ـ٣٠.

[196] أع١٦: ٣١.

[197] أع١٦: ٣٢ـ٣٣.



على الفور إلى إنسان محب للناس بشدة ورقيق في تعامله، إذ يقول سفر الأعمال "غسلهما من الجراحات".

لاحظ أيضًا غيرة الرسول بولس المتقدة، فبالرغم من أنه كان مسجونًا، وجُلد، ظل يكرز بالإنجيل برغبةٍ وإرادةٍ شديدةٍ. طوبى هذه السلاسل، كم من الآلام عانى في تلك الليلة، كم من الأبناء الروحيين أنجب ! وعن هذا قال "الذي ولدته في قيودي"[198]. أرايت كيف أنه يبتهج ويريد لأولاده الذين وَلَدهم أن يكونوا في بهاء أكثر منه؟ أرايت مقدار غنى مجد هذه القيود، حيث أنها ليس فقط قد أعطت مجدًا للمقيد، بل وأيضًا الذين وَلَدهُم في الإيمان في تلك الأيام، قد جعلتهم أكثر بهاءً؟ فإن أولئك الذين وُلِدوا من قيود بولس لديهم شيء أكثر، لا أقصد من جهة النعمة، لأن النعمة هي ذاتها للجميع، ولا من حيث غفران الخطايا، لأن الصفح واحد للجميع، بل لأنهم تعلموا منذ البداية أن يفرحوا ويبتهجوا بهذه الأمور.

يقول "فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات وإعتمد في الحال". ولاحظ الثمر الذي نالوه فيما بعد، فقد عوضهما حارس السجن على الفور، إذ "أصعدهما إلى بيته قدم لهما مائدة وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله"[199]. فما الذي لم يتوقعه، مادامت السماء قد إنفتحت لأجله، بعد أن إنفتحت أبواب السجن؟ أيضًا، غسل جراحات المعلم، قدم له مائدة، وإبتهج. لقد حولت سلاسل بولس كل شيء في السجن إلى كنيسة، وضمت حافظ السجن إلى جسد المسيح، وأعدت المائدة الروحية، وأفرزت آلام خلاصية شديدة، الأمر الذي لأجله فرحت الملائكة. هل عبثًا قُلت إن السجن أكثر بهاءً من السماء؟ لأنه صار سببًا للفرح في السماء، لأنه إن كان هناك فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب، وإن إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسم المسيح، هناك يكون في وسطهم، فبالأكثر جدًا يحدث

---

[198] غل ١٠:١.

[199] أع١٦:٣٤.

هذا، حين يجتمع بولس وسيلا وحافظ السجن وجميع أهل بيته، بهذا الإيمان القوي. لاحظ مدى مقدار هذا الإيمان الفائق.

وهذا السجن قد ذكرني بسجن آخر، وهو السجن الذي كان فيه بطرس، لم يحدث شيء مثل هذا في سجن بطرس، بل قد سُلم إلى أربعة من العسكر لحراسته، ولم يُسبح ويترنم، ولم يسهر، بل نام، ولم يُجلد، ومع هذا كان الخطر أكبر. فكل شيء في سجن فيلبي قد تم، فقد أدين بولس وسيلا وعُوقبا، أما في حالة بطرس فلم يحدث شيء مثل هذا. ومع أنه لم يُصب بجروح تسبب آلام، إلا أن إنتظار ما سيحدث كان يدعو للإنزعاج والقلق. لاحظ المعجزة التي حدثت، يقول "وإذن ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً قم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه"[٢٠٠]. ولكي لا يُعتقد أن الموضوع كله كان مرتبطًا بالنور فقط، ضرب الملاك جنب بطرس، ولم ير أحد النور سوي بطرس، وظن أنه يرى رؤيا. هكذا لا يشعر الذين ينامون بأحسانات الله. ثم قال له الملاك "تمنطق وألبس نعليك" ففعل هكذا. ثم قال له " ألبس رداءك وأتبعني فخرج يتبعه وكان لا يعلم أن الذي جري بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن أنه ينظر رؤيا فجازا المحرس الأول والثاني وآتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة. فأنفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقًا واحدًا. وللوقت فارقه الملاك"[٢٠١].

٧- ولماذا لم يحدث هنا، كما حدث لبولس وسيلا؟ لأنه بالنسبة لبولس وسيلا، كانت النية متجهة لإطلاق سراحهما من السجن، ولذلك لم يشأ الله أن يحررهما هكذا، بينما في حالة المطوب بطرس فكانت النية متجهة لقتله. ماذا إذن؟ ألم يكن من المدهش جدًا أن يُختطف من أيدي الحرس، وينجو من الأخطار، ولا يعاني أي أذى، بعدما كان قد أُقتيد وسُلّم إلى أيدي الملك وبذلك لن يتعرض الجنود

---

[٢٠٠] أع١٢:٧.

[٢٠١] أع ١٢:٨-١١.



للقتل؟ المسألة المثارة هنا كانت كبيرة. قد يقول قائل، هل الله أنقذ عبده، بعقاب الآخرين وهلاكهم في نفس الوقت؟ أولاً، إن ما تم لم يكن مُقترنًا بهلاك الآخرين. فهذا لم يحدث بحسب خطة الله، بل بحسب قسوة الحاكم. كيف؟ من ناحية، إن الله دبر ما حدث، ليس فقط لكي لا يهلك هؤلاء، بل لكي يخلص الحاكم أيضًا، تمامًا كما حدث هنا مع حارس السجن (في حالة بولس وسيلا)، إلا أنه لم يستغل عطية الله كما ينبغي.

إذ يقول "فلما صار النهار حصل إضطراب ليس بقليل بين العسكر تري ماذا جري لبطرس"[٢٠٢]، ماذا حدث بعد ذلك؟ قام هيرودس بفحص الحدث وحقق مع الحراس وأمر أن يُلقوا في السجن. لأنه إن لم يكن قد فحصهم بعد، لكان هناك مُبررًا لقتلهم، أما الآن وقد فحصهم، وعلم أنه كان مُقيدًا، وأن السجن قد تم تأمينه، وإن الحراس كانوا يقفون أمام الأبواب، ولم يُنقَب حائط، ولم يُفتَح باب، ولم يوجد أي دليل على الإهمال، ولا أي مُخالفة أخرى، لذا كان ينبغي له أن يندهش لقوة الله التي أنقذت بطرس من وسط كل هذه الأخطار، بل وأن يسجد لذاك الذي فعل كل هذا. إلا أن الوالي لم يبالٍ بكل هذا وعاقبهم. ماذا إذن هل الله هو السبب هنا؟ لأنه إن كان هو الذي جعل الحائط يُنقب وأطلق سراح بطرس بهذه الطريقة، فقد يمكن أن يظن البعض أن ذلك حدث بسبب إهمال الحراس، إلا أن عناية الله قد دبرت هذا حتى يتضح أن ما حدث لم يكن نتيجة لمخالفة إنسان ما، بل هو عمل الله العجيب، إذن لماذا فعل هيرودس هذا؟ لأنه إن كان بطرس ينوي الهرب، لكان قد هرب بقيوده، وإن كان سيهرب هكذا مضطربًا، ما كان له أن يهتم بأن يلبس نعليه، بل كان سيتركهما. أما الآن وقد قال له الملاك "ألبس نعليك"، فذلك لكي يعلموا أنه لم يخرج عنوة، بل بتأني وراحة تامة لأنه كان "مربوطًا بسلسلتين بين عسكريين"، ولم يكن لديه الوقت الكافي،

[٢٠٢] أع١٨:١٢.

حتى يمكنه أن يحل السلسلتين، وهذا كله بينما كان محبوسًا في السجن الداخلي. هكذا فإن عقاب الحراس، يعود إلى ظُلم الوالي.

لكن لماذا لم يفعل اليهود نفس الشيء (مثل هيرودس)؟ أتذكر سجنًا أخر، السجن في روما، وسجن قيصرية، والآن سجن أورشليم. لأنه عندما سمع رؤساء الكهنة والفريسيين من أولئك الذين أرسلوهم لكي يؤتى ببطرس من السجن، أنه لا يوجد أحد داخل السجن، رغم إن الأبواب كانت مغلقة بكل حرص، والحراس واقفين خارجًا أمام الأبواب، لم يقتلوا الحراس، بل كانوا في إرتياب وحيرة كيف كان من الممكن أن يحدث هذا؟ فإن كان اليهود الملوثة أيديهم بالقتل لأقصى الحدود، لم يفكروا في إجراء مثل هذا ضد هؤلاء الحُراس فبالأكثر جدًا كان عليك يا هيرودس ألا تفعل شيئًا، أنت يا مَنْ فعلت كل شيء لإرضاء هؤلاء اليهود. وبسبب ذلك سرعان ما حلَّ عليه العقاب.

فإن أردت أن تُدين ما حدث، عندئذٍ كان ينبغي أن تكون إدانتك لأجل هؤلاء الذين ذُبحوا في الطرقات، ومن أجل الأعداد الغفيرة الذين قَتلوا ظلمًا.

ولأجل أطفال بيت لحم الذي ذبُحوا وقت ولادة المسيح، لأنه بحسب ما تقول أنت، إن قتل هؤلاء كان بسبب المسيح. لكن المسيح لم يكن هو السبب، بل جنون ووحشية والد هيرودس. وإن قلت لماذا لم يُنقذهم من أيدي هيرودس؟ لتعلم، أنه كان يمكنه أن يفعل ذلك، إلا أن هذا لن يأتي بأي فائدة. فكم مرة أفلت المسيح من بين أيديهم؟ إذن ماذا إنتفع هؤلاء الجاحدين من هذا العمل؟ أما المؤمنون فقد إنتفعوا كثيرًا من هذه الأحداث. فقد قُدموا تفسيرات لما حدث، كما أن أعداء الحُراس أكدوا الأحداث، ولم يرق أي شك لهذه الشهادة.

إذن تمامًا كما حدث آنذاك ولم يكن هناك موانع أخري، إلا أولئك الذين أتوا لكي يؤكدوا ما حدث إذ كانوا شهودًا على ذلك، هكذا هنا أيضًا. فلماذا لم يفعل السجان شيئًا مما فعله هيرودس؟ على الرغم من أن ما حدث أمام هيرودس،



لم يكن أقل في شيء عما شاهده هذا السجان. لأن المفأجاة أو الدهشة التي تنتاب أي شخص عندما يرى الأبواب مفتوحة، ليس بأقل في شيء من دهشته حين يعلم أن المسجونين قد خرجوا، بينما الأبواب مغلقة، رغم أنه من الممكن أن يُعد هذا أمرًا خياليًا، أما غير ذلك (أي الخروج والأبواب مفتوحة) فيعد أمرًا طبيعيًا، طالما أنه يُروى بدقة. هذا وكان ممكنًا للسجان، إذا كان شريرًا، أن يقتل بولس كما قتل هيرودس الحراس، لكنه لم يفعل هذا الأمر.

ولكن إذا سأل أحد، لماذا سمح الله أن يُقتل أطفال (بيت لحم)، سنقع في فخ الإطالة، الأمر الذي كان ينبغي توضيحه من البداية أما الآن بعدما نشكر قيود بولس شكرًا جزيلاً، دعونا نُنهي حديثنا بقيود بولس، لأنها صارت سببًا لخيرات وفيرة بالنسبة لنا، لذلك أرجو، ليس فقط ألا تحزنوا، لأن الرسل قد تألموا من أجل المسيح، بل أن تفرحوا كما فرح الرسل، وأن تفتخروا كما قال بولس: " فبكل سرور افتخر بالحري في ضعفاتى"[٢٠٣] ولهذا سمع من الله "تكفيك نعمتي". لقد إفتخر بولس بقيوده، فهل تزهو أنت بالغني؟ لقد فَرَحَ الرسل، لأنهم حُسبوا مستحقين أن يجلدوا، وأنت تسعي نحو الراحة والتمتع؟ إذن كيف تُريد أن تنال نفس المجازاة التي نالوها، عندما تسير هنا في عكس الطريق الذي سلكوه؟ يقول الرسول بولس " والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم مُقيدًا بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: "إن وثقًا وشدائد تنتظرني"[٢٠٤]. إذن فلماذا تذهب، طالما أن هناك وثق وشدائد تنتظرك؟ يقول لأجل هذا تحديدًا إني أذهب، لكي أُسجن وأموت لأجل المسيح، لأنه قال "لأني مستعد ليس أن أُربط فقط بل أن أموت أيضًا..لأجل إسم الرب يسوع"[٢٠٥].

---

[٢٠٣] ٢كو ١٢: ٩.

[٢٠٤] أع٢٠: ٢٢_٢٣.

[٢٠٥] أع٢١: ١٣.

٨ ليس هناك ما هو أكثر طوباوية من هذه النفس. وبأي شيء يفتخر؟ بالقيود والشدائد، والسلاسل، وآثار الجروح، يقول "لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع"[٢٠٦]. كأن هذه السمات، نُصب تذكاري عظيم، وأيضًا يقول "لأني من أجل رجاء إسرائيل موثق. بهذه السلسلة"[٢٠٧]، وأيضًا "الذي لأجله أنا سفير في سلاسل"[٢٠٨]. ماذا يعني هذا الكلام؟ ألا تخجل، ألا تخاف يا بولس أن تجول المسكونة مقيدًا؟ ألا تخشى لربما يعتقد أحد أن إلهك ضعيف؟ ألا تخشى أن ألا يأتي أحد إلى الإيمان؟ يقول: إن قيودي ليست هكذا. فهي تعرف أن تضيء حتى في قصور الملوك. "أن وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع وأكثر الأخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف"[٢٠٩]. أرايت كيف أن هذه القيود تحمل قوة، أعظم من قوة إقامة الأموات؟ لقد صاروا أكثر شجاعة، رغم أنهم رأوني مسجونًا. لأنه حيث توجد القيود، فهناك ينبغي أن يحدث شيء عظيم، وحيث توجد ضيقة فعلى كل الأحوال يوجد خلاص ومَنفذ وراحة، لقد تحققت الإنجازات العظيمة، لأن الشيطان حين يضرب، يُصاب وعندما يقيد خدام الله، وقتها تُثمر الكلمة أكثر.

ولاحظ أن هذا هو ما حدث في كل موضع. وهو موثوق في السجن صنع كل هذا. يقول "في وثقي"[٢١٠]. فعندما سُجن في روما جذب إليه كثيرين، لأنه ليس فقط كان لدى بولس شجاعة، بل إن آخرين كثيرين أكتسبوا منه هذه الشجاعة. وقد سُجن في أورشليم وتكلم وهو مُقيد وأدهش الملك، وجعل الوالي يرتعب، ولأنه خاف فقد أطلقه، ولم يخجل الذي قيّده أن يعرف من المقيد عن أمور عتيدة أن

---

[٢٠٦] غل٦:١٧.

[٢٠٧] أع٢٨:٢٠.

[٢٠٨] أف٦:٢٠.

[٢٠٩] في١:١٣ــ١٤.

[٢١٠] في١:٧.



تحدث. وسافر الرسول بولس في البحر مُقيدًا، وأُنقِذ من الغرق، وَثَبُتَ أمام العاصفة. وبينما كان مُقيدًا نشبت في يده أفعى وسقط على الأرض دون أن تؤذيه مُطلقًا. وسُجن في روما وتكلم وهو مُقيد وجذب الآلاف للمسيح، مُقدمًا قيوده عوضًا عن أي شيء.

غير أنه لا يمكن لأحد اليوم أن يُقيد بهذه السلسلة، فهناك سلسلة أخرى إن أردنا أن نُقيد أنفسنا بها، فما هي هذه السلسلة؟ هي التي تقيد أيدينا حتى لا تمتد للطمع. وعلى الأقل لنُقيد أنفسنا بهذه السلسلة، ليت مخافة الله تكون هذه السلسلة الحديدية. فلنحل المقيدين بالفقر والشدائد. إن فتح أبواب السجن، لا يتساوي مع تحرير نفس متضايقة ومنغلقة على ذاتها من كل ناحية، كما أن حل إنسان من القيود، لا يقف على قدم المساواه مع إطلاق النفس المنسحقة إلى الحرية والصفح عنها، فإطلاق النفس إلى الحرية أعظم من حل القيود، لأن حل القيود المادية ليس له أجر، بينما حل قيود النفس المتضايقة له مكافأت لا حصر لها. تحدثنا طويلاً عن سلسلة بولس التي جعلتنا نقف أمامها ونتأملها كثيرًا، حقيقة يطول الحديث عنها، وهي أثمن من أيه سلسلة ذهبية. هذه السلسة تسحب المقيدين إلى السماء، كمثل آله وكحبل ذهب مُتدلي يسحبهم إلى السماء ذاتها، والمدهش أكثر، أنها بينما تربط مَنْ هو أسفل، إلا أنها تجذب المقيدين إلى أعلى. وعلى الرغم من أن طبيعة الأشياء ليست هكذا، ولكن حين يوجهها الله، لا يجب عليك أن تبحث في طبيعة الأشياء، ولا في نتائجها، بل تأمل في تلك الأمور التي هي فوق الطبيعة ونواميسها.

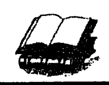
لنتعلم ألا نسقط، وألا نتضايق في الشدائد. أنتبه إلى ذلك المطوب (بولس)، جُلِدَ، بل جُلِدَ بقسوة، لأن سفر الأعمال يقول " فوضعوا عليهما ضربات كثيرة"[٢١١]. وتقييده أيضًا قد تم بقسوةٍ، لأنهم ألقوه في السجن الداخلي، تحت حراسة أكثر من المعتاد. وبينما كانا (أي بولس وسيلا)، في حالة إنهاك شديد، نحو نصف

[٢١١] أع ١٦: ٢٢.

الليل، بدأ كلاهما يسبحان الله، بينما كان الذين ينعمون بالراحة نيامًا، فهناك قيد أكثر رعبًا، هو نوم الفكر أو العقل.

٩ـ هل هناك ما هو أكثر صلابة من هذين النفسين (بولس وسيلا)؟ لقد كانا يُفكران في الثلاثة فتية الذين كانوا يسبحون الله في أتون النار، وربما فكرا قائلين، إننا لم نُعانِ شيئًا مثل هذا بعد. حسنًا، لقد قادنا الحديث إلى قيود أخرى، ولسجن آخر. ماذا حدث لي؟ أريد أن أصمت، لكنني لا أستطيع. لقد وجدت سجنًا أكثر عجبًا ودهشة من السجن الآخر. ولكن ركزوا انتباهكم، لأنني أبدأ الكلام الآن، وأقبلوه بذهن متيقظ. وأنا أريد أن أتوقف عن الكلام، لكنني لا أستطيع. فكما أن مَنْ يشرب لا يقبل أن يتوقف عن الشُرب، مهما كان الوعد الذي يُقدم له، هكذا أنا أيضًا، بعدما أخذت الكأس العجيب الخاص بسجن المسجونين من أجل المسيح، لا أستطيع أن أتوقف، لا أستطيع أن أصمت. فإن كان الرسول بولس لم يصمت وهو داخل السجن والوقت ليلاً، ولم يصمت رغم الجلدات، فهل سأصمت أنا، بينما أجلس مستريحًا جدًا وأتكلم والوقت نهارًا، فإن كان المقيدون الذين تعرضوا للجلد، والساهرون نحو نصف الليل، لم يحتملوا الصمت، والفتية الثلاثة لم يصمتوا وهم في أتون النار، ألا نخجل نحن من الصمت.

إذن فلننظر إلى هذا السجن، إن بولس وسيلا قد تم تقيدهما وكان واضحًا منذ البداية أنهما لن يُلقيا في النار، بل فقط سيُحبسا في السجن. لأنه هل هناك داعٍ لتقييد أولئك الذين سيُلقون في النار؟ لقد قُيدوا، كما حدث مع بولس، قُيد من الأرجل ومن اليدين، وقُيد بعنف شديد. لأن السجان قد ألقاهم في السجن الداخلي، أما ذلك الملك فقد أمر أن تُوقد النار بشدة وأن يُحمى الأتون. ولترى ماذا حدث: فبينما كان بولس وسيلا يسبحان الله، تزعزعت أساسات السجن، وإنفتحت الأبواب، وبينما هما يُسبحان إنحلت القيود من أرجلهما وأيديهما. لقد



إنفتحت أبواب السجن، كما إنفتحت أبواب الأتون، لأن نسمات الروح كانت قد تهب بقوة، وبصفة دائمة.

إن ثمة أشياء كثيرة تُحاصرني، لا أعرف بماذا أبدأ أولاً، وماذا أقول ثانية. لذلك أترجاكم ألا يطلب أحد مني مراعاة الترتيب، لأن الأمور مُتقاربة بعضها لبعض بشدة. لقد حُلّت قيود جميع المقيدين مع بولس وسيلا، مع أنهم كانوا نائمين، إلا أنه بالنسبة للفتية الثلاثة، فقد حدث شيء آخر، فقد إحترق الذين ألقوهم في النار. ما أُريد أن أقوله إن الملك قد رآهم وهم يتمشون في وسط النار بدون قيود وسجد عند أقدامهم وسمعهم يسبحون، ورأي أربعة يتمشون وسط النار، فنادى عليهم. تمامًا كما أن بولس لم يخرج من السجن، إلا بعد أن دعاه حارس السجن الذي أودعه السجن، إلى الخروج، مع أنه كان قادرًا على الخروج. هكذا ولا الثلاث فتية خرجوا من الآتون، إلا بعد أن أخرجهم الذي أمر بأن يُطرحوا في النار: ماذا نتعلم من هذا؟ نتعلم ألا نتسرع في حالة الخروج بنتائج أو إصدار أحكام بسبب الضيقة، ولا نستعجل الخلاص من الشدائد، ولا أن نصر على البقاء فيها؛ بينما قد تحررنا منها. أيضًا حارس السجن سجد عند أقدام بولس وسيلا، لأنه إستطاع أن يأتي إلى داخل السجن حيث كان القديسان بولس وسيلا هناك في السجن الداخلي، ولكن الملك في حالة الفتية الثلاث، آتي إلى الباب، لأنه لم يجرؤ أن يأتي إلى السجن الداخلي الذي أعده لكي يحرقهم.

أرجو أن تلاحظ الكلمات التي نطقا بها، فإن حارس السجن قال: "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" أما الملك فقد قال وإن لم يكن بهذا القدر من الإتضاع، بل بصوت عذب "يا شدرخ وميشخ وعبدنغو يا عبيد الله العلي أخرجوا وتعالوا"[٢١٢]. يا لها من كرامة عظيمة، يقول "يا عبيد الله العلي أخرجوا وتعالوا". كيف يخرجوا أيها الملك؟ لقد طرحتهم في النار مُقيدين، وظلوا وقتًا طويلاً داخل النار. إذن، فإن كانوا من مادة صلبة أو من معدن، أما كان ينبغي أن يَفنوا

[٢١٢] دا٣:٢٦.

ويتلاشوا، بينما هم يسبحون بتلك التسبحة حتى نهايتها؟ إذن فقد نجوا لأنهم كانوا يسبحون. لقد وقرت النار إستعدادهم لتحمل الآلام، وبعد ذلك وقرت التسبيح الرائع. ماذا دعوت هؤلاء؟ سبق وأن قلت "يا عبيد الله العلي". لأن كل شيء مستطاع لعبيد الله. لأنه إن كان هناك عبيد من الناس لهم القدرة على التصرف في تلك الأمور التي تخصهم، على الأقل من أن يسودوا ويأمروا، فبالأكثر جدًا يكون لعبيد الله هذا السلطان. لقد دعاهم بأجمل نداء، وكان يعرف جيدًا أنه يتملقهم بهذا القول. لأنه إن كانوا قد أتوا إلى النار لكي يظلوا عبيدًا لله، فإنه لا يوجد لهؤلاء نداء أفضل ولا أروع من هذا النداء (يا عبيد الله)، وحتى وإن دعاهم ملوك، أو أسياد المسكونة، ما كان هذا ليسعدهم، بقدر مادعاهم "عبيد الله". ولماذا تتحير؟ فإن بولس وهو يكتب للمدينة العظمى (روما)، التي سادت كل المسكونة، وكانت تزهو بمقامها، لقّب نفسه بلقب عبد، وهو يرى في هذا اللقب مساواة في القيمة والكرامة لمكانة روما، بل وأكثر جدًا، وأعظم بما لا يقارن، من مقام النبيل، والملك، ومن السيادة على كل المسكونة، فقد كتب قائلاً "*بولس عبد ليسوع المسيح*"[٢١٣]. هكذا قال: "يا عبيد الله العلي"، وكأنه يقول إن كانوا قد أظهروا كل هذا الإستعداد والرغبة في أن يكونوا عبيدًا لله، فإننا سُنرضيهم على كل الأحوال بهذا اللقب.

١٠ـ ولعلك تلاحظ تقوى ووقار الفتية الثلاثة. لم يغتاظوا، ولا غضبوا، ولا إعترضوا، بل خرجوا. فلو أنهم إعتبروا أن ما حدث لهم هو تعذيب، لأشتكوا وتذمروا على أقل تقدير على من ألقاهم في الأتون. غير أن لا شيء من كل هذا قد حدث، بل خرجوا من الأتون، كأنهم أتوا من السماء ذاتها. هذا ما قاله النبي عن الشمس "هي مثل العروس الخارج من حجلته"[٢١٤]. ولن يخطيء المرء إذا قال هذا الكلام عن الفتيه الثلاثة. لكنهم خرجوا من الأتون أكثر بهاءً من الشمس. لأن

---

[٢١٣] رو ١:١.

[٢١٤] مز ٥:١٩.

الشمس تخرج لتنير المسكونة بالنور المحسوس، بينما الفتيه الثلاثة خرجوا لكي يُنيروا المسكونة بطريقة مختلفة، أي بطريقة روحية. من أجل هذا وبسببهم اصدر الملك أوامره في الحال والذي إشتمل على هذه الكلمات "الآيات والعجائب التي صنعها معي الله العلي حسن عندي أن أُخبر بها. آياته ما أعظمها. وعجائبه ما أقواها"[٢١٥].

هكذا خرجوا يَشعّون نورًا بهيًا أبرق وإمتد وإنتشر في تلك البلاد، بل وفي كل مكان بواسطة الأمر الملكي الذي أصدره الملك، والذي بدّد الظلام الذي إنتشر وساد. قال "أخرجوا وتعالوا". لم يتجرأ بإصدار أمر بإطفاء النار، لكنه بهذا المسلك يكون قد كرمهم للغاية، من خلال ثقته في أنهم ليس فقط قادرين على التمشي داخل النار، بل وعلى الخروج منها وهى لازالت مُشتعلة.

لنتأمل إن أردتم في كلمات حارس السجن، إذ قال: "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟". هل هناك ما هو أبهج من هذه الكلمات؟ هذه الكلمات تجعل الملائكة تقفز فرحًا، حين يسمعونها، ولهذا صار إبن الله وحيد الجنس عبدًا[٢١٦]. هذه الكلمات قد قيلت أيضًا للقديس بطرس، من أولئك الذين آمنوا في البداية "ماذا نصنع لكي نخلص؟". وماذا قال؟ قال "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح"[٢١٧]. لقد كان القديس بولس يقبل راضيًا أن يسقط في نار جهنم، مقابل أن يسمع هذه الكلمات من اليهود، فقد كان يشتهي أن يرجعوا ويخلصوا. لاحظ أنه يسمح بكل شيء لهؤلاء، ولا يفحص شيئًا. ولكن لنتأمل في الكلام الآتي:

لم يقل الملك. ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص، بل قد صار تعليمه أحكم من أي كلام، وعلى الفور صار كارزًا دون أن يحتاج لتعليم، كما هو الحال بالنسبة

---

[٢١٥] دا٤: ٢ـ٣.

[٢١٦] لقد سمع مثل هذه العبارات.

[٢١٧] أع٢: ٣٧ـ٣٨.

لحارس السجن، ماذا إذن؟ لقد بشّر بالله، وإعترف بقدرته وقوته، قائلاً "حقاً إن إلهكم إله الإلهة ورب الملوك لأنه أرسل ملاكه وأنقذ عبيده"[٢١٨]. وماذا حدث بعد ذلك؟ لقد تعلّم الكثيرون مما كتبه الملك، من خلال رؤية ما حدث، وليس سجانًا واحدًا فقط، ومن حيث إن الملك لم يكذب، فهذا كان واضحًا من كل ناحية، لأنه لم يكن ليرغب أن يؤكد على هذه الأحداث لأولئك الذين تم أسرهم، ولا أن يُقلل من مكانته، ولم يكن في نيّته أن يكتسب سمعة تُسيء إلى ذكائه وحصانته. هكذا إن لم تكن الحقيقة واضحة كل هذا الوضوح، ما كان له أن يكتب هذا الكلام، في اللحظة التي كان حاضرًا فيها كل هذا الجمع من البشر. أرايت مقدار قوة هذه القيود؟ أرايت مقدار القوة التي للتسبحة وسط الشدائد؟ فلم توهن عزائمهم، ولم تضعف، بل كانوا أقوياء في ذلك الوقت، وإرادتهم كانت أكثر قوة.

١١ـ هذا كله قد أدركناه، ويتبقي أمر واحد، **لماذا إنفكت كل قيود المسجونين داخل السجن، بينما أولئك الذين ألقوا الفتيه الثلاثة في آتون النار قد إحترقوا؟** وإن كان يجب بالطبع أن يكون هذا هو مصير الملك، لأنه لا أولئك الذين قيدوهم، ولا الذين ألقوهم في الآتون المحمى بالنار، هم مسئولون عن هذا الفعل الشديد القسوة، بل مَنْ أمر أن تصير هذه الأمور على هذا النحو. إذن لماذا إحترق هؤلاء؟ هنا لا يحتاج الأمر إلى تفكير كثير لأنهم كانوا طغاة وجاحدين، ولكي تتضح العواقب، ولكي تظهر في نفس الوقت، قوة النيران، ولكي تصبح المعجزة أعظم. لأنه إن كان الذين خارج الأتون قد حرقتهم النار هكذا، فكيف تَركت أولئك الذين هم داخلها بلا أذى؟ حدث ذلك لكي تظهر قوة الله. وينبغي ألا يتحير أحد في السبب الذي جعلني أضع الملك في نفس المرتبة مع حارس السجن، وقد فعل نفس الشيء. فلم يكن الواحد منهما أكثر بهاءً من الآخر، ولا الأثنان قد

---

[٢١٨] دا٣:٢٨.



إنتفعا. لكن ما قلته هو أن القديسين حين تحل بهم الشدائد، وحين يكونون في السجن عندئذٍ يصيرون أكثر قوة. لأنه حين يتألم المرء من أجل المسيح، فهذا أفضل وأحلى من كل التعزيات. أتُريدون أن أُذكركم بسجن آخر؟ هناك ضرورة أن ننتقل من هذه السلسلة إلى سجن آخر.

ولكي نستمر في الحديث فأي سجن تريدّون؟ هل هو سجن إرميا أم سجن يوسف، أم سجن يوحنا المعمدان؟ بنعمة الله بسبب سلسلة بولس، هناك كثير من السجون التي فُتحت، أتريدون أن نتحدث عن سجن يوحنا المعمدان؟ هذا قد سُجِنَ مرة من أجل المسيح، ومن أجل ناموس الله. ماذا إذن؟ تُرى، هل بقى خاملاً وهو في السجن؟ ألم يُرسل من هناك بدافع المحبة، إثنين من تلاميذه للمسيح، ليسأله: "أنت هو الآتي أم ننتظر أخر؟"[219]. وفي سجنه كان يُعلم، لأنه لم يخشَ شيء. بالنسبة لإرميا ألم يتنبأ عن ملك بابل، وأتم كل عمله، وهو هناك في السجن؟ وماذا عن يوسف؟ ألم يُسجن لمدة ثلاثة عشر عامًا؟ ولكن، ماذا حدث؟ لم ينس الفضيلة حتى وهو هناك. وبعد ما قلناه عن القيود، سأختم حديثي على النحو التالي: لقد قُيد ربنا يسوع المسيح، وهو الذي حل قيود المسكونة كلها من الخطية، قيدوا تلك الأيدي التي صنعت خيرات لا حصر لها. لأنه يقول: " فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي"[220]. لقد قيدوا ذاك الذي صنع كل هذه المعجزات.

ونحن نتأمل في هذه الأمور، ينبغي ألا نحزن أبدًا، حتى وإن سُجنّا، فلنفرح، وإن كنا مقيدين، فلنكن كأولئك الأبرار الذين قُيدوا. أرايت كم هو صلاح وخير عظيم، هذا القيد؟ وبعد أن نعرف كل هذا، فلنقدم الشكر لله في المسيح يسوع ربنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[219] مت ١١: ٢ـ٣.

[220] مت ٢٧: ٢.



العظة التاسعة: (أفسس٤:١-٣)

" فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ " (أف ٤ : ١ـــ٣).

١ـ هكذا إتضح أن سلسلة بولس لها قوة عظيمة، وأكثر بهاءً من المعجزات. إذن لم يكن باطلاً، ولا مصادفة، كما قد يبدو، أن يتحدث عن هذه القيود، بل لكي يحثهم على الإحتمال. يقول "أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها". كيف؟ " بكل تواضع ووداعة وبطول أناه محتملين بعضكم بعضًا في المحبة". الأمر الحسن، ليس فقط أنه أسير، بل كونه أسير من أجل المسيح. وليس هناك شيئًا يماثل هذا الأمر. لكن هذه السلسلة تجذبني مرة أخري وتفصلني عن موضوع حديثنا، ولا نستطيع أن نقاوم، بل هي التي تجذبنا، وتُلزمنا، وتجعلنا نشتهي ونتمني الحديث عنها. ليتني كنت قادرًا أن أتحدث بإستفاضة وبإستمرار عن قيود بولس.

ولكن لا تتراخوا، لأنه أتى إلى تفكيري الآن موضوع. خاص بدفاعه أمام أغريباس، قال "كنت أصلي إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضًا جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود"[٢٢١]. والحقيقة أنه لم يقل هذا الكلام بإعتبار أن القيود هي شيء غير مرغوب فيه، وإن كان ممكنًا ألا تحدث ما كان له أن يفتخر بقيوده، وبسجنه، وبالضيقات الأخرى. فهو قد كتب قائلاً: "فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي"[٢٢٢]. فما الذي يريد أن يوضحه؟ إن هذا الكلام عينه يُعدُّ دليل على أنه يعتبر أن للقيود قيمة عظيمة جدًا. تمامًا مثلما كتب إلى أهل كورنثوس، يقول "سقيتكم لبنًا لا طعامًا

---

[٢٢١] أع٢٦:٢٩.

[٢٢٢] ٢كو١٢:٩.



لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون"[٢٢٣]. هكذا هنا أيضًا، لم يقدروا أن يقبلوا جمال، وكرامة، وفائدة هذه القيود. ولذلك لم يكتب هكذا في رسالته إلى العبرانيين، بل حثهم أن يكونوا "مع المقيدين كأنهم مقيدين"[٢٢٤]. من أجل هذا هو نفسه كان يفرح بقيوده، وبسجنه، وأُقتيد مع المقيدين إلى السجن. يا لهذه القيود التي لبولس من قوة عظيمة. يكفي هذا المشهد، أن يرى المرء الرسول بولس وهو مقيد، ثم يراه خارجًا من سجنه، فهذا وحده يكفي. ألا يُعد منظره وهو مقيد وجالسًا داخل السجن، أمتع وأعظم من أي منظر آخر؟ وهل هناك مَن يُكرّم هذا المنظر؟ ألا ترون الملوك، والنبلاء والحاشية كيف يبدون داخل عرباتهم التي تجرها الجياد، وهم متزينين بالذهب، بل وكل شيء مُزيّن بالذهب، الرماح من ذهب، الدروع من ذهب، والثياب مطّرزه بالذهب، والجياد مزينه بالذهب؟ هل هذا المشهد يُساوي شيئًا، أمام منظر بولس وهو مقيد؟ فليس هنا ما هو أبهج ولا أمتع من هذا المنظر. إني أفضل آلاف المرات أن أرى بولس، ولو مرة واحدة وهو خارج من سجنه مُقيدًا، على رؤية هؤلاء وهم يسيرون في مواكبهم مع حاشيتهم. كم من الملائكة في إعتقادكم، كانوا يسيرون أمامه، حين أُقتيد مقيدًا إلى السجن؟

ومن حيث أنني لا أكذب فيما أقول، سأجعل هذا الأمر واضحًا من خلال قصة قديمة. كان إليشع النبي - وأنتم تعرفونه - جالسًا إلى جوار ملك إسرائيل، وكان ملك سوريا (آرام) قد تورط في حرب مع ملك إسرائيل، فكشف له كل ما كان يُخططه ملك سوريا مع مستشاريه في ديوان المملكة، فأبطل خططه مسبقًا، وذلك بإعلان كل الأمور السرية، ولم يترك الإسرائيليين يسقطون في فخاخه. هذا الأمر قد أصاب ملك سوريا بالضيق والغضب، وإضطربت نفسه متحيرًا، ولم يستطع أن يعرف مَنْ الذي يُطلع ملك إسرائيل على كل خططه، ويكشف له المؤامرات التي كانت تُحاك ضده، وجعل كل هذه الخطط عديمة الجدوى. وبينما ملك سوريا في

---

[٢٢٣] ١كو٣: ٢.

[٢٢٤] عب١٣: ٣.

حيرته وضيقه، بَحَث لعله يجد السبب وراء هذا، أخبره أحد مستشاريه من (عبيده)، أن هناك نبيًا يُدعى إليشع يُقيم في السامرة، هو الذي جعل خطط الملك لا تنجح، وقد كشفها جميعًا لملك إسرائيل. عندئذٍ إعتقد ملك سوريا أنه قد كشف الأمر كله. لكنه لم يدرك الحقيقة، فكان عليه أن يُكرِّم الرجل (إليشع النبي)، بل ويُدهش، ويتعجب لقدراته، طالما لديه كل هذه القوة، ورغم أنه كان يُقيم بعيدًا كل هذه المسافة، إلا أنه قد عرف كل خططه التي كان يعدها للحرب داخل ديوان مملكته، بينما لم يُطلعه عليها أحد. لكن الملك لم يفعل هذا، لكنه بعدما إنتابه الغضب، وسيطر عليه الغيظ، أرسل إليه خيلاً ومركبات، لكي يحضروا النبي أمامه. وكان هناك تلميذ بجوار إليشع على أعتاب موهبة النبوة، والذي لم يكن مستحقًا بعد لتلك الإعلانات.

وصل جنود الملك (إلى المكان الذي كان يوجد به إليشع)، لكي يُقيدوا النبي ويأتوا به إلى الملك. نعود مرة أخرى إلى القيود، فالحديث عن القيود يُحاصرنا من كل ناحيةٍ. وعندما رأى التلميذ هذه الجموع الغفيرة من الجنود، إضطرب، وإمتلأ خوفًا ورعبًا، وبعدما ركض نحو مُعلمه، وأخبره بالنكبة التي حلّت بهما كما كان يعتقد، أعلمه بالخطر الذي لا مفر منه. أما النبي فقد ضحك، لأن تلميذه قد خاف من أشياء لا تستحق الخوف، وحثه على أن يتحلي بالشجاعة. لكن التلميذ إذ لم يكن كاملاً بعد، لم يقتنع، بل ظل في خوفه، وفي ذهول بالأكثر من منظر الجيش الذي رآه. إذن ماذا صنع النبي؟ قال "أفتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام فأبصر"[٢٢٥]. وفجأةً أبصر وإذ الجبل كله الذي كان يسكنه النبي، وقد إمتلأ خيلاً ومركبات نار. ولم يكن هناك آنذاك سوى جنود من الملائكة. فإن كان كل هذا العدد الغفير من الملائكة قد جاء لمساعدة إليشع، فماذا كان الوضع مع بولس؟

---

[٢٢٥] ٢مل٦:١٧.



هذا ما قاله داود النبي "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم"[٢٢٦]، وأيضًا "على الأيدي يحملونك لئلا تصطدم بحجر رجلك"[٢٢٧]. ولماذا أتحدث عن الملائكة؟ فالرب نفسه كان مع بولس عندما خرج من السجن لأن الرب موجود بالتأكيد في كل وقت، فهو لم يوجد فقط حين ظهر لإبراهيم، بل وبعد هذا الظهور أيضًا، لأنه هو نفسه قد وَعَدَ قائلاً "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر"[٢٢٨]. وأيضًا حين ظهر لبولس قال له "لا تخف بل تكلّم ولا تسكت لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك"[٢٢٩]. وأيضًا زاره في حلم وقال له "ثق يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضًا"[٢٣٠]. إذن فالقديسون هم على الدوام موضع إعجاب وتقدير، وممتلئين بنعمة جزيلة، وبالأكثر جدًا عندما يتعرضون للخطر من أجل المسيح، وأيضًا عندما يُسجنون. تمامًا مثل الجندي الشجاع الذي يبقي هكذا دائمًا، حيث تصير طلعته مفرحة لكل من ينظر إليه في شكله الرسمي المعتاد، وبالأكثر جدًا عندما يقف ويصطف إلى جوار الملك نفسه. هكذا فلتفكر في بولس، كم كان مُبهجًا، حين كان يُبشر وهو في قيوده. هل لي أن أُطرح عليكم شيئًا قد طرأ على تفكيري الآن؟ لقد سُجن الشهيد المطوب بابيلاس هو أيضًا لنفس السبب الذي لأجله سُجن يوحنا المعمدان، إذ قد وبخ الملك لأنه خالف الناموس. هذا القديس قد أوصى عند مماته أن تبقى القيود في يديه، وأن يُدفن هكذا مقيدًا، ولا تزال هذه القيود موجودة حتى الآن في قبره. إلى هذا الحد الكبير وصلت محبته للقيود من أجل المسيح. هكذا قال النبي عن يوسف "في الحديد دخلت نفسي"[٢٣١].

---

[٢٢٦] مز ٣٤: ٧.

[٢٢٧] مز ٩١: ١٢.

[٢٢٨] مت٢٨: ٢٠.

[٢٢٩] أع١٨: ٩ـ١٠.

[٢٣٠] أع٢٣: ١١.

[٢٣١] مز١٠٥: ١٨.

والنساء أيضًا جازوا خبرة هذه القيود. لكننا نحن لم نُقيد، ولا أنصحكم بأن تُقيدوا، لأنه ليس هو الوقت المناسب الآن. لا تُقيد يديك، بل قيّد فكرك. أيضًا هناك قيود أخرى، وكل مَنْ لم يُكابد بعد آلام هذه القيود، فليختبر تلك القيود الأخرى. إسمع ما قاله المسيح "أربطوا رجليه ويديه"[٢٣٢]. ولكن ليت لا يحدث أبدًا أن نجوز خبرة تلك القيود، أما عن هذه القيود التي للقديسين ليت لنا أن نغتني من نعمتها وبركتها. لأجل هذا قال "فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتُم إليها".

٢ـ لكن ما هي هذه الدعوة؟ لقد دعيتم لتكونوا جسد المسيح، ويكون المسيح رأسكم، وقد أقامكم معه، وأجلسكم معه في السماويات، بينما كنتم أعداء، وإرتكبتم شرورًا لا حصر لها. عظيمة هي تلك الدعوة، وعظيمة هي البركات والخيرات التي دُعينا إليها، ليس فقط لأنها تأتي من هذه القيود في حد ذاتها، ولا لأنها تتحقق عن طريقها، بل لأنها أُعطيت بهذه الطريقة. لكن كيف يمكن لنا أن نسلك كما يحق لهذه الدعوة؟ بكل تواضع. المتواضع هو الذي يسلك كما يحق لهذه الدعوة، التواضع هو أساس كل فضيلة. فلتكن متواضعًا، ولتفكر فيما كانت عليه حالتك ووضعك قبلاً، وكيف نلت الخلاص، فإنك لن تفتخر وتزهو بسبب القيود، ولا بسبب الخيرات التي تكلّمت عنها، بل إنك حين تعرف أن كل شيء ناتج عن عمل النعمة ستتضع. إن الشخص المتواضع، يستطيع أن يكون حافظًا للجميل مُمتنًا له، وأن يكون عبدًا راضيًا. لأن الرسول بولس يقول "وأي شيء لك لم تأخذه؟"[٢٣٣]، إسمعه أيضًا وهو يقول "أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي"[٢٣٤].

---

[٢٣٢] مت٢٢:١٣.

[٢٣٣] اكو٤:٧.

[٢٣٤] اكو١٥:١٠.



يقول "بكل تواضع"، ليس فقط بالأقوال، بل وبالأفعال، أيضًا ليس بحسب المظهر والأحاديث، ولا تكن متواضعًا مع شخص ما، ومع الآخر تكون وقحًا، بل يجب أن تكون متواضعًا مع الجميع، مع الصديق ومع العدو، مع العظيم ومع الضئيل، هذا هو التواضع. أيضًا كن متواضعًا فيما تُنجزه وتحققه. إسمع ماذا يقول المسيح "طوبي للمساكين بالروح"[٢٣٥]، وقد وضع هذا التطويب في البداية قبل كل التطويبات الأخرى. من أجل هذا يقول الرسول بولس "بكل تواضع ووداعة وبطول أناه مُحتملين بعضكم بعضًا في المحبة".

لأنه من الممكن أن يكون هناك شخص متواضع، لكنه يكون حادًا في غضبه، وسهل الإستثارة، الأمر الذي يُعدّ سلوكًا غير لائق على الإطلاق، نظرًا لأنه كثيرًا ما يتحكم فيه الغضب، فيحطم كل شيء.

يقول "محتملين بعضكم بعضًا في المحبة"، وكيف يمكنك أن تحتمل، لو كنت سريع الغضب، وسليط اللسان؟ لقد أوضح الطريقة، وهي السلوك "بالمحبة". فإن كنت لا تحتمل قريبك، فكيف سيحتملك الله؟ إن كنت لا تحتمل رفيقك وزميلك، فكيف سيحتملك الرب؟ فحيث توجد محبة، فكل شيئًا يكون محتملاً.

يقول " مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ " (عب ٤: ٣).

إذن فلتُقيد نفسك بروح الرأفة والتسامح. مرة أخرى تعود لنا هذه الكلمة الجميلة "قيود"، ونحن كنا قد تجاوزنا الحديث عنها، لكنها أسرعت نحونا مرة أخرى. لقد كانت تلك القيود رائعة وجميلة، ورائعة أيضًا هذه القيود الذاتية، وتلك القيود تُولد من هذه القيود التي نُقيد بها ذواتنا. قيِّد نفسك بأخيك، وأولئك الذين إرتبطوا معًا بالمحبة يُمكنهم أن يتحملوا كل شيء بإعتباره نير هين وليس ثقيلاً. أربط نفسك بأخيك، وأجعله يرتبط بك، فأنت قادر أن تصنع الأمرين، لأنه إذا

---

[٢٣٥] مت ٥: ٣.

أردت أن أجعل من شخص ما صديقًا لي فسأقدر على ذلك، سأتمكن بكل سهوله. يقول "مجتهدين"، لم يقل هذا مصادفةً، أو كأن الأمر بسيط. "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح".

٣ـ ما هي وحدانية الروح؟ هي تمامًا كما يحدث في الجسد، إذ توجد روح تجمع كل الأعضاء معًا، وإن كانت أعضاء متنوعة، هكذا هنا أيضًا. **لأنه لأجل هذا أعطىَّ الروح، لكي يُوحّد أولئك الذين تفرقوا بسبب الجنس أو بسبب إختلاف أساليب الحياة. فالروح يجعل الجميع واحدًا الشيخ والشاب، الفقير والغني، الطفل والمراهق، المرأة والرجل، الجميع في وحدة واحدة أكثر مما لو كانوا جسدًا واحدًا لأن هذه القرابة الروحية، هي أعظم بكثير من القرابة الجسدية، وهذه الوحدة الروحية هي الأكمل. لأن إتحاد الروح هو أكمل، إذ هو بسيط بطبيعته.**

وكيف يمكن الحفاظ على هذه (الوحدانية)؟ "برباط السلام". هذه الحالة لا يمكن لها أن توجد في ظل العداوة والإنشقاق. يقول الرسول بولس "فإنه إذ فيكم حسد وخصام وإنشقاق ألستم جسدانيين وتسلكون بحسب البشر"[٢٣٦]. لأنه تمامًا كما أن النار عندما تجد قطعة جافة من الخشب، تحولها إلى رماد، بينما إذا كانت مُبللة فإنها لا تؤثر فيها، ولا تستطيع أن تُشعلها، هكذا هنا أيضًا، لا يستطيع أي شيء، من الأشياء التي تجعل المحبة تبرد، أن يصنع مثل هذه الوحدانية، أما ما يجعل المحبة حاره فهذا ما يحقق الوحدانية ويجعلها أكثر دفئًا. من هنا تأتي المحبة الحاره، من رباط السلام الذي يربطنا معًا في وحدة واحدة. تمامًا كما يحدث إذا أردت أن تربط نفسك بآخر، فإنك لن تستطيع أن تفعل هذا بطريقة أخرى إلا بأن توحده معك، وبالطبع إذا أردت أن تجعل الرابطة مزدوجة، فينبغي عليه هو أيضًا أن يربط نفسه بك. هكذا هنا أيضًا فإن الله يريدهم أن

[٢٣٦] ١كو٣:٣.



يرتبطوا معًا، ليس فقط بان يكونوا في سلام، وليس فقط أن يحبوا بعضهم بعضًا، بل أن يكون الجميع واحدًا، أي نفسًا واحدة.

هذا الرباط هو رباط حسن، فلنرتبط معًا فيما بيننا، ومع الله بهذا الرباط. فهذا الرباط لا يؤلم ولا يُؤثر في الأيدي المربوطة به، بل يحررها، ويقودنا إلى آفاق فسيحة ومتسعة، ويجعلنا نشعر بأننا أكثر حركة وحرية. عندما يكون القوي مربوطًا بالضعيف، فإنه يُشدده ويعضده، ولا يدعه يهلك، ولو رُبط بالشخص الخامل، فإنه يستثير فيه حيويته ونشاطه للعمل. لأن "**الأخ أمنع من مدينة حصينة**"[٢٣٧]. هذه القيود لا يعيقها عن التأثير في الآخرين أي شيء، لا بعد المسافات، ولا السماء ولا الأرض، ولا الموت، ولا أي شيء آخر بل هي أشد واقوي من كل شيء. هذه المحبة مع أنها تُولَّد من نفس واحدة، إلا إنها تستطيع أن تضم كثيرين إليها. إسمع ماذا يقول الرسول بولس "لستم مُتضيقين فينا بل مُتضيقين في أحشائكم.. كونوا أنتم أيضًا مُتسعين"[٢٣٨].

إذن ما الذي يُحطم هذا القيد؟ أنها محبة المال، وشهوة السلطة والمجد، وكل الأشياء الأخري المماثلة لهذه الشهوات، هذه هي التي تجعل الرباطات تضعف وتتحطم. وكيف نحميها من التحطم؟ عندما تبتعد عنّا هذه الشهوات، ولا ندع شيئًا من تلك الأشياء التي تفسد المحبة، تتسلل إلينا. إسمع ما يقوله المسيح له المجد "ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين"[٢٣٩]. لا شيء يقاوم المحبة مثل الخطية، ولا أعني محبة الله فقط، بل ومحبة القريب أيضًا. إذن فكيف يُقال إن بين اللصوص أيضًا يوجد سلام؟ أخبرني متى يكون هذا؟ بالطبع ليس حين يسرقون معًا. لأنه لو أنهم فيما يختص بتقسيم الغنائم فيما بينهم لا يتمسكون بمبادئ العدالة، ولا يُعطوا لكل واحد ما يخصه فسيحدث نزاع وشقاق، وهذا ما يحدث في الحروب

---

[٢٣٧] أم١٨:١٩.

[٢٣٨] ٢كو٦:١٢ــ١٣.

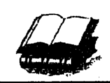
[٢٣٩] مت٢٤:١٢.



والمنازعات. حتى أنه من غير الممكن أن يحل السلام وسط الشرور، لكن يمكننا أن نجد هذا السلام في كل موضع، يعيش فيه مَنْ يحيا بالبر والفضيلة.

لكن هل يوجد سلام بين المتصارعين؟ لا على الإطلاق، تُرى عن مَن تريدني أن أتكلم؟ فالإنسان الجشع لا يمكن أبدًا أن يوجد في حالة سلام مع إنسان آخر جشع. لأنه إن لم يكن البشر أبرارًا ورحماء فيما بينهم، لهلك الجنس البشري كله. تمامًا مثل حيوانان مفترسان جائعان، إن لم يُقدم لهما ما يأكلانه، لأكل أحدهما الآخر، هكذا سيحدث مع الجشعين والأشرار. حتى أنه من غير الممكن أن يحل السلام، إن لم يسبق هذا ممارسة للفضيلة. لنفترض أننا أسّسنا مدينة، وجميع مواطنيها من الجشعين، والمفروض أن لهم نفس المكانة والحقوق، ولا أحد منهم يحتمل أن يُظلَّم، بل الجميع يمارسون الظلم، فهل من الممكن أن تقوم لهذه المدينة قائمة؟ لا على الإطلاق. وهل يوجد سلام بين الزناه؟ لن تجد أثنين يتفقان في الرؤية.

لا يوجد سبب لكل هذا، سوى أن المحبة قد بردت، والسبب في برودة المحبة، هو كثرة الإثم. وهذا يقود إلى محبة الذات، ويقسم ويمزق ويفرق الجسد الواحد. أما حيث توجد فضيلة، فسيحدث ما هو عكس ذلك. لأن الإنسان الغني الذي يحيا بالفضيلة، حين يكون أمامه آلاف الفقراء، يمكن أن يكون صانع سلام بينهم، بينما الجشعون، حتى وإن كانوا أثنين، لا يمكن أن يسود بينهما سلام. هكذا فإن كنّا نحيا بالفضيلة، فلن تتلاشي المحبة لأن المحبة تُولَّد من الفضيلة، والفضيلة تُولَّد من المحبة. وسأقول لكم بأي طريقة يحدث هذا، الإنسان بالفضيلة لا يُفضل المال على المحبة، ولا يتذكر الإساءة، ولا يظلم قريبه، ولا يشتم، ويحتمل كل شيء بشجاعة ونبل. المحبة تنشأ من كل هذا، وأيضًا الذي يُحب قريبه يحيا هكذا. هكذا يتضح أن المحبة تُولد من الفضيلة، لأنه حين يقول الرب "لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين"، فهذا يُظهر أن الفضيلة تُولَّد من المحبة. هكذا يقول



الرسول بولس "مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس" [٢٤٠]. حتى أنه يجب أن تتوافر واحدة من أثنين، إما أن يكون المرء مُحبًا جدًا، أو فاضلاً جدًا، والذي تتوفر لديه إحدى هاتين الصفتين، يكتسب بالضرورة الصفة الأخرى، والعكس صحيح، فإن ذاك الذي لا يُحِب سيرتكب شرورًا كثيرة أيضًا، ومن يرتكب الشر، لا يعرف أن يُحِب.

٤ـ إذن فلنتبع المحبة، لأنها حصن يحمينا ولا يسمح بأن نُعاني من أي شر. فلنرتبط بعضنا ببعض، وليختفي أي غش أو رياء من بيننا، فحيث توجد المحبة فإن مثل هذه الأشياء لا يكون لها وجود، هذا ما قاله رجل آخر حكيم: "إذا أشهرت سيفًا على صديقك فلا تيأس منه. لأن المحبة قد تعود إليكما. إذًا فتحت فمك على صديقك فلا تخف. لأنه قد يوجد المجال للمصالحة، عدا التعيير أو كشف الأسرار أو الجروح التي تُرتكب غدرًا. فمن هذه يفر كل صديق" [٢٤١]. أما عن كشف الأسرار، فإن كنّا جميعًا أصدقاء، فلن نحتاج إلى أسرار، فكما أنه لا يوجد سر بين المرء وبين نفسه، ولا يستطيع أن يخفي شيئًا عن نفسه، هكذا لا يستطيع أن يُخفي شيئًا عن أصدقائه. إذن عندما لا توجد أسرار، فمن المستحيل أن تنقطع أوصال الصداقة. لأنه ليس هناك سبب يجعل لدينا أسرارًا، إلا حين لا يكون لدينا محبة ودالة تجاه الجميع. لأن برودة المحبة هي التي تخلق الأسرار. وما هي الأسرار التي لديك؟ هل تريد أن تظلم قريبك؟ أم هل تريد أن تمنعه من التمتع بخير ما، ومن أجل هذا تُخفي عنه ما تفعله؟ وإن كان لا شيء من كل هذا، فما الذي تخجل منه؟ فوجود المخططات الخفية يُعدّ دليلاً على أنه لا توجد مودة ولا شجاعة. إذن فإن كان هناك محبة، فلن يكون هناك أسرار خفية، ولن يكون هناك تحقير وإهانات.

---

[٢٤٠] رو١٣: ٨.

[٢٤١] حكمة بن سيراخ ٢٢: ٢١ـ٢٢.

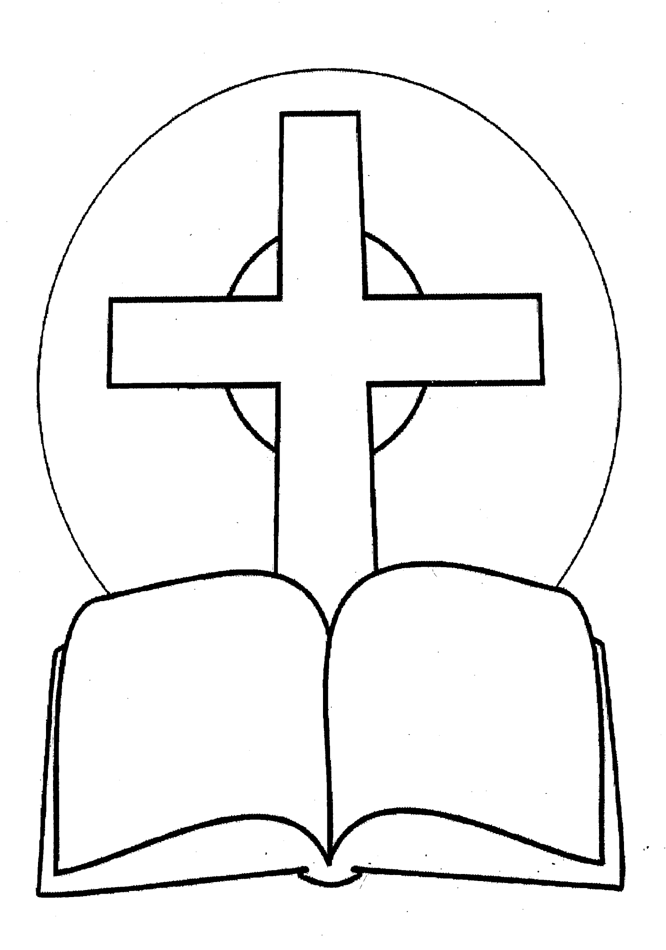
أخبرني، مَن الذي سيُدين نفسه؟ وإن حدث، سيكون ذلك من أجل المنفعة. لأننا نحن أيضًا نؤنب أبناءنا، لأننا نُريد أن نُحسن تربيتهم، والمسيح أيضًا وبّخ بعض المدن، قائلاً " ويل لكِ يا كورزين. ويل لكِ يا بيت صيدا"[٢٤٢]، وقد فعل هذا لكي يحميها من التوبيخ يوم الدينونة. لأنه لا شيء يمكنه أن يجعل الفكر هادئًا بهذا القدر، ويُنهضه وينعشه، بينما المرء متراخي. إذن لا ينبغي أن يُدين الواحد الآخر، بلا سبب. هل بسبب المال تُدين قريبك؟ لا على الإطلاق، إن كنت تجعله شريكًا في كل ما إكتسبته. فهل تُدينه من أجل خطيته؟ ولا لهذا السبب أيضًا، هل بالحري تفعل هذا لأجل إصلاحه؟ حسنًا لكن هل يصح أن تجرحه بغدر؟ هل هناك مَن يقتل أو يجرح نفسه؟ بالطبع، لا أحد.

فلنتبع المحبة إذن، فهو لم يقل فقط، لنُحِب بعضنا بعضًا، بل قال *"لنتبع المحبة"*[٢٤٣]. فهي تحتاج لإهتمام وعناية كبيرة، لئلا تختفي، فهي تتوارى بسرعة كبيرة، وهناك أمور كثيرة في هذه الحياة تجعل هذه الفضيلة تندثر لكن إن تبعناها، فلن تبتعد عنّا، بل سريعًا ما ستجذبنا إليها. **إن محبة الله هي التي وحّدت الأرض بالسماء، وهي التي أجلست الإنسان على العرش الملوكي، محبة الله هي التي أظهرته على الأرض، وهي التي جعلت الرب في هيئة العبد، محبة الله هي التي جعلت المحبوب يُصلَّب من أجل أعدائه. وجعلت الإبن يقدم ذاته من أجل من أبغضوه، ومن أجل عبيده، محبة الله هي التي جعلته يبذل نفسه من أجل كل البشر، جعلت الحر يبذل ذاته من أجل العبيد. بل ولم تتوقف عند هذا الحد، بل دعتنا إلى ما هو أعظم. لأنها لم تحررنا فقط من شرورنا السابقة، بل وعدتنا بأن تمنحنا أشياء أخري أعظم بكثير.** من أجل كل هذا، فلنشكر الله، ولنقتنِ كل فضيلة، لكي نكون مستحقين لنوال الخيرات التي وعدنا بها الله، بالنعمة ومحبة البشر

[٢٤٢] لو ١٠:١٣.

[٢٤٣] ١كو ١:١٤.

اللواتي لربنا يسوع المسيح، الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد، والقوة، والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة العاشرة: (أفسس٤:٤)

" جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ " (أف ٤ : ٤).

١- عندما يُرشد المطوب بولس إلى ما هو أعظم، ولأنه حكيم جدًا، وروحاني بشكل فائق، فقد كان يقدم إرشاده على قياس ما هو كائن في السماء، كما تَعلَّمَ من الرب، لذلك يقول في موضع آخر " إسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح يسوع أيضًا"[٢٤٤]. وأيضًا " فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله"[٢٤٥]. هذا ما يفعله هنا أيضًا لأنه حين تكون الأمثلة التي يُقدمها عظيمة، فإنه بهذا يجعل الغيرة قوية والحماس أشد. ولكن ماذا يقول لنا لكي يحثنا على الوحدة؟ يقول "جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضًا في رجاء دعوتكم الواحد".

ثم يقول " رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ " (أف ٤ : ٥).

لكن ماذا يعني بقوله "جسد واحد"؟ يعني به، جميع المؤمنين في أنحاء المسكونة، أينما كانوا، وهذا يسري على الأحياء الآن، والذين كانوا، والذين سيأتون. وأيضًا الذين أرضوا الله، قبل مجئ المسيح، هم "جسد واحد". كيف؟ لأنهم هم أيضًا قد عرفوا المسيح. ما الدليل على ذلك؟ يتضح من قول المسيح "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي. فرأى وفرح"[٢٤٦]. وأيضًا " لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني"[٢٤٧]. ولم يكن ممكنًا أن يكتب الأنبياء عن شخص لم يعرفوه، لأنهم لم يجهلوا ما قالوه. وماداموا قد عرفوه، فقد

---

[٢٤٤] أف٥:٢.

[٢٤٥] في٢:٥ـ٦.

[٢٤٦] يو٨:٥٦.

[٢٤٧] يو٥:٤٦.

قدموا له السجود والعبادة. حتى أن هؤلاء أيضًا كانوا جسدًا واحدًا. لم يفصل الجسد عن الروح، لأنه هكذا لن يكون جسدًا. بل نحن أيضًا أعتدنا أن نقول عن كل ما هو متحد معًا، ومرتبط بشدة، أنه جسد واحد.

هكذا نحن أيضًا نستخدم الجسد، كمثال عن الوحدة. ويوجد رأس واحد، لكن إن كان هناك رأس واحد، يكون أيضًا الجسد واحد. إن الجسد مُكون من أعضاء مُكرمة وأخري غير مُكرمة، ولكن هذا العضو المكرم لا يتمرد على العضو القبيح، ولا العضو القبيح يحسد العضو المكرم، ورغم أن هذه الأعضاء لا تُقدم نفس العون للجسد، بل بحسب الإحتياج الذي يُغطيه كل عضو، لأنها خُلقت من أجل تغطية إحتياجات مُختلفة، ورغم كل هذا، فإن الأعضاء كافة متساوية. غير أن هناك أعضاء مُفيدة جدًا، وأعضاء أقل نفعًا. مثل الرأس، الذي له أهمية أكثر من جميع أعضاء الجسد، ثم تقل بقية الأعضاء في الإهمية، لأن الرأس يحتوي على الحواس وكل ما يتحكم في النفس، ومن غير الممكن أن يحيا المرء بدون رأس، بينما عاش الكثيرون لسنوات طويلة رغم أن أرجلهم كانت قد قطعت. والرأس أفضل من بقية الأعضاء، لا من حيث وضعه فقط، بل من حيث نشاطه وتنظيمه للأمور كافة.

ولماذا أقول هذا الكلام؟ هناك كثيرون في الكنيسة يرتفعون إلى مستوي السمو، تمامًا مثل الرأس والذين يتطلعون من هذا السمو إلى الأمور السمائية، ومثل العينين التي في الرأس والتي تبتعدان بعيدًا عن الأرض، واللتان لا تشتركان معها في شيء، وأعضاء أخري أيضًا مثل الأرجل تسير على الأرض، ولكنها قد تكون أرجل مُعاقة إلا أنها سليمة حسب الإيمان. جريمة الأرجل ليست في أنها تمشي على الأرض، بل أن تُسرع نحو عمل الشر، لأن النبي يقول "أرجلهم إلى الشر تجري"[٢٤٨]. ولكن ينبغي على الأعين أن لا تتشامخ على الأرجل، ولا الأرجل تحسد الأعين، لأنه بذلك سيختفي الجمال الخاص بكل عضو، وتُعاق العلاقة الخاصة

[٢٤٨] إش٥٩: ٧.

فيما بينهما. وهكذا فالذي يصنع المكائد لقريبه، هو يكيد لنفسه أولاً. لأنه لو أن الأرجل لا تُريد أن تنتقل بالرأس إلى مكان ما، إلى مخرج هام وضروري، فإنها تؤذي نفسها بسبب خمولها وجمودها، وإن لم تُرد الرأس أن تأخذ على عاتقها العناية بالأرجل، فهي تضر بنفسها أولاً.

وحسنًا أن لا تثور هذه الأعضاء فيما بينها، لأنها هي هكذا بالطبيعة تخضع بعضها لبعض، أما عن البشر فكيف يمكن ألا يقاوم أحد الآخر؟ لأن الإنسان لا يستطيع أن يثور ضد ملائكة، ولا ملائكة تثور ضد رؤساء الملائكة، ولا الكائنات غير العاقلة أيضًا يمكنها أن تفكر في أي شيء بصورة أسمي من تفكيري، بل حيث تكون هناك مساواة في الطبيعة، وحيث إن العطية واحدة، وإن هذا لا يملك شيئًا أكثر من ذاك، فكيف يمكن أن لا يثور أحد ضد الآخر؟ لكن لأجل هذه الأسباب تحديدًا، أنت مدين بأن لا تثور على قريبك. فإن كل الأشياء مشتركة فيما بينكم، ولا أحد يملك شيئًا أكثر من الآخر، فمن أين يأتي التطاول الأحمق؟ فنحن نشترك في نفس الطبيعة، ونحمل نفس الجسد والنفس، ونستنشق نفس الهواء، ونأكل نفس الطعام، فمن أين تأتي هذه الثورة من الواحد ضد الآخر؟ ولكن أن نقول إننا نستطيع أن نتفوق على القوات غير الجسدانية، بسبب الفضيلة، فهذا كاف لكي يقودنا إلى الإفتخار، لكنه ليس هو ذلك الإفتخار الناتج عن الكبرياء.

فأنا أتفاخر وعن حق على الشيطان، بل وأتفاخر بشدة. ولاحظ كيف أن الرسول بولس كان يتفاخر في مواجهة الشيطان. عندما تكلم الشيطان بأمور مُثيرة للدهشة، سد فمه ولم يحتمله، ولم يحتمل حماقته. لأنه حين صرخت الجارية التي كان بها روح عرافة، قائلة "هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين يُنادون لكم بطريق الخلاص"[٢٤٩]، وبخ الروح الشرير بشدة، وأبكم لسانه الوقح.

---

[٢٤٩] أع١٦:١٦ـ١٧.



وفي موضع آخر يكتب قائلاً "إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا"[٢٥٠]. وهل طبيعته جعلته يمتاز في شيء؟ أرايت كيف أن معيار الطبيعة لا يُفيد شيئًا؟ لكنه يتكلم عن الرغبة الداخلية، لأن من جهة الرغبة والإستعداد هم أسوأ بكثير من الكل. وقد يقول المرء أنا لا أثور ضد ملاك، لأن الفارق كبير بين طبيعتي وطبيعته. فإن كان الأمر هكذا، فأنت مدين بالأكثر أن لا تثور ضد إنسان. لأن طبيعة الملاك تختلف عن طبيعتك، وهو الأمر الذي لا يمكن معه أن تحدث مواجهة، سواء كان هذا مديحاً، أو دافعًا لأرتكاب شر. غير أن الإنسان يختلف عن إنسان آخر لا من حيث الطبيعة، بل من حيث الرغبة والإرادة، ويوجد من بين البشر، مَنْ هم ملائكة.

فإن كنت لا تثور ضد ملائكة، فبالأكثر جدًا لا تصنع هذا ضد البشر، الذين قد صاروا ملائكة بسبب حياة الفضيلة التي يحيونها. لأنه إن كان من الممكن أن يوجد بين البشر، شخص يحيا بالفضيلة كأنه ملاك، فإنه سيكون أعظم من الملاك. تُرى لماذا؟ لأن ما يمتلكه الملاك بالطبيعة، قد حققه هذا الإنسان الفاضل بالإرادة، وأيضًا من حيث المكان، فالملاك يوجد بعيدًا عنك، ويسكن السماء، أما شريكك في الطبيعة الإنسانية الذي يُقيم معك ويشترك معك في كل شيء، قد يصبح سببًا يدعو للحسد"[٢٥١]. ومع هذا فإنه في الحقيقة يبتعد عنك، أكثر من بُعد الملاك عنك، لأنه كما يقول الرسول بولس "فإن سيرتنا نحن هي في السموات"[٢٥٢]. ومن حيث أن هذا الإنسان الذي يحيا بالفضيلة يُقيم بعيدًا جدًا ويسكن السماء، إسمع أين يجلس الرأس، إنه يجلس على العرش الملوكي، وبقدر المسافة التي يَبُعد فيها هذا العرش عنّا، بقدر بُعد هذا الإنسان الذي يتحلى بالفضيلة عنّا.

---

[٢٥٠] رو١٦:٢٠.

[٢٥١] لأنك تراه متمتعًا بالكرامة.

[٢٥٢] في٣:٢٠.

٢ـ قد يقول المرء، إنني أراه يتمتع بالكرامة، وهذا يقودني للحسد والغيرة. إن هذا الحسد هو الذي أثار الفوضى في كل شيء، وملأ المسكونة، بل والكنيسة بإضطربات لا حصر لها. ومثل الميناء الهادئ، عندما تهب عليه عواصف عاتية، فإنها تجعله عرضه للأخطار، أكثر من أخطار الصخور، وأكثر من الأخطار التي تتعرض لها مضايق البحار، هكذا شهوة المجد، تثير الفوضى والإرتباك في كل شيء. لعلكم كثيرًا ما شاهدتم حريقًا كبيرًا يلتهم بيوتًا كثيرة، ورأيتم الدخان وهو يتصاعد إلى السماء، ولا أحد يقترب لكي يُطفيء هذه النيران، بل كل واحد يُفكر فيما يمتلكه هو، بينما النيران تلتهم كل شيء بمنتهى الهدوء، وكثيرًا ما تتجمع كل المدينة حول النار، وتحيط بالنيران لكي تشاهد هذه الكارثة التي حلت بالمكان، ومن الممكن أن تري أن كل هؤلاء الذين تجمعوا، لا احد منهم قد فعل شيئًا ليساعد في إطفاء هذه النيران، بل إن كل منهم يَمُد يده ويشير لمن آتى لتوه، إلى المكان المشتعل، أو إلى لهب يخرج من النافذة أو إلى كتل تنهار أو إلى حائط كامل يتهدم ويسقط على الأرض.

ويوجد كثيرون ممن تحلّوا بروح المغامرة، يتجرأون على الإقتراب من مثل هذا الأتون المشتعل، لا لكي يُساعدو ويطفئون الحريق، بل لكي يستمتعوا بالمشهد، إذ يمكنهم أن يروا عن قرب كل تلك التفاصيل التي ما كان لهم أن يُلاحظوها عن بُعد. وإن تصادف وكان البيت كبيرًا وفخمًا، فيبدو المشهد مستحقًا للحزن، حيث تنهار الأعمدة وتهوى إلى الأرض، والنيران تلتهم كل شيء، ونفس الأيدي التي شيدتها تحطم أجزاءًا منها حتى لا تلتهم النيران ما تبقى. ومن الممكن أن ترى التماثيل المزينة التي كانت تقف لسنوات طويلة وقد أنهارت وإنتزعت من الأسقف وهوت إلى الأرض بشكل بشع.

وكيف يستطيع المرء أن يحكي عن الثروة التي كانت موجودة بالداخل؟ الملابس المذهبة والأواني الفضية؟ إن نيران الحريق دائمًا تأتي على جميع محتويات

المنازل من عطور وأحجار كريمة وملابس كثيرة باهظة الثمن، التي سرعان ما يفقدها أصحابها. كما تمتد هذه النيران إلى جوانب المنازل فتحولها إلى خليط من الماء والنار والطين والتراب والأخشاب المحترقة. ولماذا أتكلم عن هذه الصورة بكل هذه التفاصيل؟ لأني لا أريد فقط أن أصف حريق البيت، فماذا يهمني في هذا الأمر، بل لأنني أريد أن أضع أمام أعينكم ما أصاب الكنيسة من أضرار. لأن المصائب قد حلت على الكنيسة حقيقةً كنيران أو صاعقة تسقط من فوق، ولا أحد يُبادر لإنقاذها، بل بينما البيت الأبوي يحترق، فإننا ننام نومًا عميقًا، ولا نشعر بكل ما يحدث.

إذن مَن مِنّا لن يلحقه أذى هذه النيران؟ وأي جواهر داخل الكنيسة لن تمسها هذه النيران؟ لكن الكنيسة ليست سوى بيتًا مكونًا من نفوسنا نحن. وأعضاء هذا البيت ليسوا متساوين في المكانة، لكنهم كأحجار مُكونين لهذا البيت، البعض لامع ومشرق، والبعض الآخر أقل لمعانًا، لكنهم أفضل بكثير من غيرهم. ويمكنك أن تري كثيرين هنا لهم مكانة الذهب، الذي يزين السقف. وأيضًا من الممكن أن تري آخرين وهم يضيئون كالماس، ونستطيع أن نرى آخرين أيضًا يقفون كالأعمدة. لأن الرسول بولس إعتاد أن يدعو البشر أعمدة، ليس فقط من حيث القوة، بل من حيث الجمال أيضًا، إذ يمنحون الكنيسة جمالاً فائقًا. ويمكنك أن تري جموعًا كثيرة من كل الأطياف، لأن المكان فسيح.

إذن الجموع الكثيرة تحتل مكانة الأحجار، التي تبني الحوائط، لكن يجب أن نعود إلى الصورة المشرقة. الكنيسة التي أعنيها، لم تُبنَ من هذه الأحجار التي نراها، بل بُنيت من الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، وهناك ذهب كثير متناثر في كل موضع. إلا أنه يجب أن نذرف دموعًا مُرة على هذا الحال الذي وصلت إليه الكنيسة، لأن كل هذا قد أحرقه طغيان المجد الباطل، هذه النيران المتأججة لم يستطع أحد أن يقترب منها، بل إننا نقف مذهولين أمام هذا اللهب، دون أن نقدر على محو هذا الشر المستعر، وإن تمكّنا من إطفائه لوقت قصير، إلا

أنه يعود فيشتعل بعد يومين أو ثلاثة كاللهب الذي يزداد إشتعالاً في موضع ما من الرماد، فتلتهم النيران كل شيء، وكل ما أحدثته النيران من قبل من دمار تعود فتحدثه مرة أخرى. هذا ما يحدث عادةً في الحريق. والسبب يعود إلى أن النيران قد ألتهمت دعامات أعمدة الكنيسة التي تحمل السقف وتحفظ توازنه، وبينما كانت تدعم كل البناء سابقًا، الآن تُحيط بها النيران لتلتهمها. ولذلك فإن أرضية الكنيسة تصبح رخوة جدًا بالنسبة لبقية الحوائط. وإن ما يحدث في المباني عندما تشتعل النيران في الأخشاب، هو أنها تتجه بعد ذلك نحو الأحجار، وعندما تتمكن من أن تُلقي بالأعمدة إلى أسفل، فلا شيء يُعيق النيران بعد ذلك من أن تحرق كل شيء. لأنه عندما تسقط تلك الأعمدة التي تدعم وتسند الجزء العلوي من المبنى، فإن هذه الأجزاء العلوية ستسقط بكل سهولة.

هذا ما يحدث الآن في الكنيسة، النار تلحق بكل شيء، فنحن نطلب كرامة من الناس، ونلتهب في داخلنا لنوال المجد الباطل، ولم نسمع لِما قاله أيوب " إن كنت قد كتمت كالناس. ذنبي لأخفاء إثمي في حضني إذ رهبت جمهورًا غفيرًا"[٢٥٣]. أرايت كم هي فاضلة هذه النفس؟ لم يخجل أن يعترف بخطاياه التي صنعها بغير إرادته أمام جمهور غفير. فإن كان أيوب لم يخجل، فبالأكثر جدًا يجب علينا نحن ألا نخجل. لأن إشعياء يقول: "حدّث لكي تتبرر"[٢٥٤]. **هذا الشر، سقط بإندفاع شديد، وكل شيء قد تحطم وتلاشى، لقد صِرنا عبيدًا لشهوة الكرامة، ولم نعد قادرين على تأنيب رؤسائنا، لأن هؤلاء أيضًا قد أصابهم ذات المرض، بل نحن أنفسنا الذين أقامنا الله لنشفي الآخرين، نحتاج للشفاء. وأي رجاء للخلاص قد يتبقى، عندما يصبح الأطباء أنفسهم في حاجة للشفاء على أيدي آخرين.**

---

[٢٥٣] أي ٣١: ٣٣ـ٣٤.

[٢٥٤] إش٤٣: ٢٦.



٣ـ هذه الأمور لم أتكلم عنها مُصادفةً، ولم أحزن باطلاً، بل أني أشرت إليها وتكلمت عنها لهدف ما، حتى أننا بعدما نفترش الرماد، ونلبس المسوح، نأتي جميعًا نساء وأولاد لنعلن صومًا ونسكًا شديدًا، ونترجى الله لكي يُعيننا، ويمحو عنا الشر. لأننا بالحقيقة في إحتياج أن يمد الله يده، تلك اليد القديرة والعجيبة. يجب أن يحدث لنا أكثر مما حدث لأهل نينوى. يقول النبي "بعد ثلاثة أيام تنقلب المدينة"[٢٥٥]. هذه بشارة مُخيفة ومملوءة بوعيد كثير، وكيف لا؟ خاصةً وأن أهل نينوى توقعوا أن تصير مدينتهم، قبرًا بعد ثلاثة أيام، وبحكم صادر بمعاقبتهم جميعًا بالهلاك. لأنه إن كان في تلك الفترة الزمنية قد حدث أن هلك أبنان في بيت واحد، وصارت هذه الحادثة كارثة غير محتملة، وإن كان ما حدث لأيوب يبدو أمرًا لا يمكن إحتماله أكثر من أي شيء آخر، إذ سقط سقف البيت فوق كل أبنائه وماتوا جميعًا، فماذا يحدث لو أن المرء قد يرى ليس فقط بيتًا واحدًا قد سقط، أو إبنان يهلكان، بل رأى أُمة بكاملها مكونة من مائة وعشرون ألفًا تُدفن تحت الأنقاض.

أنتم تعرفون مقدار فداحة هذه الكارثة. لكن هذا الوعيد مُوجّه إلينا، دون أن يُسمع صوت نبي، لأننا لسنا مُستحقين لأن نسمع مثل هذا الصوت، بل جاء الوعيد من السماء بصورة أكثر إعلانًا من أي بوق. لكن وكما سبق وأشرت، يقول النبي "بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى" هذا وعيد مخيف حقيقةً، ولكن الآن لا يحدث شيء مثل هذا، فليس هناك ثلاثة أيام، ولا توجد نينوى لكي تنقلب، بل مرت أيام كثيرة منذ أن تغيّر حال الكنيسة في كل المسكونة وإنقلبت أوضاعها، وأُهينت ووصلت إلى أدنى مكانة، وأحاط الشر بالجميع بالتساوي، وربما أكثر جدًا قد أحاط بمن هم في موقع المسئولية. إذن لا تتعجبوا إن كنت قد نصحتكم أن تقدموا توبة أكثر مما لأهل نينوى. لماذا؟ ربما لا أنادي لكم بصوم الآن، بل أشير عليكم بذلك الدواء الذي أقام تلك المدينة الساقطة وما هو هذا الدواء؟ يقول النبي "فلما

---

[٢٥٥] يونان٣: ٤.

رأي الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم (عَدَل) عن الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم. فلم يصنعه"[٢٥٦].

فلنعمل هذا نحن وأنتم أيضًا، ولنبتعد عن شهوة المال والمجد الباطل، ولنترجى الله أن يمد يده ويُقيم الساقطين من أعضاء الكنيسة.

إن ما سقط آنذاك، كانت أحجارًا وأخشابًا، وأيضًا مات كثير من الناس، أما الآن فلا شيء من هذا يحدث، بل هناك نفوس ستُسلم إلى نار جهنم. فلنتضرع إليه ونعترف له، ولنشكره على كل ما أعطاه لنا، ولنترجاه من أجل نوال خيرات الدهر الآتي، لكي نكون مستحقين للخلاص من هذا الوحش المفترس والمخيف (شهوة المجد الباطل)، ولنرفع شكرنا لله الآب مُحب البشر الذي يليق به مع الإبن والروح القدس، المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٢٥٦] يونان٣ :١٠.

العظة الحادية عشر: (أفسس٤:٤ـ١٦)

" جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ. وَلكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ" (أف ٤ : ٤ـ ٧).

١ـ المحبة هي تلك التي يطلبها مِنّا الرسول بولس، وليس أي محبة، بل المحبة التي تربطنا وتوحدنا بعضنا ببعض بلا تفكك، وهي توحدنا بهذه الطريقة، وبشكل كامل حتى نكون أعضاء بعضنا لبعض. هذه المحبة إذن هي التي تستطيع أن تحقق الخيرات العظيمة. ولذلك

قال: " جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ " (أف ٤ : ٤).

لكي يُظهر مدى اللطف والرقة التي يجب أن تسود بيننا، وأن لا نسعى لسلب خيرات الآخرين، بل لنفرح معهم، وكل شيء يكون بشكل عام مشتركاً فيما بيننا. وحسنًا قال "روح واحد"، لكي يُبين أن في الجسد الواحد، يوجد روح واحد، أو لكي يُبين أنه من الممكن أن يوجد جسد واحد، دون أن يكون فيه روحًا واحدًا كما يحدث عندما يصبح شخص صديقًا للهراطقة، أو أنه يحثهم قائلاً: أنتم يا مَن أخذتم روحًا واحدًا وشربتم من نبع واحد، ينبغي عليكم أن لا يكون بينكم إنقسام، أو أنه يدعو الإرادة والإستعداد، روحًا.

بعد ذلك يقول: "رجاء دعوتكم الواحد"، كأنه يقول إن الله دعاكم لنفس الخيرات، لم يُعط لواحد أكثر من الآخر في أي شيء، فهو منح الخلود للجميع، أعطى الجميع مجدًا أبديًا، أعطى الجميع أن يكونوا أخوة له، ووهب الجميع ميراثًا أبديًا، وصار رأسًا للجميع، تلاقى مع الجميع وجلس معهم. إذن فإن كنتم مُتساويين في الكرامة إلى هذا الحد في الأمور الروحية، فمن أين لكم هذا التشامخ والتفاخر؟ هل لأن واحد غني، والآخر قوي؟ وكيف لا يكون هذا مدعاة

للسخرية؟ فلنفترض أن الملك أخذ عشرة أفراد وألبسهم جميعًا البروفير، (اللباس الملكي) ثم أجلسهم على العرش الملوكي، وأعطى الجميع هذه الكرامة، فهل يا ترى سيتجرأ أحد من هؤلاء العشرة، أن يدّعى على الآخر أنه أكثر غنى أو أكثر بهاءً، لا على الإطلاق. أنا لم أقل كل شيء بعد، لأن الفروق التي في السموات، ليست كالتي على الأرض.

" رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ " (أف ٤ : ٥).

هل مَنْ دعاك هو الأعظم، ومَن دعا ذاك هو الأصغر؟ هل خَلُصت بالإيمان، وذاك خَلُص بالأعمال؟ أو هل غُفرت لك خطاياك بالمعمودية، بينما لم يحدث نفس الشيء للآخر؟

" إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ " (أف ٤ : ٦).

يقول "على الكل"، أي الرب الذي هو كائن فوق الجميع، "وبالكل"، أي ذاك الذي يعتني ويدبر، "وفي كلكم" أي الذي يسكن فينا. وإن كان هذا بالطبع هو سمة الإبن، فإن كان هناك إخلاء، فمن غير الممكن أن يقال هذا عن الآب.

" وَلكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ " (أف ٤ : ٧).

ماذا إذن؟ سيقول أحد، من أين أتت المواهب المتنوعة آنذاك؟ وبإستمرار هذا الأمر كان يقود هؤلاء، وأهل كورنثوس أيضًا، وآخرين كثيرين، إلى التطاول الأحمق، والبعض الآخر إلى صغر النفس والحسد. ومن أجل هذا نجده في كل موضع يأخذ الأمثلة من الجسد، ولذلك أشار الآن إلى الجسد، لأنه كان ينوي أن يذكر المواهب المتنوعة.

هذا الموضوع قد ناقشه ووضحّه بالتفصيل في الرسالة إلى كورنثوس، لأن هذا المرض قد عذّب هؤلاء بصورة مُرعبة، لكن الآن قد إكتفى فقط بطرحه. ولاحظ ماذا قال، لم يقل "بحسب إيمان كل واحد"، حتى لا يقود هؤلاء الذين لم يستحقوا



المواهب العظيمة إلى صغر النفس. فماذا قال؟ قال "**بحسب قياس هبة المسيح**". إن الأمور الأساسية التي هي أهم من كل شيء والمشتركة بين الجميع، أي المعمودية، والإيمان بالخلاص هو أن نكون مع الله الآب، وأن نشترك جميعًا في هذا الروح. وأيضًا إن كان لأحد مواهب أكثر فلا تتضايق، لأنه سيتعب أكثر وسيبذل جهدًا أكثر، فذاك الذي أخذ خمسة وزنات، طُلب منه خمسة، وذاك الذي أخذ وزنتين، قدّم وزنتين فقط، ولم يأخذ من ذاك أقل من هذا. ومن أجل هذا يُعزي المستمع لأجل السبب ذاته. إذ يقول "لأجل تكميل القديسين"[٢٥٧].

ولذلك قال الرسول بولس في موضع آخر " فويل لي إن كنت لا أُبشر"[٢٥٨]. أي أنه أخذ موهبة الإرسالية للتبشير. لكن لأجل هذا تحديدًا، لأنه أخذ موهبة الإرسالية للتبشير، فالويل له إن لم يُبشر، بينما أنت فقد نجوت من هذا الخطر.

يقول "بحسب قياس". ماذا يعني بقوله "بحسب قياس؟" أي ليس بحسب إستحقاقنا، لأنه إن كان بحسب الإستحقاق، ما كان لأحد أن يأخذ تلك المواهب التي أخذها، لكننا جميعًا قد أخذنا هذه المواهب كعطية من الله. ولماذا أخذ البعض مواهب أكثر والبعض الآخر مواهب أقل؟ إن هذا لا يُعَّد ذو أهمية، لأن كل واحد له مساهمته في البناء. وهو بهذا يُظهِر بأن مَنْ أخذ مواهب أكثر ومَنْ أخذ مواهب أقل، لم يكن بسبب إستحقاق أحد منهم، بل لأسباب أخرى، كما حددها الله، لأنه يقول في موضع آخر " قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء"[٢٥٩]. ولم يتكلم عن السبب، حتى لا يُسيء إلى ما يعتقد ويُفكر فيه أولئك المستمعين لرسالته.

---

[٢٥٧] أف ٤: ١٢.

[٢٥٨] ١كو ٩: ١٦.

[٢٥٩] ١كو ١٢: ١١.

٢ــ " لأجل هذا يقول:

" إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا" (أف ٤ :٨).

أي لماذا تتفاخر؟ الله هو الذي أعطى كل شيء. يقول النبي في المزمور "صعدت إلى العلاء. سبيت سبيًا قبلت عطايا بين الناس"[٢٦٠] ويقول أيضًا ذاكرًا نفس المعني:

" وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى. اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ" (أف ٤ :٩ــ ١٠).

عندما تسمع هذه الأمور، لا تعتبرها، إنتقالاً من مكان لآخر. لأن ما يقوله في الرسالة إلى أهل فليبي، هذا ما يقوله هنا أيضًا. فكما أنه في الرسالة إلى أهل فليبي ينصح بالتواضع، ويقدم لهم المسيح كنموذج للتواضع، هكذا هنا أيضًا عندما يقول إنه نزل إلى أقسام الأرض السفلي. وسبي سبيًا فإن لم يكن هذا هو المعني، سيكون قوله "وضع نفسه وأطاع حتى الموت"[٢٦١]. أمر لا حاجة له أو غير ضروري. إنه يشير بالصعود هنا إلى النزول. ويقصد بأقسام الأرض السفلى: الموت، الذي يشغل عمق تفكير البشر، كما قال يعقوب "تنزلون شيبتي بشرٍ إلى الهاوية"[٢٦٢]، وأيضًا يقول النبي في المزمور "أشبه الهابطين في الجب"[٢٦٣]. أي مع الموتي. لماذا نعود ونشرح هذا الجزء هنا؟ وأي سبي يقصد؟ إن السبي هنا يعني القبض على الطاغية، على الشيطان، وإبطال الموت، واللعنة، والخطية. أرايت مقدار الغنائم والأسلحة؟

---

[٢٦٠] مز٦٨ :١٨.

[٢٦١] في٢ :٨.

[٢٦٢] تك٤٤ :٢٩.

[٢٦٣] مز١٤٣ :٧.



"الذي نزل هو الذي صعد"، هذا الكلام يليق بأن يوّجه إلى أتباع بولس الساموسطائي[٢٦٤].

"الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ" (أف ٤: ١٠).

يقول "نزل إلى أقسام الأرض السفلى"، والتي لا يوجد بعدها أقسام أخري، وصعد فوق الجميع، والذي لا يوجد بعده أي شيء آخر. أي ملأ الكل من سيادته وسلطانه، ومن ناحية أخرى، قبل أن يحدث هذا، كان كل شيء ممتلئًا (بحضوره فيه).

" وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أف ٤: ١١ــ١٢)

هذا ما يقوله في موضع آخر "لذلك رفعّه الله"[٢٦٥]، وهذا أيضًا ما يقوله هنا "الذي نزل هو الذي صعد". لم يُصبه أي ضرر بسبب أنه نزل إلى أقسام الأرض السفلى، ولم يَمنعه أي شيء، من الصعود إلى أعلى السموات. فكلما إتضع الإنسان أكثر، كلما أرتفع وسما أكثر. لأنه تمامًا كما هو الحال بالنسبة للماء عندما تتساقط الأمطار ترتفع المياه، وكلما زاد الإرتفاع الذي تسقط منه كلما زاد إرتفاع المياه، هكذا يكون الأمر في حالة التواضع.. ولكن عندما يتكلم الرسول بولس عن الصعود إلى السموات، فهو على أية حال يقصد أن النزول قد سبق الصعود، غير أنه عندما يُشير إلى الإنسان فهو لا يقصد هذا النزول والصعود الإلهي.

---

[٢٦٤] بولس الساموسطائي: كان أسقفًا لأنطاكية سنة ٢٦٠م، وكانت تعاليمه ضد عقيدة الثالوث، وأعتبر المسيح له المجد مجرد إنسان أعطاه الله قوة وحكمة أكثر من جميع الأنبياء.

[٢٦٥] في ٢: ٩.

ثم يُبيّن بعد ذلك عناية الله وحكمته، لأن الذي فعل كل هذا، وإستطاع أن يجتاز كل هذا من أجلنا، ولم يتردد أن يأتي إلينا، وينزل حتى أقسام الأرض السفلى، من غير الممكن أن يوزع المواهب الروحية هكذا جزافًا، بل يقول في موضع آخر إن الروح القدس هو الذي يقسم المواهب، يقول "التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله"[٢٦٦].

ويقول هنا إن الإبن هو الذي يوزع المواهب، وفي موضع آخر يقول إن الله الآب هو الذي يفعل هذا، "فوضع الله أناسًا في الكنيسة أولاً رسلاً ثانيًا أنبياء"[٢٦٧]. ويقول في الرسالة إلى كورنثوس "أنا غرست وأبولس سقي لكن الله كان يُنمي"[٢٦٨]، وأيضًا "الغارس والساقي هما واحد ولكن كل واحد يأخذ أجرته بحسب تعبه"[٢٦٩].

هكذا هنا أيضًا. وما أهمية إن كان أحد سيُشارك بالقليل؟ يعني أنك تكون قد أخذت قدرًا قُسِمَ لك.

"أولاً رسلاً" لأن هؤلاء كان لديهم كل شيء.

"ثانيًا أنبياء"، لأنه كان هناك البعض ممن لم يكونوا رسلاً، بل كانوا أنبياء، مثل أغابيوس.

"ثالثًا مبشرين ليكرزوا بالإنجيل"، هؤلاء لم يجولوا كل الأماكن، لكنهم كرزوا بالإنجيل فقط، مثل برسكيلا وأكيلا "رعاة ومعلمين" هؤلاء استأمنهم الله على الكرازة في سائر الأمم. ماذا إذن؟ هل الرعاة والمعلمون أدنى؟ أجل، هم أقل كثيرًا، فأولئك الذين يجلسون وينشغلون بمكان واحد، هم في مرتبة أقل من أولئك الذين يجولون الأماكن كافة ليكرزوا بالإنجيل مثل تيموثاوس، وتيطس.

---

[٢٦٦] أع٢٠:٢٨.

[٢٦٧] ١كو١٢:٢٨.

[٢٦٨] ١كو٣:٦.

[٢٦٩] ١كو٣:٨.



كذلك فإنه من غير الممكن أن نُميّز هنا بين الأدنى والأعلى، بل ويقول "الله أعطى"، ينبغي إذن ألا تُبدي أي إعتراض، أو ربما يدعو أولئك الذين كتبوا الإنجيل، بالكارزين.

٣. **"لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبيان جسد المسيح"**. أرايت مدى التنوع في العمل والخدمة؟ واحد يبني، وواحد يُنظم، والآخر يَخدِم.

" إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ" (أف ٤: ١٣)

هنا هو يدعو المعرفة التامة والكاملة بالقامة. لأنه تمامًا كما أن الرجل يقف بثبات، بينما ينخدع الشباب بالفكر المشوش، هكذا يحدث للمؤمنين. يقول "وحدانية الإيمان"، أي حتى نكتسب جميعًا إيمان واحد. وعندما نصير جميعًا واحدًا، فهذه هي وحدانية الإيمان، عندما ندرك جميعًا رابطة الإيمان، بنفس الطريقة، وحتى يتحقق هذا، يجب أن نجاهد ونعمل معًا.

فإن أخذت موهبة من أجل أن تبني آخرين، إنتبه لئلا تُهلِك نفسك، بحسدك للآخر. لقد كرّمك الله، ووضعك لتبني الآخر وتُنظم له حياته. ومن أجل هذا، أخذ الرسول موهبة الرسولية، ولأجل هذا، تنبأ النبي، أيضًا لأجل هذا أخذ المبشر موهبة التبشير، والراعي والمعلم يقدمون عملهم للآخرين. لا تحدثني إذن عن الفروقات بين المواهب، بل حدثني عن إشتراك الجميع في عمل واحد، إذن عندما نُؤمن جميعًا بشكل مُماثل، حينئذ ستتحقق وحدة الإيمان. لأنه من الواضح أن المؤمن الحقيقي يدعوه بالرجل الكامل. وفي موضع آخر حين كُنا كاملين، دعانا أطفالاً، لكنه كان يهدف هناك لشيء آخر، لأنه بعدما قال "نعلم بعض العلم"[٢٧٠]، أضاف "كما في لغز لكن حينئذٍ سأُعرف كما عرفت" لكنه يقول هذا هنا

---

[٢٧٠] ١كو١٣: ٩.

لأسباب آخري، لكي يعلن أننا سنتحول بسهولة كما يقول في موضع آخر "الطعام القوي فللبالغين"[271] أرأيت كيف يدعونا كاملين؟

لاحظ كيف يدعونا هنا كاملين، وهذا يتضح فيما أضافه:

" كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ" (أف ٤: ١٤)

هذا القليل الذي نلناه، يجب أن نحفظه بكل عناية، وثبات، ويقين. يقول "كي لا نكون"، عبارة "لا نكون" تُظهِر أنه قد عانينا منه قديمًا. ولم يستثني نفسه في هذا، نجده فيما بعد يُصحح هذا السرد. ولذلك يقول إن البناءين قد صاروا كثيرين حتى لا يهتز البناء، وحتى لا يتأرجح، وحتى تكون الأحجار ثابتة ومتينة. لأنه يُلاحظ الإضطراب، والإهتزاز، والتأرجح لدى هؤلاء (أي الأطفال المحمولين بكل ريح تعليم).

يقول "محمولين بكل ريح تعليم" يتكلم ضد التغير، لكي يُبيّن حجم الخطر الذي توجد فيه تلك الأنفس المترددة والمحمولة بكل ربح تعليم.

يقول **"بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال"** إن الذين يلعبون القمار يستخدمون حيلاً كاذبة، هؤلاء الماكرون عندما يجدون بعض البسطاء، فإنهم يبدأون في بث الفوضى في كل شيء.

---

[271] عب٥: ١٤.

" بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شيء إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف ٤: ١٥ــ ١٦).

لقد فسّر ما أراد أن يُفسره بغموض شديد، وشمل كل شيء معًا. إن المعني الذي يقصده هو الآتي: تمامًا مثل الفكر الذي يخرج من العقل عن طريق الأعصاب، ولا يُعطي التأثير لكل الأعضاء بشكل عام، بل لكل عضو بالقياس الذي يتناسب مع إمكانية ذلك العضو على إستقبال هذا، فيوجد عضو يتأثر كثيرًا وآخر يكون تأثّره ضئيلاً، لأن الفكر هو الأصل أو الجذر، هكذا المسيح أيضًا، فإن النفس مَتحدة به كعضو، وعنايته بها ومنحه للمواهب، تُعطي حسب قياس كل واحد، ويُعطى النمو بحسب قدرات كل عضو. ماذا تعني كلمة "بِمُؤَازَرَةِ ؟" أي بواسطة الإحساس لأن الروح الذي يُمنح من الرأس إلى الأعضاء، يصبح له عمل وفاعلية، حين يأتي في تماس وإتصال مع كل عضو. حتى لا يهتز البناء، وحتى لا يتأرجح، وحتى تكون الأحجار ثابتة. لأن عدم ثبات هؤلاء كان أمرًا ملحوظًا، بما في ذلك من إهتزاز وتأرجح وزعزعة. يقول "كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال". "محمولين بكل ريح تعليم" تكلم عن التحول (من حالة إلى حالة)، لكي يُظهر أن النفوس التي تتردد هي في وضع خطير.

كما لو أن شخصًا قد قال إن الجسد نال العون أو المؤازرة على حسب قياس عمل كل عضو من أعضائه، فيحصل النمو، أو بمعني آخر نحن ننال العون بحسب قياس عمل العضو، فيمضي في النمو، أو أن الروح يحل بفيض من فوق ويأتي في إتصال مع كل الأعضاء، ويُمنح على قدر ما يستطيع كل عضو أن يقبله، وهكذا يحصل نمو الجسد.

ولماذا أضاف "في المحبة؟"، لأنه لا توجد طريقة أخرى سوى المحبة، لكي يحل الروح القدس. لأنه تمامًا كما يحدث إذا أنفصلت يد عن الجسد، فإن الروح "روح الحياة" التي تأتي من الدماغ تستمر في مسيرتها باحثة عنها، فإن لم تجدها، لا تقفز خارج الجسد، ولن تخرج خارج الجسد بإعتبار أن اليد قد إنفصلت عن الجسد، بل إن لم تجدها في موضعها، فإنها لا تقترب منها، نفس الشيء يحدث هنا، لو كُنا غير مرتبطين فيما بيننا بالمحبة.

هذه كلها إذن قد قيلت، لكي تقود إلى الإتضاع لأنه ما أهمية أن ينال أحد أكثر، فهو قد أخذ نفس الروح، المرسل من نفس الرأس، والذي يعمل وينشط ويكون على صلة بالجميع بنفس القدر. يقول "**مركبًا معًا ومقترنًا**"، أي ينال رعاية كبيرة، وليست بشكل عشوائي، بل إن الجسد يجب أن يكون مركبًا بشكل منظم، لأنه لو ترك عضو مكانه، فإنه لن يكون له وجود بعد. حتى أنه ليس فقط ينبغي أن يكون مترابطًا مع الجسد، بل وأن يحفظ وضعه، لأنه عندما تتجاوز ـ أنت كعضو ـ هذه المكانة فإنك لن تكون مُتحدًا أو مرتبطًا من جهة علاقتك بالجسد، ولن تقبل الروح. ألا تري تحركات العظام وكيف تحدث، فعندما تنتقل عظمة من مكانها إلى مكان آخر، فإنها تسبب ضررًا بالغ لكل الجسد، وكثيرًا ما يعاني الآلام الشديدة التي تنتهي به إلى الموت، إذ قد تحتل عظمة موضعًا ليس هو موضعها، وكثيرون يستأصلون عضوًا ويتركون مكانه خاليًا.

إذن الطمع في كل الأحوال هو أمر سيء. ولذلك فإن الأعضاء التي تؤلف الجسد الواحد، يجب أن تكون مترابطة فيما بينها، وكل عضو يؤدي عمله المنوط به، أما إذا حدث وتجاوز عضو من هذه الأعضاء القياس الخاص به وسيطر عليه الطمع، فإنه يُدمر كل شيء. هذا هو معني "مركبًا معًا ومقترنًا". فكّر في كم هو أمر عظيم أن يبقي كل عضو في مكانه. وألا يتجاوزه ليسود على عضو آخر، ليس له أي علاقة به. أنت عضو من الأعضاء التي تؤلف الجسد، أما هو



فيهب المعونة من فوق. لأنه تمامًا كما هو الوضع في حالة الجسد، الذي يوجد فيه أعضاء مناسبة له، هكذا في حالة الروح، لأن الجذر الذي يُغذي الأصل أي الجسد، يوجد في السماء، مثلما أن القلب هو جذر العقل (أي الذي يُغذيه)، والكبد هو جذر للدم، والطحال هو جذر للمرارة، وأعضاء أخرى هي جذور لأُخرى، وهذه الأعضاء كافة تجد عِلتها في الدماغ[٢٧٢]. هكذا خلق الله البشر مُكرمين للغاية، وأرادهم قريبين منه، وعِلة وجودهم تعود إلى الله، وقد جعلهم في نفس الوقت معاونين له، وإن كان قد وضع هذا في ذلك العمل، فقد وضع ذاك في عمل آخر (أي جعل البعض رسلاً والبعض أنبياء والبعض معلمين). على سبيل المثال فإن الرسول هو العضو الأهم في الجسد، وينال من الله كل شيء، حتى أن الكلمة تنساب منه بطريقة ما كما ينساب الدم عن طريق الشرايين والأوردة، ويجعل الحياة الأبدية داخل الجميع. إن النبي يتنبأ بالمستقبل. "**كلمة الله**" نفسه يُحقق كل هذا، فهو الذي وضع كل عضو في مكانة، هو الذي يهب الحياة لكل هذه الأعضاء. "**لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة**" المحبة تبني، وتساهم في أن نكون متحدين فيما بيننا ومترابطين ومركبين معًا.

٤- إذن إن كنا نُريد أن نتمتع بالروح الذي يأتي من الرأس، فلنكن مترابطين فيما بيننا بشدة لأن هناك طريقين يُسيئان إلى الكنيسة جسد المسيح، **الطريق الأول** أن نجعل المحبة تبرد، **والثاني** عندما نتجرأ على فعل أشياء لا تليق بهذا الجسد، فنحن نفصل أنفسنا عن ملء الكنيسة بهذين الطريقين. فإذا كنا نحن المطالبين بأن نبني آخرين في هذا الجسد، فقد يمكن أن نكون نحن السبب في فصلهم عن الكنيسة، فهل تعتقد أنه سيبقى شيء لن نُعاني منه من جرّاء هذا؟ لا يوجد شيء يمكن أن يشق الكنيسة بهذه السهولة، بقدر حب السلطة والزعامة، ولا يوجد شيء يُثير غضب الله، بقدر إنقسام الكنيسة. وحتى وإن كُنّا بعد قد عملنا أعمالاً صالحة لا حصر لها، فلن نُدان نحن الذين قسمنا ملء جسد

[٢٧٢] يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم هنا وفقًا لمعطيات عصره العلمية في ذلك الوقت.

الكنيسة، بأقل من أولئك الذين جرحوا جسده أيضًا. فبالرغم من أن وحدة الجسد صارت من أجل المسكونة كلها، إلا أنهم لم يُقدِموا على هذا التقسيم من أجل هذا الهدف (بل الهدف هو شهوة الزعامة)، لذا ما فعلوه لن ينفع في شيء على الإطلاق، بل على النقيض يضر كثيرًا.

هذا الكلام لم يُقال فقط للرؤساء، بل وللمرؤسين أيضًا. هناك رجل قديس قال شيئًا من الواضح أنه شيء جريء. وما هو هذا الشيء؟ قال إنه ولا دم الشهيد يمحو هذه الخطية. أخبرني لماذا تُقدِم على الإستشهاد؟ ألم تفعل هذا لأجل مجد المسيح؟ أنت إذن يا من تُضحي بحياتك من أجل المسيح، كيف تُقسم الكنيسة التي ذُبح المسيح من أجلها؟ إسمع الرسول بولس الذي يقول "لستُ أهلاً لأن أُدعي رسولاً لأني أضطهدت كنيسة الله"[٢٧٣]. هذا الأذى من قِبل الأعداء ليس بالقليل، بل هو كبير جدًا. لأن هذه الوحدة تُظهر وتبيّن الكنيسة في بهائها، بينما الخطية تجلب العار والخزي على الكنيسة أمام أعداءها، أي عندما تُحارب من قِبل أبنائها. لأنه أن يتحولوا فجأةً، ويصير أولئك الذين وُلدوا وتغذوا داخل الكنيسة، وعرفوا أسرار الإيمان بدقة، أعداءً لها، فهذا دليل كبير على الخداع. إن ذلك يحدث بواسطة هؤلاء الذين يتبعون أولئك الذين يُقسمون الكنيسة بلا إكتراث. فإن كان لا يليق بهؤلاء أن يتبعوا أولئك الذين لهم إيمان مخالف لإيمان الكنيسة، فبالأكثر جدًا أن لا يتبعوا أولئك الذين يقسمون الكنيسة ولهم نفس الإيمان تُرى لماذا؟ لأن المرض يأتي نتيجة حب الرئاسة أو الزعامة.

ألستم تعلمون ماذا حلَّ بقورح وداثان وأبيرام؟[٢٧٤]، وهل ما أصابهم قد حَّل بهم فقط، ولم يحَّل بمن أتي بعدهم؟. ماذا تقول؟ إن لهم نفس الإيمان، وهم أرثوذكسيون كما أولئك. إذن لماذا هم غير متحدين فيما بينهم؟ يقول: "رب واحد

---

[٢٧٣] اكو١٥:٩.

[٢٧٤] أنظر سفر العدد١٦:٢٥ـ٣٤.



إيمان واحد. معمودية واحدة". فإن كان ما يصنعه هؤلاء هو عمل مستقيم، فإن أعمالنا خاطئة، وإن كانت أعمالنا مستقيمة فحينئذٍ تكون أعمالهم خاطئة. "كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم". أخبرني، هل تعتقد بأنه يكفي هذا، حتى تقول إنهم أرثوذكسيون؟ هل الأمور المتعلقة بالرسامة أنتهت وفقدت؟ وما المنفعة من هذه الرسامة إن كانت قد تمت بطريقة غير قانونية؟ لأنه تمامًا كما أنه يجب أن نجاهد لأجل الحفاظ على الإيمان المستقيم، هكذا يجب أن تكون الرسامة. لأنه إن كان ممكنًا لكل أحد أن يُرسم، كما يحدث مع القدماء، وهكذا يصيرون كهنة، فليعلم الجميع أنه لأمر باطل بناء هذا المذبح، وباطلاً يكون ملء الكنيسة وجموع الكهنة، فلنبُطل كل هذا ولنقضي عليه.

أنتم تقولون حاشا، أن يصير هذا الأمر، إلا أنكم تفعلونه؟ كيف تقول حاشا، أن يصير هذا، في اللحظة التي يكون فيها قد حدث بالفعل؟ أنا أتكلم بهذا الكلام وأؤكد عليه، ليس بدافع مصلحتي الشخصية، بل من أجل خلاصكم أنتم، فإن كان أحد لا يُبالي بما أقول، فهذا سيُدان، وإن كان أحد لا تشغله هذه الأمور، فهو الخاسر، وسنظل نحن نطرح هذا الموضوع ونؤكد على أهميته. يقول الرسول بولس "أنا غرست وأبولس سقى لكن الله كان يُنمي"[٢٧٥]. كيف ستحتمل إستهزاء وسخرية الوثنيين؟ فإن كانوا يتهموننا عن طريق الهرطقات، فماذا سيقولون عن هذه الأمور كلها (أي الأقبال على الرسامات وحب الرئاسة)؟ فإن كان هذا الإيمان موجود في كل مكان، وإن كُنا نمارس نفس الأسرار، فلماذا يقفز أسقف آخر على كنيسة أخرى؟ أرايتم كيف يقولون إن كل الأمور المختصة بالمسيحيين قد إمتلأت بالمجد الباطل وأن هؤلاء يُسيطر عليهم حب الرئاسة، وخداع الذات؟ إعزل هؤلاء عن الجمع، عندئذٍ لن يكونوا شيئًا. إستأصل وأقضِ علي المرض الذي يُفسد القطيع.

---

[٢٧٥] ١كو٣:٦.

٥ـ هل تُريدون أن أقول ما يقولونه عن مدينتنا؟ ألا يستطيعوا أن يتهموننا بكل سهولة؟ هذا ممكن لكل من يُريد أن يجد له أتباعًا، وهؤلاء موجودون دومًا، يا للعجب كم هو أمر مستحق للسخرية والإزدراء! كم من الخجل تستحق هذه الأمور؟ فالواحد يستحق السخرية، والآخر يدعو للخجل. فلو أن البعض منّا سيطرت عليه أمور مُخيفة، لأنه سيصير عرضة للتأنيب والتوبيخ، فإن الرعب والخوف الشديد سيكون في كل موضع، لربما ينشق أحد من جماعة المؤمنين وينضم لهؤلاء الراغبين في الزعامة، والأفضل أن ينشق شخص مثل هذا ويكون مع هؤلاء. وأنا لا أتكلم عن الذين خُدِعوا، بل عن ذاك الذي وُجد في هذه الحالة، ولم يُخدَع، وأراد أن ينضّم إلى الهراطقة، فليفعل هذا. إنني أتألم بالحق وأحزن وأئن، وتلتهب أحشائي كأني أُحرم من أحد أعضائي، لكن ألمي ليس بقدر خوفي ربما أضطر بسببه هذا أن أفعل شيئًا، لا يجب أن أفعله.

أيها الأحباء لسنا نسود على الإيمان، ولا نخبركم بهذه الأمور بأسلوب السادة، لقد رُسمنا لأجل تعليم الكلمة، وليس لأجل السلطة والسيادة. إننا في وضع المشيرين والناصحين الذين يُرشدون. فذاك الذي يُرشد يُعبر عن رأيه دون أن يُجبر المستمع، بل يتركه حرًا ليختار ما يقبله ويقتنع به، فالمرشد مسئول أمام الله إن لم يُعلّم بتلك الأمور التي ينبغي أن يُعلّم بها. ومن أجل هذا فنحن نُعلّم بهذه الأمور، حتى لا يجرؤ أحد منكم أن يقول يوم الدينونة، أننا لم نسمع شيئًا ولا نصيحة من أحد، نحن لا نعرف هذه الأمور.

ولذلك فإني أترجاكم بإلحاح، وأقول لكم إن إثارة أحد للإنشقاق داخل الكنيسة، ليس بأقل شر من سقوطه في الهرطقة. أخبرني لو أن هناك عبدًا أو خادمًا يخضع لسلطان وأوامر ملك ما، وأن هذا الخادم لم يذهب إلى موضع أو مكان آخر، ولم ينضم إلى حاشية ملك آخر، لكنه أخذ الثوب الملوكي، وإفترشه على الأرض وجعل فيه ثقوبًا كثيرة ثم مزّقة إلى قطع كثيرة، هل سيُعاقب



بأقل من أولئك الذين إنضمّوا إلى ملك آخر؟ ولو أنه بالإضافة إلى ذلك، أمسك بالملك ذاته وخنقه ومزق كل عضو في جسده، فأي عقاب سيكون مستحقًا له؟ فإن كان ما فعله بالملك والذي هو بشر مثله، سيجعله يُعاقب بأشد أنواع العقاب، فأي جحيم يكون مستحقًا له ذاك الذي ذبح وقسّم جسد المسيح؟ وهل هذه هي العقوبة التي يُهدد بها؟ لا اعتقد، بل عقوبة أكثر رعبًا بكثير.

فليتكلم بهذا كل مَنْ يحضر معنا، وبشكل أساسي النساء، لأن النساء لديهن هذا العيب، فلتَقصوا عليهن هذا المِثال، وأن تُخيفوهن. فإن كان البعض يعتقد أنهم يحزنوننا بهذا المسلك وينتقموا منّا بما يفعلونه، فليعلموا جيدًا أن كل ما يفعلونه باطل. لأنه إن أردت أن تنتقم منّا، فأنا سأعرفك الطريقة التي بها يمكن أن تنتقم دون أن تؤذي نفسك، وربما ليس من الممكن أن تنتقم دون أن تضرّ نفسك، ولكن الضرر سيكون قليل. إذا أردت أن تنتقم فلتضربني، أبصق عليّ علانيةً عندما تلقاني، وإحدث فيّ إصابة. هل هذه الأمور مُفزعة للسمع؟ فإن كان قولي لك بأن تضربني هو أمر مُفزع، ألا يُعتبر تمزيق جسد إلهك أمر مُفزع؟ هل تُجزء أو تقسم أعضاء الرب ولا ترتعب؟ الكنيسة هي البيت الأبوي، جسد واحد وروح واحد. فإذا أردت أن تحاربني، فلتتوقف عند حدودي أنا. لماذا تحارب المسيح، بدلاً من أن تحاربني؟ وربما السؤال هو لماذا تضرب فوق جروحه؟ وبالطبع الإنتقام في كل الأحوال، ليس شيئًا حسنًا، بل أن يُهين أحد، شخصًا آخر وليس الذي ظلمه، فهذا أمر سيىء للغاية.

هل تنتقم منّا؟ لماذا تُحزِن الذي لم يظلمك؟ هذا دليل على الخبل الشديد. لن أتكلم ساخرًا بما أريد أن أتكلم فيه، ولن أتكلم بشكل عرضي، بل سأتكلم بما أُفكر فيه، وأشعر به. لأجل كل واحد منكم يا مَن تتألمون بسبب كلامي، وبسبب هذا الألم وهذا الحزن تضرون أنفسكم، وتسلكون مسيرة أخرى. كنت أود أن أجرح نفسي، أو أن أُعري جسدي لكي يُضرب بالعصى، سواء إتهمونني بحق أو بدون حق، وأنا أقبل بأن يحل عليّ الغضب، على أن يتجرأوا على فعل تلك

الأمور التي يُقدِمون عليها. فإن حدث هذا الأمر على إنسان مثلي مخلوق من العدم، فهذا لا يُعد شيئًا. على الجانب الآخر، يُمكنني أنا المظلوم والمهان، أن أترجى الله وسيصفح عن خطاياكم، لا لأنه يسمع لي بإعتباري قديس، بل لأن المظلوم عندما يترجى ويطلب الصفح عن ذاك الذي ظلمه، يُسمع له جدًا. يقول النبي "إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يُدينه الله"[٢٧٦]. فإن كنت أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك، سأترجى أناسًا قديسين وأطلب منهم، وسيفعلون هذا. لكن مَنْ أترجى الآن، بعدما أهانوا الله.

لاحظ هذا التطرف الفكري، لأنه مِن بين أولئك الذين ينتسبون إلى الكنيسة، البعض لم يأت قط إلى الكنيسة، أو يأتي لمرة واحدة في السنة وبعشوائية، البعض الآخر يأتي بشكل أكثر إنتظامًا، لكنهم هكذا إعتادوا يتحدثون في شيء وهم هازلون، البعض الآخر يهتمون كما هو واضح إهتمامًا جزئيًا، هؤلاء هم الذين يُثيرون هذه الكارثة. إذن إن كنتم تهتمون وتعتنون بهذه الأمور، فمن الأفضل ألا تكونوا مع غير المكترثين، وربما من الأفضل أن تقول ولا أولئك ينبغي أن يكونوا متهاونين ومتوانين ولا أنتم أيضًا ينبغي أن تكونوا متهاونين ومتوانين، لا أتكلم عنكم أنتم الحاضرون معنا هنا، بل عن هؤلاء الذين يَعصُون وينشقون. هذا الأمر يُعتبر زنا. وإن كنت لا تحتمل أن تسمع هذا الكلام عن أولئك الناس، إذن فينبغي ألا تحتمل أن تسمع عنا، لأن واحد من الأثنين، حتمًا هو مخالف للتعاليم المستقيمة. فإن كنتم تضعوني موضع شُبهة، فأنا مُستعد أن أتخلى عن مكانتي، لأي شخص تُريدونه، بشرط أن تبقي الكنيسة واحدة، لكن إن كنت أنا قد تقلدت هذه المكانة بشكل شرعي، فلتقنعوا أولئك الذين قفزوا على الكرسي، بطريقة غير شرعية، أن يتركوا ما لا يخصهم.

---

[٢٧٦] ١صم٢:٢٥.



أقول هذه الأمور ليس كآمر، بل لكي أثبتكم، وأحفظكم. لأن كل واحد وصل إلى سن معين ونضوج يكفي ليجعله مسئولاً عن أعماله، أترجاكم ألا تعتقدوا بأنكم غير مسئولين عن أنفسكم، وتلقون كل شيء علينا، حتى لا تهلكوا وتُلقوا بأنفسكم في الخداع. لأننا سنُعطى حسابًا عنكم، إن لم نكن قد إعتنينا بنفوسكم إعتناءً كاملاً، وإن لم نكن قد ترجينا وتضرعنا إلى الله من أجلكم، وإن لم نكن قد نصحناكم كثيرًا. بعد كل هذا إسمحوا لي أن أقول "أنا برئ من دم الجميع"[٢٧٧]. وأيضًا "الذي نجانا من موت"[٢٧٨]. بعد ذلك فإن كل ما أردتم وأشرتم إليه بشأن تبرير السبب الذي لأجله قد إبتعدتم، فإني سادافع عن نفسي. إلا أنه ليس لديكم شيئًا لتقولوه، من أجل هذا أترجاكم أن تقفوا بنبل وشهامة، وأن تُعيدوا كل الذين ضلوا وإبتعدوا، كي نقدم معًا الشكر لله الذي يليق به المجد إلى أبد الأبدين آمين.

---

[٢٧٧] أع ٢٠:٢٦.

[٢٧٨] ٢كو ١:١٠.

العظة الثانية عشر: (أفسس٤:١٧)

" فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ" (أف ٤:١٧).

١ـ ينبغي على المعلم أن يُنمي ويوجه نفوس تلاميذه، ليس فقط بأن ينصح ويُعلم، بل أيضًا أن يزرع في هذه النفوس، المخافة ويضعها أمام الله. لأنه من المؤكد أن كلام البشر، بإعتباره كلام أناس يحيون في نطاق العبودية، لا يمكن له أن يُؤّمن النفس، لذلك هناك ضرورة لوضع هذه النفوس أمام الرب. وهذا ما يفعله الرسول بولس، لأنه بعدما تكلّم عن التواضع، والوحدة، وأنه لا يجب على احد أن يثور ضد الآخر، إسمع ماذا يقول: "فأقول هذا وأشهد في الرب ألا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم". لم يقل ينبغي عليكم ألا تسلكوا كما كنتم تسلكون، إذ أن هذا الكلام يُعَّد كلامًا مُهينًا، لكنه عبّر عن ذات الكلام بمثال، أخذه من آخرين، وهذا ما فعله عندما كتب إلى أهل تسالونيكي، قائلا: "لا في هوى شهوة كالأمم"[٢٧٩]. وكأنه يقول أنكم إنفصلتم عن عقائد الأمم، وصِرتم لله بالكامل. لكنني أطلب تلك الأمور التي تسمو على كل شيء، أن تكون الحياة والسلوك بحسب مشيئة الله، وهذا يعتمد عليكم. يقول إنه يستدعي الله شاهدًا على كلامه، وأنه لم يصمت بل تحدث عن كيفية السلوك كما ينبغي. يقول "ببطل ذهنهم". ماذا يعني بعبارة ببطل الذهن؟ أن تنشغل بأمور باطلة. وما هي الأمور الباطلة، سوى كل الأمور الأرضية؟ التي يقول عنها كاتب سفر الجامعة "باطل الأباطيل الكل باطل"[٢٨٠].

لكن قد يتساءل المرء، إن كان باطل الأباطيل الكل باطل، فلماذا خُلقت؟ وإن كانت هي عمل الله، كيف تكون باطلة؟ هناك كلام كثير أُثير حول هذا

---

[٢٧٩] ١تس٤:٥.

[٢٨٠] جا١:٢.



الموضوع. إسمعوا أيها الأحباء، إنه لم يقل إن أعمال الله باطلة، فالسماء ليست باطلة، ولا الأرض باطلة، لم يحدث أن خلق الله شيئًا باطلاً، ليست الشمس باطلة ولا القمر ، ولا النجوم، ولا جسدنا باطل، بل كل هذه حسنة جدًا. فماذا يعني بكلمة "بُطل"؟ لنسمع كاتب سفر الجامعة نفسه الذي يقول "غرستُ لنفسي كرومًا عملت لنفسي جنات وفراديس وغرستُ فيها أشجارًا من كل نوع ثمر عملت لنفسي برك مياه لتُسقي بها المغارس المنبتة الشجر قنيتُ عبيدًا وجواري وكان لي ولدان البيت وكانت لي أيضًا قنية بقر وغنم..جمعت لنفسي أيضًا فضة وذهبًا..وإذ الكل باطل"[281]، وأيضًا قال "باطل الأباطيل الكل باطل". وإسمع النبي الذي يقول "يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها"[282]. وفقًا لهذا، فإنه باطل الأباطيل هي المباني الفخمة، والذهب الوفير، وجموع العبيد، الذين يسيرون في السوق بطريقة مُشينة، والتباهي، والمجد الباطل، وحب الظهور، الإفتخار. كل هذا هي أمور باطلة، لأنها ليست من الله، فنحن الذين أوجدناها. ولكن، لماذا هي باطلة في كل الأحوال؟ لأن ليس لها أي نتيجة نافعة.

المال باطل، حين يُنفق في المُتَّع، لكنه لا يصير باطلاً عندما يُوزع على الفقراء. لكن إن أنفقت هذه الأموال في المُتعَّ، لنري ماذا ستكون النتيجة لهذه المُتَّع، زيادة وزن الجسد، هُزال، إنتفاخ في المعدة، وإضطرابات معوية كثيرة، وصداع، ورخاوة الجسد، وارتفاع درجة حرارة الجسم. لأنه كما هو باطل ان يصب أحد ماء في أناء مثقوب، هكذا أيضًا ذاك الذي يُنفق حياته في مُتع وإسراف. وبعبارة آخري، يقال باطلاً عن ذاك الذي يُعتقد أن له كرامة، لكن في الحقيقة ليس له، هذا ما يسمونه أيضًا بالفراغ، والرجاء الوهمي الذي بلا هدف. ويقال باطلاً هكذا ببساطة عن ما لا يُعد نافعًا في أي شيء. إذًا فلنفحص الموضوع، فقد يمكن أن تكون الأمور الخاصة بحياة الإنسان ليست هكذا. "فلنأكل ونشرب لأننا غدًا

---

[281] جا٢:٤ـ١١.

[282] مز٣٩:٦.

نموت"[٢٨٣]. إذًا ما هي النتيجة؟ فلتخبرني، إنه الهلاك فلنلبس، ونقتني ملابس كثيرة، وما هي النتيجة؟ لا شيء. هذه الرؤية للحياة نادى بها بعض اليونانيين، لكنها باطلة. لقد أظهروا أسلوب حياة قاسية، دون أن يتوجهوا إلى هدف نافع، بل فقط إتجهوا نحو المجد الباطل، وطلب الكرامة من أناس كثيرين. وما قيمة الكرامة التي تأتي من كثيرين؟ لا شيء لأنه إذا تلاشى أولئك الذين يُقدمون هذه الكرامة، فبالأكثر جدًا تتلاشى هذه الكرامة. وذاك الذي يمنح كرامة لآخر، لابد وأن يكون هو نفسه يمتلك هذه الكرامة، فإن لم يكن يمتلكها فكيف له أن يمنحها لآخر؟ بالطبع نحن الآن نسعى في أثر الكرامة ونطلبها من التافهين، المحتقرين، ومن لا شأن لهم. إذن أية قيمة تحملها هذه الكرامة؟

٢ـ أرايت كيف أن كل شيء هو باطل الأباطيل؟ ولذلك قال القديس بولس "ببطل ذهنهم". ولكن أليست ديانتهم باطلة؟ ماذا إذن؟ أليست هي أخشاب وأحجار، تلك التي يسجدون لها؟ لقد خلق الله لنا الشمس بدلاً من المصباح لكي تُنير لنا، فكيف يسجد للمصباح نفسه؟ إن الشمس هي التي تمنح النور. لكن حين لا تستطيع أن تُنير، فإن المصباح يؤدي هذا العمل. إذن لماذا لا تسجد للمصباح؟ سيقول أحد، نعم أنا أسجد للنار. حقًا كم تعتبر هذه الأمور مُستحقة للسخرية! ألا تخجل من عظم مقدار هذه الإهانة؟ ولكن إنتبه للإهانة الأخرى أيضًا، لماذا تُطفئه؟ ولماذا تلاشى إلهك؟ لماذا لا تسمح أن يكون بيتك مملؤًا منه؟ فإن كانت النار هي الله حقًا، فأجعلها إذن تقترب من جسدك، ولا تضعها أسفل أي إناء، وأيضًا يمكنك أن تدخلها الخزائن التي تحتفظ فيها بالملابس الحريرية، إلا أنك لا تستطيع أن تُدخله، بل حتى وإن كان بعد قد أتت إلى بيتك بسبب خطأ أحد، فإنك تُبعدها من كل مكان. كذلك حين يأتي وحش ما، فأنت تحزن وتتنهد، وتعتبر ذلك كارثة كبري، في أن إلهك حاضر في تلك اللحظة. أنا أيضًا لي إله،

---

[٢٨٣] ١كو ١٥: ٣٢.



وأفعل كل شيء لكي أستقبله بحرارة ودفء، وأعتبرها سعادة غامرة بالنسبة لي، ليس فقط عندما يزور بيتي، بل عندما أجذبه إلى داخل قلبي. إن عبادة الأشياء المادية أمور باطلة ومدعاة للسخرية. إن النار جيدة للإستخدام، لا لكي أعبدها، بل لكي تخدمني وتعمل من أجلي، لا لكي تسود عليّ. النار صارت من أجل خدمتي، وليس أنا من أجل خدمة النار. فإن عبدت النار، فلماذا تتركها وتخلُد إلى النوم، أما أثناء عملية الطبخ فأنت تخشى الوقوف بجوار إلهك؟ فلتضع على كاهلك مسألة الطبخ، ولتصر فرانًا وحدادًا إن أردت. لأنه لا يوجد ما هو أكثر كرامة من هذه المهن، لأن إلهك ينظر إليها. لماذا تعتبر المهنة إهانة، فإلهك حاضر منذ سنوات طويلة؟ لماذا تأمر العبيد بأداء هذه المهام، بينما أنت نفسك لا تقبلها.

النار شيء حسن، لأنها من صنع خالق فائق الجمال، لكنها ليست إله، إذ هي من صنع الله، فلا تُدعى إلهًا. أرايت هذا الإضطراب وهذا التشويش؟ أرايت كيف أنها عندما تنشب في منزل، لا تتوقف أبدًا؟ وإن وجدت أمامها أشياء فإنها تُدمرها كلها، ولا تطفيء جنونها أيادي البناءين ولا أي أيادي أخرى، ولا تعرف أصدقاء أو أعداء، لكنها تتعامل مع الجميع بطريقة واحدة. هل هذه النار إذن إله، ألا تخجلوا؟ بالصواب قال "ببطل ذهنهم". ولكن سيقول أحد، إن الشمس إله. اخبرني إذن من أين أتيت بهذا، ولماذا تعتبرها إله؟ هل لأنها تشع نورًا كثيرًا؟ حسنًا ولكن ألا ترى أنها تُهزَّم من السُحب، وتخضع لقوانين الطبيعة، وتختفي بالقمر والسحاب؟ وإن كانت السُحب بطبيعة الحال أضعف من الشمس، إلا إنها تمتاز وتتفوق في أمور كثيرة، وهذا هو عمل حكمة الله. الله يجب أن تكون فيه الكفاية في كل شيء، لكن الشمس تحتاج لأمور كثيرة. إلا أن هذا الإحتياج ليس سمة من سمات الله، لأنه لكي تصير الشمس مرئية، فهي تحتاج إلى هواء، وهواء مُقلل للكثافة، وعندما تتكاثف ذرات الهواء بشكل كبير جدًا فإنها لا تسمح لأشعة الشمس أن تخترق هذه الكثافة الهوائية. والشمس تحتاج للماء أيضًا، وأشياء أخرى تضبط إيقاعها، حتى لا تحرق ما تلمسه. لأنه إن لم تكن الآبار، والبحيرات، والأنهار،

والبحار، قد شكلّت هذا الماء عن طريق بخار الماء المتصاعد، فلن يكون هناك ما يمكنه أن يمنع الشمس من أن تحرق كل شيء.

وقد يقول المرء ألم ترى أنها اللّه؟ أي خبل هذا! يا له من كلام يستحق السخرية! لأن الشمس يمكن أن تؤذي، وتدّعي أنها إله. ولكن على أيه حال، ولهذا السبب تحديدًا فهي ليست إلهًا، لأنها في تلك الأمور التي تؤذي، ليست محتاجة لأي شيء، لكن في الأمور النافعة، تحتاج لأمور أخرى كثيرة. أما فيما يخص اللّه فليس هناك أذى، لأن الأذى أمر غريب عن طبيعة اللّه، بل إن وفرة الفوائد والمنافع، هي الملمح والسمة المألوفة والمعروفة في اللّه، إذن عندما يحدث العكس، فكيف يكون إلهًا؟ ألا ترى أن الأدوية السامة تسبب ضررًا خطيرًا، ولا تحتاج لأي شيء آخر، لكن ألا ترى أنه لأجل النفع أو الإفادة، تحتاج إلى الكثير؟ لقد خُلقِت الشمس لخدمتك، وهي جيدة وضعيفة في نفس الوقت، فهي من ناحية جيدة ونافعة، إذ إنك تعرف مراحم الرب من خلالها، وضعيفة حتى لا تقول إنها إلهك.

ولكن قد يقول قائل، بإنها تُغذي النباتات والبذور. ماذا إذن، فهل بسبب ذلك، يكون الروث إلهًا؟ خاصةً وأن الروث يُغذي التربة. وهل لأجل هذا فإن المنجل يعتبر إلهًا وهكذا أيدي الفلاح؟ برهن لي بأن الشمس وحدها هي التي تُغذي دون أن تحتاج لأي شيء، لا تحتاج للتربة، ولا للماء، ولا لحرث الأرض، بل أن تُبذر البذار، وبعدما تشع بأشعتها، تحمل السنابل إلى النور. فإن كانت النباتات لا تعتمد في نموها على الشمس فقط، بل وعلى المطر أيضًا، فلماذا لا يكون الماء هو أيضًا إلهًا؟ لكن لن أتناول هذا الآن. ولماذا ليست الأرض هي أيضًا إله؟ ولماذا لا يُعد الروث وآلة الحصاد إلهًا؟ أخبرني إذن هل سنعبد كل هذه الأشياء؟ يا للغباء! بل ومن الممكن بالطبع أن تنمو السنابل بدون شمس، على أن تنمو بدون تربة وماء، وهذا ينطبق أيضًا على النباتات، وكل المزروعات الأخرى. إذن إن لم توجد



الأرض، يكون هناك وجودًا لهذه الأشياء، لكن إن وضع أحد طين في زهرية من قرميد، كما يفعل الأولاد والنساء، ثم وضَعها في غرفة مغلقة، فإن الزرع سينبت، حتى وإن كان ضعيف البنية. وسيعتبر الطين والزبل في هذه الحالة عاملاً مساعدًا جيدًا، ولذلك وفقًا لهذا المنطق ينبغي أن نعبدهما، أكثر من الشمس. الشمس - إذن - تحتاج للماء، وللهواء، وللري المستّمر، حتى لا تُسبب أذى وضرر للمزروعات، فهذا هو اللجام الذي يلجم ويضبط شدة قوتها، والذي لا يسمح بأن تشع بأشعتها على الدوام، كجواد مُنفلت ومتوحش.

إخبرني - إذن - إين هي الشمس خلال فترة الليل؟ أين إختفى هذا الإله؟ فليس من صفات الله، أن يُحاصر داخل حدود ويكون له نهاية، لأن هذه هي سمة الأجساد فقط. ولكن قد يقول أحد إن الشمس لديها قوة. لكن هذه القوة، هل هي إله؟ وما هي سمات هذه القوة التي تحملها الشمس، ولا تمتلكها النار؟ وسأقول نفس الكلام مرةً أخرى، ما هي هذه القوة؟ هل هي الإنارة، أم هي قوة تُنير من خلال الشمس، بينما هي (في الحقيقة) لا تُشارك في أي شيء من هذه الأشياء؟ هل لأن الشمس هي أعظم منها؟ إلى متى وإلى أي مدي سنمضي في هذه المتاهة؟

٣- وما هو الماء؟ ألا يمكن أيضًا إعتباره إله؟ هذا كلام أيضًا يستحق السخرية، ويدعو للتشاحن. وسيقول البعض، هذا الذي نستخدمه كثيرًا جدًا، ألا ندعوه إلهًا؟ أليس نفس الشيء ينطبق على الطين أيضًا؟ إنهم حقًا يسلكون "ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر". لكنه الآن يقول هذا الكلام المتعلق بالحياة التي يعيشونها. إن الوثنيين يمارسون الدعارة والزنا، ومن الطبيعي جدًا، أن مَنْ يعبد مثل هذه الآلهة، سيرتكب كل شيء مُخالف نتيجة لذلك، ولأنه كان بإمكانهم أن يفلتوا من إنتباه الناس إليهم، فيكون من الطبيعي أن يَصبحوا في منأى من أن يحجمهم ويضبط أحد جهلهم الشديد. لأنه كيف يمكن أن تُقدَّم لهم البشارة عن القيامة، في اللحظة التي فيها تُعتبر خرافة بالنسبة لهؤلاء؟ وماذا عن الكلام الخاص بجهنم؟ هذا الكلام أيضًا يعتبرونه أساطير. إلا إنه عندما يقولون لهؤلاء إن

الآلهة زناة، لا يقولون إن هذه أساطير، فهذا إقتناعهم، أما عندما يتكلمون عن الجحيم، وعن الخلق، فإنهم يتكلمون بالأساطير في كل شيء، لدرجة أن الحياة الهانئة المستقرة الهادئة قد إنقلبت رأسًا على عقب من كل جوانبها.

غير أن البعض قد يقول إن الفلاسفة إبتكروا شيئًا هو على كل الأحوال أهم وأسمي من كل هذا. مَنْ هم هؤلاء؟ هل هؤلاء الذين أدخلوا القسمة والنصيب، ويقولون إن كل الأشياء لا تخضع لأي نظام وليس هناك مَنْ يعتني بها، وأنه لا يوجد أحد يهتم بأي شيء، وأن كل شيء لم يأت من عدم بل تكوّن من ذرات؟ أليس آخرون منهم دعوا الله بأنه جسد؟ لكن أخبرني مَن هم هؤلاء؟ هل هم أولئك الذين يُحولون نفوس البشر إلى نفوس كلاب، ويُقنعون الناس، بأنه قد حدث وتحول شخص إلى كلب، وأسد، وسمكة؟ حتى متى ستستمرون في التحدث عن تلك الحماقات، وأنتم مظلموا الفكر؟ إنهم أيضًا قائمون في الظلام يتكلمون في كل شيء ويُمارسون كل شيء، ما يتعلق منها بالعقائد، وما يتعلق منها بالحياة. لأن ذاك الذي هو مُظلم الفكر لا يرى شيئًا بين النصوص، وعندما يرى حبل كثيرًا ما يعتقد أنه ثعبان يتحرك بمفرده، وأيضًا عندما يحدث أن يستولي عليه الرُعب، يعتقد أنه قد مسّه شيطان، وهكذا يكون الإنزعاج شديدًا، والإضطراب كبيرًا، هكذا تكون مخاوفهم. يقول المرنم "هناك خافوا خوفًا ولم يكن خوف"[٢٨٤]. لكنهم لم يخافوا من أمور تدعوا إلى الخوف. تمامًا مثل الأطفال الذين يمدون أيديهم إلى النار بدون تبصر، وبدون خوف يمدونها إلى السراج وهم مُمسكين بمرضعاتهم، لكنهم يخافون الرجل الذي يلبس كيسًا، هكذا الوثنيون، إنهم بالحقيقة أطفال بصفة دائمة، وكما قال أحدهم إن الوثنيين يخافون الأشياء التي ليست خطايا، مثل قذارة الجسد، الزواج، علامات الأيام،

---

[٢٨٤] مز ٥:٥٣.

وكل الأمور الشبيهة بهذه، أما تلك التي تُعد بالحقيقة خطايا، مثل اللواط، الزنا، الدعارة، فلا يتكلمون عنها كلمة واحدة.

من الممكن أن ترى مَن يغسل يديه بسبب لمس ميت، لكنه لا يغتسل بسبب أعمال ميته، ويحرص بشدة على ربح المال، لكنه يعتقد أن كل شيء ينفّض وينتهي بصياح ديك، هكذا هم مظلموا الفكر. نفوسهم مملوءة بمخاوف كثيرة، مثلما يقول شخص: عندما أخرج من البيت إذا قابلني فلان فحتمًا سيحدث لي مكروهًا. الآن عندما يعطيني الحذاء خادم دنس، فإذا بدأ باليسري فلابد أن يتبع ذلك كوارث مُخيفة وإهانات. بل أنا نفسي هكذا يقول، عندما استعد للخروج فإذا بدأت برجلي اليسري، فهذه رسالة مُسبقة تُنبئ بكوارث. وهذه هي الأمور السيئة المتعلقة بداخل المنزل، أما خارج البيت عندما تتحرك عيني اليمني إلي أعلي وإلى أسفل، فهذه علامة على زرف الدموع.

أيضًا عندما تُلقي النساء بالبوص أو القصب بشدة في آلة الحصاد، فإنها تُحدث دويًا مُزعجًا. هكذا أيضًا فإنهن يتشاءمن من الضوضاء القوية التي تحدث أثناء إستخدام آلات الحصاد. أيضًا عندما يطرقن في المشط الخاص بآلة الحصاد ويعملن وقتها بأكثر قوة، يحدث فيما بعد أن القصب الذي فوق آله الحصاد، يُحدث دويًا قويًا بسبب الطرقات القوية بينما هن يدفعن به إلى الآلة، ويعتبرن هذا علامة سيئة. وأمور أخرى لا حصر لها تدعو للسخرية. مثل الحمار عندما يصدر صوتًا قويًا، أو صياح الديك، أو عندما يعطس شخص، أو أي شيء آخر مُشابه، هكذا هم مقيدون في خياتهم بقيود كثيرة، وكما قلت فإنهم مُقيمون في الظلام، يتشككون في كل شيء، وهم عبيد في سلوكياتهم أكثر بكثير من العبيد.

لكن ينبغي ألا يحدث هذا معنا، بل بعدما نسخر من كل هذا، خاصةً ونحن نحيا في النور، وموطننا في السماء، ومتحررين من كل الأمور الأرضية، ليتنا نعتبر أن الأمر المخيف، هو الخطية ومقاومة الله فقط، دعونا إذن أن نهزأ ونسخر من كل الأشياء الأُخرى، ومن الشيطان الذي أدخل هذه الأشياء إلى أفكار البشر. من

أجل هذا فلنشكر الله. ولنحرص على ألا نتقيد بأي أمر من الأمور التي ذكرناها، ولا ان نخضع نحن أنفسنا لهذه العبودية، ولو كان لنا صديق قد قُيد، فلنكسر قيوده، لنحرره من هذا السجن المخيف، الذي يدعو للسخرية ولنسهل له الطريق الذي يقود إلى السماء، فلنخفف من الأحجار التي تُثقل كاهله، ولنعلّمه أن يكون محبًا للحكمة من جهة الحياة والإيمان والعقيدة. فلنشكر الله على كل شيء، ولنترجاه أن يجعلنا مستحقين لنوال نصيبنا من العطايا. فلنحاول أن نُقدم كل ما نستطيع أن نفعله، حتى لا يكون تعليمنا بالكلام فقط، بل وبالأعمال أيضًا. لأنه هكذا سننال الخيرات العظيمة والتي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثالثة عشر: (أفسس٤: ١٧-١٩)

" فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ- أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ" (أف٤: ١٧ـ١٩).

١- هذا الكلام لم يَقُل فقط لأهل أفسس، بل يُقال لكم أنتم أيضًا، وليس فقط من قِبلنا، بل ومن الرسول بولس وربما ليس منّا نحن ولا الرسول بولس المتكلمين بهذا، بل هي نعمة الروح القدس العاملة فيكم. إذن ما دامت النعمة هي التي تعمل فينبغي عليكم أن تسلكوا هكذا. إسمع ماذا يقول:

" فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ" (أف١٤: ١٧ـ١٨).

إذن إن كان هناك جهل، وإن كان هناك غلاظة، فلماذا بعد تدين؟ لأن الجاهل، لا ينبغي أن يعاني من معاملة سيئة ولا أن يُدان، بل من العدل أن يتعلم ما يجهله. ولكن لاحظ كيف يحرمهم على الفور من الصفح. يقول:

" اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ- أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هكَذَا" (أف٤: ١٩ـ٢٠).

إنه يُبرهن هنا على أن طريقة حياتهم صارت بالنسبة لهم سببًا في فقدان الحس بصورة تامة، وهذا ناتج عن خمولهم وقسوتهم. يقول "الذين هم إذ فقدوا الحس أسلموا نفوسهم". إذن عندما تسمع "أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض"[٢٨٥]، فلنتذكر

---

[٢٨٥] رو ١: ٢٨.

هذا القول "أسلموا نفوسهم". فإذا كانوا قد أسلموا نفوسهم، فكيف أسلمهم الله "إلى ذهن مرفوض"؟ وإن كان الله قد أسلمهم، فكيف أسلموا نفوسهم؟

أرأيت هذا التعارض الظاهري؟ فكلمة "أسلمهم" تعني أنه قد سمح بذلك. أرأيت كيف أنه عندما لا تكون طريقة الحياة نقية عندئذٍ تسود مثل هذه الفرضية ومثل هذه الإعتقادات؟ يقول الكتاب "لأن كل من يعمل السيآت يُبغض النور ولا يأتي إلى النور"[٢٨٦]. كيف يمكن للإنسان النجس الذي له علاقة بالنساء الساقطات، والذي يتمرمغ في وحل الخنازير، ويحب المال، ولا يتطلع إلى ضبط النفس والعفة على الأطلاق، أن يتقبل طريقة الحياة النقية؟

قد يكون هناك مَنْ يقول، إنهم يعتبرون هذا الأمر وظيفة وعمل. إلا أنه سينتج من هذا الأمر، البلادة وظلام الذهن. ومن الممكن أن يكونوا مُظلمين، عندما يشرق النور، وعندما تكون العين مريضة، وتصير مريضة عندما تتعرض لمزيج من السوائل الملوثة و لرشحٍ مستمر. هكذا في هذه الحالة، عندما يغمر الإندفاع القوي للأمور الحياتيه رؤيتنا الذهنية ويُضعفها، فإنه يجعلها مظلمة. تمامًا مثلما يحدث عندما نكون تحت الماء في العمق، لا يُمكننا أن نري الشمس، إذ يوجد فوقنا ماء كثيف يحجب الرؤية، هكذا بالنسبة لعيون الذهن، إذ يكون هناك فقدان تام للحس القلبي أو الأخلاقي، وحيث لا يوجد خوف، لا ترتدع النفس ولا ترتعب. يقول النبي "ليس خوف الله أمام عينيه"[٢٨٧]. وأيضًا "قال الجاهل في قلبه ليس إله"[٢٨٨].

قساوة القلب هذه، لا تأتي إلا من فقدان الحس، هذه القساوة هي التي تغلق مسام الفكر بإحكام. لأنه عندما يتجمع تيار هواء متجمد في موضع ما (من الجسم)، فإنه يجعل هذا العضو ميت، فاقد للإحساس، وإن أحرقته، أو قطعته،

---

[٢٨٦] يو٣: ٢٠.

[٢٨٧] مز٣٦: ١.

[٢٨٨] مز١٤: ١.



أو فعلت به أي شيء آخر، لا يشعر بأي شيء. هكذا أولئك أيضًا، عندما يُسلّمون نفوسهم للنجاسة، فإنَ وقعت الكلمة على هؤلاء مثل نار، فإنها لا تجد لها أثرًا مطلقًا، لا تلمسهم أبدًا، لأن هذا العضو (القلب المتقسي) قد مات تمامًا من كل ناحية، وإن لم يُمحي فقدان حسهم هذا، ويُوّبخ هذا العضو، بإعتباره عضوًا صحيحًا، فإن كل ما تفعله سيكون باطلاً بالنسبة للإنسان.

يقول "في الطمع"، إنه ينزع هنا دفاعهم. لأنه كان من الممكن بالنسبة لهؤلاء، إن أرادوا بالطبع، أن لا يكونوا طماعين، أو سالكين في الدعارة، أو شرهين، لإرضاء شهواتهم، وكان من الممكن أن يستخدموا المال بطريقة لائقة وصحيحة، وأن يتمتعوا بطريقة معتدلة، لكنهم إستخدموا الأمر بطريقة مُبالغ فيها، فقد حطموا كل شيء. يقول "ليعملوا كل نجاسة". أرأيت كيف أنه يحرمهم من الصفح، بأن يتكلم عن عمل النجاسة؟ وهم قد أخطئوا لا لأنهم أُغووا، بل لأنهم عملوا هذه الشرور، وسلكوا في النجاسة بوعي وتخطيط.

النجاسة هي كل زنا، وفسق، أو مضاجعة الذكور، والحسد، وكل فجور ودعارة.

" وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هكَذَا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ" (أف ٤: ٢٠ــ ٢١).

وعبارة "أن كنتم قد سمعتموه وعلّمتم فيه كما هو حق" لم يقلها الرسول بولس لأنه يشك، بل لأنه كان على يقين، تمامًا كما يقول في موضع آخر "إذ هو عادل عند الله أن الذين يُضايقونكم يُجازيهم ضيقًا"[٢٨٩] أي لم تتعلموا المسيح بحسب هذه الأمور.

---

[٢٨٩] ٢تس ١: ٦.

وبناء على ذلك فهذا يعني أننا تعلمنا المسيح، أي أن نحيا بإستقامة. لأن من يعيش في شرور، يجهل الله، والله لا يعرفه. إسمع الرسول بولس الذي يقول في موضع آخر "يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه"[٢٩٠]. يقول:

" كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ" (أف ٤ : ٢٢).

أي أنكم غير متوافقين مع هذه الأوضاع. لأن أمور حياتنا ليست باطلة، بل حقيقية، كما أن المبادئ والعقائد هي أمور حقيقية، هكذا ينبغي أن تكون طريقة حياتنا وسلوكنا. لأن الخطية هي فساد وكذب، أما طريقة الحياة المستقيمة فهي الحياة الحقيقية، لأنها تؤول إلى حالة أخري طوباوية وصالحة، أما حياة الفسق والفجور، فلا تنتهي إلى شيء. يقول **"الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور"**، وكما أن شهواته فاسدة، هكذا يفسد هو أيضًا.

٢- وكيف تكون شهوات الإنسان العتيق شهوات فاسدة؟ لأنه بالموت ينّحل كل شيء، إسمع ما يقوله النبي "في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره"[٢٩١]. وليس بالموت فقط، بل وبأمور أخري كثيرة، كما هو الحال في الجمال، فعندما يأتي المرض، والشيخوخة، يتراجع الجمال، ثم ينتهي إلى موت الإنسان، وتتحّل قوة الجسد، وتهلك بنفس الطريقة أيضًا، ولا متعة الجمال هذه يكون لها نفس اللذة عند الشيخوخة، وهذا معروف لنا من قصة برزلاي[٢٩٢]. بالطبع أنتم تعرفون قصته وبطريقة أخري أيضًا، قد تُفسده هذه الطريقة، وتدمره الشهوة. تمامًا مثل الصوف الذي يأتي من الأغنام، أنه ينزع منها، هكذا الإنسان العتيق الفاسد. وبالحق إن شهوة المجد تُهلِك، كما أن الملذات كثيرًا ما أهلكت كثيرين، والشهوة أيضًا

---

[٢٩٠] تيطس ١ : ١٦.

[٢٩١] مز ١٤٦ : ٤.

[٢٩٢] أنظر ٢صم ١٩ : ٣٢ــ ٤٠. الذي رفض أن يذهب مع الملك إلى أورشليم بسبب شيخوخته.



خدعت وأغرت الكثيرين. لأنه لا توجد لذة حقيقية، بل الأمر كله مُر، وخداع، وتكلّف أو تصنّع، وتمثيل. إن القناع الذي ترتديه هذه الأمور يبدو مُشرقًا، أما الأمور ذاتها، فهي ليست إلا أشياء مملوءة بالمتاعب، وفقرًا ، وإشمئزازًا، وعوزًا شديدًا. وإن نزعت هذا القناع، وكشفت عن وجوههم سترى الخِداع. لأن هذا السلوك يعني الخداع، عندما لا يظهر ما هو حقيقي، بل يظهر ما هو غير حقيقي. هكذا تظهر الأمور المخالفة للعقل وللصواب. إن الرسول بولس يصف لنا هنا أربعة أنماط للبشر، وإن أردتم سأعطيكم الدليل على هذا، فهنا يطرح نمطين عندما يقول: " أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ"[٢٩٣]. وفي رسالته إلى أهل رومية، يصف نمطين آخرين، عندما يقول: " ولكني أرى ناموسًا آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي"[٢٩٤]. وهؤلاء (الذين يسلكون بحسب الإنسان العتيق) يُشبهون (الذين يسلكون بحسب ناموس الخطية) أولئك، من جهة الإنسان الداخلي الجديد، ومن جهة الإنسان الخارجي العتيق، لكن الثلاثة (أي الناموس الكائن في الأعضاء، وناموس الذهن، وناموس الخطية) قد أنقضوا تمامًا. والآن يوجد ثلاثة آخرين: الإنسان الجديد، الإنسان العتيق، الإنسان الحقيقي والطبيعي.

يقول " وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ " (أف ٤: ٢٣).

ولكي لا يعتقد أحد أنه يُقدم إنسانًا آخرًا، فبعدما تكلّم عن الإنسان العتيق والإنسان الجديد، لاحظ ماذا قال "تتجددوا". التجديد يعني أن يتجدد ما قد شاخ ويصبح شيئًا آخرًا مختلفًا عما ما كان عليه. وبناء على ذلك فمن ناحية يبقى الشخص هو بعينه، ومن ناحية أخرى يحدث التغيّر في جوهره. وكما أن الجسد هو هذا الجسد، والتغيير يحدث في جوهره، هكذا يحدث في هذه الحالة. وكيف

[٢٩٣] أف ٤: ٢٢ـ ٢٤.

[٢٩٤] رو ٧: ٢٣.

سيحدث هذا التجديد؟ يقول "بروح ذهنكم". إذن إن كان أحد فيه شيئًا عتيقًا بعد، فلن يفعل أي شيء يتوافق مع الإنسان الجديد، لأن الروح لن يحتمل الأعمال العتيقة. "بروح ذهنكم"، أي بحسب العمق الروحي الذي يوجد في ذهنكم.

" وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ" (أف ٤ : ٢٤)

أرايت أن الشخص هو واحد، أما الملابس فهي نوعان، فهناك ملابس تُخلع وأخري تُرتدي ثم يُضيف **"وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق"**. لماذا يُقبِل الإنسان على الفضيلة ولماذا يلجأ إلى الشر؟ لأنه من غير الممكن للإنسان بدون عمل أن يُدعي إنسانًا. وبناء على ذلك فإن أعمال الإنسان هي التي تبرهن على مسلكه، إن كان صالحًا، أم شريرًا.

وكما أنه من السهل أن ننزع الملابس، هكذا من الممكن أن يحدث ذلك في حالة الفضيلة وحالة الشر. إن الإنسان الذي في سن الشباب هو إنسان قوي، فالشباب لا تظهر فيه تجاعيد، فلنصر نحن أيضًا أقوياء من حيث ممارسة الأعمال الصالحة. إذن ينبغي أن نكون نحن أيضًا هكذا. الشاب لا ينبغي أن يكون متزعزعًا، ولا خاضعًا لضعفاته، ونحن أيضًا لا ينبغي أن نكون هكذا. يقول "المخلوق". لاحظ كيف أنه يدعو تحقيق الفضيلة هنا، بالخلق الذي صار من العدم إلى الوجود. ماذا يحدث إذن؟ ألم يكن ذلك العالم قد وضع في الشرير بحسب مشيئة الله؟ بالطبع لا، بل هو هكذا بحسب إرادة الشيطان الذي يُعتبر خالق الخطية، كيف؟ لأن الإنسان (الجديد)، لم يُخلق من الماء، ولا من التراب، بل بالبر وقداسة الحق. ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أن الإنسان الجديد قد خُلِقَ إبنًا، وقد تم ذلك بالمعمودية، وهذا هو جوهر الأمر كله. وبالصواب قال "في البر وقداسة الحق". لقد كان هناك بر وقداسة، من جانب اليهود، لكنهما لم يكونا في الحق، بل ذلك البر كان شكليًا. لأن نظافة الجسد كانت نموذج للطهارة والبر ولم يكن طهارة ولا برًا حقيقيًا. "في البر وقداسة الحق". وربما قيل هذا، لكي



يُشير من ناحية أخرى إلى البر والقداسة الكاذبين، لأن هناك كثيرون بين الأمم يعتقدون بأنهم أبرار، لكنهم في الحقيقة كاذبون.

إن البر يُعبر عن الفضيلة في مُجملها. إسمع ما يقوله المسيح له المجد "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات"[٢٩٥]. وأيضًا " كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية"[٢٩٦]. بل وفي المحاكم نطلق كلمة بار على مَن ظُلم، إلا أنه لم يَرُدْ الظلم عن نفسه. إذن إن إستطعنا أن نظهر أبرارًا أمام القضاء المخيف (في الدينونة الأخيرة)، فسيمكننا أن ننال ونتمتع بمحبة الله الغنية نحو البشر. ولا يستطع أحد أن يتبرر أمام الله، حتى وإن كُنا سنسعى إلى ذلك البر، فإن الله يفوق بر الأبرار في كل شيء، خاصةً وأن النبي يقول "وتَزَكو (تغلب) في قضائك"[٢٩٧]. لكن إن لم ننقض أو نخالف قوانين البار، التي تسري بيننا، فإننا حينئذ سنكون بالحق أبرارًا، إن تمكّنا أن نُبرهن على أننا قد تبررّنا، عندئذٍ سنكون أبرارًا. ولماذا بينما نحن مرتدين ثيابًا، يقول أيضًا "وتلبسوا"؟ إنه يقصد هنا طريقة الحياة، والأعمال الصالحة. وهذا قد صار قبلاً بلبس المعمودية، والآن بلبس السلوك الروحي، والأعمال التي هي بحسب مشيئة الله، وليس بحسب الشهوات التي تنتج من خِداع الخطية. وماذا تعني لفظة البار؟ تعني النقي، الملتزم. لأجل هذا نُطلق على حياة البر حياة القائمين.

٣ـ إذن الأمر يعتمد علينا نحن في ألا نخلع ثوب البر، والذي يدعوه النبي ثوب الخلاص، لنفعل هذا لكي نصير على مثال الله، لأن الله أيضًا لابس البر. لنرتدي هذا الثوب، وإرتداء هذا الثوب لا يعني شيئًا آخرًا، سوي ألا نخلع هذا الثوب أبدًا. إسمع ما يقوله النبي "ولبس اللعنة مثل ثوبه"[٢٩٨]، وأيضًا "اللابس النور كثوب"[٢٩٩].

---

[٢٩٥] مت٥: ٢٠.

[٢٩٦] ايو٣: ٩.

[٢٩٧] مز ٥١: ٤.

[٢٩٨] مز ١٠٩: ١٨.

[٢٩٩] مز ١٠٤: ٢.

بناء على ذلك فهو يُريد لنا أن نكون لابسين للفضيلة، ليس لمرة، أو مرتين، أو ثلاثة مرات، بل على الدوام، وألا نكون عُراه أبدًا من هذا الثوب (ثوب البر). لأن في هذه الحياة الحاضرة عُري الجسد لا يجعل الإنسان قبيحًا، بقدر قبحه عندما يتعرَّى من الفضيلة. وهنا الذين يرونه وهو في حالة ردئية وسيئة هم شركائه في الإنسانية، لكن هناك في الدهر الآتي الذين يرونه هم الرب والملائكة. إذن فإن رأيت شخصًا يسير عريانًا في السوق، ألا تشفق عليه، ألا تأسف لحالته؟ لكن إذا كنت تركض أنت عريانًا من هذا الثوب (ثوب البر)، فماذا سنقول؟ ألا ترى أولئك الذين يتسولون، الذين إعتدنا أن نُسميهم مُسرفين مبذرين ومديونين، كيف آلوا إلى هذا الوضع، وكيف أصبحوا موضع شفقة؟ لكن لن يكون هناك أي صفح لهؤلاء، لأنه ولا نحن أيضًا يمكن أن نُسامحهم، عندما يلعبون القمار ويخسرون ملابسهم. كيف ـ إذن ـ سيغفر لنا الله، عندما نفقد ثوب البر؟ لأنه عندما يرى الشيطان شخص عريانًا من الفضيلة، فإنه على الفور يجعله يُعتِم ويُظلِم، ويُصيبه، ويجبره على إرتكاب أمورًا كثيرةً عنيفةً. ليتنا نصبح عراه من الأموال، حتى لا نصير عُراه من البر، لبُاس المال يُحطم ثوب البر، لبُاس المال هو لُباس من الشوك. وبقدر ما نرغب أكثر في إرتداء هذا الثوب (المال)، بقدر ما نصير بالأكثر عراه. إن الفسق الذي نمارسه ينزع عنّا هذا الثوب، لأنه نار، والنار تحرق هذا الثوب. فالغنى هو مثل السوس، وكما أن السوس يأكل كل شيء، ولا يترك ولو جزء صغير، حتى الملابس الحريرية أيضًا لا يتركها، هكذا هو الغنى. إذن لنرفض كل ذلك، لكي نصير أبرارًا، ولكي نلبس الإنسان الجديد، ينبغي ألا نتمسك بأي شيء عتيق، ولا بأي شيء وقتي، أو أي شيء فاسد. إن الفضيلة ليست عملاً يصعب تحقيقه.

ألا ترون أولئك الذين يسكنون البراري؟ الذين يهجرون بيوتًا، وزوجات وأولادًا، وكل وسائل الراحة، ويوطّنوا أنفسهم خارج العالم، يرتدون أجوله من الخيش، ويفترشون التراب كمرقد، حابسين أنفسهم في كوخ صغير، ولم يكتفوا بهذا



فقط، بل ويُجهدوا أنفسهم بالصوم والجوع المستمر. فإن أمرت الآن أن تسلكوا هكذا، ألا تنتفضوا جميعًا من أماكنكم؟ ألا تقولوا إن هذا الأمر ثقيل جدًا؟ أنا لا أقول أنه ينبغي أن تفعلوا شيئًا مثل هذا، بالطبع أنا أريد، لكنني لا أُقنّنه. ولكن بماذا أوصي؟ أقول لك إستخدم الحمّام كما تشاء، إعتني بصحة جسدك، تجول في السوق، تملّك منزلاً، وليخدمك الخدم، تَنَاوَل الأطعمة والمشروبات، لكن في كل حالة أطرد وأرفض الطمع والجشع. لأن الطمع هو الذي يَلِدْ الخطية، فعندما يصل إلى درجة مُبالغ فيها، تظهر الخطية. وبناء عليه فالطمع ليس هو شيئًا آخر، سوى الخطية. وإنتبه عندما يتحرك الغضب الذي يوجه الإهانات القاسية، ويفعل كل شيء بدون وجه حق، كذلك أيضًا تتحرك شهوة الأجساد بصورة مبالغ فيها، شهوة المال، شهوة المجد الباطل، وكل الشهوات الأخرى. ولا تقل لي أن أولئك قد تمكنوا من أن يحققوا هذه الحياة، خاصةً وأن رجالاً كثيرين كانوا ضعفاء للغاية، ومنهم مَن كان أكثر ثراءً ومَن هو أكثر رفاهية، إلا أنهم قد تبعوا منهج الحياة الصعبة والخشنة. ولماذا أذكر الرجال؟ فهناك فتيات لم يَصلن بعد إلى سن العشرين، ممَنْ عِشنَ حياة رغدة في بيوت مليئة بالأطياب والأنواع الأخرى من العطور، وكُنَ ينمنَ على أسّرة ناعمة، وقد كُنَ بالطبيعة مرفهات، بل والعناية الزائدة بهن جعلتهن أكثر رخاوة، ولم يكن لهن أي عمل طوال اليوم سوى أن يتزين ويرتدين حُلّي ذهبية، ويبتهجن بمتع كثيرة، واللاتي لم يكن لهن مسئولية رعاية شيء ولا حتى أنفسهن، بل كانت الخادمات الكثيرات يَحطن بهن، وكُنَ يمتلكن الملابس الناعمة والتي هي أكثر نعومة من أجسادهن، وينمن على أسره مريحة للغاية، كن بإستمرار ينشغلن بالأطياب والعطور المشابهة هؤلاء الفتيات قد إلتهبن فجأة بنار الإيمان بالمسيح، بعدما رَفَضَنَ كل هذه الحماقات وهذا التباهي، ونسين هذه المتع، بعدما هجرنَ كل وسائل الراحة، وكمجاهدات شجيعات آتين إلى حقل المنافسة والجهاد.

وربما أبدو كمن يقول أشياء لا تُصدق، لكنها هي الحقيقة. وأنا قد سمعت هؤلاء الفتيات المرفهات، أنهن قد سلكن في حياة خشنة جدًا، حتى أنهن قد أرتدين على أجسادهن العارية ملابس من الشعر قاسية جدًا، وأخذن يمشين على الأرض بهذه الأقدام الناعمة بلا أحذية، ويرقدن على مراتب صلبة وقاسية، وربما يسهرن أكثر ساعات الليل، ولا يعتنين بالأطياب، ولا بعاداتهن الأخرى القديمة، بل وشعور رؤسهن الذي إعتدنا العناية بها، قد أهمَلَنها، حتى لا يسقطن في القبح. ويجلسن على المائدة في المساء فقط، بدون خضروات، وخبز، بل بدقيق وفول وحمص وزيتون وتين، وينسجن الصوف، ويؤدين أعمالاً أصعب بكثير من تلك التي يؤديها الخَدَمْ في البيوت. وما هي هذه الأعمال؟ رعاية أجساد المرضي، وتغيير فراشهم، وغسل أرجلهم، والكثيرات منهن كن يطبخن. إن شعلة الإيمان بالمسيح تُحقق الكثير جدًا. هكذا يصير الإستعداد والرغبة أسمى من الطبيعة، لكنني لا أطلب منكم شيئًا مثل هذا، لأنكم ترغبون أن تكونوا بصحبة زوجاتكم.

٤. إذن فعلى الأقل لتفعلوا ما هو غير مُسبب للإزعاج، أن تَمسكوا أيديكم وعيونكم عن فعل الشر. أخبرني، أين هي الصعوبة وأين هي المشقة؟ إفعلوا البر، ولا تظلموا أحد، لا الفقير، ولا الغني، ولا التاجر، ولا الأجير، لأنه من الممكن أن يصل فعل الظلم حتى إلى الفقراء. ألا ترون مدى الجهد والمتاعب التي يجوزها هؤلاء، ويثوروا ضد الفوضى في كل شيء؟ لك أن تتزوج، وتتجب أطفال، وهذا ما أوصى به الرسول بولس وكتبه. وذلك الجهاد هو جهاد عظيم، والعوائق مرتفعة، وقمتها تقترب من السماء، فهل لا تستطيع أن تصل إلى هذا السمو؟ فإن لم تستطع، فعلى الأقل ليكن هدفك مُتجه نحو الأمور الأبسط، ولترغب في الأقل. فإن كنت لا تستطيع أن تحتقر المال، فعلى الأقل لا تسلب أموال الآخرين، ولا ترتكب ظُلمًا. وإذا كنت لا تستطيع أن تصوم فعلى الأقل لا تنجذب إلى الملذات. وإن كنت لا تستطيع أن تنام فوق فراشٍ قاسٍ فأترجاك أن لا تصنع أسرة من الفضة، أو من العاج، بل إستخدم فِرَاشًا لم يُصنع من أجل التظاهر والتباهي، بل



من أجل الراحة فقط ولتكن مُنضبطًا في هذا الأمر. ولماذا تملأ القارب بكثير من العبيد لحراستك؟ إن كنت مُهذب وتسلك بلياقة، لا تخشى شيئًا، ولا تخاف من الحسد، ولا من اللصوص، ولا من المتآمرين لأنه لا ينبغي أن تصير غنيًا في الأموال، بقدر ما تصبح في الإهتمام والعناية بالآخرين، ولا ينبغي أن يكون لديك الكثير من الأراضي والعقارات، بل يجب أن تُجاهد حسنًا، وتتحمل المخاطر. يقول الرسول بولس "وأما الذين يُريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة"[٣٠٠]. هذه تصيب الذين يشتهون أن يربحوا الكثير. لا أقول لك إعتني بالمريض، لكن على الأقل أوصي إبنك أن يفعل هذا.

أرايت كيف أن الأمر ليس ثقيلاً؟ لأنه كيف لفتيات يتصفن بالرقة، أن يصرن قائدات لنا، وهن على مسافة بعيدة منّا؟ يجب أن نشعر بالخجل، لأنه في المنافسات العالمية لا يُسمَح لهن قط أن يشتركن، ولا في الحروب، ولا في المنافسات والمسابقات الرياضية، أما في المنافسات الروحية فيحققن نجاحات أكثر منّا، وهن أول مَن يحصدن الجوائز، ويطرن إلى أعلى، مثل النسور. أما نحن فمثل الغربان التي تدور دائمًا حول رائحة الشواء والدخان. لأن عمل الغربان بالحقيقة هو أن تلفت أنظار مُقدمي الطعام أو الطهاة، وكذلك الكلاب الشرهة. هل سمعت عن نساء العهد القديم اللاتي صِرن عظيمات، بالحقيقة فهن نساء عظيمات وموضع إعجاب، مثل سارة[٣٠١]، ورفقة[٣٠٢]، وراحيل[٣٠٣]، ودبورة[٣٠٤]، وحنة[٣٠٥]. وفي عصر المسيح وُجدت نساء مماثلات، لكن لم يَقدن الرجال في أي مكان، بل كان لهن المكانة

[٣٠٠] ١تيمو ٦:٩.

[٣٠١] سارة إنجبت إسحق وكان عمرها آنذاك ٩٠ سنة تقريبًا.

[٣٠٢] رفقة بعد ان ظلت ٢٠سنة عاقرًا إنجبت توأم هما عيسو ويعقوب.

[٣٠٣] راحيل كانت عاقرًا منذ البداية، ثم إنجبت يوسف وبنيامين.

[٣٠٤] دبورة كانت نبية إسرائيل، وقائدة جيش، وسحقت الكنعانيين.

[٣٠٥] حنة حملت عار عدم الإنجاب، لكن لأجل صلواتها ودموعها إستجاب لها الله وإنجبت صموئيل ثم بعد ذلك إنجبت أولاد آخرين.

مكانة الجسد للرأس. أما الآن يحدث العكس فالنساء هن اللواتي روحيًا في المقدمة، وتفوقن علينا. يا له من وضع يستحق السخرية والخجل؟ هل نحن نحتل مكانة الرأس التي تنهزم من الجسد؟ لقد وُجدنا لنكون قادة للنساء، وليس هذا فقط، بل لنكون سباقين في ممارسة الفضيلة. لأن القائد يجب أن يكون هو مَنْ يبدأ بالفضيلة، أي ينتصر بالفضيلة، أما إذا هُزِمَ، فهو ليس بعد قائدًا.

أرايتم مدى قوة حضور المسيح؟ كيف أبطل اللعنة؟ وهذا أيضًا حق أن العذاري هن الأكثر حكمة وتعقل بين النساء والاسمى بينهن، وبالأكثر الأرامل، ولا يمكن للمرأة أن تتفوه بأي قولٍ فاحشٍ. أخبرني إذا لماذا تتكلم أنت كلامًا فاحشًا؟ لا تُكلمني بالكلام المتداول، إن جنس النساء مُحِب للعالم، وهو لديه هذا العيب. ولكن في هذا الأمر يجب علينا نحن الرجال الأكثر وقارًا من النساء أن نتفوق عليهن من جهة الزينة. لأنني لا أعتقد أن المرأة تتزين بُحليّها الذهبية إلى هذا الحد، مثلما يتباهى الرجل بحلي إمرأته، فهو لا يتباهي بحزامه الذهبي، بقدر ما يفتخر بأن زوجته ترتدي حُلِيًا ذهبية. وبناء على ذلك فإن المتسببين هم أنتم يا من أطلقتم الشرارة وأوقدتم اللهيب. ومن ناحية أخرى فإن الخطية من جانب المرأة ليست بهذا الحجم، بقدر ما هي كبيرة من جانب الرجل. أنت مُطالب أن توجه المرأة، في كل موضع لك إستحقاق أن تتمتع بالمكانة الأولى، إذن يجب أن تبرهن بسلوكك على هذا، اي لا يوجد أي سبب يدعو لتلك الرفاهية والفخامة. يليق بالمرأة أكثر أن تتزين، ولا يليق بالرجل أن يفعل هذا. إذن إن كنت تسمح لنفسك أن تتزين، فكيف يمكن للمرأة أن تمتنع عن ذلك؟

إن النساء لديهن شيء من الزهو، غير أن الرجال أيضًا يشتركون في هذا، وهن أيضًا يغضبن بشدة، وهذا أيضًا يشترك فيه الرجال. ولكن ما يتميزن به ليس مشتركًا على الأطلاق، وأعني به الوقار، والعاطفة القوية، والتقوي، ومحبة المسيح. لكن سيقول البعض، ولماذا أستُبعدن من عرش التعليم؟ ودليله علي هذا،



أن هناك إختلاف كبير بين الرجل والمرأة، وأن نساء ذلك العصر كن عظيمات. أخبرني هل لأن بولس، وبطرس، والرسل قد علموا بأن هناك حاجة تدعو المرأة لأن تُعلّم؟ ولكن الآن قد وصلنا إلى هذا الحد من السوء (إذ ليس لدينا بطرس ولا بولس)، حتى أننا نطرح هذا الأمر كموضوع للمناقشة ونتساءل لماذا لا تُعلم المرأة، هكذا وصلنا إلى هذا الحد من الضعف[٣٠٦]. إني لم أتحدث بهذه الأقوال، لمجرد أنني أُريد أن أُعظّم المرأة أو أسمو بها، بل لأنني أُريد أن أُغير من طريقة تفكيرنا نحن، وأن أُعلّم وأنصح، حتى نتعهد المكانة المتقدمة التي تليق بنا، ليس من جهة العظمة، بل من جهة الإعتناء، وصون النفس، والفضيلة. هكذا فإن الجسد سيحتل المكانة اللائقة، عندما يتمكن القائد من تحقيق الأمور الحسنة. ليت هذا يحدث، حتى نعيش جميعًا، نساءًا ورجالاً بحسب مشيئة الله، لكي نستحق جميعًا في ذلك اليوم المخوف أن نتمتع بمحبة الرب، وننال الخيرات المعدة لنا بمعونة ربنا يسوع المسيح.

---

[٣٠٦] الضعف الذي يقصده القديس يوحنا ذهبي الفم هنا لا ينصرف لإمكانية أن تقوم المرأة بالتعليم من عدمه، بل هو في الإحتياج لأن تقوم بهذه المهمة، لأن الرجال لا يقومون بدورهم كما يليق من جهة التعليم. (المترجم).

العظة الرابعة عشر: (أفسس٤:٢٥-٣٠):

" لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا" (أف ٤: ٢٥ــ ٢٧).

١ـ بعدما تكلّم عن الإنسان العتيق بشكل عام، نجده يصفه بعد ذلك بالتفصيل، لأن هذا التعليم يصير مفهومًا جدًا، عندما نتعرف على تفاصيله. ولماذا يقول "أطرحوا عنكم الكذب"؟ هل يقصد الأوثان؟ لا على الإطلاق. وبالتأكيد الأوثان تعتبر كذب، لكنه لا يُشير هنا إليها، لأنه لا يوجد أي شيء في هذه الآية له صلة بهذه الأوثان، بل يقصد الكذب الذي يتكلم به الواحد تجاه الآخر، أي الخداع والنفاق. ثم يقول "وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه". ثم يتكلم عما يدعو بالأكثر للخجل "لأننا بعضنا أعضاء البعض". لا يجب على أحد أن يخدع قريبة. هذا ما يقوله المرنم " يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبة بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلمون"[٣٠٧]. لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يُثير كرهًا شديدًا، بقدر الخداع والتكلم بالكذب مع الآخرين.

لاحظ كيف أنه يُخجِل هؤلاء في كل موضع ويقدم الجسد الإنساني كمثال. فهل تستطيع العين أن تخدع الرِجل، أو الرِجل أن تخدع العين. على سبيل المثال لو كان هناك خندق عميق، وموضوع فوقة غطاء وهذا الغطاء مُغطى بالتراب، فإن هذا المشهد يعطي إنطباعًا للأعين التي تراه أن الأرض التي فوقه ثابته صلبه على السطح، فهل ستستخدم الرِجل لتختبر عما إذا كان الوضع أسفل السطح فارغًا تمامًا، أم أنه يقف على شيء ثابت ومتين؟ وهل الرِجل تكذب، وتُخبر بما هو غير موجود؟ أيضًا لو أن العين رأت ثعبانًا أو وحشًا، فهل تخدع الرِجل؟ ألا تُجذبها على الفور؟ إن الرِجل بعدما تُستَعلَم من العين، لا تتقدم نحوه لتقترب منه. أيضًا عندما

[٣٠٧] مز ١٢: ٣.



يحدث ولا تستطيع العين ولا الرِجل التمييز على وجه الدقة، بل يكون كل شيء معتمدًا على حاسة الشم في التمييز بين الدواء السام وغير السام فهل الأنف تخدع الفم؟ لا على الاطلاق. لماذا؟ لأن هذا يؤذي الأنف ذاتها. أيضًا هل يمكن للسان أن يخدع المعدة؟ ألا يحدث أن ما هو مُر يستبعده، وما هو حلو الطعم يُرسله إلى المعدة؟ إنتبه للخدمة، ومجازاة الخدمة، لاحظ مدى الإعتناء الذي هو وليد الحق والذي يصدر من كل النفس، كما يمكن للمرء أن يقول. هكذا نحن أيضًا ينبغي علينا ألا نكذب، مادمنا نحن أعضاء بعضنا البعض. هذا دليل على المحبة، وعكس ذلك دليل على العداء.

وقد يقول البعض ماذا لو تآمر واحد على الآخر؟ تَعَلَمْ الحق، لأنه إذا تآمر، فهو ليس بعضو. قال "إطرحوا عنكم الكذب" أي لا تكذبوا على الأعضاء. ثم يقول "أغضبوا ولا تخطئوا"، لاحظ الحكمة والتعقل، يحثنا على أن لا نُخطيء، بل وعندما نرتكب معصية أيضًا لا يتركنا، خاصةً وهو لا يترك أحشاءه الروحية. تمامًا مثل الطبيب الذي يُحَدِدْ للمريض الخطوات العملية للعلاج، ولكن عندما لا يحتملها، لا يحتقره، بل يقدم له النصيحة للإقناع، فيعالجه مرة أخري، هكذا أيضًا الرسول بولس. إن ذاك الذي يصنع عملاً مثل هذا، يطلب فقط المجد، وإذا أُهين من الناس، يحزن ويغتم، أما مَنْ يسعي دومًا في طلب صحة المريض، يتجه فقط نحو هدف واحد وهو كيف يعالج المُقعَدْ حتى يُشّفى. وهذا تحديدًا ما يصنعه الرسول بولس إذ قال "لا تكذبوا"، ولكن إن حدث مرةً وتكلم أحد بالكذب رغم عنه، ونتج عن هذا غضب، فإنه يُعالج هذه الأمور أيضًا، فماذا يقول؟ يقول: "أغضبوا ولا تخطئوا". بالطبع، حسنًا ألا يغضب المرء، ولكن إن حدث وسقط مرةً في الغضب، فينبغي ألا يكون سقوطه إلى درجة كبيرة. لأنه يقول "لا تغرب الشمس على غيظكم". هل تُريد أن تُشبع غضبك؟ يكفيك (أن تغضب) ساعة أو ساعتين، أو ثلاثة ساعات، يجب أن لا تغرب الشمس وتترككم وأنتم أعداء، إنها تشرق بالصلاح، فلا يجب أن تغرب، بعدما أضاءت على غير المستحقين. فإن كان

الرب أرسل الشمس على الجميع بصلاح عظيم، وهو قد غَفَرَ لك خطاياك، رغم إنك لا تُسامح قريبك، فإنتبه لمقدار هذا الشر، كم هو كبير.

إضافة إلى ذلك فهناك أمر آخر. إن المطوب بولس يخشى ما قد يحدث أثناء فترة الليل، إذ قد يفكر المظلوم وهو يجلس بمفرده في حالة توتر ويشتعل بنار الغضب. لأنه إن كانت هناك أمورًا خارجية تحدث لك وتحمل شرورًا كثيرة ومازال الوقت بعد نهار، فقد يتملكك الغضب، لكن عندما يأتي الليل فيجب أن تُعالِج وتمحو هذا الشر الذي حدث في حينه. لأنه إن أدركك الليل، فلن يكفي اليوم التالي أن يمحو التفكير الذي تم في الشر طوال فترة الليل، بل حتى وإن كنت بعد قد إنتزعت الجزء الأكبر من الغضب، لكنك لن تستطيع أن تنتزع كل الغضب، فالجزء المتبقي منه، سيجعلك تبدأ التفكير في الشر في الليل التالي، وهذا سيجعل نار الغضب تشتعل أكثر. تمامًا كما أن الشمس إن لم تتمكن مِن أن تُقلل وأن تُفتت بحرارتها اليومية، هذا الجزء من الهواء (البارد)، الذي يُغطي السماء بسحب كثيفة، فسيكون هناك إنطباعًا وإحساسًا بالشتاء، خاصةً إذا أتى الليل وكانت السُحب لازالت باقية وتكثّفت أكثر بأبخرة أخرى، هكذا يحدث مع الغضب.

" **وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا" (أف ٤ : ٢٧).**

لأنكم حين تحاربون بعضكم البعض فإنكم بهذا تُعطوا إبليس مكانًا. عندئذ يجب علينا جميعًا أن نشكّل فريقًا واحدًا متكاتفًا، وأن نصطف معًا في مواجهة الشيطان، ولكننا قد نوهن ونضعف في مقاومتنا للشيطان، ويتحول الواحد ليُصبح في مواجهة الآخر. لأن الشيطان لا تتاح له فرصة سانحة، مثلما يحدث عندما تكون هناك عداوة فيما بيننا.

٢ـ إن الشرور الكثيرة تأتي من الشيطان، وكما أن الأحجار عندما تكون متراصة بقياسات سليمة دون ترك أي فراغ يتخللها يمكن أن تبني جدارًا ثابتًا متينًا وإن حدث ثقب في أحد الجوانب ، أو حدث به شرخ دقيق، يكون ذلك سببًا يؤدي



إلى إنهيار وتحطيم كل شيء، هكذا يحدث مع الشيطان، فكلما كنّا مصطفين ومتكاتفين ومتحدين، فإنه لا يستطيع أن يُمرر أي شيء مطلقاً من شروره، أما عندما يجعلنا نتراخى قليلاً، فإنه يندفع مثل سيل جارف. لأن الشيطان في كل مكان يحتاج فقط للبداية، وهذا هو الأمر الصعب التحقيق، لكن عندما يحدث هذا، فإنه يُبيح لنفسه كل شيء، لأنه يفتح الآذان بافتراءاته، وبالطبع فإن أكاذيب الشياطين تصير أكثر تصديقاً، لأن لديهم البغضة التي تدين، وليس الحقيقة التي تُفرز وتميز. كما أنه عندما توجد صداقة ومحبة، فإن الأمور الحقيقية قد تبدو من منظار الشرور كذباً، هكذا عندما توجد عداوة، فإن الأمور الكاذبة قد تبدو حقيقية، هذه ذهنية مختلفة، وقضاء مختلف لا يستمع للدعاوي، لكنه ينحاز للشخص بمحاباة. فكما أن ذاك الذي يُضيف أثقالاً على الميزان، يجعل كل شيء يرتفع إلى أعلى، هكذا يحدث هنا، لأن ثقل الكراهية والبغضة مُخيف أكثر من ثقل الأوزان.

لذلك أرجو منكم، لنفعل ما في وسعنا حتى تختفي البغضة قبل غروب الشمس. لأنه إن لم تنتصر على البغضة في اليوم الأول واليوم التالي، فستمتد للعام كله، وهذا ما يحدث مراراً كثيرة، وهذه البغضة تكبر وتتضخم من تلقاء نفسها، وليست في حاجة لأحد. إن ثمة كلاماً يُقال بطريقة مُختلفة، يجعل الإدراك لها مختلفاً، والإدعاءات أو أي شيء آخر من الحجج والأعذار، يجعل الإنسان شرساً وفي حالة غيظ شديد، وفي حالة أسوأ من المختلين، ولا يحتمل حتى مجرد ذكر الأسم، ولا أن يسمعه، بل يسيء لكل شيء بالفاظ نابية ويهين الجميع.

إذن كيف نُخفف أو نلطف من حدة الغضب وكيف سنُطفئ لهيبه؟ سنفعل هذا إن أدركنا أننا حين نغضب نرتكب خطايا، وأننا هكذا نعتبر مسئولين أمام الله، وإن فهمنا أننا لا ندافع عن العدو، بل ندافع عن أنفسنا، وإذا أدركنا أننا نُسعد الشيطان، وأننا نُفرِح عدونا، العدو الحقيقي، والذي بسببه نظلم عضواً من أعضائنا. أتريد أن تكون حافظاً للإساءة وعدواً؟ لتكن عدواً، ولكن ليس في

مواجهة عضو من أعضائك، بل في مواجهة الشيطان. من أجل هذا فقد سلّحنا الله بالغضب، حتى لا نوجه السيف إلى جسدنا نحن، بل نغرز السيف كله في قلب الشيطان. هناك في هذا الموضع، ضع السيف حتى المقبض، وإن أردت فلتضع المقبض أيضًا، ولا تسحبه أبدًا، بل لتضيف إليه آخر. هذا سيحدث عندما نترأف بأنفسنا، عندما نسلك بسلام فيما بيننا. فلتضيع الأموال، وليُفقد المجد، ولتهان الكرامة، لكن ليكن عضوًا من أعضائي مُكرمًا أكثر من كل ذلك. فلنقل هذا لأنفسنا، ينبغي أن لا نظلم طبيعتنا، لكي نربح أموالاً، أو لكي نُحقق المجد. يقول:

" لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ" (أف ٤:٢٨).

أرايت أية أعضاء هي تلك التي لإنسان الخطية العتيق؟ الكذب، عدم النسيان الإساءة، والسرقة. لماذا لم يقل ليُعَاقَب، ليُعَذب، ليُشوه، مَن يسرق، بل قال "لا يسرق فيما بعد"؟ "**بل بالحري يتعب عاملاً الصلح بيديه ليكون له أن يُعطي من له إحتياج**"[٣٠٨]. أين هم المدعون أنقياء[٣٠٩] أو أطهار، أين هم أولئك الملوؤن بكل أنواع الفسق، ويتجرأون على تسمية أنفسهم هكذا؟ بالطبع من الممكن أن ننزع هذا العار، ليس فقط عن طريق عدم إرتكاب الخطايا فقط، بل وعمل الصلاح. أرايتم كيف ينبغي أن تتجنبوا الخطايا؟ هذه الخطية (السرقة)، من الممكن أن يرتكبوها، أو ربما لم يسرقوا، لكن هذا أيضًا لا يقدر أن يُخلصهم من خطاياهم، كيف؟ لو تعبوا وعملوا لكي يعطوا الآخرين، هكذا يَمحون الخطية. إن الرسول بولس لا يريدنا أن نعمل فقط، بل أن نتعب حتى نُعطي للآخرين، لأنه أمر حقيقي أن مَنْ يسرق، يعمل أيضًا، ولكنه يعمل الشر.

---

٣٠٨ أف٤:٢٨.

٣٠٩ هذا المصطلح يُشير إلى مجموعة من الهراطقة التي خرجت عن المسيحية في بدايتها الأولي. وهؤلاء قد دعوا أنفسهم أنقياءًا أو أطهارًا، بسبب القسوة التي مارسوها على أنفسهم في معيشتهم وفي سلوكهم.



" لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ" (أف ٤: ٢٩).

وما هي الكلمة الردية؟ هي تلك التي يدعوها في موضع آخر بالبطالة، أي الثرثرة، الكلمة البذيئة، الكلمة الدنسة، الكلمة المسفة. أرايت كيف أنه ينزع تمامًا جذور الغضب، أي الكذب، والسرقة، والمناقشات غير اللائقة. وعبارة "لا يسرق السارق فيما بعد"، لا يقولها لأنه يصفح عن سلوك السارقين، بقدر ما يُريد أن يجعل الظالمين وُدَعَاء، وألا يُصابوا بنفس الأمور فيما بعد يكفي أن ينصحهم. وجيد أن يُعلّم عن الحكمة في الكلام. لأننا لن ندان فقط عن الأعمال، بل وعن الكلام أيضًا.

ثم يقول: "**بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يُعطي نعمة للسامعين**". أي الكلام الذي يبني القريب، هذا فقط ما تقوله، ولا شيئًا آخرًا أكثر من ذلك.

٣ـ من أجل هذا أعطاك الله الفم، لكي تشكره، لكي تبني القريب، لأنه إن كنت ستهدم البناء، فمن الأفضل أن تصمت، ولا تتكلم أبدًا. لأنه عندما تتجه أيدي العامل لهدم البناء بدلاً من تكميله، سيكون من العدل أن تُقطع. فهذا ما يقوله المزمور "يقطع الرب جميع الشفاه الملقة"[٣١٠]. اللسان هو سبب جميع الشرور، وربما ليس اللسان في حد ذاته، بل أولئك الذين يستخدمونه إستخدامًا سيئًا. فمنه يخرج السباب والإهانات، الكلام الرديء، التجديف، ومنه يُولد لهيب الذات، القتل، الزنا، السرقة، وكل شيء ينطلق منه. وسيقول البعض وكيف يُولد القتل منه؟ لأنه يُهين والإهانة تصل إلى الغضب، الذي يؤدي إلى الإصابة، والتي تتطور إلى القتل. وكيف يولد منه الزنا؟ لو أن إمرأة ما تُحبك، وقالت شيئًا جميلاً عنك فستتأثر رغبتك وتفسد، بعد ذلك ستشتعل الشهوة فيك. من أجل هذا قال الرسول بولس "كل ما كان صالحًا للبنيان". إذن لأن الكلام الرديء كثير، فإنه

---

[٣١٠] مز ١٢: ٤.

بالصواب يتحدث بشكل عام، ويطلب أن يكون كلامنا صالحًا للبنيان، ويُعطي النموذج للكلام الحسن. وما هو هذا النموذج؟ يقول "كل ما كان صالحًا للبنيان" وهو يقول هذا "كي يُعطي نعمة للسامعين". على سبيل المثال، إن سلك أخوك في الدعارة، فلا تنشر أو تُذيع هذا الأمر المهين، ولا تحتقره، لأنك بهذا لا تفيد المستمع إليك بشيء، بل تؤذيه أيضًا، وهذا أمر طبيعي، إذ إنك بهذا تكون كمن يوغره بمسمار، ولكن إن نصحته بماذا ينبغي عليه أن يفعل، فإنك تمنحه خدمة عظيمة إذا علّمته أن يكون له فمًا صالحًا، إن علّمته عدم الإساءة لأحد، عندئذٍ تكون قد أكسبته حكمة داخلية، وقدمت له خدمة كبيرة، فإن حدّثته عن الإنسحاق والتقوي والإحسان، فهذا يجعل نفسه تهدأ. ولذلك سيكون مدينًا لك بهذه الخدمة. أما إن آثرت أن تسخر منه، إن تكلّمت بكلامًا مُقززًا، فإنك تهيجه أكثر، وإن إمتدحت الشر والخبث، فإنك تهدمه وتحطمه. هذا إذن ما نستطيع أن نقوله، ولكي يجعل هؤلاء لطفاء، تكلّم هكذا. تمامًا كما أن الطيب أو الميرون يعطي نعمة للذين نالوه، هكذا الكلام الصالح. ولذلك يقول الكتاب "إسمك دُهن مهراق"[٣١١]. جعل هؤلاء ينالون من تلك الروائح العطرة الذكية. أرايت كيف إنه يقول الآن ما ينصح به بصفة دائمة حيث يحث كل واحد أن يبني قريبه على قدر إستطاعته؟

يقول: "وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ" (أف ٤ : ٣٠).

هذا ما يُعد أكثر رعبًا وأكثر خوفًا، الأمر الذي يقوله في رسالته إلى أهل تسالونيكي " مَن يرذل لا يرذل إنسانًا بل الله الذي أعطانا أيضًا روحه القدوس"[٣١٢]. هذا ما يحدث في هذه الحالة. إذن إن تكلّمت بكلام مُهين، وإن جرحت أخاك،

---

[٣١١] نشيد الأنشاد ١:٢.

[٣١٢] ١تس ٤:٨.

فإنك لا تجرحه هو، بل تُحزن روح الله القدوس. بعد ذلك يستكمل كلامه بالحديث عن إحسان الله، لكي تصير الإدانة أعظم.

لقد جعلنا الروح القدس ضمن القطيع الملوكي أو أتباع الملك، وقد ميّزنا ووضعنا في المقدمة قبل الجميع، ولم يسمح بأن نُوجد في معية أولئك الذين أثاروا غضب الله، فهل تحزن هذا الروح؟ لاحظ كيف أنه يتحدث هناك بكلام مُخيف "لا يُرذل إنسانًا بل الله". بينما الكلام هنا يدعو للخجل. "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم". فليكن هذا الختم على الفم، لا تمحو علاماته، هكذا يقول "لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم". الفم الروحي لا ينطق بأي شيء رديء. لا تقل إن تكلمت بكلام رديء أو بذيء أو أهنت شخصًا، فهذا ليس بشيء يُذكر. ولأن هذا يبدو كلا شيء، فلذلك لا يعتبر خطية عظيمة. لأن تلك الخطايا التي تبدو كلا شيء، من السهل الإستخفاف بها، وهذه التي يُستخف بها تتزايد أيضًا، وهذه الخطايا المتزايدة تُصبح داء لا شفاء منه. هل لك فَم روحي؟ إذن عليك أن تُفكر في الكلمة التي تقولها عندما تولد في عقلك مباشرةً، وما هي قيمة فمك، هل تدعو الله آبًا، وعلى الفور تُهين أخاك؟ فلتُفكر مِن أين لك أن تدعو الله آبًا. هل من طبيعتك؟ أنت لا تستطيع أن تقول هذا. هل بسبب الفضيلة؟ ولا بسبب هذا أيضًا. فمن أين لك هذا؟ هي محبة الله الجزيلة والغنية هي التي تجعل لنا دالة أن ندعوه أبًا. إذن عندما تدعو الله آبًا، لا تفكر في أنك عندما تُهين فإنك ترتكب ما هو غير لائق بأصلك النبيل، بل إن هذا الأصل النبيل الذي لك، هو بسبب محبة الله للبشر. إذن لا تُخجل هذا الأصل النبيل بإستخدام القسوة تجاه أخوتك، بينما أنت نلت هذا الأصل النبيل، بسبب محبة الله للبشر. هل تدعو الله أبًا، وتُهين؟ هذا ليس عمل إبن لله. لأن عمل إبن الله هو أن يغفر للأعداء، ويصلي لأجل الذين صلبوه، ويسفك دمه لأجل الذين أبغضوه. إن السلوك اللائق بإبن الله هو أن يجعل الأعداء، والجاحدين، والسارقين، والسفهاء والمتآمرين، أخوة وورثين، لا أن يهين هؤلاء الذين صاروا أخوته، كعبيد.



٤- فَكِر في الكلام الذي ينطق به فمك وأي مائدة مستحق لها، فَكِر في أية فائدة سيجنيها ويلمسها، وما الذي يتذوقه، وما هو الطعام الذي يتمتع به. هل تعتقد وأنت تُدين أخاك، أنك لا تفعل خطية؟ وكيف ندعوه حينئذ أخًا؟ وإن لم يكن أخاك، فكيف تقول "أبانا"؟ لأن ضمير الملكية في كلمة "أبانا"، يُعلن عن وجود أشخاص كثيرين. فَكِر مع مَنْ تقف أثناء ممارسة الأسرار، إنك تقف مع الشاروبيم. إن السارفيم لا يشتمون، بل فَمهم ممتلئ حتمًا بالتمجيد والتسبيح لله. إذن كيف يمكن أن تسبح معهم وتقول "قدوس قدوس قدوس"، عندما تستخدم فمك للإهانة؟ فلتخبرني إذن؟ لو أن هناك إناء مختار ممتليء دائمًا بأشياء متميزه، ولأجل هذا أُعتِبر كإناء مُميز، ثم جاء بعد ذلك وإستخدمه أحد للروث، فهل سيتجرأ أحد أن يضع هذا الأناء المملوء بالروث مع الآنية الأخرى التي خصصت للأشياء المتميزه؟ بالطبع لا. الإهانة والسب هما شيء مثل هذا. إنه يدعوه قائلاً "أبانا"، وماذا بعد ذلك؟ هل هذا وحده يكفي؟

إسمع الكلام التالي إننا نقول: "أبانا الذي في السموات"[٣١٣]. الكلام يجعلك تنهض، لقد أعطى أجنحة لفكرك لتحلق بها، وأظهر أن لك أب في السموات.

ينبغي ألا تفعل أي شيئًا، وأن لا تتكلم عن أي شيء أرضي. لقد وضعك في تلك الرتبة السمائية، وجعلك مستحقًا أن تكون عضوًا في هذا الخورس، فلماذا تنحدر إلى أسفل؟ هل تقف إلى جوار عرش الملك ثم تُهين غيرك؟ ألا تخشى أن يعتبر الملك هذا الأمر بمثابة إهانة له؟ ولكن إن حدث وإعتدي عبد بالضرب على عبد مثله فإننا نوبخه على الفور، وحتى إن كان قد فعل هذا بحق، لأننا نعتبر أن ما فعله إهانة. أما أنت يا مَن تقف مع الشاروبيم بجوار الملك، هل تُهين أخاك؟ ألا تنظر إلى هذه الأواني المقدسة؟ ألا تُستخِدَّم دائمًا لأجل هدف واحد فقط؟ هل يتجرأ أحد أن يستخدمها لهدف آخر؟ أما أنت فإنك أكثر قداسة من هذه الأواني، بل وأقدس

---

[٣١٣] مت٦:٩.



بكثير، فلماذا إذن تُدنس وتلوث نفسك، أتقف في السماء وتُهين؟ هل تنتظم مع الملائكة ثم تشتم؟ هل بعد أن صِرت مستحقًا للأحضان الإلهية، تهين غيرك؟ هل بعد أن زيّن الله فمك بكل هذه التسابيح الملائكية، وبطعام أسمى من الملائكة، بمحبته وترفقه هو، فهل بعد ذلك تُهين؟ أترجاك أن لا تفعل هذا، إن الإهانة تُسَبب شرور عظيمة، إنها غريبة عن الروح المسيحية. هل تتصور أننا نُريد أن نقنعك بما نكلمك به، ولا نجعلك تخجل؟ إنه لمن اللائق أن نجعلك تخاف، إسمع ما يقوله المسيح "مَن قال (لأخيه) يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم"[٣١٤]. فإن كانت الإهانة الأقل، تستوجب نار جهنم، أية عقوبة سيكون مستحقًا لها ذاك الذي يُهين بما هو أفظع؟

لنُدرب فمنا على أن يتكلم بكلامٍ حسنٍ، وسيكون الربح عظيمًا من وراء هذا، بينما الإهانة ستجلب ضررًا عظيمًا، فالكلام الحسن لن يُكلفنا أموالاً كثيرة. لنضع على فمنا بابًا، ولنهلك أنفسنا[٣١٥] لو حدث مرة وخرجت كلمات رديئة ومُفزعة من أفواهنا، لنترجى الله أن يغفر لنا، ولنترجى المهان أن يصفح لنا عن هذه الإهانة، ينبغي ألا نعاني دون وجه حق، هكذا نُخجل أنفسنا، وليس ذاك الذي أُهين، إذن لنُقدم الدواء للمهان، أي الصلاة والمصالحة. لنكن حذرين وحرصين بشدة عند التكلّم، وبالأكثر جدًا عند العمل، لنضع قوانين لأنفسنا. فإن حدث وأساء أصدقاء، أو أشخاص آخرون، إلى شخص ما بالكلام ، فأطلب منه أن يعرف السبب، وصحح الأمر. لنضع هذا جيدًا في أذهاننا، وأن ما هو شبيه بالإهانة، هو أيضًا خطية، لأنه إن فهمنا هذا فإننا سنبتعد عنه سريعًا. ليت إله السلام يحفظ أذهانكم ولسانكم، ويُحصنكم بأسوار آمنة، التي هي مخافة الله، بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والكرامة إلى الأبد آمين.

---

[٣١٤] مت٥:٢٢.

[٣١٥] كما قال المسيح له المجد: "من وجد نفسه يهلكها ومن أهلك نفسه من أجلي يجدها".



العظة الخامسة عشر: (أفسس٤:٣١)

" لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ" (أف ٤ : ٣١).

١ـ إن النحل لا يستطيع على الإطلاق أن يُقيم في إناء غير نظيف. من أجل هذا فإن الخبراء في مجال إعداد خلايا النحل، يقوموا برش المكان بالروائح العطرة، وبالنبيذ ذو الرائحة الجميلة، يرشوا الخلايا التي سيآتي إليها النحل ليسكن فيها، حتى لا تبتعد مرة أخرى، لأن الرائحة الرديئة تُزعجها. كل هذا بعدما تكون أسراب النحل قد خرجت من خلاياها القديمة، هكذا تمامًا بالنسبة للروح القدس، فإن نفوسنا وعاء وخلية، يُمكنها أن تستقبل أسراب المواهب الروحية، ولكن إن كان داخل النفس مرارة أو غضبًا، فإن أسراب المواهب الروحية تبتعد. ولذلك فإن هذا الفلاح الطوباوي والحكيم، يُنقي آنيتنا تمامًا، دون أن يكون لديه منجلاً، أو أي آله حديدية أخرى، فإنه يدعونا إلى هذا السرب الروحي، ويُنقيه تمامًا بالصلاة، والجهاد، وغير ذلك من الأمور الأخرى المشابهة. لاحظ إذن كيف يُنقي قلوبنا تمامًا، ويُبعد عنا الكذب والغضب. ويبرهن فيما بعد على أنه من الممكن أيضًا أن يرفع بالأكثر ذويّ العقول الشريرة، إن لم تكن في حالة مرارة من حيث الفكر، كما يقول. تمامًا كما يحدث عادةً مع الغدة المرارية، فإذا كانت صغيرة الحجم ونشاطها بطئ، ثم إزداد نشاطها بشكل فائق وإرتفعت نسبة حموضتها، فإنها تنفجر على الفور لأن الوعاء الخارجي الذي يحملها لا يمكنه أن يحتفظ بشكله السابق قبل أن تنفجر، وكأنه يتدمر من الإلتهاب الشديد، ولا يبقى في وضع يُمكنّه أن يحفظها بداخله، بل يتحطم بسبب الحموضة الزائدة على الحد، تاركًا هذه العصارة المرارية تنتشر في الدم وتُهلك الجسد كله. وكما يحدث لو أن وحشًا كاسرًا ومُخيفًا قد نُقل إلى المدينة، محبوسًا داخل قفص حديدي، فإنه لا يستطيع أن يؤذي أحد مُطلقًا في فترة بقائه داخل هذا القفص



المصنوع خصيصًا لحراسته، حتى ولو غضب وتوحش وأصدر أصواتًا قوية ومُزعجة، لكن عندما يسود عليه الغضب، ويحطم كل العوائق، فإنه يستطيع أن يقفز للخارج، ويملأ المدينة إضطراب وإنزعاج، فيهرب منه الجميع، هكذا هي طبيعة الغدة المرارية، حين تبقى في الوعاء الخاص بها داخل الجسد، لا تسبب لنا ضررًا على الإطلاق، لكن عندما تنفجر وتخرج عصارتها، فلا شيء يمنعها من الإنتشار في كل الجسد، حتى إن كانت نسبتها قليلة جدًا، إلا أن عناصرها الضارة، تلوث كل الجسد، لأنها تختلط بالدم وبالأعضاء القريبة منها، وترفع درجة الحرارة بشدة كما يحدث زيادة في المعدل الطبيعي لنسبة إفرازها وتصيب الإنسان بمرض الصفراء، بالإضافة إلى ذلك تهاجم كل أعضاء الجسم، وبعدما تُفسد كل شيء، فإنها تجعل الإنسان يصمت صمت النهاية بعد خروج روحه من جسده.

إذن لماذا قال لنا كل هذا بكل هذه الدقة؟ لكي نتجنب هذا الخطر، طالما أدركنا مدى الثقل الرديء للمرارة الذهنية وتأثيرها، كذلك مدى إفسادها أولاً للنفس التي تُفرزها، إنها تُثير الفوضى في كل شيء. لأنه كما أن تأثير المرارة يُفسِد كل الجسد، هكذا الذهن المُر، بعدما يضع نارًا في الأفكار، فإنه يُلقي بالنفس إلى هوة جهنم.

لنفحص هذه الأمور بدقة، حتى نتجنب هذا الشر، ونضبط هذا الوحش، لأن هذا أفضل لنا، حتى نستأصل المرارة، ولنثق في الرسول بولس الذي يقول "ليرفع من بينكم كل مرارة"، وليس لنتنقى منها. إذن لماذا يجب أن ننزعج ونقلق؟ ولماذا أتمسك بالإحتفاظ بالوحش، الذي من الممكن أُقصيه، وأقوده بعيدًا عني؟ لنخضع للرسول بولس الذي يقول "ليُرفع من بينكم كل مرارة". لكن الويل لنا إذا سادَ علينا هذا الإنحراف، وكأن هناك ضرورة لنصنع كل شيء لأجل هذا الهدف، ويوجد من هُم بالحقيقة حمقى إلى حد أنهم يُطوبون أنفسهم من جهة هذا الأمر، ويفتخروا بالشر ويتباهوا به، ويتحمس لهم الجميع أو يصبحوا موضع غيرة من قِبل

الكل. إن الإنسان المُر النفس هو عقرب، وثعبان، وأفعى، ويعتبرونه أكثر رعبًا منهم. لماذا تخشى أيها الإنسان مِن مَنْ هو مُر النفس؟ سيقول حتى لا يؤذيني، وحتى لا يُحطمني، فأنا لا شأن لي بهذا الشر، ولا خبرة لي في مواجهة شروره وأخشى أن يتحكم فيّ، فأنا كإنسان بسيط، لا أتوقع ما يدور بذهنه، فربما يُلقي بي في فخاخه التي ينصبها لي، خادعًا إيانا بهذه الطريقة. والحقيقة هي أن هذه الأمور تستحق السخرية؟ لماذا؟ لأن هذا الكلام يتناسب مع الأطفال الذين يخافون من الأمور التي لا تُخيف. ينبغي إذن أن نزدري وبشدة من الإنسان المتمرر والشرير. فليس هناك مَنْ هو ضعيف أو مريض إلى هذا الحد الكبير، أكثر من ذاك الذي يشعر بالمرارة، إذ هي تجعل الناس حمقى وأغبياء.

٢ـ ألا ترون أن الشر أعمى؟ ألم تسمعوا أن مَن يحفر حفرة لقريبه، هو يحفرها لنفسه؟ إذن كيف لا ينبغي أن تخافوا النفس المملوءة بالإضطراب؟ وإن كان يجب أن تخافوا المتمررين، كما تخافوا الشياطين والمجانين، وكما تخافوا الحمقى، (خاصةً وأن هؤلاء يفعلون كل شيء)، فأنا أيضًا أوافق، ولكن إن كنتم تواجهونهم كمرعبين، فأنا لا أقبل هذا. لأنه لا يوجد شيء مُناسب لإدارة هذه الأمور مثل التعقل، ولا شيء يُعيق التعقل مثل الخبث، والشر، والخِداع. ألا ترون كيف أن الأجساد المصابة بالكوليرا تكون هزيلة ومُنهكة، وقد ذبل فيها كل نمو ونضارة؟ كيف هي مريضة وضعيفة وهزيلة، ولا تصلح لشيء؟ هكذا النفوس المريضة. لأن يرقان النفس، ليست هو شيء آخر، سوي الخبث والشر. الخبث ليس شيئًا قويًا، بالحقيقة ليس كذلك. أتريدون أن أوضح ما أقوله وبمثال، سأقدم لكم صورة من حياة إنسان مُجرم، وآخر صريح ومُخلص؟ أبشالوم كان مجرمًا، ولكنه تآلف مع الجميع وإسترق قلوبهم[٣١٦]؟ لاحظ إذن كم كان إجرامه. لقد تجول (على أسباط إسرائيل) فهل كان يمر بأزمة؟ كان يشتهي أن يتآلف مع كل

---

[٣١٦] أنظر ٢صم ١٥:٣.



أحد ويمتلك كل شيء. أما داود فكان المخلص والصريح. ماذا إذن؟ إنتبه لنهاية كل واحد، لاحظ مدى غباء أبشالوم. فقد كان يهدف فقط إلى أذية أبيه، وكان أعمى في كل الأمور الأخرى. أما داود فلم يسلك هكذا، لأن "مَنْ يسلك بالإستقامة يسلك بالأمان"[٣١٧]. إنه الإنسان الفاضل وغير المتطفل، الذي لا يبتدع أي شر.

بناء على ذلك لنخضع للمطوب بولس، ولنشفق ونبكي على حال الأشرار ولنفعل كل شيء حتى نطرد الشر من نفوسنا. إن نزع الشر من نفوسنا يصبح أمر غير ممكن حين تبقي المرارة داخلنا. نحن نعرف الفائدة التي تمثلها الحوصلة المرارية بالنسبة لجسم الإنسان إلا أننا نضطر في بعض الإحيان لاستئصالها. أما المرارة الموجودة في نفوسنا، فإننا لا نفعل شيئًا حيالها ولا نحاول أن نستأصلها، رغم أنها غير مُفيدة على الإطلاق، بل هي ضارة للغاية. يقول "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا"[٣١٨]. أيضًا إسمع ما يقوله القديس لوقا "وإذ هم يكسرون الخبز كما في البيوت كانوا يتناولون الطعام بإبتهاج وبساطة قلب. مسبحين الله ولهم نعمة لدي جميع الشعب"[٣١٩]. ألا نري الآن أيضًا أن البسطاء والأمناء يتمتعون بتقدير ولهم نعمة لدى كل الناس؟ لا أحد يحسد هذا الإنسان البسيط والأمين، وعندما يقوم بخدمة ورعاية النفوس، فلا أحد يُبكته، وإن ساءت حالته فالجميع يهتمون به، وعندما يفعل حسنًا، نجد الكل يهنئونه، وعندما يسقط في زله، فإنهم يشاطرونه حزنه. ولكن إن حدث ذات مرة وقدم هذا الإنسان السيىء خدمة، فالجميع يتأفف منه كما لو كان حدثًا مُؤسفًا قد وقع، وعندما تسوء حالته، فالجميع يفرحون.

---

[٣١٧] أم١٠: ٩.

[٣١٨] ١كو٣: ١٨.

[٣١٩] أع٢: ٤٦ـ٤٧.

فلنُظهر أحشاء رأفة نحو هؤلاء، لأن كثيرين يشتركون في عداوتهم، وهم مُحتقرون في كل مكان. كان يعقوب أمينًا، وهزم عسيو الذي كان شريرًا، لأن "الحكمة لا تلج النفس الساعية بالمكر"[٣٢٠]. لتُمحى كل خطية من نفوسكم، ولا يجب أن يبقى منها ولا أقل القليل. لأنه لو تحرك هذا الشر، كما من شرارة، فسيُشعل في الداخل نار كاملة. ما هو الشر إذن، هذا ما سنفهمه بدقة الآن، إنه الرجل المرائي، والمخادع، وسيء الظن، والمستعد دائمًا لفعل الشر، مِن هذا يُولد السخط والغضب. بالطبع من غير الممكن أن يحيا مثل هذا الإنسان في هدوء، خاصةً وأن الشر هو الجذر الذي يَنبت منه السخط والغضب. هذا الإنسان هو أيضًا منحرف المزاج. ولا يترك نفسه حرة أبدًا، هو مُنغمس دائمًا في الأفكار، ومتجهم وعابس الوجه بصفة دائمة. ما قلته يتلخص في، أن هؤلاء هم أول من يجني شرورهم. يقول "**وصياح**". ماذا في هذا الصياح؟ هل يُدين الصياح أيضًا؟ إن الإنسان الوديع يرفض الصياح. لأن الصياح هو للخيل الغاضب الذي يمتطيه فارس. ليسمع هذا الكلام النساء اللاتي يصحن ويصرخن بشدة في كل موقف. إن الصوت المرتفع مُفيد في حالة واحدة فقط، في العِظة والتعليم، أما في أي وضع آخر فليس له مكانًا على الإطلاق، ولا في الصلاة. وإن أردت أن تعلم شيئًا عن بعض الموضوعات، فيجب ألا تصيح أبدًا، وهكذا لن تغضب أبدًا. ها هي الطريقة التي لا يغضب بها أحد، لأنه كما أنه من غير الممكن لذاك الذي لا يصيح أن يغضب، هكذا من غير الممكن لذاك الذي يغضب، أن لا يصيح.

٣. ويساهم في هذا الإتجاه بقوة أن نُعلّم النفس أن لا تصيح وأن لا تصرخ أبدًا بشدة. عندما تنزع عنك الصياح، وتكبح إنتفاخ الفكر فإنك تُخفض أجنحة الغضب. وكما أنه من غير الممكن للأيدي أن تُصارع مع ذاك الذي لا يُبدي أي مقاومة، هكذا لا يمكن أن نُلجم ذاك الذي لا يصيح. هكذا عندما تقيد أيدي

---

[٣٢٠] حكمة سليمان ١:٤.



المصارع وتعطيه أمرًا بالبدء، فهو لن يستطيع، هكذا الغضب أيضًا حين يُقيد. غير أن الصياح يُثير مَنْ هو غير موجود بالمكان بشكل مباشر، وهذا الصياح يغلب بين النساء بشكل خاص، واللاتي عندما يغضبن من خادماتهن، فإنهن يملأن البيت صياحًا، وإذا كان منزلهن يقع صدفة بجوار شارع ضيق، فكثيرًا ما يسمع القادمون في هذا الشارع صياح النساء، ويسمعون الخادمات وهن يبكين بشدة. وهل هناك، ما هو أسوأ من أن يسمع أحد صياحًا بعويل؟ إن ذلك يدفع الجميع للمجيء على الفور لينظروا ويسألوا، عما يحدث فتكون الإجابة أن سيدة تضرب خادمتها. وهل يمكن أن يوجد ما هو أكثر سفاهة من هذا الأمر؟

ماذا إذن، هل يجب أن تمتنع عن الضرب؟ إني لا أقول هذا، لأنه يجب من جانبها أن تفعل هذا، لكن ليس بصفة دائمة، ولا بشكل مبالغ فيه، ولا لسبب يعود إلى أخطاء ربة المنزل، الأمر الذي أتكلم فيه كثيرًا، ولا حين ينقص شيء من خدمتها، ولكن إذا كنتِ تضربينها لأنها تؤذي نفسها، فالكل سيمتدحك ولن يدينك أحد، أما إن كنتِ تضربينها بسبب أخطائك أنت الخاصة، فالجميع سيدينك من أجل الفجاجة والقسوة في المعاملة. الأمر الذي يثير إشمئزاز الجميع. هناك عدد كبير من هؤلاء النساء المتوحشات والقاسيات، اللاتي يضربن بالسياط كثيرًا جدًا، حتى أن آثار الجروح الناتجه عن ذلك، لا تُمحى، طوال اليوم. وكثيرًا ما يقمن بتقييد هؤلاء الخادمات في المقاعد بعد تعريتهن، وإستدعاء أزواجهن لهذا الغرض. يا للعجب! ألا تُفكرين في تلك اللحظة الخاصة في جهنم؟ فهل تنزعين ملابس الخادمة الشابة وتظهرينها عارية أمام زوجك؟ ألا تخجلين من هذا، لربما يدينك؟ وبالأكثر أنتِ تُثيرين زوجك، وتهددينها بأنك سوف تُقيدينها، بعدما تكونين قد أهنتيها كثيرًا قبل ذلك، داعية إياها بالماكرة والمحتالة، والمتسيبة، والداعرة. إن الغضب لا يترك فرصة لإظهار أحشاء رأفة، ولا حتى خلال العبارات التي تنطق بها مثل هذه السيدة التي تهدف إلى شيء واحد فقط، وهو كيف تُهين هذه الخادمة، حتى وإن كانت بعد تُخجِل نفسها. بعد كل هذا، تجلس أمامها

كما لو كانت طاغية مستبده، ثم تدعو أولادها، وبعدما تجلسهم بجوار زوجها الأحمق، فإنها تستخدمه كجلاد. هل ينبغي لهذه الأمور أن تحدث في البيوت المسيحية؟ ولكن قد يقول البعض إن جنس النساء هو جنس خبيث، ووقح، وعديم الحياء، ولا يمكن إصلاحه. أنا أعرف هذا المبرر، ولكن من الممكن إصلاحه بطريقة أخرى، بالتخويف، أي بالتهديد، بالكلمات التي يمكن أن تجعلها تَحزن أكثر، وتجعلك تتخلصين من الخجل. إنك إيتها السيدة إذا قلتِ كلامًا مقززًا، وإن كنت بعد حرة، فأنت لا تُخجلين تلك الخادمة، بقدر ما تُخجلين نفسك. بعد ذلك وعندما تبدأ هذه الخادمة في الإستحمام فإنها تجد أثار ضربات السياط تظهر على ظهرها، وهذا يعتبر دليل على قسوتك. إلا أنها قد تقول إن طبقة الخادمات عندما تعتاد الراحة، تصبح طبقة لا تُحتمل. أنا أعرف هذا المبرر أيضًا، غير أنكِ يجب أن تتناولي ذلك بطريقة أخري كما قلت، ليس بالسياط، ولا بالتخويف، بل باللطف والإحسان. فإن كانت الخادمة مؤمنة، فقد صارت أختًا لكِ. فكري في أنك ربه البيت، وأن هذه الخادمة، تخدمك. فإن كانت ثملة، فينبغي عليك أن لا تُتيحي لها الفرصة التي تدفعها للثمالة، أدعي زوجك وإنصحيها. ألا تعرفين أنه لأمر بذئ، أن تُضرَبْ المرأة؟ بالطبع المشرعين وضعوا قوانين كثيرة ضد الرجال، تصل إلى عقوبة الموت حرقًا، والتعذيب أيضًا، ولكن نادرًا ما نُفذ حكم اعدام شنقًا على إمرأة، بل يكتفون في الحكم عند حد الصفع. إنهم يُقدمون إحترامًا كبيرًا لطبيعة المرأة، وبصفة خاصة إن تصادف وكانت حاملاً. حتى أنهم لم يشنقوا إمرأة، وإن كان من الضروري أن يحدث هذا، فإن كان من المُخجِل إذن للرجل أن يضرب إمرأة، فبالأكثر جدًا، يعد أمر مخجل إن صدر هذا من بني جنسها. وبسبب هذا السلوك المشين، يصرن النساء مُبغَضين من قِبل الرجال.

وقد يقول قائل ماذا لو حدث وسلكت في الدعارة؟ قم بتزويجها، وأقضي على أسباب الدعارة، لا تسمح لها بأن تعيش في متع وملذات بشكل مُبالغ فيه. ماذا لو سرقت؟ فلتحترس منها، وتتبعها بإستمرار، وقد يقول هل سأصير أنا حارسًا؟ ما



هذا الحمق ! لماذا لا تكون حارسًا؟ أليست لها ذات النفس التي لك؟ ألم تستحق نفس المواهب من الله؟ ألا تتمتع بنفس المائدة (الإفخارستيا)؟ ألا تشترك معك في نفس الأصل النبيل (أي الأصل الروحي)؟ وقد يقول ماذا لو أنها وقحة، وثرثارة، ومدمنة للخمر؟ لكن ألا يوجد عدد كبير من النساء الأحرار، يسلكن هكذا؟ لقد أوصى الله الرجال بأن يحتملوا نقائص النساء. فقط ينبغي أن لا تكون المرأة داعرة، بالإضافة إلى كل نقائصها الأخرى. وسواء كانت مدمنة للخمر، أو عديمة الحياء، أو ثرثارة، أو حقوده، أو مُسرفة، أو مُبذرة لثروتها، فقد صارت شريكة حياتك، ويجب أن توجّهها، فإن كنت أنت الرأس فلتوجّهها إذن، ومارس كل ما يتعلق بمسئوليتك تجاهها. وإن بَقيت غير قابلة للإصلاح، وإن ظلت تسرق، فلتحمي ممتلكاتك، ولا تعاقبها بشدة، وإن كانت ثرثارة فلتمنعها من الثرثرة. وهذا نموذج للحكمة السامية. لكن الآن قد وصل البعض إلى هذا الحد من الغباء الكبير، حتى أنهن يجذبن خادمتهن من شعرهن بعد أن ينزعن غطاء رؤوسهن.

٤. لماذا تحمّر وجوهكم جميعًا خجلاً؟ فحديثي غير موجه للجميع بل لأولئك النساء اللاتي وصلن إلى هذا الحد من التوحش. يقول الرسول بولس، على المرأة أن تُغطي رأسها[٣٢١]، فهل تنزع أنت الغطاء بالكامل من فوق رأسها؟ أرايت كيف أنك تُهين نفسك؟ فأنت عندما ترى إمراة عارية الرأس، تعتبر أن هذه إهانة، لكنك تُعري هذه الخادمة، ولا ترى في هذا أي شر؟ وربما يقول البعض بعد ذلك، ماذا سأفعل، إن كانت غير قابلة للإصلاح؟ تريدين أن تردعينها بالعصا والضربات، حسنًا، ولكن أنتِ أيضًا أليس لديكِ نقائص، ومع ذلك لا تتصلحي؟ ما أقوله الآن غير مُوجه لهؤلاء الخادمات، لكن إليكن يا من أنتن أحرار، حتى لا تصنعن شيئًا بسفه، أو شيئًا بذيئًا فتضروا بأنفسكن. إن دربتِ نفسكِ على هذا السلوك في بيتك تجاه خادمتك، فستكونين مصدر سعادة لهذه الخادمة أيضًا، وبالأكثر جدًا ستكونين مصدر سعادة لزوجك. لأنه إن إمتنعتِ عن فعل شيء مثل هذا، حين

[٣٢١] اكو ١١: ٦.

يكون لك السلطة، فبالأكثر جدًا لن تفعلي أي شيء مشابه، حيث يوجد عائق. حتى أن فلسفة معاملة الخادمة ترجع إلى حد كبير جدًا إلى عطف ورضي أزواجكن، لأن الكتاب يقول "الدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم"[٣٢٢]. ضعي لجامًا على فمك، وإن تدربت على إحتمال الخادمة التي تغضب، بأدب، فلن تغضبي أبدًا مِن التي هي متساوية معكِ في الكرامة، ولا حتى حين تُهينك، وعندما لا تتضايقين، تكونين قد حققتِ أسمى فضيلة.

وهناك البعض أيضًا يُضيفون القَسَم إلى كل هذا، لكن لا يوجد شيئًا أسوأ من أن تغضب المرأة بهذه الطريقة، وسيقول البعض ماذا لو أنها تزّينت؟ ليتكِ تمنعي ذلك، وأنا أيضًا أوافق، وإبدئي بنفسكِ، ليس بالتخويف، بقدر ما تُصبحين أنتِ نموذجًا يُحتذى به، لتكوني في كل شيء النموذج والقدوة لهؤلاء. يقول "**ليرفع من بينكم... كل تجديف**" لاحظ كيف يأتي الشر. المرارة تلد السخط، والسخط يلد الغضب، والغضب يلد الصياح، والصياح يلد التجديف، أي الإهانة الموجهة ضد القريب، والتجديف يلد فيما بعد الجروح، والجروح تلد الإصابات، والإصابات تؤدي إلى الموت. لكن الرسول بولس لم يَرِد أن يقول أي شيء من كل هذا، سوى فقط "ليُرفع من بينكم... كل مرارة مع كل خبث". ماذا يعني بعبارة "مع كل خبث؟" تعني أن ينتهي كل خبث في هذا الأمر. لأن هناك البعض، كما الكلاب تمامًا، التي تنهش خفية، ولا تنبح مُطلقًا نحو أولئك الذين يقتربون منهم، ولا تعترض طريقهم، بل وتهز زيلها، وتُظهر شكل الوداعة، لكن عندما تُترك بلا حراسة، فإنها تنهش بأسنانها، هؤلاء هم أكثر خطورة مِن الذين يعلنون كراهيتهم صراحةً. إذن فعلى الرغم من أن بعض الناس هم كالكلاب، يهددون دون أن يصرخوا، أو يغضبوا، ولا يضعون أمام الآخرين عوائق، إلا أنهم يحيكون المؤامرات سرًا، ويبتدعون شرورًا خبيثة، وينتقمون بالأعمال (الرديئة)، لذا قال:

---

[٣٢٢] مت٧:٢.



"ليرفع من بينكم...كل مرارة مع كل خبث". أي لا تتأسف بالكلام، وتنتقم بالأعمال. أننى لأجل ذلك، هكذا يقول، أدنت اللسان، وقطعت صراخه، حتى لا يشتعل اللهب بشدة. أما إن كنت تصنع نفس الأمور بدون صياح، وتحتفظ بالنار داخلك، فما فائدة الصمت؟ ألا تعرف أن تلك الحرائق هي خطره للغاية، لأنها وهي مختفيه بالداخل لا تظهر لأولئك الذين يوجدوا بالقرب منها؟ ألا تعرف أيضًا أنها مثل تلك الجروح الداخلية التي تُظهر آثارها على سطح الجلد؟ ألا تعرف أن الحُمى تحرق الأحشاء الداخلية؟ هكذا الغضب أيضًا فهو أكثر خطورة عندما يسود على النفس. ولكن وكما يقول "ليرفع من بينكم كل مرارة... مع كل خبث"، سواء كان صغيرًا أم كبيرًا.

لنخضع إذن لهذا الأمر، ولنرفع من بيننا كل مرارة وكل خبث، حتى لا نُحزِن الروح القدس. لنحطم الشر ونقضي على جذوره، لأنه من غير الممكن أن يَنبع أي صلاح من نفس شريرة، بل المصائب والدموع والأحزان والنواح هي فقط التي تَنتج عن هذه النفس. ألا ترون كيف أننا نمقت ونبتعد عن الوحوش التي تزأر بشدة، مثل الأسد، والدب، الأمر الذي لا نفعله مع الحمل؟ لأنه لا يصرخ، بل له صوت هادئ. أيضًا من بين الآلات الموسيقية، ما يصدر صوتًا صاخبًا، ونغمته مزعجة أكثر، مثل الطبول، والأبواق، أما الآلات الأخرى التي لا تصدر أصواتًا قوية، بل هادئة فهذه آلات مُفرحة، مثل المزمار، والقيثارة، والناي. وبناء على ذلك لنجعل نفوسنا هكذا، لكي لا نصيح، وهكذا يمكننا أن نهزم الغضب، وبعدما نستأصله، فإننا نحن أنفسنا سنتمتع أولاً بالهدوء، وسنَبحر في ميناء راحة البال، والذي نتمنى جميعًا أن نناله بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة السادسة عشر: (أفسس٤: ٣١-٣٢)

" وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ" (أف ٤: ٣٢).

١- لا يكفي أن نتخلص من الشر والخبث، لكي نرى ملكوت السموات، بل يجب أن نُمارس الفضيلة عمليًا على أرض الواقع إلى أقصي درجة ممكنه. لأنه لكي ننجو من نار جهنم، ينبغي أن نبتعد عن الشر، ولكي ندخل ملكوت السموات، يجب أن نكون مُتطلعين نحو ممارسة الفضيلة. ألا تعرفون أن هذا هو ما يحدث في محاكمات الأمم، عندما يفحصون الأمور التي إرُتكبت، وعندما تجتمع المدينة كلها معًا؟ لأنه كانت هناك عادةً قديمة لدي الوثنيين، أن يُتوَّجوا الذين صنعوا أعمالاً عظيمة وإحسانات كبيرة، بتاج من ذهب، وليس أولئك الذين لم يرتكبوا شرًا في المدينة، لأن مجرد عدم إرتكاب الشر كان يعفي فقط من العقوبة. وهكذا كان يجب أن تنقادوا تجاه هذه الكرامة. إنني لا اعرف كيف تشتت إنتباهي قليلاً عن هذا الأمر، خاصةً وأنه كان من الضروري أن أتحدث إليكم بهذا. وسأخصص الجزء الأول من حديثي عن هذا الفرق، كنوع من التصحيح البسيط. لأنني قلت حتى لا نسقط في جهنم، يكفينا محو الشرور، فقد خطر على بالي أثناء حديثي تهديد مُخيف لا يحمل عقابًا لأولئك الذين إرتكبوا شرًا ما، بل عقابًا للذين تقاعسوا عن فعل العمل الصالح.

ما هو إذن هذا التهديد؟ عندما يُستعلن اليوم المخوف، ويأتي يوم الرب، ويجلس الديان على عرشه، ويُقيم الأبرار عن يمينه، ويُقيم الخطاه الذين هم مُنفرين وعبثيين كالجداء عن يساره، ويقول للأبرار: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني"[٣٢٣]. وهذا صحيح جدًا، لأنه ينبغي لهؤلاء أن يأخذوا نفس المكافأة، لأجل كل هذه المحبة الكبيرة التي

---

[٣٢٣] مت٢٥: ٣٤-٣٥.

صنعوها تجاه الناس. لكن أي مبرر يمكن أن يقدمه أولئك الذين لم يعطوا للمحتاجين من الأشياء التي لهم، لكي لا يحكم عليهم ليس فقط بالحرمان من الخيرات السمائية، بل أن يكون نصيبهم نار جهنم؟ إن هذا الكلام له مُبرر وجيه يتساوى مع ما طرحناه من قبل. لأننا نُعلّم بأن أولئك الذين فعلوا الصلاح، سيتمتعوا بالخيرات السمائية، وأما الذين لم يدانوا بأنهم إرتكبوا شرًا، إلا أنهم تقاعسوا عن فعل الصلاح، هؤلاء سيُقادون إلى نار جهنم مع الذين إرتكبوا الشرور. وربما يُريد البعض أن يقول نفس الشيء، إن عدم إرادة فعل الصلاح هو جزء من فعل الشر، لأن عدم فعل الصلاح هو نتيجة للخمول والكسل، ومن ناحية أخرى فإن الخمول هو جزء من الشر، وربما ليس هو جزء من الشر، بل هو الأساس والجذر الشرير، لأن الخمول يعلمنا كل شرٍ. إذن لا ينبغي طرح مثل هذه الأسئلة الغبية، على سبيل المثال، لو أن أحدًا لم يرتكب شر أو لم يفعل خيرًا، فأي مكان سيناله؟ خاصةً أن مَنْ لم يفعل خيرًا، مساويًا في المقدار لِمَنْ يرتكب الشر. أخبرني لو أن لديك خادمًا لا يسرق، ولا يشتم، ولا يعارض بالكلام، وأنتصر على السُكر وكل الشهوات الأخرى، لكنه يجلس بإستمرار في خمول وكسل، ولا يفعل شيئًا من إلتزاماته التي ينبغي أن يؤديها تجاه سيده، ألا يجلده، ويُعذبه؟ سيقول نعم، رغم أنه لم يرتكب شرًا، لكن خموله في حد ذاته، يعتبر شرًا.

ولكن، إن أردتم فإننا نوجه الحديث نحو المتبقي من الحياة. لنفترض أن لدينا فلاحًا، وهذا الفلاح لا يقوم بتدمير ممتلكاتنا على الإطلاق، ولا يتآمر ضدنا، ولا يسرق، هو يجلس فقط في البيت متراخيًا دون أن يبذر البذور، ولا يحرث الأرض، ولا يقود الماشية، ولا يهتم بالكرم، ولا يتعب من أجل شيء آخر له علاقة بالأرض، تُرى، ألا نعاقبه؟ وإن كان بالطبع لم يرتكب جُرمًا، ولا نستطيع أن نوجه له الإتهام في شيء، لكنه أجرم في حق نفسه، لأنه وفقًا للقاعدة العامة يكون ظالمًا، لأنه لم يجتهد في العمل. أخبرني ماذا سيحدث لو أن كل واحد منكم، سواء فني، أو عامل، لم يؤذي غيره قط، ولم يؤذي ذاك الذي لديه عملاً آخرًا، أو مَنْ يمتهن

نفس العمل، بل بقى الجميع فقط في حالة خمول وكسل، ألا تفقدوا كل حياتكم هكذا، ألا تهلك هذه العيشه تمامًا؟ أتريدوا أن أتوجه بالحديث ناحية الجسد؟ لنفترض إذن أن اليد لم تضرب الرأس، ولم تقطع اللسان، ولم تقلع العين، ولم تصنع أي شر مُشابه، فقط هي بقيت في حالة خمول، ولم تتمم إلتزامها تجاه جميع أعضاء الجسد، تُرى، ألا تستحق أن تُقطع، بدلاً من أن تتجول بها دون أن تعمل، بل وتهلك الجسد؟ وماذا لو أن الفم لم يأكل اليد ولم يعقر الصدر، لكنه لم يقم بإلتزامه بالكامل، ألا يكون من الأفضل أن يبقي مُغلقًا؟ وبناء على ذلك إن كان في حالة الخدم، والفنيين، وكل أعضاء الجسد، هو جُرم كبير، ليس فقط عدم إرتكاب شر ما، بل إغفال أو إهمال عمل الخير، فبالأكثر جدًا من الممكن أن يحدث هذا في حالة جسد المسيح (الذي هو الكنيسة).

٢ـ من أجل هذا فإن المطوب بولس يقودنا بعيدًا عن الخطية، ويحملنا نحو ممارسة الفضيلة. أخبرني ما فائدة إقتلاع جميع الأشواك من جذورها، إن لم تُبذر البذور النافعة؟ لأن تعبنا أو جهدنا سيؤول أيضًا إلى نفس الخسارة، إن بقى غير كامل. من أجل هذا فإن الرسول بولس، لأنه يهتم بنا جدًا، لا يتوقف في طلباته عند مرحلة القضاء على الشرور، بل يحث أيضًا على أن نُظهر سريعًا الإهتمام بغرس الأعمال الصالحة. لأنه بعدما قال "ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث" أضاف "**وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين**". لأن هذه هي خِصال ورغبات التخلص من أحدى هذه الشرور، تتمثل في عدم الإكتفاء بالتخلص من فعل الشرور، هذا يحضرنا من الحالة الأخرى السيئة، بل إن الأمر يحتاج أيضًا إلى المحاولة والسعي نحو إكتساب الأعمال الصالحة، وليس بأقل من محاولة السعي نحو تجنّب إرتكاب الشرور. وفي حالة الجسد، فإن ذو البشرة القمحية لا يصير أبيض على الفور، إن كان يرغب في التخلص من طبيعة لون بشرته. من الأفضل ألا نُجهد أنفسنًا في الحديث عما يحدث بالطبيعة، بل لنتوجه بالمثال إلى ما يحدث بالقصد والإرادة. فذاك الذي ليس عدوًا،



لا يكون بالضرورة صديقًا، بل أن هناك وضع وسط أو سمة تجمع بينهما، وهي ليست تعبير عن مظهر معين، فلا هي عداوة، ولا صداقة، والتي يوجد عليها أغلب الناس، وهي التي تربط علاقاتهم معنا. كما أن الذي لا يبكي، لا يضحك على أي حال، بل هناك حالة وسط. هذا ما يحدث بالنسبة لنا، فمَنْ هو ليس شريرًا ليس بالضرورة أن يكون لطيفًا على أيه حال، ولا مَنْ لا يغضب هو شخص رؤوف في كل الأحوال، بل إن الأمر يحتاج أيضًا إلى محاولة، لكي نربح هذا اللطف.

ولاحظ، بحسب قانون الصالح والأصلح أو الأفضل، كيف أن المطوب بولس يُنقي ويفلح الأرض التي إستأمنه عليها الخالق. إنه يُهلِك البذور المغشوشة، وفيما بعد يترجى أن نحتفظ بالنباتات الحقيقية، كشيء نافع. يقول **"كونوا لطفاء"** لأنه إن بقيت الأرض غير مُفلَحه بعد أن تُقتلع منها الأشواك، فإن الحشائش الضارة ستنبت مرة أخرى. من أجل هذا ينبغي أن نتجنب هذا الكسل وهذا الخمول، وذلك بزرع بذور ونبتات جيدة. أمحو الغضب وضع مكانه رقة المشاعر وطيبة القلب، إنزع المرارة وضع مكانها أحشاء رأفة، إقطع الخبث والتجديف وأزرع الصفح بدلاً منهما، لأن هذا هو معنى "متسامحين". يقول كونوا متسامحين، هذه العطية هي أعظم من عطية المال. لأن الذي ترك مالاً لمن إقترض منه، يكون قد عمل عملاً لم يُسمع عنه من قبل، ويستحق الإعجاب. إلا أن هذه العطية محدودة، بالرغم من أن هذا يجلب لنفسه المكافأة الروحية. أما الذي سامح عن خطايا، فقد أفاد نفسه، وأفاد مَن نال هذه المسامحة، لأنه لم يجعل نفسه فقط بهذه الطريقة أكثر رأفة، بل ونفس ذاك الذي سامحه. لأنه عندما نعاقب بقسوة مَن ظلمونا، فإننا لا نُحزِن نفوسهم، بقدر ما يحدث عندما نسامحهم، فإننا بهذا نؤنبهم ونُخجلهم.

إذن بحسب تلك الطريقة (التي فيها سخط وغضب)، نحن أنفسنا، لا ننتفع، ولا أولئك أيضًا، بل إن الأذى يقع على كلانا، لأننا نسعى بأنفسنا فقط نحو التعويض بحسب رؤية رؤساء اليهود، بل وأيضًا نثير الغضب في هؤلاء. لكن إن واجهنا الظلم بالرأفة والوداعة، نكون قد محونا غضبه كله، وبهذا نُقيم حوله قضاء لإدانته،

وهو الذي يدينه بشدة، وليس نحن. إذن هذا القضاء سيُدين ذاك الإنسان، وسيُحاكمه، وسيُطالبه بمبررات وحجج كاملة، والتي بها سيُعوض الدائن الذي تحلّى بطول الأناة، بما هو أكثر من الدين، عالمًا أنه إذا كان قد عوّض بنفس (مقدار الدين) لكان التعويض قليلاً، ليس لأنه بدأ أولاً بل لأن ذاك الإنسان رأي في الدائن النموذج الذي يقبل بالأقل. إذن سيحاول أن يتجاوز المعايير العادية، لكي يخفي النقص الذي تحمّله من حيث أنه أتى ثانيةً في نواله التعويض (الذي سبق وناله من أعطى أولاً)، وأيضًا بسبب السلوك السيئ الذي مارسه في السنين السابقة، وسيُصبح هذا السلوك الجديد معتادًا، بسبب الرحمة الفائقة. لأن الناس حين يكونوا مُمتنين بالمعروف، لن يئنوا إزاء الشرور المرتكبة، بقدر ما يتأثروا لأجل الصلاح الذي يُحسن به إليهم، من أولئك الذين سبق وظُلموا على أيديهم. فمن جهة أن لا يُقابل ذاك الذي نال الإحسان، بالمثل، فهذا هو إعلان للشر، ومن ناحية أخري يجلب عليه اللوم والتهكم. فذاك الذي يُثير حقًا المديح، والإستحسان، والإطراء من الجميع، هو ألا يرد أحد على ما أصابه، حتى إذا كان قد عانى من معاملة شريرة. وبناء عليه، فإن كنت تُريد أن تنتقم، فلتنتقم بهذه الطريقة، قابل الشر بالخير، لكي تجعل ذاك مدينًا لك، حتى تنال نصرة مدهشة. فإذا عانيت من معاملة سيئة، فلتشفق على مَنْ فعل ذلك، ولتصد العدو بهذه الطريقة. لأنه إن رددت الشر بالشر، فسيدينك الجميع، كما يدينون الآخر، أما إذا إحتملت، فسوف يستحسنون موقفك بشكل مختلف، وسيُعَجبون بك، لكنهم سيُدينون الآخر.

٣- وماذا يمكن أن يحدث للعدو أسوأ من أن يرى عدوه ينال الإعجاب والإستحسان من جميع الناس؟ وما هو الأكثر مرارة من أن يرى العدو نفسه وهو يُهان من الجميع، عندما يُظهِر عِداءه؟ لكن إن إنتقمت أنت منه، فلربما أنت أيضًا تُدان، ويكون ردك عليه بمفردك، ولكن إن صفحت عنه وسامحته، فسينتقم منه الجميع بدلاً منك. إن الأكثر سوءً من المعاملة السيئة التي ينالها أحد، هو أن يرى عدوك كل هذا الكم من المدافعين. فإن فتحت أنت فمك لترد، سيصمت هؤلاء،



ولكن إن صمت، فإنك تصيبه، ليس بعد بفم واحد، بل بأفواه الآخرين، وبردود أكثر. وإن أهنته، فسوف يُدينك الكثيرون، وسيقولون إن كلامك هذا هو نتيجة للألم الذي تشعر به، لكن عندما يُهان هذا وبشدة، من ذاك الذي لم يُظلم على الإطلاق، فإن الدفاع حينها سيكون على كل الأحوال، خالي من كل شبهه أو ريبه. لأنه عندما لا يتلقى أولئك الذين ظلموك أي رد شرير منك، بسبب رحمتك ورأفتك الفائقة،فإنهم يتألمون ويعانون كظالمين، هذا القصاص سيكون خاليًا من أي شك أو ريبه.

وماذا سيقول المرء، لو أن أحدًا لم يرد الإهانة؟ من غير الممكن أن يكون الناس حجارة، حتى أنهم لا يُعَجبون (بهذا الشخص)، عندما يرون كل هذه الحكمة الكبيرة، وإن لم يُعلنوا ذلك في حينه، إلا أنهم بعدما يهدأون، سيفعلون هذا، مستهزئين ومحتقرين ذاك الذي أهان، وإن لم يُعجب أحد آخر بك، فإن الذي قام بإهانتك هو نفسه سيمتدحك على كل الأحوال، حتى وإن لم يتكلم بهذا. لأن حكم الضمير الصالح، حتى وإن سقط في هوة الشر هذه، سيدفعه لأن يضعه في مكانه المناسب، دون أن يتورط في كلام غير لائق. ولماذا في ظنك قال ربنا يسوع المسيح "فمن لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا"[٣٢٤]؟ ألم يقل هذا لأنه على قدر ما يريد الإنسان أن يصبح طويل الأناة، على قدر ما ينتفع أكثر وينال أعظم إفادة، لنفسه، ولذاك الذي أهانه؟ لأجل هذا أوصى المسيح أن يحوُل الخد الآخر، لكي يُرضي أو يُريح الغاضب. لأنه مَنْ هو المتوحش إلى هذا الحد، حتى أنه لا يخجل أو لا يستحي من هذا المسلك؟ يقال أن الكلاب تصنع هذا، فإن كانت بعد تنبح وتهجم على شخص ما، فإن وقع هذا الشخص على ظهره، ولم يفعل أي شيء، فإنه يُطفئ كل غضبها. إذن إن كانت الكلاب تستحي من ذلك الإنسان، وهي جاهزة للإنقضاض عليه، فبالأكثر جدًا يجب أن يستحي أولئك المتمتعون بالعقل والمنطق.

---

[٣٢٤] مت٥:٣٩.

لكنني لا استطيع أن أتغافل عن أمر كان قد أتى في ذاكرتي قبل قليل، من جهة التأكيد على سلوك هؤلاء. وما هو هذا الأمر إذن؟ قالوا عن اليهود ورؤسائهم، أنهم مُتهمين بأنهم يسعون إلى الإنتقام، وإن كان الناموس الموسوي قد سمح لهم بهذا "عين بعين وسن بسن"[٣٢٥]، لكن هذا لا يعني أن يقوم الواحد بقلع عين الآخر، بل لكي لا يرتكبوا أي شر في حق الآخرين، طالما يتمسكون بضمانه (الناموس) الذي يُعلّم بهذا، ويظهرون مخافة تجاهه. ومن أجل هذا يقول "عين بعين"، لكي يُقيد أيدي ذاك، حتى لا يخرج ما لديه في إنتقامه، بل وأيضًا لكي يَحول دون حدوث الضرر الذي يمكن أن يُصيب عينيك، ويحفظ عينيّ الآخر من أن يُصيبهما الأذى. لكن لماذا يُدان أولئك الذين يشرعون في القصاص بينما الإنتقام مسموح؟ ماذا يعني هذا الأمر؟ الأمر المرفوض هنا هو حفظ الإساءة أو عدم نسيانها. لأنه يسمح للمصاب أن يرد مباشرةً، لكنه يضبط الذي ناله أذي (من أن يفعل الشر)، إلا أنه لا يسمح بحفظ الإساءة بعد، لأن هذا الأمر ليس هو نتيجة للسخط، ولا نتيجة للخضوع لهوى الغضب، بل هو نتيجة للشر المخطط له. الله يُسامح أولئك الذين أغواهم المجد الباطل والكبرياء، والمتجهين بالطبع نحو القصاص، ومن أجل هذا يقول "عين بعين"، وأيضًا "طريق حفظ الإساءة يؤدي إلى الموت"[٣٢٦]. فإن كان هناك في العهد القديم، حيث كان مسموحًا أن تُقلع عين، قد إحتفظ بعقاب شديد لحافظي الإساءة، فكم يكون الحال لأولئك الذين أخذوا وصية أن يُسلموا أنفسهم أيضًا، إذا ما لاقوا معاملة شريرة؟ إذن ينبغي ألا نكون حافظين للإساءة، بل لنُطفئ الغضب، ولنكن مستحقين لمحبة الله الغنية، لأنه يقول "بالكيل الذي به تكليون يُكال لكم"[٣٢٧]. إذن لنصر مُحبين ولطفاء نحو شركائنا في الإنسانية، حتى نستطيع أن نتجنب الفخاخ الموجودة في الحياة

---

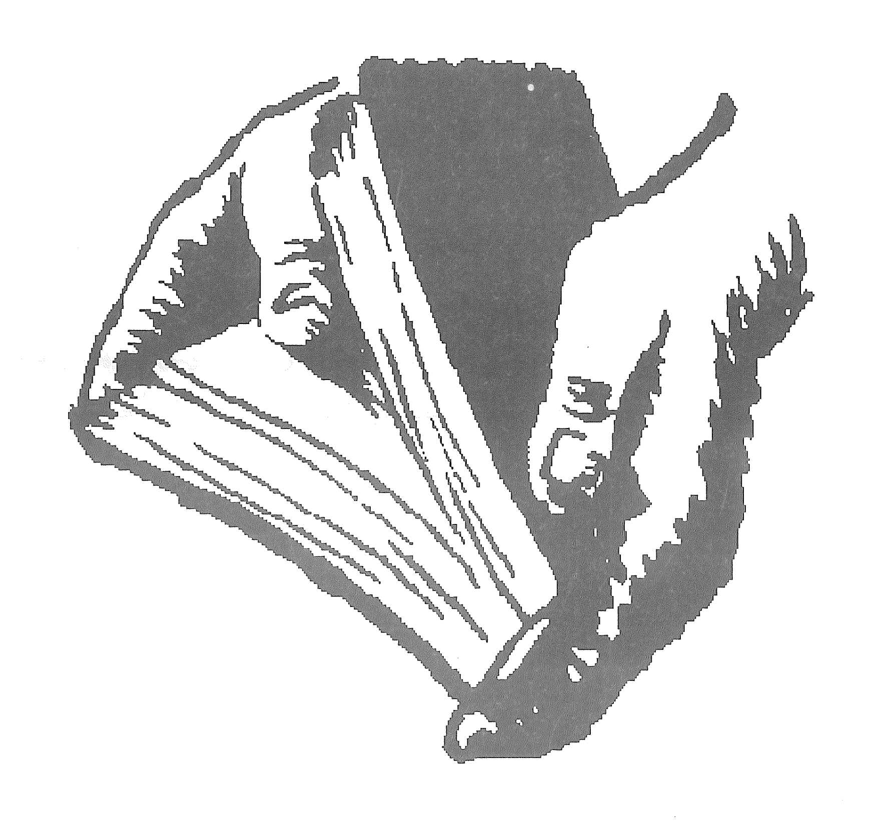
[٣٢٥] لا٢٤:٢٠.

[٣٢٦] أم١٢:٢٨(س).

[٣٢٧] مت٧:٢.



الحاضرة. لكي ننال الصفح الإلهي، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى الأبد آمين.



الإصحاح الخامس

الإصحاح الخامس

العظة السابعة عشر: (أفسس ٤: ٣٢ـ ٥: ٥)

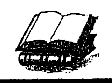
" فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً " (أف٥: ١ــ٢).

١ـ إن كل ما يتعلق بالماضي يُعَد أكثر قوة وقبولاً، وأكثر مصداقية مما هو متعلّق بالمستقبل. ولذلك تحديدًا فإن الرسول بولس يحثُّ أهل أفسس على السلوك وفقًا لأمور قد حدثتْ لهم بالفعل[٣٢٨]، لأنه بسبب محبة المسيح، صارت لهذه الأمور قوة أعظم. إن نصائح مثل: عليك أن تغفر حتى تنال أنت أيضًا المغفرة، وإن لم تغفروا فلن يُغفر لكم[٣٢٩]، هي نصائح موجَّهة لأناس مؤمنين، ولمن لديهم رغبة في قبول الإيمان، هؤلاء يمكنهم أن ينالوا الكثير. القديس بولس لا يُحَثّهم إنطلاقًا من هذه النصائح فقط، بل إنطلاقًا من الأمور التي حدثتْ بالفعل. لأنه من خلال ما حدث، من الممكن أن نتجنب العقاب، بل وأن نشارك في عمل الخير، وممارسة الصلاح من خلال ما هو حادث بالفعل، يقول: لنتمثل بالمسيح، وكون أن يصير المرء متمثلاً بالله. فهذا وحده كافٍ للحثّ على الفضيلة، وهذا التمثُّل بالله هو أعظم من مجرد العمل السلبي، لأن الله "يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار والظالمين"[٣٣٠]. لم يَقُلْ فقط تَمثّلوا بالله، بل تكلمَ عن إحسانات الله، لأنه يُريد أن تسود بيننا أحشاء الآباء (نحو أبنائهم)، إن أحشاء الرأفة تعني بالطبع محبة الناس والحنو عليهم، وطالما أننا ننتمي إلى جنس البشر، فلابد أن نشعر بأحزان الغير، وأن نشارك في هذه الأحزان، وعلينا أن نجد دواء آخر، حتى يُسامح بعضنا البعض. يقول "متسامحين"، حتى إن لم يكن هناك تساوٍ مطلقًا (بين

٣٢٨ أف٤: ٣٢، ٥: ٢.

٣٢٩ مت٦: ١٤ــ١٥.

٣٣٠ مت٥: ٤٥.



تسامحنا وتسامح الله)، لأنه إن كنت أنت تُسامح، فسوف يسامحك الآخر أيضًا، ولكن لا يمكنك قط أن تسامح مثل الله. فأنت من ناحية تسامح إنسانًا مثلك، أما الله فيُسامح العبد، والعدو، ومَن يشعر بالكراهية. يقول: "**كما سامحكم الله أيضًا في المسيح**". هذا غير واضح، فما يعنيه هو الآتي: أنه لم يُسامحْ هكذا بسهولة بدون تضحية، كما يقول الرسول بولس، بل بذبيحة إبنه. لأنه كي يُسامِحك، قدم إبنه ذبيحة، أما أنت فلا تسامح بالرغم من أنك قد نلت المسامحة مرارًا كثيرة، ودون تضحية، ودون أن تدفع أي ثمن.

يقول "**فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء وأسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم نفسه لأجلنا**" ولكي لا تعتقد أن هذا هو نتيجة إلزام، أنظر كيف أنه لم يقل فقط "أسلم نفسه"، بل أضاف "لأجلنا" كما لو أنه يقول، بالرغم من إنك كنت عدوًا، فقد أحبك الله، فلتحب أنت أيضًا قريبك، وقد لا تستطيع أن تفعل ذلك، فيمكنك أن تقدِّم محبة قدر إستطاعتك. يا للعجب! هل هناك ما يجلب سعادة أكثر من هذا الصوت؟ حتى وإن تكلّمت عن الملكوت، أو أي شيء آخر، فلا شيء يساوي المحبة. تمثلْ بالله وتشبَّه به في تسامحك للآخر. عليك أن تفضّل المسامحة تجاه مَنْ إرتكب في حقك شرورًا أو خطايا كثيرة، على أن تهب أو تعطي أموالاً. لأنه إن منحت أموالاً، فهذا لا يُعَّد تمثّلاً بالله، فالتمثل بالله هو في المسامحة عن إرتكاب الخطايا، لكن كيف يمكنك أن تقول "إنني ضعيف ولا أستطيع أن أسامح"، عندما يكون لديك ما يمكنك أن تعطيه، ولا تعطي، وتعتبر أن العطاء خسارة، إذن فالأمر هنا لا يتعلّق بالغنى، ولا بالثروة، ولا بوفرة الخيرات.

"فكونوا متمثلين بالله"، هنا يوجد حثٌّ آخر أكثر نبلاً. يقول: "كأولاد أحباء". لديكم إلتزامًا آخرًا لتكونوا متمثلين بالله، ليس فقط لأنه قد أَحِسَن إليكم، بل لأنكم صِرتم أولادًا له. ولأنه ليس كل الأولاد يتمثلون بآبائهم، بل الأولاد الأحباء فقط، ومن أجل هذا يقول الرسول بولس "كأولاد أحباء".

"إسلكوا في المحبة". وهذه المحبة هي أساس كل الفضائل، إذن عندما توجد المحبة، لا يوجد السخط، ولا الغضب، ولا الصياح الحاد، ولا التجديف، بل يختفي كل شيء غير لائق. ولذلك فهو يَذكر مؤخرًا المحبة التي تَعلو كل شيء. وكيف صرت إبنًا لله؟ لقد صرت إبنًا له، لأنه غفر لك خطاياك. ولنفس السبب الذي من أجله جعلك مستحقًا لمثل هذه الكرامة العظيمة، إغفَرَ خطايا قريبك. أخبرني، لو أن شخصًا قد أفادك بدواء ما، عندما كنت مُصابًا بإرتفاع في درجة الحرارة ومُشرفًا على الموت، ألا تُكرّمه أكثر من الجميع، بل وتُفضّل هذا الدواء أيضًا؟ إذن إن كنا نشعر بإرتياح نفسي في الحالات والظروف المعتادة، فبالأكثر جدًا يجب أن نقدّر تلك الأمور المتعلّقة بالمحبة. فلتكن عاشقًا للمحبة، لأنك بالمحبة تَخْلُص، وبالمحبة صرت إبنًا لله. وإن إستطعت أن تُنقذ آخرًا، ألا تستخدم هذا الدواء، ألا تنصح الجميع به؟ "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يُغفر لكم". هذا نموذج لأناس يشعرون بالإمتنان، وعليهم أن ينصحوا الأحرار والنبلاء أيضًا بهذه الطريقة. يقول "كما أحبنا المسيح أيضًا". أنت أيضًا فلتتراءف بالأصدقاء، وبالأعداء، فالمولود من الله هو أعظم بكثير. يقول "كما أحبنا" كيف يظهر الخلاص في كلمة "كما"؟ بالطبع يحدث هذا إن أحسنًا إلى أعدائنا. ثم يقول "وأسلم نفسه لأجلنا قربانًا وذبيحة لله رائحة طيبة". أرايت كيف أنك، إن تألمت لأجل أعدائك، فهذا يُعّد رائحة طيبة تفوح منك دائمًا، وستصبح ذبيحة حقيقية، وهذا هو معني أن تصير متمثلاً بالله.

" وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ" (أف ٥: ٣).

تكلّم الرسول بولس عن شهوة الغضب الرديئة، ثم تطرّق إلى اسوإ أنواع من الشرور. ومن حيث أن الشهوة تعتبر أسوأ شر، إسمع الناموس الموسوي الذي يقول



"لا تقتل"، الأمر الذي يأتي من الغضب، بعد ذلك يقول: "لا تزنِ"[٣٣١]، الأمر الذي ينتج عن الشهوة. لأنه تمامًا كما أن الخبث، والصياح أو الصراخ الحاد، وكل أنواع الخطية، والتجديف، وكل الخطايا المشابهة، هي إعلان عن الغضب، هكذا الزنا، والنجاسة الجسدية، والطمع، هي خطايا تنتج عن الشهوة، لأننا بهذا كله نشتهي كثيرًا المال والمُتع الجسدية. ولكن كما أنه قد دعا من قبل إلى عدم الصياح، لأن الصياح يُعَد بمثابة المركبة التي تؤدي إلى الغضب، هكذا الآن يُدعو إلى أن لا يُسمَّ بينهم السلوك الفاحش وكلام الهَزْل غير اللائق، والذي هو المركبة التي تقود إلى الزنا.

يقول: " وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ، وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ (بالمسيحيين)، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ " (أف٥: ٤).

لا يُسمَّ بينكم أيضًا الهزل، ولا القباحة، ولا ممارسة الأعمال الفاحشة، وعندئذٍ سينطفيء لهيب الشهوة تمامًا. يقول "لا يسمَّ بينكم" أي لا يُسمَّ ولا يظهر على الأطلاق. هذا ما كتبه إلى أهل كورنثوس يقول: "وزنى هكذا لا يُسمَّي (بينكم)"[٣٣٢]. أي فليَصِر الجميع أنقياء، لأن الكلام يقود إلى العمل. وحتى لا يبدو كلامه مزعجًا للغاية، ومُحزنًا أيضًا، فبعدما دعاهم إلى أن يترَّفعوا تمامًا عن التكلُّم بالكلام غير اللائق وكلام الهزْل، أضاف المبرِّر لهذا، قائلاً " التي لا تليق (بالمسيحيين) بل بالحري الشكر".

٢- ما فائدة التكلم بكلام الهَزْل؟ إنك لا تثير به سوي السخرية فقط. أخبرني، هل صانع الجلود، سيعمل قط شيئًا لا يتعلق بعمله؟ هل يسعي إلى عمل شيء لا ينتمي إلى صنعته؟ بالطبع لا، لأن الأشياء التي لا تُستخدم، لا تنفعنا أبدًا. فيجب ألا يدور بيننا أي حديث غير هادف، لأننا من خلاله نسقط في الكلام غير اللائق. إن

---

[٣٣١] خر٢٠: ١٣ـ١٤.

[٣٣٢] ١كو٥: ١.

الوقت الخاص ليس وقتًا للتسلية والمزاح، بل وقتًا للحزن، والألم، والأنين، فكيف تصير هازلاً ومازحًا؟ أي رياضي يأتي إلى الإستاد، ويترك المنازلة مع خصمه ويمزح أو يتكلم بكلام هَزْلٍ؟ الشيطان قد ظهر وهو يجول يعوي لكي يختطف، إنه يُحرك كل شيء، ويحوّل كل شيء ضد أفكارك، ويمكر لكي يخرجك خارج مكان إقامتك، يَصِرِّ بأسنانه، يزأر، يلهث منتفضًا ضد خلاصك، فهل تجلس وتتكلم كلام الهزل والسفاهة، وتنطق بتلك الكلمات التي لا تليق؟ إذن هل يمكنك أن تصرعه تمامًا؟ إننا للأسف نلهو، أيها الأحباء.

أتريد أن تعرف أسلوب حياة القديسين؟ إسمع الرسول بولس الذي يقول: "ثلاث سنين ليلاً ونهارًا لم أفترُ عن أنذر بدموع كل واحد"[٣٣٣]. فإن كان لأجل أهل ميليتس وأهل أفسس قد أظهر كل هذه الغيرة الكبيرة، دون أن يتكلم بكلام هزلٍ، بل بدموع كان يُنذر ويقدم النصح، فماذا يمكن للمرء أن يقول، ماذا عساه أن يُظهِر للآخرين؟ إسمعْ ماذا يقول لأهل كورنثوس "لأني من حزن كثير وكآبه قلب كتبتُ إليكم بدموع كثيرة"، وأيضًا "مَنْ يضعف وأنا لا أضعف مَنْ يعثر وأنا لا التهب"[٣٣٤]. إسمعه وهو يقول في موضع آخر، أنه يشتهي أن ينطلق مِن هذا العالم. لأنه يقول: "فإننا نحن الذين في الخيمة نئن"[٣٣٥]. فهل تمزح وتعبث؟ إنه وقت الحرب، فهل تتشبه بالراقصين وتستخدم الوسائل التي تصلح للرقص وليس للحرب؟ ألم ترَ وجوه المحاربين، كم هي مُتجهمة وجادة، وكيف هي منزعجة، لأن لديهم تَرقّب شديد، تشاهد نظرات صارمة، قلوبًا مُثارة، خافقة، ووثّابة، ذهنًا حاضرًا ومُركّزًا، يرتعد ويصارِع، وفي المعسكر تجدهم في خضوع وطاعة تامة، نظام صارم، وهدوء شديد. أقول هذا، حتى لا تتفوّه بكلام غير لائق، بل ولا حتى تُلَمِّح به. لأنه إن كان أولئك المحاربونَ الذين يُحاربون ضد أعداء ملموسين، لم ينشغلوا

---

[٣٣٣] أع٢٠: ٣١.

[٣٣٤] ٢كو٢: ٤، ١١: ٢٩.

[٣٣٥] ٢كو٥: ٤.

بالكلام ولم يعطونه أي أهمية بسبب إلتزامهم الشديد بالصمت، فهل أنتَ يا مَن أمامك حرب (روحية)، تترك القِسْمَ الأعظم من هذه الحرب، غير مُحصَّن، بسبب الكلام (غير اللائق)؟ هل تجهل إنه لهذا السبب، يُوقَع بنا ونُهزم؟ هل تعبث، وتسلك في حياة المُتَع، وتتكلم بكلام الهَزْلِ، وتُثير السخرية، وتعتقد أن هذا ليس له أية أهمية؟ كم من نقضٍ للقَسم، كم من الخسارة، كم من الفواحش، يترتب على حديث الهَزْلِ! لكن سيقول البعض، إن المُزاح يختلف عن هذا النوع من الهزل، لكنه بذلك يكون قد إستبعد جميع أنواع الهزّلِ. الآن هو وقت للحرب وللمعركة، وللحذر، وللتسلُّح، والإصطفاف والتأهب، لا مكان هنا للهزل والسخرية، لأن هذا ينتمي للعالم الشرير.

إسمع ما يقوله المسيح له المجد: " إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح"[٣٣٦]. لقد صُلب المسيح من أجل خطاياك، وأنت تضحك وتمزح، لقد قَبِل لطلمات، وعاني آلامًا كثيرة، من أجل أن يرفع عنك تعاستك والكارثة التي حلّت عليك، ولكنك تسلك في حياة المتع. ألا تُغضبه أكثر بهذا المسلك؟ ونظرًا لأن البعض يفعلون ذلك وهم غير مبالين لأن هذا الأمر يتّسمُ باللامبالاة عند البعض كما هو واضح، ولذلك من الصعب أن يحترس. لنتحدث قليلاً عن هذا الموضوع، لكي نُظهر أن هذا السلوك الشائن هو خطأ كبير، فهدف الشيطان هو أن يجعلنا نستخفُّ بهذه الأمور التي تتسم بعدم المبالاة. أولاً حتي وإن كان هناك مَنْ يسلك بلامبالاة، فلا ينبغي لأحد أن يحتقره بهذه القسوة، عالمًا أنه من هذا تُولد وتتزايد الخطايا الكبري، وكثيرًا ما تنتهي إلى الزنا. ومن حيث أنه ليس من الصواب أن نحتقر حتى غير المُبالي، فهذا واضح من ان أحتقاره قد أتي من شرِّه. إذن لنفحص الأسباب التي تُولِّد هذه الشرور، أو من الأفضل أن نفحص مَنْ الذي يجب أن يُدعي قديسًا، إنه الوديع، اللطيف، والذي يحزن وينوح، ويكون متألمًا. وبناء على ذلك فالمتكلم بالهزل ليس بقديس، حتي بالنسبة للوثني هو مثالاً للسخرية، فالأمور

---

[٣٣٦] يو١٦: ٢٠.

الهَزْلية مسموحًا بها للممثّلين فقط. وحيث توجد البذاءة، فهناك الهزل، وحيث يوجد المزاح في وقت غير مناسب، فهناك يوجد الهزل أيضًا. إسمع النبي الذي يقول: "اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة"[337]. الهزل يجعل النفس رخوة، وخَمُولة، وواهنة، ومرارًا كثيرة تولّد إهانات، وتُثير حروبًا أيضًا.

٣ـ ماذا إذن، ألم تَصِرْ رجلاً مُكتَمِل الرجولة؟ إذن فلتُبطِلْ ما للطفل. فمن ناحية أنتَ ترى أنه من غير اللائق أن يتكلم خادمك كلام السفاهة أثناء تواجده في السوق، أما أنت يا مَنْ تقول إنك خادم لله، أتتكلم بالهَزْل في السوق؟ إنه من الضروري ألا تَفقد وداعة النفس، لكن هل هناك مَنْ لا يسود عليه الضعف؟ إن هذا الهزل بحد ذاته سيُرهِق النفس، ولذلك لن يحتاج إلى خداع وعمل الشيطان. ولكي تعرف أفضل، إحذر هذه الصفة أيضًا، يُقال عن الإنسان الذي يهْزُل بأنه هو الإنسان الغير واضح أو الغامض، والمتعدِّد الوجوه، والمتقلّب، والمتساهِل، والذي يبرِّر إستخدام كل وسيلة، وهذا النموذج غير معروف تمامًا للعاملين في الجبال. إن مثل هذا الإنسان الهزلي سريعًا ما يتلوَّن ويتغيَّر، لأنه ينبغي على ذاك الإنسان أن يتأثر بالمظهر الخارجي للبيئة المحيطة، في الكلام، وفي الضحك، وفي طريقة السير، وفي كل شيء، ليس هذا فقط بل يجب أن يبتكر طُرقًا للمزاح أيضًا، لأن هناك **إحتياج لذلك.** فمن غير اللائق **على الإطلاق أن** يمزح أو يتكلم المسيحي بكلام الهزل لكي يُضحِك **الأخرين.** وهو **أمر** حتمي أن يَلقَي ذاك الذي يَهزِل، كَراهية **وبُغضًا متزايدًا** من أولئك الذين يستهزءون أو يمزح معهم بلا سبب، سواء كانوا حاضرين، أو سمعوا ما قاله إن كانوا غائبين. فإن كان هذا الأمر حسنًا، فلماذا يُترَك ليصير من المُقلّدين؟ آتصير مُقلّدًا ولا تخجل؟ لماذا لا تسمحوا لنسائكم أو زوجاتكم الأحرار أن يفعلن هذا؟ ألا تعتبرون أن هذا الأمر هو علامة تدل على أخلاق غير مُحتشمة، وغير وقورة؟ النفس التي تقسم بالهزل، تسكن فيها شرور

---

[337] مز ٢:١١.



كبيرة، وفساد كبير وتصير جافة، وتفتقد إلى الإنسجام، وبناؤها الروحي يُزال، ويُنتزع منها الخوف، وتبتعد عنها التقوي. لك لسان لكي تُسبح به الله وتكون مُمتنًا له، لا أن تثير به ضحكات الأخر. ألم تري الذين يُقال عنهم المضحكين الذين يستعرضون رقصًا مبتذلاً[٣٣٨]؟ هؤلاء هم الهازلون. أترجاكم أن تنزعوا هذا الفرح التافه من نفوسكم. هذا الهزل هو سمة للطفيليين، والمقلدين، وللراقصات، والنساء العاهرات، لا يليق أبدًا بالنفس الحرة والنبيلة، بل لا يليق أيضًا بالعبيد. فإن الفاسق الفاجر والبذئ هو الذي يتسم بالهزل.

يعتبر الكثيرون أن الهزل فضيلة، وهذا هو ما يدعو للحزن. تمامًا كما ان الشهوة تقود شيئًا فشيئًا إلى الزنا، هكذا الهزل، يبدو مُبهجًا، لكن ليس هناك شيء فاسد أو باطل اكثر من الهزل. إسمع ما يقوله الكتاب " قدام الرعد ينطلق البرق وقدام المحتشم تسبق الخطوة (النعمة)"[٣٣٩]. لا شيء أكثر وقاحة مِن الذي يهزل. حتى أن فمه مملوء بالحزن والألم، وليس بالنعمة. لننزع هذه العادة التي للمنحرفين. هناك البعض ممن يستعرضون الهزل للفقراء. يا لهذه الحماقة! يجعلونهم هازلين وهم في وسط معاناتهم وضيقاتهم؟ إذن هل هناك موضع لا نجد فيه هذا الداء؟ لقد دخل بالفعل الكنيسة، وإقترب من الكتاب. هل لي أن أقول شيئًا لكي أوضح هذا الشر الفظيع؟ أنني أخجل من الحديث عنه، ولكنني مضطر، لأنني أُريد أن أظهر إلى أي مدي وصل الشر، حتي لا أبدو وكأنني أهذي، وأكلمكم في موضوع لا أهمية له، كى أستطيع هكذا أن أبعدكم عن الخداع. ولا ينبغي أن يعتقد أو يتصور أحد أنني أخترع هذا الكلام الآن، بل سأتكلم بما سمعته. لقد تصادف تواجد واحد بالقرب من أولئك الذين يفتخرون بمعرفتهم الكبيرة، أعلم أنني سأثير الضحك، لكنني سأتكلم، هؤلاء عند تقديم الطعام يقولون تقدموا بسرعة حتى لا تغضب البطن منكم أيها الأولاد، وإلتقطوا الطعام وحينئذ يقول

---

[٣٣٨] هذا الرقص هو رقص غير لائق، وبذيء. إنه الرقص الخاص بالكوميديا الهزلية، وكان يتسم بالقبح الشديد.

[٣٣٩] حكمة إبن سيراخ ٣٢:١٤.

الأخرون الويل لك أيها الغني، بل والويل لذاك الذي لا يملك. فأشياء كثيرة مثل هذه حملتها الثرثرة فيما بعد، مثلما يقولون الآن، لا يوجد خلق من العدم. أقول هذا لكي أبرهن على حماقة الأخلاق البذيئة، لأن هذا الكلام هو إشارة إلى نفس مُجردة من التقوي. ألا يستحق كلام الهزل هذا إلى إدانة وعقاب شديدين؟ ويمكن للمرء أن يذكر الكثير، وأحاديث أخرى شبيهة بهذا الكلام الذي لهؤلاء.

من أجل هذا أترجاكم بعدما تنزع هذه العادة من كل موضع، لنتكلم بكل ما يليق بنا، ولا تَنطق أفواه القديسين بكلام الفاسقين والفجار " لأنه أي خلطة للبر والأثم. وأيه شركة للنور مع الظلمة"[٣٤٠]. إذن يجب الإبتعاد عن الأمور الغبية، لكي ننال الخيرات التي وُعدِنا بها، دون أن نهمل بالطبع أمورًا كثيرة، وحتي لا نُبطل رجاحة الفكر في أمور هزيلة. لأن الإنسان الهازل، سيصير سريعًا مغتابًا أو نمّامًا، وهذا المغتاب سيُجمّع خطايا أخري أكثر سوءًا في حق نفسه. وبعدما نَخُص هذين النوعين من النفوس، لنُخضعهما للمنطق، كمن يُخضع الكائنات غير العاقلة، وشهوة الغضب أيضًا، فلنضبط الذهن هكذا كمن يخضع ويُلّجم الخيل، حتى ننال المكافأة السمائية، والتي ليتنا جميعًا أن ننالها بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٣٤٠] ٢كو١٤:٦.

العظة الثامنة عشر: (أفسس ٥:٥-١٤)

" إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ- الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ- لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ. لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ " (أف٥:٥-٦).

١- إن البعض من أسلافنا كما هو واضح، قد أطلقوا يد الشعب تمامًا، وبدّلوا المكتوب بحزقيال النبي، وربما نفذوا ومارسوا مطالب الأنبياء الكذبة، ولطّخوا أو دنّسوا إسم الله بين شعبه من أجل حفنة شعير[٣٤١]. أعتقد أن البعض يمارسون هذا الأمر، إذن عندما نقول إن الذي دَعا أخاه أحمقًا، يكون مستوجب نار جهنم[٣٤٢]، يقولون هل حقًا أن مَنْ دعا أخاه أحمقًا، يكون مستوجب نار جهنم؟ يقولون لا. وعندما نقول إن الطماع هو عابد للأوثان، فهذا أيضًا يرفضونه، قائلين إن في هذا مُبالغة، وبهذه الطريقة يحتقرون كل الوصايا. وقد أشار المطّوب بولس إلى هؤلاء، وعندئذ كتب إلى أهل أفسس قائلاً: "**فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله**". بعد ذلك يُضيف "**لا يغركم أحد بكلام باطل**". الكلام الباطل هو ذلك الكلام الذي له تأثير وقتي، ولا يُثبت بالأعمال بأي طريقة، الأمر الذي يعتبر خداعًا بكل تأكيد. "**لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية**". يتكلم عن الزنا، والطمع، والنجاسة، وعن الخداع، لأنه يوجد مخادعين وكذابين. ويدعو الذين يرتكبون المعصية بشكل مُبالغ فيه "أبناء المعصية"، أي الذين يعصون الله.

---

[٣٤١] حز ١٣:١٩.

[٣٤٢] أنظر مت ٥:٢٢.

" فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءَهُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً، وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ" (أف٥: ٧ــ٨).

لاحظ كيف أنه يُرشِد وينصح هؤلاء بتعقل، أولاً من خلال ما قاله المسيح، لأنه يقول احبوا بعضكم بعضًا، ولا تظلموا أحدًا، ثم بعد ذلك بالتهديد بالعقاب في نار جهنم. لأنه يقول "**لأنكم كنتم قبلاً ظلمة أما الآن فنور في الرب**". الأمر الذي قاله في رسالته إلى أهل رومية "فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن"[٣٤٣]، ويذّكرهم بشرورهم السابقة، وكأنه يقول لهم طالما أدركتم ماذا كنتم قبلاً، وماذا صرتم الآن، فلا تعودوا إلى شروركم السابقة، ولا تسلكوا بمهانة تجاه نعمة الله. "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب". وهذا كما يقول الرسول بولس قد صار لكم، لا بسبب فضيلتكم، لكن بسبب نعمة المسيح، أي أنكم كنتم قبلاً مستحقين لنفس الحالة التي كانت لهؤلاء ، ولكن ليس الآن بعد. "أسلكوا كأولاد نور". ولكي يظهر ماذا يعني بعبارة "أولاد نور"، أضاف:

" لأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلاَحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ. مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ الرَّبِّ " (أف٥: ٩ــ١٠).

يقول "في كل صلاح". هذا يقوله للذين يغضبون، وللأشرار. "وكل بر"، وهذا يقوله تجاه الطماعين. "وكل حق"، هنا يُشير إلى اللذة الكاذبة والخادعة. يقول "في كل (εν πάση)" أي ينبغي أن تُظهِروا ثمرًا روحيًا في كل شيء. ثم يقول "**مختبرين ما هو مرضي أمام الرب**". وبناء على ذلك فتلك الأمور السابقة كانت نموذج لفكر طفولي وغير مكتمل.

---

[٣٤٣] رو٦: ٢١.

" وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا. لأَنَّ الأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرًّا، ذِكْرُهَا أَيْضًا قَبِيحٌ. وَلكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ يُظْهَرُ بِالنُّورِ. لأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهِرَ فَهُوَ نُورٌ " (أف٥: ١١ــ١٣).

لقد قال "أسلكوا كأولاد نور" فالنور يُوبِّخ الأعمال التي تحدث في الظلام. حتي أنكم لو كنتم سالكين بالفضيلة وموضع إعجاب الآخرين، فلن يستطيع الأشرار أن يفلتوا من مراقبتكم. تمامًا كما أن المصباح عندما يوجد في مكانه، فإنه يُنير الجميع، ولن يستطيع السارق أن يأتي إلى البيت، هكذا عندما يُضيء نوركم، فإن الأشرار سيُكتَشَفون، لأنهم يتوبخون. إذن ينبغي أن يكون هناك توبيخ شديد وقاسٍ. لكن كيف يقول "لا تدينوا لكي لا تُدانوا؟ [٣٤٤]. قال "إذا توبخ" "إذا أُدين" أي "إذا تهذب". كذلك فإن عبارة "لا تُدينوا لكي لا تُدانوا"، قيلت عن الخطايا البسيطة، ولهذا أضاف "ولماذا تنظر القذي الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها"[٣٤٥].

إن ما يعنيه هو الآتي: كما أن الجرح إذا ظل مُختفيًا داخل جسدنا، فإننا لا نهتم بعلاجه إطلاقًا، رغم أنه يتغلغل بعمق، هكذا الخطية، فبقدر إرتكابها في الخفاء، وبقدر ماتظل في الظلام، فإنك تتجرأ على فعل كل شيء في أمان تام، ولكن عندما تصبح في النور، فإنه ينكشف أمر مرتكبها. كيف يحدث هذا؟ لأن الخاطئ عندما تُظهره أمام كل الناس، فإنه يرجع ويتوب، وعندما ينال الغفران، ألا تكون قد إنتشلته تمامًا من ظلامه؟ ألا تكون عندئذٍ قد شفيت جرحه؟ ألا تكون قد خلصته من عجزه عن الإثمار لكي يأتي بثمر؟ إن طريقة حياتكم حين تكون واضحة، فهي نور، وبالطبع لا يستطيع أحد أن يُخفي اسلوب الحياة النقية. لكن الأعمال التي تتم في الخفاء، بسبب أنها تحدث في الظلام، فهي تُخبأ وتُخفَى.

---

[٣٤٤] مت ٧: ١.

[٣٤٥] مت ٧: ٣.

" لِذلِكَ يَقُولُ: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ " (أف ٥: ١٤).

إنسان الخطية هو الذي يعنيه الرسول بولس بكلمتي "النائم والميت"، فهو بالحقيقة يُخرج نتانة مثل الميت، وعديم الحركة مثل النائم، ولا يرى شبيهًا له، بل يحلم ويتخيل. يقول البعض "ستقترب من المسيح"، والبعض الآخر يقول "سيُنيرك المسيح"، والأرجح أن المسيح هو الذي سيُنير (الخاطئ). إبتعد بعيدًا عن الخطية، وسيمكنك أن تري المسيح "لآن كل مَن يعمل السيئات يُبغض النور ولا يأتي إلى النور"[346]. وعلى النقيض من ذلك، فإن مَنْ لا يرتكب أعمال خاطئة وشريرة، فهذا يأتي إلى النور.

٢ـ ولكنه لا يقول هذا الكلام لغير المؤمنين، لأن هناك مؤمنون كثيرون ملتصقين بالخطية، ليس أقل من غير المؤمنين، بل يوجد أولئك الملتصقون أكثر بالخطية وبشكل مشابه لغير المؤمنين. من أجل هذا فمن الضروري أن نقول لهؤلاء "**إستيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيئ لك المسيح**". ويليق بنا أن نقول لهؤلاء "ليس الله إله أموات بل إله أحياء"[347]. إذن طالما أن الله ليس إله أموات، فلنحيا أو ينبغي أن نحيا. يدَّعي البعض أن عبارة "طمَّاع الذي هو عابد للأوثان"، فيها مبالغة. إن هذا الكلام ليس فيه مُبالغة، بل هو حقيقي. لماذا؟ لأن الطمَّاع يبتعد عن الله، تمامًا مثل عابد الأوثان. ولكي لا تعتقد بأن هذا الكلام قد قيل هكذا بلا تدقيق، فهذا هو حكم المسيح الذي يقول "لا تقدرون أن تخدموا الله والمال"[348]. فالمستعبدين للمال، قد إبتعدوا وحدهم عن العبودية لله، أما أولئك الذين أنكروا سلطان الله، وهم عبيد للذهب الذي لا روح له، فمن الواضح أنهم عبدة أوثان.

---

[346] يو ٣: ٢٠.

[347] مت ٢٢: ٣٢.

[348] مت ٦: ٢٤.



وقد يقول البعض إنني لم أصنع وثنًا، ولا أقمت مذبحًا، ولا ذبحت ذبائح، ولا قدمت خمرًا للأوثان، بل أذهب إلى الكنيسة وأتمم إلتزاماتي أمام إبن الله وحيد الجنس، وأشترك في الأسرار وفي الصلوات، وفي كل ما يليق بالإنسان المسيحي. إذن فكيف يقول، أنني أعبد الأوثان؟ هذا بالطبع هو الأمر الأعجب، لأنه بعدما أقتنيت خبرة، وتذوقت محبة الله الفائقة، وبعدما رأيت أن الرب صالح، هجرت الصالح وقَبلت الطاغي المتوحش وتظاهرت بأنك عبد للرب، إلا أنك في الحقيقة وضعت نفسك تحت نير محبة المال القاسي والمخيف. أنت لم تحدثني بعد عن إنجازاتك، بل عن عطايا الله. أخبرني من أين نحكم على الجندي بانه جدير بالثقة، هل عندما يكون حارسًا للملك، ويعيش من عطاياه، ويقول إنه ينتمي إليه، أم عندما لا يسلك بنفس الطريقة التي للملك ولا يُفكر بنفس طريقته، ثم يتظاهر بأنه ينتمي إليه، لكنه يقبل أعمال الأعداء؟ من الواضح أنه يصبح موضع ثقة عندما يكون حارسًا للملك، من اجل هذا أنت مستحق لأقصي العقوبة، عندما تنفصل عن خدمة الملك.

إذن فأنت تُهين الله، كعابد للأوثان، ليس بفم واحد والذي هو فمك أنت، بل بأفواه كثيرة، التي هي أفواه المظلومين. ولكن سيقول البعض ليس هو عابد أوثان. وعندما يقول الوثنيون إن المسيحي طماع، حينئذ لا يكون هو وحده الذي يُهين الله، بتلك الأمور التي يُمارسها، بل إنه يُجبر المظلومين مرارًا كثيرة على إهانة الله، وإذا لم يعبروا عن هذا، فذلك يجب أن يُنسب لتقوي الوثنيين. ألا ترى أن الأمور تسير على هذا النحو؟ وما هو الشيء الآخر الذي يصنعه عابد الأوثان؟ ألا يتعبد مرارًا للشهوات، دون أن يسيطر عليها؟ سأشرح ماذا أقصد عندما أقول إن "الطماع" هو عابد للأوثان، سيقول البعض إنه لا يعبد الأوثان، بل يعبد أفروذيتي، وأريس، وإذا سألنا مَن هي هذه أفروذيتي؟ سيُجيب هي الأكثر وقارًا بين هؤلاء، إنها اللذة، ولو سألنا مَن هو أريس؟ سيقولون إنه الغضب هكذا فأنت تعبد الإله المزَّيف والمخادع. ولو سألنا مَنْ هو المزيف؟ إنه الطمع، أفأنت تتعبد للطمع؟ سيقول

أنا لا أعبده، لماذا؟ هل لأنك لا تحني ركبتيك؟ لكنك الآن تعبد بما لا يقارن، أي بالأعمال، لأن هذه هي أعظم عبادة، ولكي تعلم، إنتبه لما يحدث تجاه الله، مَنْ هم الذين يعبدون الله أكثر، هل هم أولئك الذين يقفون في مواضع الصلاة فقط، أم أولئك الذين ينفذون إرادة الله؟ من الواضح أنهم أولئك الذين ينفذون إرادته.

هكذا يحدث مع الذين يعبدون المال، فإن الذين يصنعون إرادته، هم يعبدونه بالأكثر. وإن كان أولئك الذين يعبدون الشهوات، كثيرًا ـ ما يكونوا ـ غير خاضعين لها. ويستطيع المرء أن يرى ذاك الذي يخدم أريس، إنه كثيرًا ما يستطيع أن يُسيطر على غضبه. إلا أن هذا لم يحدث معك بعد، بل أنك تُخضع ذاتك تمامًا للشهوة. وأتساءل ألا تذبح خرافًا؟ قد يحدث هذا، إلا أنك أيضًا تقتل أناسًا، ونفوسًا عاقلة، بعضهم تقتله بالجوع، والبعض الآخر بالتجديف. لا يوجد شيء يُثير الغضب أكثر من هذه الذبيحة. هل رأى أحدًا نفسًا مذبوحة؟ ملعون هو مذبح الطمع. لأنه إن اقتربت من مذبح الوثنيين هذا، سترى أن روائح دماء الجداء والأبقار تنبعث منه، وإن اقتربت من مذبح الطمع، سترى كيف ينفذ منه روائح دماء إنسانية، وإن وقفت إلى جوار هذا المذبح، فلن تري شواء طيور، ولا أبخرة ودخان تتصاعد عاليًا، بل أجساد بشر تتهاوى وتهلك. لأنه من ناحية ستجد البعض وقد سقطوا في منحدرات، والبعض ربطوا أنفسهم بحبال، والبعض الآخر أجازوا السيف في رقابهم. أرأيت مثل هذه الذبائح الفجة واللاإنسانية؟ أتريد أن تري ما هو أكثر رعبًا من هذه الذبائح؟ أنا سأظهر لك ليس فقط الأجساد البشرية، بل نفوس البشر، وهي تُذبح بوحشية يقول النبي: "النفس التي تفعل الشر موتًا تموت"[349]. وموت النفس ليس مثل موت الجسد، بل هو أكثر رعبًا. لأن هذا الموت الجسدي، يجعل الجسد يستريح من إنشغالاته وأتعابه الكثيرة، بعدما تنفصل النفس عن الجسد، أما النفس فتُبعث

[349] حز ١٨:١٤ (س).



إلى الموضع الظاهر أو المعروف. إذن فالجسد بعدما ينحل ويفسد، فإنه يعود مرة أخري إلى حالته بلا فساد ويأخذ النفس ذاتها.

٣. الموت الجسدي هو هكذا كما رأينا، أما الموت النفسي فهو اكثر رعبًا وخوفًا. لأنه إن إنحلت النفس فهي لا تُبعث مثل الجسد، لكنها بعدما ترتبط مرة أخرى بالجسد غير الفاسد، فإنها تدفنه في النار التي لا تُطفأ. إذن هذا هو موت النفس، وحيث يوجد موت للنفس يوجد أيضًا ذبح لها. وما هو الذبح بالنسبة للجسد؟ هو ان يموت الجسد، ويتوقف عن أعمال النفس. وما هو الذبح بالنسبة للنفس؟ هذا أيضًا يعني إماته النفس. وما معني أن تموت النفس؟ فكما يموت الجسد، عندما تهجره النفس، هكذا فإن النفس تموت، عندما يتركها الروح القدس. هذه الذبائح تتم بشكل أساسي فوق مذبح الطمع، أنها - أي نفس الطماع - لا تشبع، ولا تكتفي بدماء البشر، بل إن لم تُضحِ بهذه النفس فمذبح الطمع لن يشبع، إن لم يستقبل هذه النفس، وهذا ينسحب علي الجاني والضحية. فإن كانت هناك ضرورة أولاً لأن يَذبح المضحي، فإنه هكذا يُقدم ذبيحة، والميت يُضحي بالذي كان منذ قليل حيًا. لأنه عندما يُجدف، عندما يتكلم بالسوء، ويُعثر الآخرين، ألا تكون هذه الجروح النفسية، أمرًا لا شفاء منه؟ أرايت كيف أن الكلام الخاص بإعتبار أن الطماع عابد للأوثان، ليس كلامًا مبالغًا فيه؟

أتريد أن تسمع لآخر أيضًا، وتعرف أن الطمع هو عبادة أوثان، بل ويثير فزعًا أكثر من عبادة الأوثان؟ إن عبدة الأوثان يسجدون للمخلوقات التي خلقها الله، لأنه يقول " إتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق"[٣٥٠]. أما أنت فتسجد لما خلقته أنت، لأن الله لم يخلق الطمع، إذ هو من إختراعك أنت. ولاحظ مقدار الهوس، والسخرية. فإن عابدي الأوثان يكرمون الأوثان التي يسجدون لها، وأن نمّ عليها أحد، أو أهانها، فأنهم يدافعون عنها. أما أنت فكمن يَسجد لشيء ما، ليس فقط مستحقًا الإدانة، بل مملوء بعدم التقوى. وبناء على ذلك فأنت أكثر سوء من عبدة الأوثان. لأنك لا

[٣٥٠] رو ١:٢٥.

تستطيع أن تدافع عن نفسك، وتقول إن الطمع ليس شرًا. بالرغم من أن أولئك لا يمكنهم أن يُقدموا مبررات، ولكنك عديم الخبرة أكثر، لأنك تُدين الطمع، وتُدين كل أولئك الذين يخدمونه، وهم عبيد خاضعون له.

وإن أردتم فلنبحث عن سبب ظهور عبادة الأوثان في العالم. يقول أحد الحكماء[٣٥١]، إن أحد الأغنياء المعذبين بحزن لفراق إبنه الذي إختطفه الموت سريعًا، ولم يكن يُعزيه في هذا الحزن أي تعزية، وأراد أن يُخفف من صدمة موت إبنه بالطريقة التالية: رسم صورة لإبنه الذي أُختطف سريعًا، وصار ينظر لهذه الصورة بصفة دائمة، مُعتقدًا أنه بهذة الصورة، يكون قد إحتفظ بإبنه الذي مات. ويوجد بعض المنافقين، الذين آلهتهم بطونهم، عبدوا الصورة لكي يُكرموا صاحبها، فأدخلوا هذه العبادة ضمن عبادة الأوثان. وبناء على ذلك فإن عبادة الأوثان قد آتت إلى العالم عن طريق مرض النفس، ونتجت عن عادة مخالفة للعقل والمنطق، وعن طريق المبالغة في الأكرام. أما الطمع لم يآت هكذا، هي عبادة قد آتت بالطبع من نفسٍ مريضة، لكن كيف آتي (الطمع)؟ سأقول لكم كيف آتي، لقد مارس قايين الخداع، لأن ما كان ينبغي أن يُقدمه لله، قد إحتفظ به لنفسه، وهكذا صنع الشر أمام الله. فإن كنّا نحن أنفسنا لله، فبالأكثر جدًا تكون ممتلكاتنا باكورة لله، أيضًا فإن الإندفاع الجنسي نحو الفساد ينتج عن الطمع. " رأوا بنات الناس أنهن حسنات فأتخذوا لأنفسهم نساء"[٣٥٢]. ومن هنا أيضًا آتت الرغبة في المال. لأنه إن كان أحد يريد أن يكون لديه أشياء أكثر من قريبه في هذه الحياة الحاضرة، فهذا لا يرجع إلى شيء آخر، سوي برودة المحبة. وأن يريد أحد أن يكون لديه أكثر من غيره، فهذا لا يكون بسبب آخر، سوي القنوط، وبغضة الناس، والإحساس بالزهو. ألا ترى الأرض، كم هي كبيرة؟ ألا تري أن الهواء هو أكبر بكثير من إحتياجاتك؟ ألا تري أن السماء أيضًا هي أكبر من إحتياجاتك؟

---

[٣٥١] حكمة سليمان١٤: ١٥.

[٣٥٢] تك٦: ٢. (إتجهوا نحو تحقيق رغباتهم الجسدية).

ولكي يُزيل طمعك، فقد خلق الله الموجودات بكل هذا الحجم الضخم الكبير. لكنك بالرغم من كل هذا، تخطف وتسلب قريبك، ألا تسمع أن الطمع هو عبادة أوثان، ألا يجعلك هذا ترتعد؟ هل تريد أن ترث الأرض؟ لكن أليس لك في السماء ميراث، فلماذا تحرم نفسك منه؟

٤ـ أخبرني، لو أن أحدًا قد أعطاك السلطان أن تأخذ كل شيء، تُرَى، ألا ترغب في هذا؟ الآن صار من الممكن أن تأخذ كل شيء، إن أردت. وإن كان البعض يقولون إنهم يحزنوا عندما ينقلون ثروتهم لآخرين، وكانوا يُفضّلون أن يستهلكوها، على أن يرون آخرين يمتلكونها، إلا أنني لا أستطيع أن أخلصك من هذا المرض، لأن هذا يعتبر برهان على نفس مريضة، فلتجعل المسيح وريثًا لك في وصيتك. بالطبع ينبغي أن يحدث هذا أثناء حياتك، لأن هذا المسلك هو دليل على رغبة وإرادة مستقيمة. لكن يجب أن تكون عزيز النفس أكثر، حتى وإن كان هذا بالإلزام لأن المسيح قد أعطانا بالحقيقة وصية أن نُعطي للفقراء، لكي يجعلنا حكماء في حياتنا، وحتى يجعلنا مُقتنعين بإحتقار المال، ولكي يُعلّمنا أن نزدري بكل الأمور الأرضية. أما أن يعطي أحد ـ المال ـ لهذا وذاك عند وفاته، فهذا ليس إحتقارًا للمال، لأنه في هذه الحالة لا يكون سيدًا على ماله، فالعطاء هنا قد صار إجباريًا، هذا هو حكم الضرورة، فالفضل هنا يعود إلى الموت، وليس لك، كما أن ذلك لن يُعدَّ برهانًا على الحنو والعطف، بل هو عمل إجباري. لكن ليكن هذا، لأنه بذلك تكون قد وضعت نهاية للشهوة. تذكّر كم سلبت، إمتلأت بالطمع، رد كل شيء أربعة أضعاف، وهكذا يمكنك أن تقدم حسابًا أمام الله. لكن هناك البعض ممًا وصلوا إلى هذا الحد من الهوس والعمي، حتى أنهم لا يرون ما يجب أن يحدث في ذلك الوقت، بل كمن يعجلوا دينونة الله الشديدة ضد أنفسهم، فإنهم يسلكون هكذا في كل شيء. ولأجل هذا فإن المطوب بولس يكتب قائلاً: "اسلكوا كأولاد نور". إن الطماع يعيش داخل الظلام، وينشر ظلامًا كثيفًا في كل موضع.

يقول **"ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها لأن الأمور الحادثة منهم سرًا ذكرها أيضًا قبيح ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور"**

أرجو أن تنصتوا قليلاً، يا مَنْ لا تريدوا أن تتمثلوا بهم، هل يسرق أحد وأنت لا توبخه؟ لكنك تخشى البغضة، بالرغم من أن هذا العمل ليس بدون سبب، لكن هل تُوبخ بحق، وتخشى البغضة؟ وبخ أخاك، أظهر البغضة (تجاه الخطية) من أجل محبة المسيح، إمنعه عندما يتجه نحو الوقوع في هوة الخطية. لأنه إن تشاركنا في المائدة (الإفخارستية)، وفي الكلمات والعظات الحسنة، وفي التمتع بكل ذلك، فهذا ليس دليل على محبة فائقة. فلنقدِّم لأحبائنا مثل هذه العطايا، حتى نُنقذ نفوسهم من الغضب الإلهي. ونحن ناظرين لهؤلاء وهم يضجعون في أتون الخطية، لنقيمهم من هذا الرقاد.

لكن قد يقول قائل بأنه لن ينصلح، إلا أنه يجب عليك أن تقوم بدورك وتؤدي وأجبك نحوه، وتقدِّم حسابك أمام الله. يجب ألا تُخفي وزنتك، من أجل هذا لديك فم ولسان ونطق، لكي تصحح مسيرة قريبك. الحيوانات غير العاقلة هي فقط التي لا تهتم بقريبها، وليست مطالبة بمبرارات او أعذار تجاه الآخرين. كن أنت يا مَن تدعو الله أبًا، وترى قريبك كأخ لك، وتكون أنت المنقذ له، فهل هناك أفضل من أن تنصحه وتُفيده، عندما تراه وهو يرتكب الشرور؟ أترجاك. ليست هناك علامة تظهر المحبة، بقدر عدم إحتمالنا رؤية أخوتنا يخطئون.

أرايت أولئك الذين يكرهون؟ حاول أن تصلح بينهم. أرايت طمَّاعين؟ حاول أن تبعدهم عن الطمع، أرايت مظلومين؟ فلتدافع عنهم، لأنك حين تفعل هذا، فإنك تصنع حسنًا لنفسك، وليس لهم. إذن فنحن أيها الأحباء يجب أن نكون نافعين بعضنا لبعض. خلافًا لذلك فسوف يسمع المرء كلام صديقة، أما الذي لا يعرفه، فإنه يتعامل معه بشكل مختلف، وهذا ربما يكون موضع شك بالنسبة له. يقول **"لأن الأمور الحادثة منهم سرًا ذكرها أيضًا قبيح ولكن الكل إذا توبخ يظهر**



بالنور". ماذا يريد أن يقول هنا؟ إنه يقصد الآتي: أن بعض الخطايا تحدث سرًا في الحياة الحاضرة، والبعض في العلن، أما في حياة الدهر الآتي، فلن تكون الأمور هكذا، لأن الجميع يشعرون معًا بأنهم مذنبون بالخطايا. لذلك يقول "ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور". ماذا إذن؟ ألم يقل هذا الكلام هنا عن عبادة الأوثان؟ بلي (لم يقل)، بل ما يقصده هو طريقة الحياة، والخطايا التي تُرتكب. " **لأن كل ما أُظهِر فهو نور**".

لذلك أرجو أن لا تترددوا في أن توبخوا، ولا تتضايقوا عندما يُوبخكم أحد. لأن ما يحدث في الظلام، يتم بعيدًا عن الأعين، ولكن عندما يوجد شهود كثيرين، فإنه يظهر في النور. من أجل هذا لنفعل كل شيء لكي نحّول الموت الروحي لأخوتنا، إلى حياة روحية، ولكي نُبدد الظلام، ونجتذب شمس البر. لأنه إن كان المستنيرون بنور المعرفة الروحية كثيرين، والطريق إلى الفضيلة سيكون أسهل بالنسبة لهؤلاء، فإن المقيمين في الظلام أيضًا ستتكشف أعمالهم بصورة أكثر سهولة، عندما يزداد النور ويتلاشى الظلام. لكن إن حدث العكس، فسيكون هناك خوف من إمكانية إنطفاء هؤلاء، وذلك عندما تكون الكثافة التي يولّدها الظلام والخطايا، مؤدية إلى إنحصار النور، وأضعاف قوة إضأته. إذن لنسلك في طريق النور، حتى ننفع أنفسنا، ونمجد الله محب البشر بأعمالنا، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة التاسعة عشر: (أفسس ٥:١٥-٢١)

" فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ " (أف ٥:١٥-١٦).

١- لايزال الرسول بولس يوضح السبب في إرتكاب الشر، ولايزال أيضًا مستمرًا في نزع جذور الغضب. فماذا يقول؟ يقول: "فأنظروا كيف تسلكون بالتدقيق".

لقد كان يعرف ماذا قال مُعلّمه، لأنه عندما أرسل التلاميذ كخراف وديعة وسط ذئاب مفترسة، حثّهم على أن يكونوا كالحمام. لأنه يقول "كونوا بسطاء كالحمام"[٣٥٣]. فنظرًا لأنهم كانوا بين ذئاب، ولانه قد أوصاهم بألا يدافعون عن أنفسهم، بل يتحملوا كل شيء، فمن أجل هذا تحديدًا كانت هناك حاجة لهذه النصيحة. وبالرغم من أن النصيحة الأولي كانت كافية بالطبع لكي تجعلهم أكثر قوة، إلا أنه عندما تضاف إليها نصيحة أخرى عندئذٍ ستتضاعف القوة. لاحظ إذن كيف كان إهتمامه شديدًا ولديه رغبة مُلّحة في أن يقي هؤلاء ويصونهم، قائلاً "فأنظروا كيف تسلكون". والكثيرون دخلوا في حرب ضد هؤلاء، وهذه الحرب قد اشتعلت داخل البيت الواحد، الأب ضد إبنه، والإبن ضد أبيه، والأم ضد إبنتها، والإبنة ضد أمها، الكل كانوا منقسمين. ماذا إذن؟ ما سبب هذه الإنقسامات؟ إسمع المسيح له المجد وهو يقول "من أحب إبنًا أو إبنة أكثر مني فلا يستحقني"[٣٥٤]. ولكي لا يعتقدوا، أنه يُريد لهؤلاء أن يخوضوا حروبًا ومعارك، لأنهم يخضعون لغضب شديد، وبالرغم من أن هؤلاء يرغبون في أن يهاجموا بشدة، لأجل هذا يقول "فإنظروا كيف تسلكون بالتدقيق". أي بإستثناء البشارة، لا تعطوا دافعًا لإثارة العداوة ضدكم تحت أي ذريعة. إذن فمن غير المسموح لأحد منكم أن يثير العداوة لأي سببٍ كان، فعندما لا يوجد شيء يُعوق

---

[٣٥٣] مت ١٠:١٦.

[٣٥٤] مت ١٠:٣٧.



التقوي. فينبغي عليكم أن تظهروا كل كرامة وخضوع، لأنه يقول "فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام"[٣٥٥]. لأنه عندما يروننا مترفقين في سلوكياتنا الأخري، سيخجلون. "بل كحكماء مفتدين الوقت". هنا هو لا ينصح بهذه الأمور، لأنه يريد منّا أن نكون مُبتدعين، ومتقلبين أو غير ثابتين بل ما يقصده هو: أن الوقت في هذه الحياة الحاضرة ليس ملكًا لكم، أنتم نزلاء، وضيوف، وغرباء، لا تطلبوا كرامة، ولا مجدًا، ولا سلطة، ولا تنتقموا لأنفسكم، بل إحتملوا كل شيء، وبهذا تفتدون الوقت، إتركوا الكثير، وستتمكنوا عندئذٍ من إكتساب إرادة فعل الخير. إن ما قيل غير واضح، إذن لنتقدم خطوة للأمام ولنجعله مفهومًا بمثال، لتفترض أن شخصًا ما لديه بيتًا فخمًا، وبعد ذلك جاء البعض وهجموا على البيت بهدف قتل صاحبه، إلا أن ذاك قدم الكثير وأنقذ نفسه. في هذه الحالة تقول إنه إفتدي نفسه. هكذا أنت أيضًا لديك بيتًا عظيمًا وإيمانًا حقيقيًا، إلا أنه قد يحدث هجوم ضدك لكي يسلبوك كل شيء، سيطلب منك أحد أن تُعطي ما لديك، عليك عندئذٍ أن تنقذ أهم ما لديك، اي الإيمان. يقول "لأن الأيام شريرة".

ما هو اليوم الشرير؟ اليوم الشرير، يرجع إلى اليوم في حد ذاته. لو إنك عرفت ما هو الشر الذي يحدث لكل واحد منّا ستعرف ما هو اليوم الشرير. ما هو شر الجسد؟ هو المرض. وما هو شر النفس؟ الخطية. ما هو شر الماء؟ المرارة. وشر كل شيء هو الخسة والدناءة لتلك الطبيعة التي هي الخطية. وبناء على ذلك لو أن الشر مرتبط باليوم فهو يرجع لذلك اليوم، لتلك الساعات، لنور النهار. هكذا يقول المسيح أيضًا "يكفي اليوم شره"[٣٥٦]. من هذا سنعرف معني "لأن الأيام شريرة". إذن كيف يدعو الأيام بالشريرة؟ وكيف يُسمي الأوقات بالشريرة؟ إنه لا يتحدث عن الطبيعة، ولا عن المخلوقات، بل عن تلك الأمور التي تحدث خلال فترة محددة، فقد

---

[٣٥٥] رو١٣: ٧.

[٣٥٦] مت٦: ٣٤.

جرت العادة لدينا أن نقول قضيت وقتًا رديئًا وحزينًا، ويومًا سيئًا، وكيف يمكن أن يصير حزينًا إلا من خلال ما يحدث أثناء تلك الفترة؟ فإن كان ما يحدث خلال فترات اليوم أعمالاً إلهية، فهي أمور صالحة، وتعتبر شريرة إن كانت مرتكبة من أناس أشرار. وبناء على ذلك فإن البشر هم الذين يخلقون الأعمال الشريرة التي تحدث خلال فترة السنة كلها.

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، " (أف٥: ١٧ــ١٨).

الخمر الذي يستخدم بشكل زائد عن الحد، يجعل الناس سريعي الغضب، وقحين، مُتقلبين، ساخطين، سيئ السلوك. لقد أعطى الخمر لكي يُحدث البهجة وليس السكر. أما الآن فقد صار عدم السكر دليلاً على عدم الرجولة ومثارًا للسخرية.

إذن هل سيكون هناك رجاء للخلاص؟ هل عدم السكر أمر يستحق السخرية؟ جيد بالطبع أن يبتعد الشخص العادي عن السكر، وبالأكثر جدًا الجندي الذي يمسك بالسيف، ويُحارب. حسنًا إذن أن يبتعد الجندي عن السكر، إذ قد يخضع لغضبه لسبب آخر، أي بسبب إساءة إستخدام السلطة من قبل الغير، والإستبداد، وبسبب المواجهة المستمرة للمكائد، والمعارك. آتريد أن تعرف أين يوجد الخمر الجيد؟ إسمع الكتاب الذي يقول "أعطوا خمرًا لمُرّي النفس"[٣٥٧]. وهذا أمر طبيعي جدًا، لأنه يُخفف من الحزن الشديد، ومن التجهم، وأن يخلص من العبوسة، "وخمر يُفرح قلب الإنسان"[٣٥٨]. إذن متي ينتج السكر من الخمر؟ لأنه ليس من الممكن أن يُثير هو ذاته المتضادات أو المتناقضات في نفسه. السكر لا يأتي من الخمر، بل من الإستخدام الزائد عن الحد له. لقد أعطى الخمر لنا من أجل صحة

---

[٣٥٧] أم٣١: ٦.

[٣٥٨] مز١٠٤: ١٥.

الجسد ، وليس لأي شيء آخر. لذلك فإن تعاطي الخمر على نحو زائد عن الحد ، يقف عائقًا أمام تحقيق هذا الهدف. إسمع المطوب بولس الذي يكتب لتيموثاوس قائلاً : "إستعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة"[٣٥٩].

٢ـ لأجل هذا خلق الله أجسادنا بإعتدال، وتكتفي بالقليل، وأراد أن يُعلمنا بهذا ، انه خلقنا مُتآلفين ومتوافقين مع الحياة الأخرى. لقد أراد أن يُعطينا هذه الحياة منذ البدء مباشرةً، لكن نظرًا لأننا صرنا وبإرادتنا غير مستحقين لها ، فقد أجّل قراره لزمن آخر. ولم يسمح لنا حتى من جهة الزمن الذي أجّله، أن نتمتع بالخبرات بشكل زائد عن الحد ، لأن كأس خمر صغير، وخبزة واحدة كافيان لكي يملآن بطن الإنسان، الذي خلقة مكتفيًا بالقليل، والجسد قابل للفناء، لا يعلن عن شيء آخرًا سوي أننا نسير نحو حياة أخري. يقول "لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة" لأن السكر لا يُخلص، بل يهلك ليس فقط الجسد ، بل النفس أيضًا.

" بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شيء فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلهِ وَالآبِ. خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ" (أف ٥: ١٩ـــ ٢١).

أتريد أن تفرح؟ أتريد أن تستثمر اليوم؟ إني أقدم لك مائدة روحية (هكذا يقول الروح)، لأن السكر يدمر الصوت المميز الذي يخرج من أفواهنا ، ويجعلنا نتلعثم، كما أنه يحول الأنظار وكل شيء بعيدًا عن الحق، ودون تمييز. تعلّم أن تُرنّم وسترى الوجه المفرح للأمور، لأن الذين يترنمون يمتلئون بالروح القدس، وبالمثل فإن الذين يترنمون بألحان الشيطان يمتلئون بالروح النجس.

---

[٣٥٩] ١تيمو ٥: ٢٣.

ما معني "**مرتلين في قلوبكم للرب؟**" أي أن تكونوا متنبهين بتعقل، لأن غير المُتنبهين، يرددون كلامًا فقط، بينما قلوبهم تكون شارده في موضع أخر. يقول "**شاكرين كل حين على كل شيء في إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله**". أي أن تعرفوا أن تقدموا طلباتكم لله بشكر وإمتنان، لأنه لا شيئًا يفرح الله، إلا حين يكون المرء شاكرًا وممتنًا له. وعلى أية حال فإننا لا نستطيع أن نكون شاكرين إلا عندما نُبعد نفوسنا عن ما سبق وتحدثنا عنه، وعندما ننقي نفوسنا بالروح. هكذا يقول الرسول بولس "إمتلئوا بالروح". تُري، هل الروح القدس داخلكم؟ بالتأكيد هو داخلنا. لأنه عندما يتلاشي الكذب، والمرارة، والزنا، والنجاسة، والطمع من نفوسنا، عندما نصير مُحسنين للآخرين بقلب نقي، عندما نكون مُتسامحين فيما بيننا، وعندما يختفي الهزل غير اللائق، عندئذٍ نجعل أنفسنا آنية مُستحقة لحلول الروح القدس، فماذا يمنع الروح القدس أن يأتي إلينا؟ إنه لن يأتي داخلنا فقط، بل سيملأ قلوبنا. إذن مادام سيوجد كل هذا النور داخلنا، فلن تكون الفضيلة أمرًا صعب التحقيق، بل ستكون سهلة بل وأكثر سهولة في تحقيقها. يقول "**شاكرين كل حين على كل شيء**" ماذا إذن، هل ينبغي أن نشكر على كل ما يحدث لنا؟ نعم بالتأكيد، حتى وإن أصابنا مرض أو عوز. لأنه إن كانت هذه هي النصيحة في العهد القديم "مهما نابك فاقبله وكن صابرًا على صروف إتضاعك"[٣٦٠]. فبالأكثر جدًا يجب أن يحدث هذا في العهد الجديد. حتى وإن كنت بعد لا تعرف الكلمة، فيجب أن تشكر، لأن هذا هو معني الشكر. فإن كنت تشكر عندما يُحسن إليك، وعندما تفرح وتسر، وتنعم بالرخاء والسعادة، فإنك لا تفعل شيئًا مهمًا، لا شيء يستحق الإعجاب، المطلوب هو أن تشكر عندما تكون مُتضايقًا وحزينًا. لا تقل شيئًا قبل أن تقول هذه الكلمات، أشكرك يارب. ولماذا أقول أن تشكر في الضيقات في هذه الحياة الحاضرة؟ لأنه يجب أن تشكر الله من أجل النجاة من نار جهنم، ومن

---

[٣٦٠] حكمة بن سيراخ٢:٤.



العذابات ، ومن العقوبات في الحياة الآخري. لأن هذا الأمر بالنسبة لنا ، نحن الذين نسلك بحرص وتدقيق، قد أفاد إلى أقصي حد ، لأنه بدلاً من اللجام (الذي يلجمنا عن فعل الشر) ، قد وضع في قلوبنا الخوف من جهنم. وبناء على ذلك يجب ألا نشكر فقط عن الإحسانات الظاهرة ، بل وعن الإحسانات غير الظاهرة ، وعن تلك التي تحدث لنا دون إرادتنا ، لأن الله يُحسن إلينا كثيرًا عندما لا نريد وعندما لا نعرف. لكن إن تشككتم ، فسأجعل هذا واضحًا لكم. فلتستمع إلى إذن ، ألا ينسب الوثنيون الدنسون وغير المؤمنين كل شيء إلى الشمس وإلى تلك الأوثان؟ ماذا إذن؟ ألا يُحسن الله إلى هؤلاء؟ أليست حياة وصحة هؤلاء مرتبطة بعناية الله ، كذلك إنجاب الأبناء وكل الأمور المماثلة؟ وماذا يرتكب المدّعون أتباع ماركيون[٣٦١] والمانويين[٣٦٢]؟ ألا يُجدفون على الله؟ ماذا إذن؟ ألا يُحسن الله لهم كل يوم؟ فإن كان يُحسن إلى هؤلاء الذين لا يدركون هذه الأمور ، فبالأكثر جدًا وبما لا يُقارن يُحسن إلينا. لأنه هل هناك عمل آخر لله ، سوي هذا العمل أي أن يُحسن إلى الجنس البشري ، سواء كان هذا بالضيقات ، أو بالتمتع بالخيرات؟

إذن ينبغي ألا نشكر فقط عندما نكون في حالة رخاء ، لأن هذا ليس هامًا على الإطلاق. والشيطان يعرف هذا ، ولهذا قال "هل مجانًا يتقي أيوب الله أليس أنك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية...ولكن إبسط يدك الآن ومس كل ماله فإنه في وجهك يجدف"[٣٦٣]. إلا أنه لم يحدث له أي شيء أكثر مما تعرض له ، ولن يحدث ، بل ولن يحدث لنا شيء أكثر مما حدث لذاك. ولأجل هذا عندما نكون فقراء ، ومرضي ، وعندما نكون مُحتقرين ، عندئذٍ ينبغي أن نتوجه بالشكر إلى الله. وأعني بالشكر ، ليس فقط بالكلام وباللسان ، بل بالأعمال

[٣٦١] ماركيون: هرطوقي ظهر في القرن الثاني وأسس هرطقة تدعو إلى رفض العهد القديم، ورفض الظهورات الإلهية في العهد القديم على وجه التحديد، ورفض عقيدة الثالوث.

[٣٦٢] ماني: هرطوقي ظهر في القرن الثالث وكان يُنادي بوجود مبدأين أزليين للكون وهما غير مخلوقين: النور والظلمة، النور هو إله الخير، والظلمة هو إله الشر. والمادة بحسب رؤيتهم هي ظلمة وبناء على ذلك فهي شر.

[٣٦٣] أيوب ١:٩ـ١١.

والأفعال، وبأفكارنا وبقلوبنا. فلنشكر الله من أعماق نفوسنا. إنه يُحبنا أكثر من أبائنا، وعلى قدر ما يوجد فرق بين الشر والخير، على قدر ما هو عظيم الفرق بين محبة الله، ومحبة أبائنا.

٣ـ هذا الكلام ليس كلامي، بل كلام المسيح الذي يُحبنا. إسمع ماذا يقول "أي إنسان منكم إذا سأله إبنه خبزًا يعطيه حجرًا وإن سأله سمكة يُعطيه حية فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه"[٣٦٤]. وأيضًا إسمع ماذا يقول في موضع آخر "هل تنسي المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك"[٣٦٥]. هكذا يقول الرب. فإن لم يكن يُحبنا، فلماذا خلقنا؟ هل لديه أي إحتياج إلينا؟ هل نُشبع لديه أي إحتياج أو نُسدي له أي خدمة؟ هل لديه إحتياج لأي شيء منّا؟ إسمع النبي الذي يقول "قلتُ للرب أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك"[٣٦٦]. غير أن الجاحدين وفاقدي الحس يقولون، هل كون وجود مساواة في الكرامة بين الجميع يُعد دليلاً على صلاح الله؟ أخبرني أيها الإنسان الناكر للجميل عن أي شيء تقول إن هذا ليس دليلاً على صلاح الله، وماذا تقصد بالمساواة في الكرامة؟ يقول إن فلانًا صار عاجزًا منذ طفولته، والاخر صار مجنونًا ويسكنه شيطان، وآخر قضي كل حياته في عوز شديد، إلى أن وصل إلى مرحلة الشيخوخة، وآخر قضي حياته وقد لازمه مرض خطير، فهل هذه هي عناية الله؟ واحد فاقد لحاسة السمع، والآخر مُهمش، والآخر فقير، وغيره دنس، متمتع بالأموال ويحتفظ بالساقطات، والطفيليين، ويمتلك منزلاً فخمًا، ويحيا حياة لا يشوبها توتر أو إنزعاج، ويقولون أشياء أخرى مماثلة، ويختلقون إتهامات كثيرة ومستمرة ضد عناية الله.

---

[٣٦٤] مت٧: ٩ـ١١.

[٣٦٥] إش٤٩: ١٥.

[٣٦٦] مز١٦: ٢.



ماذا إذن؟ هل هذه الأمور الحادثة، تتم دون عناية الله؟ بماذا ستُجيب هؤلاء؟ فإن كانوا وثنيين، وقالوا لنا أن هناك من يُدير العالم، سنسأل نحن أيضًا هؤلاء نفس السؤال هل ما يحدث يتم دون عناية الله؟ كيف توقرون أنتم الإله، وتسجدون للشياطين والأبطال؟ فإن كانت هناك عناية مؤكده، فلابد أن أحد قد وضعها في كل شيء. وإن كان هناك البعض، سواء كانوا مسيحيين أم وثنيين، أصابهم اليأس والإضطراب، فماذا ستقول لهؤلاء؟ أخبرني هل كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الخيرات بالمصادفة؟ هل نور النهار، وإنسجام وتوافق ونظام الكائنات، وحركة النجوم، والفترة الممتدة بين الليل والنهار، وما يحدث في الطبيعة من تغيّر مُستمر سواء في النباتات والحيوانات والبشر هل كل هذا مصادفة؟ أخبرني، مَن يُدبر كل هذا؟ فإن لم يكن هناك من وضع هذا النظام الكوني، بل حدث بالمصادفة، فمن أقام هذا القبة، هذا الجمال وهذه العظمة، وأعني السماء التي تلف الأرض والمياه، من فوق؟ مَن أعطى الفصول الأربعة المثمرة خلال السنة؟ مَن وضع كل هذه القوة في بذور النباتات؟ لأن ما يحدث بالمصادفة هو على أية حال بلا نظام، بل كل ما يتم من خلال نظام جيد وحسن، يتم بمهارة وحذق.

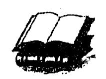
أليس كل ما يحدث من جانبنا بالمصادفة، يكون مليئًا بكثير من الفوضى واللغط والاضطراب؟ ولا أقصد أنه يتم بشكل عرضي، بل يتم بصنعة ما، ولكن بدون مهارة. على سبيل المثال، إذا إفترضنا أن هناك خشب، وحجارة، وأسبستوس، وإن هذه المواد قد إستلمها شخص بلا خبرة بهدف إتمام عمل البناء، فيبدأ في البناء ويحاول أن يُتمه، ألا يُسيء إستخدام هذه المواد؟ مثال آخر لنفترض أن هناك قارب وسط الماء، وبلا شخص يقوده، هل يمكن له أن يصارع بمفرده وسط الأمواج؟ وهذه الأرض بكل هذه الفخامة، كيف تقف عند حد المياه، دون أن تمسكها أي قوة، أخبرني، هل كان من الممكن أن تقف هكذا بثبات كل هذا الزمان؟ وهل من الممكن أن توجد أسباب ومبررات لكل هذه الأمور؟ ألا يستحق من يفكر في هذا، سخرية لا حدود لها؟ إنه يُمسك السحب التي في السماء، وهي تشكّل ثقل



أخر، إلا أنه قد يحدث وتصير هذه السحب أمطار وتتجه نحو المياه، هذا بدوره يؤدي إلى شكل آخر من الخليقة. إن كل شيء هو موضع عناية الله. سماء النجوم السيَّارة الممتدة فوق المياه لا يجب أن تكون محدبة، بل على شكل منحني. لماذا؟ لأن مثل هذا الجسم يغطس كله داخل المياه، تمامًا كما يحدث لجسم القارب. أما الجسم المحدب، فيكون بكاملة فوق المياه، عدا الأطراف فهي تبقي قريبة من سطح الماء. وبناء على ذلك يجب أن يكون له جسم سميك وصلب حتى يستطيع أن يبقي فوق الماء، ويتحمل الثقل الموجود فوقة.

هل الهواء هو الذي يضبط السماء؟ إنه أكثر ليونة وخفه من الماء، ولا يمكنه أن يضبط أي شيءبما في ذلك المواد الدقيقة، وبالطبع لا يمكنه أن يضبط كل هذا الحجم الكبير. فإن أردنا أن نعبر بالكلام عن عناية الله بدقة، سواء بشكل عام أو تفصيلاً، فلن تكفي لذلك حياتنا كلها. سأسال ذاك الذي يطلب أن يعرف هذا الآن، هل هذه الأمور هي دليل عناية أم دليل على عدم العناية؟ فإن قال ليست دليل على العناية، فسأساله أيضًا، كيف إذن صارت هذه الأمور؟ لن يستطيع أن يُجيب، لأنه لا يملك أي حجه. وبناء على ذلك فبالأكثر جدًا فيما يتعلق بالأمور الإنسانية، لست مُلزَمًا أن تعرف، ولا أن تفحص هذه الأمور بدقة. لماذا؟ لأن الإنسان هو أكثر كرامة من كل هذه الموجودات التي صارت لخدمته، وليس الإنسان في خدمتها.

٤ـ إذن إن كنت لا تعرف حكمة وتدبير الله التي إستعلنت في العناية الإلهية، فكيف سيمكنك أن تعرف الكلمات التي قيلت عن ذاك (أي الإنسان)؟ أخبرني إذن، لماذا خُلق العالم صغيرًا إلى هذا الحد، ومُبتعدًا كل هذا البعد عن السماء، حتى أن من (يسأل)، يتحير بشأن الظواهر التي تحدث فيه؟ ولأي سبب لاتزال الأجزاء الشمالية والجنوبية للأرض غير آهلة بالسكان؟ ولماذا تزيد ساعات الليل في الشتاء وتقل صيفًا؟ لماذا توجد كل هذه النفوس، ولماذا القيظ أو الحر الشديد،



ولماذا يموت الجسد أو يفني؟ وسأسألك أسئلة آخري لا حد لها ، وإن شيئت لن أتوقف عن أن أسألك، وسيكون لديك شكوكًا وحيرة في كل شيء. وعندما تكون الكلمات بالنسبة لنا حاملة للأسرار، فهذا في حد ذاته يعد دليل عناية، بالطبع من الممكن أيضًا أن يعتبر أحد أن الإنسان سبب لكل شيء، إن لم يُرد هذا أن يفهم كيف نفكر. وقد يقول قائل أن فلانًا فقير وأن الفقر شيء سيء وردئ. هكذا المرض، والعجز أيضًا لكن هذه لا تُعَّد أشياء سيئة أيها الإنسان، شيء واحد فقط هو السيء والرديء إنه الخطية، ونحن مُلزمين بالتفكير في أسبابها. غير أنه يغيب عنّا أن نبحث في الأسباب التي تدفع نحو إرتكاب الشرور، إذ ننشغل بأمور آخري. لماذا لم يفكر أحد منّا على الإطلاق، في الأسباب التي تدعوه أن يُخطئ؟ هل يا ترى أنا سبب وجود الخطيئة، أم أنها لا تتوقف عليّ؟ ولماذا ينبغي أن أتكلم كثيرًا؟ سأحاول أن أبحث الأمر داخلي. ترى هل إنتصرت مرةً على غضبي؟ هل إنتصرت مرةً على سخطئ، سواء كان هذا بسبب الخجل أم بسبب خشية الناس؟ بعد ذلك عندما أعرف من أين يحدث هذا، سأعرف أنني حين أُخطئ فهذا مُرتبط بطريقة تفكيري أنا.

لا أحد يفحص هذه الأمور، لا أحد ينشغل بهذه الأمور، أما بحسب أيوب فيقول: "أما الرجل ففارغ عديم الفهم"[٣٦٧]. إذن لماذا تهتم إن كان هذا أعمي، وذاك فقير، إن الله لم يُعطك وصية بمراقبة هذه الأمور، ولكن لماذا تفعل ذلك؟ لأنه إن كان لديك شك في أن هناك قوة تُدير هذا العالم، فأنت أغبي جميع الناس، وإن أقتنعت بوجود هذه القوة، فلماذا تتشكك في أنه ينبغي عليك أن تُرضي الله؟ يقول "شاكرين (الله) كل حين على كل شيء". إذهب إلى عيادة الطبيب، وستراه كيف يجري الجراحة، حين يكون أمامه شخصٌ جريح. لا أقول هذا فقط، بل لتذهب أيضًا إلى ورشة النجارة، ولا تبحث عن السبب هناك، لأنك بالطبع لا تعرف شيئًا مما يحدث هناك، وبالتأكيد سيكون لديك تساؤلات كثيرة، منها على

[٣٦٧] ايوب ١١:١٢.

سبيل المثال كيف يُخرط النجار الخشب أو يُغيّر الشكل. وربما لو ذهبت بك إلى ما هو أكثر بساطة وسهولة، مثل الرسم، فإنك ستبقي هناك في حالة ذهول. أخبرني إذن ألا يبدو لك أن ما يصنعه الرسام، هو بلا هدف؟ ما هو نفع الخطوط ومنحنيات الخطوط بالنسبة له؟ إلا أنه عندما يبدأ في التلوين، عندئذٍ سيتضح لك جمال هذا الفن، ولكنك لن تتمكن من أن تتعلم شيئًا بدقة حتى إن رأيت كل ذلك.

ولماذا أحدثك عن النجارين والرسامين وشركائنا في الإنسانية؟ أخبرني، كيف تصنع النحلة الخلية، وفي هذه الحالة ستتكلم عن الله. لاحظ جيدًا عمل النمل، والعنكبوت، والعصفور، حينئذ ستتكلم أيضًا عن الله. فلو أنك تتسم بالحكمة، ستُجيبني عن هذه الأمور، لكنك لن تستطيع. ألا تتوقف أيها الإنسان عن طلب المزيد؟ لأن ما تطلبه هو بالحقيقة يفوق إدراكك. ألا يمكنك أن تتوقف عن طرح موضوعات عديدة بلا داعٍ؟ لا شيء أكثر حكمة من الإقرار بعدم المعرفة في هذا المجال، فأولئك الذين يؤكدون بأنهم لا يعرفون شيئًا، هم أكثر حكمة من الجميع، أما الذين يبالغون في معرفة كل شيء، فهم أكثر غباءً من الجميع. حتى أنه عندما يؤكد أحد بأنه يعرف، فهذا لا يعتبر علامة تُشير إلى حكمة، بل إلى حماقة.

أخبرني إذن، لو أن هناك شخصان، احدهما يؤكد بأنه يستطيع أن يقيس الهواء الذي يتحرك من الأرض متجهًا إلى السماء بمقياس ما، والآخر يعترف بأنه لا يعرف، فمَن منهما سنسخر منه، هل مَن الذي قال أعرف أم الذي قال لا أعرف؟ من الواضح أننا سنسخر من ذاك الذي قال أعرف. وبناء على ذلك فمن يجهل أمرًا ما هو أكثر حكمة، من ذاك الذي يؤكد على أن لديه معرفة. لكن، ماذا لو أن شخصًا وعَد بأن يتكلم عن عدد الكؤوس التي تسع مياه البحر، ثم قال آخر لا أعرف، أليست عدم المعرفة هذه أكثر حكمة من المعرفة؟ بالقطع هي أكثر



بكثير جدًا. ولماذا هي أكثر حكمة؟ لأن عدم المعرفة هذه تعد أكثر قوة. لأن مَنْ يقول لا أعرف، فهو يعرف شيئًا. إذن ما هو هذا الأمر الذي نجهله؟ هو الأمر غير المُدرك في الإنسان، وبالطبع هذا ليس بالأمر اليسير. أما مَن يقول إنه يعرف، فهذا على كل الأحوال لا يعرف، وهو لهذا السبب تحديدًا يستحق التهكم والسخرية. يا للعجب، أية أمثلة تعلمّنا حب الإستطلاع في غير أوانه، بل ونتمسك بها، ولا نقبل بغيرها، بل نحن فضوليون بالنسبة لحياة الآخرين، لماذا هذا عاجز أو غير قادر، ولماذا ذاك فقير؟ نحن بهذا الكلام سنسقط في هوة الثرثرة. وقد يتساءل البعض لماذا هذه أمراة، ولماذا لا يكون الكل رجالاً، ولماذا هناك حمار، وثور، وكلب، وثعلب؟ ولماذا توجد الأحجار، والأخشاب؟ وهكذا سيأخذ الكلام إمتدادًا لا حدود له. ولذلك فإن الله حّدد لنا مقاييس المعرفة أو حدود المعرفة، ووضعها داخل طبيعتنا. ولاحظ من فضلك حب الإستطلاع المبالغ فيه، لأنه بالرغم من أننا نري كل هذا الإرتفاع الشاهق من الأرض إلى السماء، فإننا لا نُصب بشيء، لكن عندما نصعد إلى برج عالٍ ونريد أن نُلقي نظرة إلى أسفل، فإنه يدركنا على الفور دوار، أخبرني إذن عن سبب هذه الظاهرة، لكنك لن تستطيع أن تجد سببًا، ولماذا لدي العين قوة أكبر، وتُجيد النظر للإشياء البعيدة؟

٥. ينطبق ذلك أيضًا على السمع، لأنه لا أحد يستطيع أن يصرخ بكل قوة حتى يملأ الهواء صياحًا، بقدر ما يستطيع أن يوجه العين للنظر، ولا يمكنه أيضًا أن يسمع من مسافة بعيدة. لماذا ليست كل أعضاء الجسد متساوية في الكرامة؟ لماذا لم تأخذ إستخدامًا واحدًا، ولا مكانة واحدة؟ والرسول بولس فحص هذه الأمور، وربما لم يفحصها، لأنه كان حكيمًا، لكن بعدما أخذ يبحث في ذلك، قال "وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد"[٣٦٨]. إرادة الله هي التي سمحت بكل شيء. إذًا فنحن أيضًا بعدما نتوقف عن طلب هذه الأمور، لنشكر الله على كل شيء. من أجل هذا يقول: "شاكرين على كل

---

[٣٦٨] ١كو١٢: ١٨.

شيء". وهذا يُبرهن على إنسان مُمتن، وحكيم، وعاقل، أما الآخر فهو إنسان ثرثار، وكسول وفضولي. ألا ترى ماذا يحدث لدى الخدم أو العبيد؟ البعض مُنفرون، ليسوا نافعين في أي شيء، ويتكلمون كثيرًا، ويثرثرون، وفضوليين في معرفة خصوصيات أسيادهم، تلك التي يرغبون في إخفائها، أما العبيد العقلاء، المتنين، فهم يهدفون إلى شيء واحد فقط، وهو كيف يُتممون خدمتهم. فذاك الذي يتكلم كثيرًا لا يفعل شيئًا، والذي يعمل كثيرًا، لا يتكلم بشيء في غير أوانه. ومن أجل هذا قال الرسول بولس عندما كتب عن الأرامل (الحدثات) "وليس بطالات فقط بل مهذارات أيضًا وفضوليات"[٣٦٩].

أخبرني إذن، ما هو الفرق الكبير، هل هو الفرق بين أعمارنا بالمقارنة بأعمار أبنائنا، أم هو الفرق بين الله وأعمار البشر؟ من الواضح جدًا أن الفروق الكبيرة هي الفروق بين الله وبيننا نحن. إذن لماذا تتمحص في الأمور كثيرًا؟ فلنشكر الله على كل شيء. ماذا لو سأل وثني، كيف سأجيب؟ فقد يُريد أن يعرف مني، لو أن هناك عناية، لأنه يزعم أنه ليس هناك مَنْ يعتني بكل شيء، إذن بعدما تُغيّر السؤال، إطرح هذه التساءلات عليه، وعلى نفسك. إذ لا يجب أن يدّعي بأنه ليست هناك عناية إلهية. فمن جهة أنه توجد عناية إلهية، فهذا واضح مما قلته أنت، إنها تتجاوز الإدراك، وهي واضحة من تلك الأشياء التي لا نجد لها علة. لأنه إن كان بالنسبة لتلك الأشياء التي يُديرها البشر، لا نعرف في مرات كثيرة طريقة الإدارة، وإن كان كثير من هذه الأشياء تبدو لنا أنها غير معقولة، ومع ذلك نقبلها، فكم بالحري نقبل تلك الأمور المتعلقة بأعمال الله؟ لكن لا يوجد عمل من أعمال الله غير معقول، ولا يبدو هكذا أمام المؤمنين. من أجل هذا لنشكر الله على كل شيء، ولنسبحه كل حين من أجل كل شيء.

---

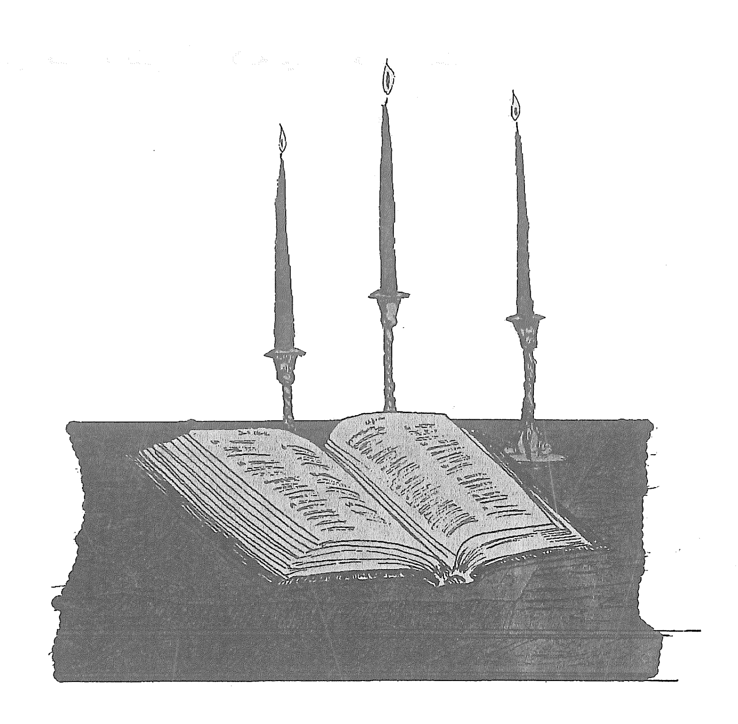
[٣٦٩] ١تيمو ٥:١٣.

يقول "**خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله**". فإن كنت تخضع بسبب سلطان الحاكم، أو بسبب طغيان المال، أو بسبب الخجل، فبالأكثر جدًا ينبغي أن تخضع بسبب خوف الله. ليكن هذا للخضوع فيما بيننا، لأنه هكذا لن تكون هناك عبودية. ألا يجلس وأحد في مقعد الحر، والآخر في مقعد العبد، لكنه أمر لائق أن يخدم الأسياد والعبيد بعضهم بعضًا، والأفضل جدًا أن يكون هكذا عبدًا، أو بأسلوب آخر هكذا يكون حرًا.

من هذا يتضح، أنه لو إفترضنا أن شخصًا لديه مائة خادم، وأنه لا أحد من هؤلاء يقدم خدماته ويقوم بواجبه، ولنفترض أن هناك مائة صديق يخدمون بعضهم بعضًا فأيٌّ منهم سيعيش أفضل؟ أيٌ منهم سيعيش بتمتع أكثر، وبفرح أكثر؟ الواضح أنه لن يوجد غضب بين هؤلاء الأصدقاء، ولا نزاع، ولا سخط، ولا أي شيء مشابه لهذه النقائص، فقط يوجد خوف ووجل، لكن بين الخدم كل شيء يحدث بالإلزام، عكس الأصدقاء فكل شيء يتم بالإرادة والرغبة الكاملة، الخدم يخضعون مُجبرين، أما الأصدقاء فيسود بينهم شعور بالرضا وهم يخدمون بعضهم بعضًا، هكذا يُريد الله، من أجل هذا غسل المسيح أرجل تلاميذه. وإن أردت أن تفحص هذا الأمر بالتدقيق، فستجد أن بين الأسياد يوجد خضوع متبادل فيما بينهم. وماذا يحدث لو أن التباهي والإفتخار لم يترك مجالاً ليظهر هذا التبادل في الخضوع؟ لأنه عندما يقدم ذاك الخدمة لإعانة الآخرين على المستوى الجسدي، فأنت أيضًا من ناحية أخرى تُطعم جسدك، وتعتني به بالمأكل، والملبس والأحذية، وهذا أسلوب خضوع، لأنه إن كنت أنت حين تعتني بجسدك لا تشعر بإنك تقدم خدمة، ولا ذاك أيضًا يشعر بأنه يقدم خدمته، بل يشعر بأنه حر، لا يوجد قانون يمكن أن يجبره أن يصنع هذا.

إذن إن كان هذا يحدث بين العبيد والخدم، فلماذا يُعد أمر غير معقول إن حدث بين الأحرار؟ يقول: "**خاضعين في خوف الله**". كم تكون النعمة، عندما نخضع بعضنا لبعض؟ ألا يرغب في أن يخضع لك؟ لكن عليك أنت أن تخضع،

وليس فقط أن تطيع، بل لتخضع، وأن تسلك هكذا، كمَنْ الجميع هم أسيادًا لك، لأنه هكذا سيكون هؤلاء خاضعين لك عاجلاً، خاضعين للقوة المؤثرة التي للخضوع، لأنك ستنتصر على هؤلاء، ودون أن تأخذ أي شيء مما لهم، فإنك تقدم مما لك. وهذا هو معني "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله"، لكي ننتصر على شهواتنا، ونخدم الله، لكي نحتفظ بمحبتنا الواحد نحو الآخر. وحينئذٍ سنكون مستحقين لمحبة الله بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة العشرون: (أفسس٥: ٢٢- ٣٣)

" أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شيء " (أف ٥: ٢٢ــ ٢٤).

١ـ لقد حدّد رجل حكيم الكثير فيما يختص بمرتبة الطوباويين، ثم حدّد بعد ذلك أمرًا آخرًا فيما يتعلق بنسق الإنسان الطوباوي، يقول "المرأة فلتخضع لرجلها"[٣٧٠]. وأيضًا هذا الأمر يُحدده للطوباويين في موضع آخر، أي أن تعيش المرأة مع رجلها في وفاق. وواضح أن الله منذ البدء قد إعتني إعتناءً كبيرًا بهذا التزواج، ويتكلم عن الإثنين، كما يتكلم عن كل واحد، قال "ذكر وأنثي خلقهم"[٣٧١]، وأيضًا "ليس ذكر وأنثي"[٣٧٢]، **لأنه ليست هناك عشرة وألفة بهذا القدر الكبير بين الرجل والرجل، بقدر ما هي بين المرأة والرجل، ذلك إن كان الزواج طاهرًا ونقيًا. من أجل هذا فقد أعلن رجل طوباوي عن محبته الفائقة وحزنه على صديق[٣٧٣]، ولم يقل أحد يا أبي، ولا يا أمي، ولا خاطب الأبناء، ولا أخ، ولا صديق، لكن ماذا قال؟ قال "محبتك لي أعجب من محبة النساء"[٣٧٤]. وهذه حقيقة، أن هذه المحبة هي أكثر قوة من كل قوة، لأن أنواع المحبة الأخري هي شديدة، أما هذه المحبة فهي قوية وأبدية. هناك عشق مُختفي في طبيعتنا، ويغيب عن إنتباهنا، وهو الذي يجعل هذه الأجساد تتحد فيما بينها. من أجل هذا فإن المرأة قد خلقت بدايةً من الرجل، ثم بعد ذلك يأتي الرجل والمرأة، من الرجل والمرأة معًا.**

---

[٣٧٠] حكمة إبن سيراخ ٢٥: ٢.

[٣٧١] تك ١: ٢٧.

[٣٧٢] غل٣: ٢٨.

[٣٧٣] هنا هو يُشير إلي حزن داود علي موت يوناثان.

[٣٧٤] ٢صم ١: ٢٦.

أرايت هذه الرابطة القوية وهذا التواصل، وكيف أنه لم يترك أي عنصر آخر أن يأتي من خارج؟ ولاحظ كيف دبّر الأمر. لقد كان مسموحًا في البداية أن يتزوج الرجل أخته وربما ليس أخته، بل إبنته، وربما ليس إبنته بل شيئًا أكثر من إبنته، هذا ما كان يحدث في البدء، كما في حالة الحجارة التي تتحد معًا لتكوّن كيان واحد له أساس واحد، هكذا كان الوضع قديمًا يتحد الجميع في كيان واحد. وبالطبع لم يخلق المرأة من عنصر آخر، لكي لا يقترب الرجل منها ككيان غريب عنه، ولا أيضًا جعل الزواج يتوقف عند حدود الرجل، حتى لا ينفصل عن الباقين، لأنه في الزواج هو يتحد بالمرأة إتحادًا كاملاً. وكما في حالة النباتات والتي بالرغم من أن لها جذر واحد، فإنها تتفرع إلى فروع كثيرة تتمحور كلها حول الجذر، وإن كانت الشجرة لها جذور كثيرة، فإنها لن تكون موضع إعجاب (لأنها تشذ عن الأصل في النباتات). هكذا يحدث هنا، فقد جعل الله كل الجنس البشري ينبت من واحد أي من آدم، لأن هذه كانت ضرورة قوية، حتى لا يتفرق ويتباعد الجنس البشري. بعد ذلك وضع عوائق ولم يسمح لنا أن نتزوج بأخواتنا وبناتنا، حتى لا تتحصر محبتنا في هذا الجزء، وننفصل بطريقة ما عن أنفسنا. ولهذا قال "الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثي"[٣٧٥].

ينتج من هذا بالطبع شرور كثيرة، وأمور حسنة كثيرة، سواء في البيوت أو في المدن. لا شيء يجعل حياتنا في وحدة واحدة، مثل حب الرجل والمرأة، وكثيرين استسلموا من جهة هذا الأمر، وسلموا أنفسهم. فإنه لم يكن ممكنًا هكذا ببساطة وبدون سبب أن يهتم الرسول بولس جدًا بهذا الأمر، قائلاً "**أيتها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب**". لماذا؟ لأنه إن كان هناك توافق وإنسجام بين الزوجين، سيتربى الأولاد أيضًا حسنًا، والخدم يسلكون حسنًا، والجيران، والأصدقاء، والأقارب ينالون المعاملة الطيبة، وستسير كل الأمور سيرًا حسنًا،

---

[٣٧٥] مت ١٩:٤.



لكن إن حدث العكس، فإن كل شيء ينقلب وينقضي. وكما أنه عندما يكون القادة في حالة سلِم، فإن كل شيء يسير في هدوء ويسر، أما إذا حدث وإضطربت الأمور فيما بينهم، فإن كل شيء سيتجه إلى الفوضى. ومن أجل هذا يقول "أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب". لكن كيف يقول الكتاب في موضع آخر "فكذلك كل واحد منكم لا يترك إمرأته لا يقدر أن يكون لي تلميذًا"[٣٧٦]. إذن إن كان ينبغي أن يخضعا كما للرب فكيف يقول أن ينفصلا من أجل الرب؟ بالطبع ينبغي أن يخضعن وبشدة، لكن كلمة "كما"، لا تُعلن عن نفس القيمة في كل الأحوال، وفي كل موضع. فإما أنه يقصد هذا، كي تعرفوا أنكن تخضعن للرب، الأمر الذي يقوله في موضع آخر أي إن لم يكن الخضوع للرجل، لكنه كان سابقًا للرب، أو أنه يقصد عندما تخضعن للرجل، أن تعتبرن هذا الخضوع، كمن تخضعن للرب. لأنه إن كان "مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله"[٣٧٧]، بالأكثر جدًا تلك التي لا تخضع لرجلها. هكذا أراد الله من البدء. إذن الإفتراض قائم على أن الرجل يحتل مكانة الرأس، والمرأة مكانة الجسد. ثم يبرهن على هذا بالأفكار. يقول "**لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد (أي الكنيسة) ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح. كذلك النساء لرجالهن في كل شيء**". وبعدما قال "الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة"، أضاف مباشرةً "وهو مخلص الجسد (أي الكنيسة)"، وبالحقيقة رأس الجسد هو مخلص. وقد سبق ووضع في الرجل والمرأة، المحبة كأمر له أهمية قصوى، ووهب كل واحد منهما المكانة اللائقة به، للرجل أن يسود وللمرأة أن تخضع.

---

[٣٧٦] لو ١٤: ٢٦.

[٣٧٧] رو ١٣: ٢.

٢ـ أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ " (أف٥: ٢٥).

لقد سمعت الخضوع الشديد، فلتمتدح الرسول بولس وتثني عليه، فهو يُجمعنا في وحده واحدة، ويجعل حياتنا نموذج للوحدة، كرجل واحد مدهش وروحاني، لديه كل ما هو حسن. لكن إسمع الأمور التي يطلبها منك، ومرة أخري يستخدم هذا المثال يقول "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة" أرايت عظم الطاعة؟ أنظر لعظم المحبة أيضًا، هل تُريد أن تخضع المرأة لك كما تخضع الكنيسة للمسيح؟ فلتعتني أنت أيضًا بالمرأة، كما أعتني المسيح بالكنيسة. فسواء كان ينبغي أن تعطي أو تبذل حتى نفسك من أجلها، أو أن تتألم بأي شيء، فيجب ألا تتجنب هذه الآلام، حتى وإن عانيت من هذه الآلام، فإنك لا تكون قد فعلت شيئًا، كما فعل المسيح من أجل الكنيسة. فأنت تفعل هذا لأنك إرتبطت بالفعل بها بواسطة الزواج، لكن المسيح أحب تلك التي إبتعدت عنه وأبغضته. وكما يقود أحد ويُرشد قريبه، هكذا قاد المسيح الكنيسة، التي أعرضت عنه وأبغضته، والتي أزدرت به وعاشت ضالة، إعتني بها أعظم إعتناء، ولم يُعاملها بتهديد، ولا بإهانة، ولا بتخويف، ولا بأي شيء مُشابه، هكذا أنت أيضًا يجب أن تتصرف وتسلك تجاه إمرأتك، سواء كنت تري أنها تحتقرك، أو تعيش في ضلال، بل وتفتخر بهذا، سيمكنك أن تحملها على ركبتيك بعناية شديدة، بمحبة ووئام. لأنه لا يوجد شيء أكثر صلابة من هذه الروابط (الزوجية)، بين الرجل والمرأة. أما من جهة العبد، فقد يمنعه الخوف عن فعل ذلك، وقد لا يمنعه، فقد يهجر محاولة الرفيقة للإبقاء عليه في شركتها على وجه السرعة. أما بالنسبة لموقف الأم تجاه الأبناء، فهي أساس كل فرح، ولا ينبغي ربطها بالخوف والتهديد، بل بالحب والرغبة الحسنة. لأنه أية زيجة أو إرتباط هذا، الذي يجعل المرأة ترتعب من رجلها؟ وأية لذة سيتمتع بها الرجل عندما يحيا مع إمرأته ويُعاملها



كعبدة وليس كحرة؟ وإن تألمت بعد من أجلها فلا تشعر بالعار، لأن المسيح لم يشعر بهذا يقول:

" وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بغسل الماء بالكلمة " (أف ٥: ٢٦).

وبناء على ذلك فقد كانت غير طاهرة، تحمل عار، وكانت رديئة وبشعة، وبلا كرامة. فأيًا كان الأمر وأيًا كانت المرأة التي أخذتها، فلن تأخذ مثل هذه العروس، كما أخذ المسيح الكنيسة، كما أنها لن تبتعد عنك كل هذا البعد، كما إبتعدت الكنيسة عن المسيح، الذي لم يعرض عنها، ولم يُبغضها بسبب قبحها الشديد.

آتريد أن تسمع عن قبحها؟ إسمع الرسول بولس الذي يقول "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة"[٣٧٨]. أرايت كآبتها وغمها؟ فهل هناك ما هو أسوأ من الظلام؟ لكن لاحظ مدي الوقاحة، يقول الرسول بولس "عائشين في الخبث والحسد"، لاحظ عدم الطهارة، يقول "كنا أغبياء غير طائعين"[٣٧٩]. ماذا أقول؟ لقد كانت غبيه ومُجدفة، لكن رغم كل هذا السوء إلا أنه أسلم نفسه من أجل هذه الرديئة والقبيحة كما لو أنه أسلم نفسه من أجل الحسنة والجميلة والمحبوبة، والمدهشة. وهذا ما أثار دهشة الرسول بولس فقال "فإنه بالجهد يموت واحد لأجل بار" وأيضًا "لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا"[٣٨٠]. وبعدما أخذ المسيح الكنيسة جمّلها، وطهرّها، ولم يتجنبها.

---

[٣٧٨] أف٥:٨.

[٣٧٩] تيطس٣:٣.

[٣٨٠] رو٥:٧ـ٨.

" لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شيء مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ " (أف٥:٢٧).

يُطهر دنسها بغسل الماء. يقول "بغسل الماء". بأي كلمات يتم هذا؟ يتم بإسم الآب والإبن والروح القدس. وهو لم يُزينها فقط، بل جعلها مجيدة. "لا دنس فيها ولا غضن أو شيء مثل ذلك". إذن فلنطلب نحن أيضًا هذا الجمال، وسيُمكننا أن نصبح مُبدعين ونخلق هذا الجمال. ينبغي ألا تطلب من المرأة، ما هو غير موجود فيها. آرايت أن كل جمال الكنيسة هو من الرب، لقد صارت مجيدة وبلا غضن بسبب محبته لها. لا تعرض عن المرأة بسبب قبحها، اسمع ما يقوله الكتاب "النحل صغير في الطيور وجناه رأس كل حلاوة "[٣٨١] المرأة خليقة الله فأنت حين تُهينها، لا تهينها هي فقط، بل الله الذي خلقها. ماذا يمكن للمرأة أن تحتمل وتعاني؟

لا تثني عليها لأجل جمالها، فهذه سمة الفاسدين والفاسقين، فذلك الثناء وتلك البغضة، وهذه المحبة التي تنحصر في الشكل الخارجي هي علامة على الفسق. ينبغي أن تطلب جمال النفس، أن تتمثل بعريس الكنيسة، الجمال الخارجي مملوء بالتباهي، والقنوط، ويدفع بإتجاه الغيرة، ومرارًا كثيرة يجعلك أن ترتاب في أمور غير معقولة وغير مقبولة. هل هذا الجمال يحمل مُتعة؟ يحمل مُتعة حتى الشهر الأول والثاني أو على أكثر تقدير حتى العام الأول، لكن بعد ذلك لن يكون له هذه المتعة، بل بسبب الإعتياد، يضعف الإعجاب. لتبقي الأمور السيئة، التي تأتي بسبب الجمال الخارجي، أي التباهي، والقنوط، والغرور أو الزهو. لكن المرأة التي ليست هكذا، فلا يحدث معها شيء مثل هذا، لكن عندما يبدأ الحب الحقيقي، فإنه يبقي دائمًا قويًا، لأنه حب للجمال النفسي، وليس حُبًا للجمال الجسدي.

---

[٣٨١] حكمة إبن سيراخ١١:٣.



٣ـ هل هناك ما هو افضل من السماء، اخبرني، وهل هناك ما هو أفضل أو أحسن من النجوم؟ وأيا كان، وحتى وإن قلت إن هذه (أي السماء والنجوم)[٣٨٢]، كانت مثار إعجاب الملائكة، ونحن أيضًا أُعجبنا بها، لكن ليس كما في البدء. وهذه هي العادة أو الإعتياد على (على رؤية الشيء)، لا يُثير الدهشة بطريقة مشابهة، فكم يكون الأمر في حالة المرأة؟ فإن حدث وإختفي (الجمال الخارجي) بسبب المرض، فسيُفقَد كل شيء على الفور. فلنطلب من المرأة الإرادة الصالحة، التواضع، الرأفة والرقة، هذه هي ملامح أو سمات الجمال الحقيقي.

إذن ينبغي أن لا نطلب جمال الجسد، ولا أن نُدين المرأة عن تلك الأمور التي ينبغي أن تتحكم فيها، بل ولا نُدينها أبدًا، (لأن هذه هي سمات المتجاسرين)، ولا تثبط عزيمتنا فنتركها، ولا نعرض عنها. ألا ترون عدد الذين عاشوا مع زوجات جميلات وقد حطموا حياتهم التعسة؟ وكم من الرجال قد عاشوا مع زوجات لم يكن على قدر كبير من الجمال، وقد وصلوا إلى أعمار متقدمة، وفي سعادة كبيرة؟ فلننّقِ أنفسنا من عدم النقاء الداخلي، ولننزع عنها الغضن، ولا نوجه إليها توبيخ أو لوم. هذا الجمال هو ما يطلبه الله، فلنُعد الزوجة، لكي تظهر أمام الله جميلة، وليس أمامنا نحن. يجب أن لا نطلب أموال، ولا نطلب الهدوء الخارجي، بل نطلب النفس المهذبة. ولا ينبغي لأحد أن يسعى لكي يصبح غنيًا عن طريق زوجته، لأن هذا الغني سيء ورديء. لهذا السبب. يقول الرسول بولس : "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرة تغرق الناس في العطب والهلاك"[٣٨٣].

إذن يجب ألا تطلب ثروة من أموال الزوجة، عندئذٍ ستجد كل الأمور الأخرى سهلة. أخبرني، إذا ما تُركت الأمور الأساسية مَن سيعتني بالأمور الصغيرة؟ لكن الويل لنا، فإننا نُصاب بهذا الفكر الرديء في كل موضع، فإن أنجبنا إبنًا، فلا

---

[٣٨٢] أنظر أيوب ٣٨:٧.

[٣٨٣] اتيمو ٦:٩.

نحاول أن يصير صالحًا ، بل نفكر كيف نأخذ له زوجة غنية ، لا أن يصير ماهرًا ويقظًا ، بل أن يصبح مُتيسرًا ومُترفًا ، وإن كنّا نبحث له عن مهنة ، فإننا لا نحرص على أن يكون بعيدًا عن الخطايا ، بل نهتم أن يُعطينا ربحًا وفيرًا ، وكل شيء أصبح منحصرًا في المال . من أجل هذا فقد هلك كل شيء ، لأنه قد سيطر علينا ذلك العشق (للجمال الخارجي). يقول الرسول بولس:

"كذلك يجب على الرجال أن يُحبوا نساءهم كأجسادهم" (أف٥:٢٨)

ماذا يعني هذا؟ هنا قد آتي للصورة الأكبر، والمثال الأقوي، وليس هذا فقط، بل آتي إلى الصورة التي هي أكثر وضوحًا ، وأكثر حكمة ، والحقوق الأخري العادلة الواقعية. فذلك المثال (كما أحب المسيح الكنيسة)، لم يكن علامة على إلزام كبير، بل حتى لا يقول أحد ، إن ذاك كان المسيح، وهو الله، وقد بذل ذاته، فقد رتب الأمر من جهة أخري كالآتي، قائلاً "يجب على الرجال"، لأن هذا المطلب ليس هو خدمة تُؤَدَّي، بل هو إلتزام. "كأجسادهم من يحب أمراته يحب نفسه" ثم أضاف:

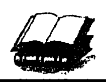
" فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ " (أف٥:٢٩).

أي أنه يعتني بزوجته اعتناء شديدًا. ولماذا هي جسده؟ إسمع ماذا يقول " هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي"[٣٨٤]، وليس هذا فقط، بل يقول " ويكون الأثنان جسدًا واحدًا"[٣٨٥]. لقد آتي إلى المثال الأول " كما أحب المسيح الكنيسة". ثم يقول:

---

[٣٨٤] تك٢:٢٣.

[٣٨٥] أف٥:٣١.



" لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ " (أف٥: ٣٠).

كيف؟ لأنه أخذ جسدنا، تمامًا كما أن حواء هي لحم من لحم آدم. وجيد جدًا ان يذكر العظام واللحم، لأن هذه فينا هي التي تكوّن بشكل أساسي، هي أساس طبيعتنا، فالعظام هي الهيكل الخارجي، واللحم هو كالبناء.

ما قاله قديمًا "عظم من عظامي ولحم من لحمي" هو أمر واضح، لكن كيف يقول هنا: " أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"؟ تمامًا كما أن هناك قرابة كبيرة وقوية، في حالة (آدم حواء) هكذا الحال هنا أيضًا. ماذا يعني بقوله "من لحمه؟" أي لحم حقيقي منه. وكيف نكون اعضاء في جسد المسيح هكذا؟ لأننا وُلدنا لأجل المسيح. وكيف نكون من لحمه؟ هذا أنتم تعرفونه با مَن تُشاركون في الأسرار. لأن الشركة في هذه الأسرار، هي التي تُعيد خلقتنا. كيف؟ إسمع المطوب بولس الذي يقول أيضًا "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما"[٣٨٦]. لكن هنا المسيح هو الذي أشترك معنا، ولسنا نحن الذين إشتركنا معه. إذن فكيف نكون نحن أعضاء من لحمه ومن عظامه؟ البعض يقول إنه يقصد بهذا الدم والماء، لكن الأمر ليس هكذا، بل ما يشتهي أن يُعلنه هو أن المسيح وُلد بدون زرع بشر، هكذا نحن أيضًا وُلدنا في حميم المعمودية بالروح القدس. لاحظ كم الأمثلة التي إستخدمها حتى يُكسب هذه الولادة مصداقيتها. يا لمقدار حماقة الهراطقة! إنهم يعترفون بالذي وُلد بالفعل من الماء إبنًا حقيقيًا، لكنهم لا يعترفون بأننا صرنا جسد المسيح. فإن لم نصر جسده، فكيف يليق أن يقول "من لحمه ومن عظامه؟". إنتبه إلى أن آدم قد خُلق، أما المسيح فقد وُلد، أيضًا من جنب آدم قد أتي الفساد، أما من جنب المسيح فقد خرجت الحياة، ومن داخل الفردوس طلع الموت، وفوق الصليب بَطل الموت.

---

[٣٨٦] عب٢: ١٤.

٤. إذن كما إشترك إبن الله في طبيعتنا، هكذا نشترك نحن أيضًا في طبيعته، وكما أنه يحملنا داخله، هكذا نحن أيضًا نتحد به في داخلنا.

" «مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» " (أف٥: ٣١)

هذا هو القانون الثالث، لأنه يُظهر أن الرجل بعدما يترك والديه اللذان وُلد منهما، يلتصق بالمرأة ويصيران جسدًا واحدًا، الأب، والأم، والإبن، مُتداخلون ومُختلطون فيما بينهم إذ أن كل واحد منهم يأتي بزرع بشر، لأنه عندما تتحد المِني، يُولد الإبن هكذا يحدث أن يُشكّل الثلاث جسدًا واحدًا. هكذا نحن أيضًا عن طريق الإتحاد بالمسيح نصبح جسدًا واحدًا معه، وبالأكثر جدًا إتحادنا نحن بالمسيح هو أكثر بكثير من إتحاد الإبن بوالديه. لماذا؟ لأن هذا هو الذي حدث من البدء، ولا تقل لي أن هذا شيء وهذا شيء آخر، ألا ترى أن لدينا نقائص كثيرة في الجسد؟ لأن واحد مُقعَدْ، وآخر له يد يابسة، وآخر يحمل عضو في جسده فيه ضعفات، ولكنه لا يحزن، ولا يقطعه، كثيرًا ما يُكرم هذا العضو ويقدمه على باقي الأعضاء. وهو بهذا يفعل حسنًا للغاية، لأن ذلك العضو جزء من جسده إذن بمقدار ما تكون محبة كل واحد منّا لنفسه عظيمة، هكذا يُريد الرسول بولس أن تكون لنا هذه المحبة نحو زوجاتنا. لا لأننا نحمل نفس الطبيعة، بل بالأكثر لأن هذا حق المرأة علينا، إذ ليسا بعد جسدْين، بل جسد واحد، الرجل هو الرأس، والمرأة هي الجسد.

وكيف يقول في موضع آخر "رأس المسيح هو الله"[٣٨٧] هذا ما أقوله أنا أيضًا، فكما اننا جسد واحد، هكذا فإن المسيح والآب هما واحد. وبناء على ذلك فإن الآب رأسنا. هنا يسوق مثالين، مثال خاص بالجسد (أي الرجل والمرأة جسد واحد)، والمثال الآخر خاص بجسد المسيح (أي الكنيسة). من أجل هذا يُضيف أيضًا:

---

[٣٨٧] ١كو١١: ٣.

" هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، ولكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (أف٥: ٣٢).

ماذا يعني هذا؟ يقول إن هذا السر عظيم، شيء مثل هذا قد أشار إليه المطوب موسى على أنه عظيم ومدهش بإلهام من الله. يقول " ولكنني أنا أقول من نحو المسيح"، لأن المسيح أيضًا بعدما ترك الآب، آتى إلى الأرض، آتى نحو العروس، وصار روح واحد معها " من ألتصق بالرب فهو روح واحد"[٣٨٨]. حقًا إن سر الزيجة هو سر عظيم، لأنه بعدما يترك الزوج ذاك الذي وَلده، والذي رباه، وتلك التي عانت آلام الوضع، والتي تعبت في تنشئته، بعدما يترك والديه اللذان أحسنا إليه للغاية، واللذان أقام معهما علاقة حب شديدة، نجده يلتصق بتلك التي لم يعرفها، والتي ليست لها شيء مشتركًا معه، ويُفضّلها عن الجميع، حقًا إنه سر. وعندما يحدث هذا فإن الوالدين لا يحزنا أو يتضايقا، بل ربما يتضايقان عندما لا يحدث هذا، وعندما ينفقون اموال ويتكلفون بعض التكاليف، فإنهم يفرحون بهذا.

بالحقيقة هو سر عظيم، ويحمل حكمة حقيقية. هذا ما تَنبأ به موسى النبي بواسطة الوحي الإلهي، وهذا ما يصرخ به الرسول بولس الآن، قائلاً " من نحو المسيح والكنيسة". إلا أن هذا لم يُقل فقط عن الرجل، بل وعن المرأة، لكي يعتني بها كجسده، كما أحب المسيح الكنيسة وأعتني بها.

" وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا " (أف ٥: ٣٣).

إنه لا يطلب هنا ما هو مرتبط بالمحبة فقط، لكن ماذا أيضًا؟ يقول "فلتهب رجلها". المرأة هي البداية الثانية، إذًا يجب ألا تطلب المساواة، لأنها توجد تحت الرأس، وعلى الرجل أيضًا أن لا يحتقرها كذليلة، بإعتبارها جسد، ولو كان الرأس يحتقر الجسد، فإن الرأس سيهلك معه، بل ليقدم المحبة كأنعطاف نحو الآخر من أجل طاعته. وكما يسلك الرأس، هكذا ينبغي أن يسلك الجسد.

---

[٣٨٨] ٢كو٦: ١٧.

الجسد يخدم الرأس ويمنحه اليدين، والرجلين، وكل أعضائه الباقية، ومن ناحية أخري فإن الرأس يعتني بالجسد بكل الأحاسيس والمشاعر التي له. لا يوجد شيء أفضل ولا أجمل من هذه الزيجة. وكيف يمكن أن توجد محبة، عندما يكون هناك خوف؟ أجل عندما يوجد هذا الإدراك ستكون هناك محبة. لأن مَن يخاف يُحب أيضًا، ومَن يُحب يخاف كرأسٍ، ويُحب كعضوٍ، لأن الرأس هو عضو في الجسد كله. ومن أجل هذا فإن المرأة تخضع للرجل، والرجل تعيِّن لكي يهتم بالمرأة ويعتني بها، وهكذا سيحل السلام في البيت فالوضع الطبيعي أن تخضع المرأة للرجل وأن يكون هو المدبر الوحيد لكل شيء لكن لن يكون هناك سلام قط حين يصبح الجميع مُدبرين وقادة.

وهذه الأمور تحدث في كل مكان لدي الرجال الجسدانيين، لأنهم لو كانوا رجال روحيين، فسيوجد سلام. لقد كان هناك خمسة آلاف من البشر، ولم يكن أحد يقول إن هذا الشيء من ممتلكاته، بل كان الجميع يخضعون الواحد للآخر. وهذا هو دليل على الحكمة والتعقل ومخافة الله. إذن ربما يكون قد أظهر طريقة المحبة، لكن طريقة الخوف لم يظهرها بعد.

٥. ولاحظ كيف أنه يمتد أو يتوسع في طريقة المحبة، فيخبرنا بمحبة المسيح وكيف تكون، محبته نحو جسده (أي الكنيسة) وهكذا يقول "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه"، أما الأمور المتعلقة بالخوف فلم يتوسع فيها بعد. لماذا؟ لأنه يرغب في أن تتغلب أو تسود المور المتعلقة بالمحبة. لأنه عندما توجد المحبة، فإن كل الأمور الأخري تتبعها، لكن عندما يوجد الخوف، فإنه لا يتبعه شيء. فذاك الذي يُحب إمرأته، سُيعاني من كل شيء. إن لم تكن خاضعة له تمامًا، إن التناغم والتوافق، سيكون صعب وشاق، عندما لا يكون الزوجان متحدْان بالمحبة القوية، أما الخوف فلا يُحقق هذا على الإطلاق. من أجل هذا فإن الرجل ينشغل اكثر بما هو أقوي (أي المحبة). لقد بات من الواضح أن المرأة تمتاز عن الرجل، لأنها أُمرت أن



تَهِب (رجلها) وهي بالحقيقة تمتاز، وذلك لأن الرجل أُمر بما هو أساسي، أي أن يُحب (إمرأته). وقد يقول البعض، ماذا سيحدث، لو أن المرأة لم تهب (رجلها)؟ عليك أن تحب، وأن تلتزم وتتمسك بوعودك.

إن هذا ما يقوله "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله"[٣٨٩]. إذن ماذا سيحدث لو لم يخضع الواحد للآخر؟ عليك أن تُطيع ناموس الله، وهذا بالتأكيد ما يحدث هنا. إذن على المرأة وإن لم تكن محبوبة بعد، إلا أنه يجب أن تهب (رجلها)، فتكون قد فعلتْ ما ينبغي عليها فعله، وأن على الرجل وإن لم تهبه (المرأة)، أن يُقدم لها محبة، حتى لا يكون قد قصّر فيما يجب أن يفعله، لأن كليهما قد أخذ نفس الوصية وبناء على ذلك فإن مثل هذا الزواج هو الذي يصير وفقًا لوصية المسيح، زواج روحي، وولادة روحية، ليس بدماء ومخاض. مثل هذه كانت ولادة إسحق، إسمع ما يقوله الكتاب المقدَّس " وقد إنقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء"[٣٩٠]. والزواج الحقيقي ليس هو الزواج الذي يبحث عن الشهوة، ولا هو إتحاد أجساد، بل هو بالكامل زواج روحي، وهو يتحقق عندما تتحد النفس بالله في علاقة لا يُعبر عنها، ومَنْ يرتبط بالله هكذا، هو وحده الذي يعرف طبيعة هذه العلاقة. من أجل هذا يقول " مَنْ إلتصق بالرب فهو روح واحد"[٣٩١].

لاحظ كيف يُحاول أن يوضح إتحاد الجسد بالجسد والروح بالروح. أين هم الهراطقة؟ فلو ان الزواج هو سمة الدنسين، ما كان له أن يقول زوج وزوجة، وما كان له أن يذكر هذه العبارة "يترك الرجل أباه وأمه"[٣٩٢]. وأيضًا أضاف " ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة". لأن المزمور يقول عن هذه "إسمعي يا بنت وأنظري وأميلي أذنك وأنسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك"[٣٩٣]. ولأجل

---

[٣٨٩] أف ٥: ٢١.

[٣٩٠] تك ١٨: ١١.

[٣٩١] ١كو ٦: ١٧.

[٣٩٢] تك ٢: ٢٤.

[٣٩٣] مز ٤٥: ١٠ـ ١١.



هذا قال المسيح له المجد "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم"[٣٩٤]. لكن عندما يقول "خرجت من عند الآب"، لا تظن أنه إنتقل لأماكن شبيهة، كما يحدث في حالة البشر. فقوله إنه خرج، لا يعني أنه ترك، لكنه يتكلم عن تأنسه بحسب الجسد، هكذا يُقال "يترك الرجل أباه". لماذا لم يقل نفس الشيء بالنسبة للمرأة "وتلتصق برجلها؟". لماذا يتكلم عن المحبة ويذكر أنها تخص الرجل؟ فبالنسبة المرأة عندما يتكلم عن الخوف بقول "الرجل رأس المرأة"، وأيضًا يقول "المسيح رأس الكنيسة". أما من جهة الرجل فهو يتكلم عن المحبة، وعهد إليه بالإهتمام بشئونها، وبالأمور المختصة بالمحبة، التي تجعله محصورًا في إمرأته ومتحدًا بها، لأن ذاك الذي يترك أباه بسبب المرأة، قد يُدفع لأن يترك ويهجر أيضًا هذه المرأة ذاتها، فأي غفران أو صفح سيكون مستحقًا له؟ ألا ترى مقدار الكرامة العظيمة التي يريد الله أن تتمتع بها المرأة، لأنه يفصلك عن أباك، ويجعلك تلتصق بالمرأة؟

إذن ماذا لو أننا قمنا بكل ما يجب عمله، لكن المرأة لم تتبع نفس الخطي؟ يقول "لكن إن فارق غير المؤمن فليفارق"[٣٩٥]، إن المسيحي ليس عبدًا في هذه الأمور، ولا المسيحية أيضًا. وعندما نسمع كلمة خوف، فلتطلب الخوف الذي يليقُ بإمرأة حرة، وليس كما نطلب من عبده، لأنها هي جسدك، فإن فعلتَ هذا، فكأنك تُهين نفسك، وتشين جسدك. ما هو الخوف؟ هو في أن لا تُجادل، وأن لا تستفز الآخر، وأن تشتهي أن تكون لها الأولوية في كل شيء، يجب أن يصل الخوف حتى هذه الحدود.

لكن إن أحببت كما أُوصيت، ستصنع عظائم، ليس بسبب المهابة (التي يجب أن تتحلي بها المرأة)، بل إن المحبة ذاتها هي التي تصنع هذا. إن جنس النساء هو

---

[٣٩٤] يو ١٦:٢٨.

[٣٩٥] ١كو ٧:١٥.



أكثر ضعفاً، ويحتاج إلى عون كثير، وحنو كبير، وماذا يمكن أن يقول أولئك الذين يعقدون زواج ثاني؟ لا أقول هذا بنية النقد، وبعدم جواز السماح بالزواج الثاني لأن الرسول بولس سَمَحَ به (في حالة خاصة)، لكن يجب عليك أن تصير متسامحاً للغاية، وأن تلتزم بكل شئونها، وأن تَفعلَ كل شيء لأجل خدمتها، وأن تتعب لأجلها، فالإلتزام الروحي يفرض عليك أن تفعل كل هذا. وفي هذه الحالة لا يُنصح بأمثلة تأتي من خارج الكنيسة، الأمر الذي يفعله المرء بإستمرار. لأن المثال الذي ذكره الرسول بولس (كما أحب المسيح الكنيسة)، كان كافيًا، وهو مثال عظيم وقوي، وفيه تعليل لسبب الخضوع. يقول "يترك الرجل أباه وأمه". هذا نشأ بسبب رؤية الوثنيين. لكنه لم يقل "سيعيش مع"، بل قال "يلتصق بإمرأته"، وهو بهذا يُظهر الإتحاد الحقيقي والقوي، والمحبة الفائقة. ولم يكتف بهذا، بل أظهر الخضوع في هذا الإطار، حتى أن الزوجين لا يظهران بعد كأثنين، بل واحد. ولم يقل "ويكون الأثنان روحًا واحدة"، ولا "نفسًا واحدة"، لأن هذا أمر واضح وممكن تمامًا، لكنه قال "ويكون الأثنان جسدًا واحدًا".

٦- المرأة هي القيادة الثانية في البيت، ولها سُلطة، ومساواة حقيقة، لكن الرجل مُطالب بشيء أكثر. وهذا يمثل أعظم فائدة للعائلة ومُنقذ لها من كل الأزمات.

إن مثال المسيح (الذي أحب الكنيسة)، قد أورده لا لكي يُظهر أنه ينبغي على الرجل أن يُحب فقط، بل لكي يُدبر أمورها، يقول "لكي تكون مقدسة وبلا عيب"، وتعبير "كأجسادهم"، قد أشار إليه في إرتباطه بالمحبة، وتعبير "يلتصق" هو أيضًا مثله فيما يختص بالمحبة. لأنه إن جَعلتَ المرأة مقدسة وبلا عيب، فإن كل شيء سيأتي في سياقه الصحيح. يجب أن تطلب الأمور الإلهية، وكل الأمور الإنسانية ستتحقق بعد ذلك بسهولة. دبّر أمور المرأة، وسيُصبح البيت هكذا متماسكًا، إسمع الرسول بولس الذي يقول "إن كن يُردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن في البيت"[٣٩٦]. فإن كنا نُدبّر بيوتنا هكذا، فسنكون قادرين على أن نُدبر

[٣٩٦] ١كو ١٤:٣٥.

أمور الكنيسة، خاصةً وأن البيت هو كنيسة صغيرة. هكذا يصبح من الممكن للرجال والنساء الصالحين أن يتجاوزوا كل شيء يمكن أن يعوقهم. تذكَّر إبراهيم، وسارة، وإسحق، والثلاثمائه وثمانية عشر من العبيد، فكّر كيف كان البيت كله متماسكًا، وكيف كان البيت كله مملوءً بالتقوى. سارة لم تصدق الرسالة السماوية، وزوجها خاف، إسمع ماذا قالت "أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ"[٣٩٧]. وكان إبراهيم يُحب سارة جدًا، حتى أنه إقتنع بكل شيء مما أُخبر به. والإبن كان يسلك بالفضيلة، وهؤلاء العبيد كانوا موضع إعجاب سيدهم، ولم يترددوا لحظة في أن يجوزوا الأخطار مع سيدهم، ولم يتأخروا عن فعل أي شيء ولم يسألوا عن السبب، بل واحد من هؤلاء (كبير بيته المستولي علي كل ما كان له)، كان مستحقًا للإعجاب، حتى أنه إستأمنه على زواج إبنه الوحيد، ورحل إلى خارج حدود بلده[٣٩٨]. لأنه كما في حالة قائد الجيش، عندما يكون الجيش متحدًا، فإن العدو لا يستطيع إختراقه من أي مكان، هكذا هنا أيضًا عندما يكون الزوج والزوجة، والأولاد، والعبيد، لهم نفس الإهتمام وبنفس الطريقة، فإن التوافق والإنسجام في البيت يكون كبيرًا، فإن لم يكن الوضع هكذا، فقد يحدث أن ينهار كل شيء مع وجود عبد شرير، فكثيرًا ما يكون في مقدور شخص واحد أن يُدمر ويُحطم كل شيء تمامًا.

إذن لنعتني وبشدة بالزوجة، والأولاد، والخدم، عالمين أننا بهذا سنجعل قيادتنا لهؤلاء أسهل، وسيكون توجيه اللوم لين وبرفق، وسنقول: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله"[٣٩٩]. فإن كان الرجل موضع إعجاب، والرأس حسن، فلن يعاني باقي الجسد من أي قسوة.

---

[٣٩٧] تك١٨: ١٢.

[٣٩٨] تك٢٤.

[٣٩٩] عب٢: ١٣.



إذن فيما يتعلق بإمكانية سلوك كل من الرجل والمرأة حسنًا ، فهذا قد أشار إليه الرسول بولس بدقة ، إذ حث المرأة على أن تهب وتوقر رجلها كرأس، وحثّ الرجل على أن يحب المرأة. لكن كيف يكون ممكِنًا أن يحدث كل هذا؟ لقد أظهر الرسول بولس أن هذه الأمور يجب أن تحدث، ومن حيث إنه يجب أن تحدث، فأنا سأقول لكم كيف تحدث، إن إحتقرنا المال، وإن كان هدفنا يتجه نحو شيء واحدًا فقط، وهو فضيلة النفس، وإن وضعنا مخافة الله أمام أعيننا. إذن فما قاله عندما يتكلّم عن العبيد " عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب"[400]، هذا يسري هنا أيضًا.

ينبغي على المرء إذن أن يُحب زوجته للغاية لا لأجل خاطرها هي، بقدر ما هو لأجل المسيح. هذا هو ما قصده الرسول بولس قائلاً "كما الرب"، إذن فهن يخضعن "كما الرب"، ولأجله يَتم كل شيء، هكذا يجب أن تعمل كل شيء. وهذا يكفي لكي يُحث، ولكي يُقنع، وأن لا يسمح بوجود ثرثرة ونزاع. ولا يجب على المؤمن أن يُوشي بالزوجة لدي زوجها، ولا يجب على الزوج أيضًا أن يُصدق بسهولة الأقوال التي تُقال عن زوجته، ولا الزوجة تنشغل بالشئون الخاصة بالزوج، ولا تُعطي دافعًا للشكوك. فلتخبرني إذن كيف تُعطي كل وقتك للأصدقاء خلال فترة النهار كله، أما لزوجتك فتقتصر على فترة المساء فقط، وهكذا لن تستطيع أن تُعلّمها شيئًا، وأن تجعلها فوق مستوي الشبهات؟ وإن عاتبتك زوجتك، فيجب أن لا تتضايق، فهذا التصرف هو علامة حب، وليس قنوط أو يأس، عتابها هو مؤشر على دفء حبها، ورغبة شديدة للحفاظ على هذا الكيان الأسري، وخوف عليه من أن ينهار. لأنها تخاف لربما يسرق أحد آمالها الزوجية، لربما يُسبِّب ضرر لهذه العلاقة الزوجية، بوضع عوائق أمام مسيرتها الحسنة، تخاف لربما يفصل أحد بينها وبين رأسها (أي الزوج)، ولربما يُقَوِّض رجاؤها (في حياة مستقرة). هنا توجد أيضًا مؤشرات أخرى على صغر النفس، ينبغي ألا يستفزّ أحد وبشدة صغيري النفوس

---

[400] أف٦:٨.

ويدفعهم لطلب أشياء مُبالغ فيها، وألا يثير إستحقاقات العبيد لأقصي حد، ولا يجب أن يستفز الرجل إبنته، ولا المرأة خادمتها، لأن هذا كله يكفي لإثارة الشكوك والإدانة. تذكّر من فضلك أولئك الأبرار، سارة نفسها دفعت إبراهيم أن يتخذّ هاجر زوجة له، فهي التي أوصت بذلك، لم يجبرها أحد على هذا الفعل، ولم يُؤنبها زوجها (على عدم الإنجاب)، فبالرغم من أنه قد عاش سنوات طويلة بدون أبناء، إلا أنه قد قَبِلَ ألا يصير أبًا أبدًا، على أن يُحزن زوجته، لكن ماذا قالت سارة بعد كل هذا "يقضي الرب بيني وبينك"[401]. لكن هل كان بإستطاعه شخص آخر في موقف إبراهيم، أن لا يغضب؟ هل كان بإمكانه أن لا يغضب؟ ألم يكن في مقدوره أن يُعنفّها، ويقول ماذا تقولين؟ فأنا لم أُرد أن أتزوج بهاجر، هذه كانت رغبتك أنتِ، فهل بعد هذا تُدينين أيضًا؟ لكن إبراهيم لم يقل شيئًا مثل هذا، ماذا قال؟ قال "هوذا جاريتك في يدك أفعلي بها ما يَحسن في عينيك"[402] لقد تخلّى عن شركته مع رفيقة آماله (أي هاجر)، حتى لا يُحزن سارة. وبالحق ليس هناك ما هو أعظم من هذا الإعلان عن الحب. إن اللصوص الذين تجمعهم مائدة واحدة، يشتركون بنفس واحدة في مواجهة خصومهم. يقول المرنّم "الذي معه كانت تحلو لنا العشرة"[403]، يصيرا الزوجان جسدًا واحدًا من هذا الوقت فصاعدًا (هذا هو معني رفيق الآمال)، وهذا بدوره قادر بالأكثر جدًا أن يقود إلى وحدة النفس. لكن لا شيء من كل هذا قد نجح في أن يُفشل البار (إبراهيم)، لأنه ترك القرار لزوجته، مُظهرًا أنه لا شيء قد حدث إلا بسبب طلبها منه أن يتزوج، والأهم بالطبع، أنه أبعد هاجر بينما هي حامل. ومَن ذا الذي لن يترأف ويترأف بتلك التي حملت بإبن من إبراهيم؟ لكن البار (أي إبراهيم) لم يتأثر، لأنه وضع محبته لزوجته (أي سارة) قبل كل شيء.

---

[401] تك١٦:٥.

[402] تك١٦:٦.

[403] مز٥٥:٤٤.



٧ـ فلنتمثل نحن أيضًا بإبراهيم. ينبغي ألا يُعيّر أحد قريبه بسبب فقره، وأن لا يشتهي أحد المال بشدة، لأن هناك مخرج وحلول لكل شيء. ولا أن توجه المرأة ألفاظ نابية لزوجها مثل يا ندل أو يا عديم الرجولة، يا جبان، يا كسول، يا مَن تحب النوم بشدة، أو أنه غير مرغوب فيه، لا تقول أن فلان بالرغم من أنه متواضع الحال وينحدر من والدين متواضعي الحال، وتعرّض لمخاطر وتغرّب، إلاّ انه كوّن ثروة كبيرة جدًا، وأن زوجته ترتدي حُليًا ذهبيًا، وتجلس في عربة يجرها زوج من البغال البيضاء، تتجول في كل مكان، ولديها عبيد كثيرين، وعديد من الخصيان، لكن أنت قد فقدت تمامًا حياءك، وتعيش بلا هدف. يجب أن لا تتكلم الزوجة هكذا، أو بكلمات مشابهة، لأنها هي جسد، فلا تُعطي أمرًا للرأس، بل يجب أن تخضع وتُطيع. سيقول البعض إذن وكيف ستتحمل الفقر، وأين ستجد العزاء في هذا؟ فلتفصل وحدها فيمن هن الفقيرات، ولتقدر كم من البنات النبيلات اللاتي ينحدرن من أسر نبيلة ، ليس فقط لم يأخذن شيئًا من أزواجهن، بل قد أعطين وأستنفذن كل ممتلكاتهن، فلتتذكرْ الأخطار التي تأتي من هذا النوع من الغنى، وسترضى بأسلوب الحياة الهادئة. فإن إرتضت بالقليل، وإن سَلَكت بمحبة تجاه زوجها، فلن تقول شيئًا مثل هذا، بل ستُفضل أن يكون زوجها بالقرب منها، على أن يُحضر لها كل شيء، تَرى حضوره بجانبها أفضل بكثير من كل الحُلّي الذهبيِّ، مكتفية فقط بإهتمامه وعنايته بها، وهذا غالبًا ما يظهر وقت الرحيل.

بل على الرجل أيضًا أن لا ينساق إلى توجيه الإهانة والضرب لمجرد أن لديه سلطة، لكن ما ينبغي عليه أن يفعله هو أن ينصح ويوصي، ويُقنع بالكلام، وليس بالعنف والإيذاء. هذه الأمور لا تليق بالنفس الحُرَّة، وأيضًا لا يشتم أو يوّبخ، بل يوجهها بإعتبارها الأقل تفكيرًا. لكن كيف سيحدث هذا؟ إن تعلَّمت ما هو معني الغنى الحقيقي، وحكمة السماء، فلن يُدينها مُطلقًا. فلتتعلم المرأة بأن الجوع ليس شيء سيىء، لا من خلال ما يقوله فقط بل من خلال ما يفعله أيضًا، حتى يُعلّمها أن

تحتقر المجد، وأن لا تشتهي شيئًا مثل هذا، وعليه أن يُعلّمها التعقل، والرفق، وكيف تحيا بوقار، فينبغي أن تبدأ على الفور من بدايات الحياة الزوجية أن تتغلب على محبتها الشديدة للمال، وأن تتعلم كيف تسلك بالتقوى والورع، ويجب أن ينصحها بأن لا ترتدي حلّي ذهبية في أذنيها، وحول رقبتها، ولا أن تحتفظ بحلّي في خزينة، ولا أن تمتلك ملابس مُذّهبة كثيرة الثمن. ولا يوجد مانع من أن تكون الحلّي براقة، لكن لا تكون مثيرة للإستفزاز ودافعة للتعدي، لكنكِ بعدما تتركين هذه الأمور للممثلين فلتزينين بيتك بجواهر (روحية) كثيرة، لكي تنتشر رائحة الحكمة والتعقل، أفضل من أن تنتشر روائح عطور أخرى. لأنه سينتج عن هذا أمران أو ثلاثة أمور حسنة، **أولاً** أن العروس لن تحزن أو تتضايق عندما تتهاوى الغرف بما فيها، وتذهب الملابس، والحُلّي الذهبية، والأواني الفضية إلى أيدى كل أحد، **ثانيًا** لن يهتم العريس بضياع تلك الأشياء، وبتأمين تلك الأشياء التي تُجهز الأمر **ثالثًا** وهو الأهم أنه سيُبرهن على وجهة نظره بهذه الأمور، بأنه بالتأكيد لا يسعد بأي شيئًا من هذه الأشياء المادية، وأنه سيرفض كل ما هو غير لائق، ولن يسمح أبدًا برقص ولا بأغاني بذيئة.

أعرف أنني قد أبدو أمام البعض وأنا أنصح بهذه الأمور، بأنني أهزل، لكنكم إن أطعمتوني، فإنكم مع مرور الوقت، ستتمتعون بالفائدة التي تأتي من وراء هذا الأمر، وحينئذ ستدركون مقدار الربح. وستنتهي هذه السخرية من كلامي، ليس هذا فقط، بل وستسخرون من العادات المتوارثة، وستدركون أن ما يحدث الآن هو بالحقيقة سمة لأبناء الأغنياء، والرجال السكارى، ما أنصح به هو علامة تعقل ورؤية مُستنيرة، وحياة سمائية. إذن ماذا ينبغي أن يحدث؟ إبْعَدْ عن العرس كل المظاهر الرديئة، كل الأناشيد البذيئة والشيطانية، الأغاني غير اللائقة، مشاركة الشباب الفاسق، وعندما يتحقق كل هذا، ستصبح العروس مُهذبة. لأنها على الفور ستُفكر من تلقاء نفسها، قائلة يا للعجب! مَن يكون هذا الرجل؟ إنه رجلٌ حكيم، لا يُقيم وزنًا للحياة الحاضرة، يقودني إلى بيته، لكي أُنجب، وأربي



أطفالاً، وأعتني بالبيت. لكن هل هذه هي أمور مُنفرة بالنسبة للعروس؟ قد يبدو ذلك حتى اليوم الأول والثاني، لكن لن تكون هكذا بعد ذلك، بل ستتمتع بلذة كبيرة، متحررة من كل شك أو ريبة.

لأن الرجل الذي يسلك بالفضيلة هو الذي لا يحتمل وجود مُزمرين، وراقصات، وأغاني بذيئة، ربما في مناسبة أخري غير مناسبة الزواج، قد يحتمل قبول هذه الأشياء على مَضض. وبعدما تنجح في إبعاد كل هذه الممارسات عن العرس، وتأخذ العروس (إلى بيتك)، ستُعلّمها بطريقة حسنة، وترفع عنها الخجل الذي ظل يرافقها لسنوات طويلة، وإن كانت العروس، قد تعودت على كثرة الكلام، فهي تعرف أن تصمت حين يكون هناك مجالاً للصمت، فتوقر زوجها، مُتممة ومدبرة كل أمور بيتها حسنًا. لكن عليك إذن ألا تَنقض هذا الحياء على الفور، الأمر الذي يفعله الرجال الفاسقون، بل أن ترفع عنها هذا الخجل تدريجيًا، لأن الربح سيكون عظيمًا بالنسبة لك. أولاً لن تُدينك، ولن تنتقدك عن تلك الأمور التي تُعبر عنها، وتفعلها.

٨ إذن فلتُقنّنْ كل شيء بمقياس ذلك الزمان الذي كان فيه الخجل بمثابة لجام موضوع على النفس، والذي لا يسمح للمرأة أن تُتمّ بشيء، ولا أن تمارس الإدانة فيما يحدث. لأنها عندما تتكلم دون ضبط للسان، وبلا خوف، ستُثير الفوضى والتوتر في كل شيء.

إذن هل هناك وقت آخر أكثر مناسبة من هذا الوقت لكي تتعلّم فيه المرأة، أن تحترم زوجها، بل وتهابه وتستحي منه؟ وقتها ستضع كل القوانين التي يجب أن تسلك بحسبها، وستخضع لك في كل الأحوال، سواء بإرادتها أو بدون إرادتها. لكن كيف سيبقي الحياء؟ عندما يتضح لك بأنك لست أقل حياءً منها، وتناقش هذه الأمور بهدوء، لكن بجدية كبيرة وبإختصار.

وعندئذ تبدأ بالحديث عن التقوي، لأن النفس تتقبل أن تحملها لأن تصل إلى أفضل حالة، وأقصد حالة الحياء. وإن أردتم سأتكلم عن النموذج الأمثل، وبماذا

يجب أن تتحدثوا معهن. لأنه إن كان الرسول بولس لم يتجنب أن يقول "لا يسلب أحدكم الأخر" ، وتحدث بكلام للعروس، وربما ليس للعروس، بل للنفس الروحية، فبالأكثر جدًا لن نتجنب نحن أن نتكلم في هذا.

إذن ماذا ينبغي أن نقول لها؟ نقول لها بكل رقة وسماحة نحن قد إخترنا لك شريك الحياة، وأردنا لكِ أن تُشاركيه في الأمور الأكثر كرامة، وفي التمتع بالخيرات السمائية، أي في إنجاب الأبناء، وفي رعاية البيت. إذن بماذا ننصحكِ؟ النصيحة هي أن تقول لها إنه من الأفضل أن تتكلمى معه بكلام المحبة، لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يُساهم بهذا القدر في إقناع المستمع إليكِ، وقبوله لكلامك، بقدر ما يشعر بأن هذا الكلام قيل بمحبة كبيرة. وأنت كيف ستُظهر المحبة؟ حين تقول إنه كان بإمكاني أن أخذ واحدة من نساء كثيرات أكثر غني ومن نسب شريف، إلا أنني لم أرغب في هذا، لأنني أحببتك أنتِ، أحببت سلوكك، وزينتك الداخلية، وترفقك، وحكمتك وتعقلك. وبعد ذلك يجب أن تكون مُهيئًا للتكلم معها عن هذه الأمور بحكمة، وأن تدين الغني بكلام يحتوي على معاني كاملة وتامة.

وبالطبع إن كان كلامك مقصور على الغني فقط، فستصير مُزعجًا، لكن إن شرعت في تقديم حجج منطقية، فإنك ستنجح في تحقيق كل شيء. لأنه هكذا ستظهر بإنك تُقدم الأمر بطريقة موضوعية، وليست كما يفعل الإنسان القاسي، والكريه، والبخيل، بل إنك حين تتعامل بمنطقها ومبرراتها، ستفرح هي أيضًا. ستقول بينما الأمر يعتمد على أن أخذ امرأة غنية، ومتيسرة، لكنني لا أقبل هذا. لماذا؟ لأن هذا المسلك ليس فقط هو أمر باطل ولا يجلب منفعة، بل لأنني تعلمت جيدًا أن الغني ليس هو قطعة أرض، لا قيمة لها، فهذا الغني معني به باللصوص، والنساء الساقطات، و سارقو القبور.



من أجل هذا، وبعدما أترك كل ذلك، سأسعى نحو فضيلة نفسك، والتي لها عندي أفضلية من كل غني. لأن الشابه الحرة العاقلة التي تهتم بالتقوي، هي أثمن من الكون كله. ولأجل هذا فإنني أحبك أكثر من نفسي، وأضع نفسي لأجلك. لأن الحياة الحاضرة لا تستحق أي شيء، لذلك أرجو وأتمني أن نفعل كل شيء، حتى نكون مُستحقين أن نحيا بهذه الطريقة، وننعم بالسلام في الحياة الأبدية. لأن هذا الزمن الحاضر هو قصير ومملوء فسادًا، فإن كنّا مرضيين أمام الله، وإستحققنا أن نعبر هذه الحياة هكذا (بالفضيلة)، فسنكون مع المسيح على الدوام، وستسود السعادة والفرح بالأكثرفيما بيننا. أنا أضع محبتك في قلبي قبل كل شيء، ولا يوجد شيء أصعب ولا أثقل على نفسي، من أن يكون بيننا خلافات. وإن كان يجب أن أفقد كل شيء، وأن أصبح فقيرًا، وأن أجتاز أبشع الأخطار، فإنني سأقبل على كل الأحوال أن أعاني كل هذا، فكل شيء سأحتمله وأصبر عليه، مادمتِ تسلكين حسنًا تجاهي، وعندئذٍ سيكون إنجاب الأولاد أمنية لدّى، طالما بقيت إرادتك تجاهنا حسنة.

هناك ضرورة لأن تقول كل هذا، بعد ذلك عليك أن تُضيف الكلمات الرسولية، لأنه هكذا يُريد الله لنا أن تكون العاطفة لدينا قوية ومنضبطه. إسمع ما يقوله الكتاب "يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته"[٤٠٤].

ينبغي أن لا يكون هناك أي عذر لصغر النفس، ولنقل فلتذهب الأموال، ولنخسر العبيد، والكرامة التي تأتي من الغرباء، وهذا بالنسبة لي يُعد أفضل من كل شيء أليس هذا الكلام هو أجمل وأفضل لدي المرأة، من الذهب ومن المجوهرات؟ ولا تخشى أن تتفاخر عليك وأنت تُقدم لها كل هذا الحب، بل يجب أن تعترف بأنك تُحبها. لأن العشيقات اللاتي يلتصقن مرة بهذا، ومرة بذاك، عندما يسمعن هذا الكلام، من الممكن أن يتباهين ضد العشاق، وهذا الأمر له ما يُبرره، لكن المرأة الحرة، والبنت المنحدرة من أصل نبيل، من غير الممكن على

---

[٤٠٤] تك٢: ٢٤.

الإطلاق أن تتفاخر أو تتباهي بمثل هذا الكلام، بل بالأكثر جدًا ستتأثر أيضًا. لتبرهن لها على رغبتك الشديدة في لقاءك الحميمي بها، وأنك ترغب في التواجد في البيت إلى جوارها، أكثر من رغبتك في أن تتواجد بالسوق، وأنك تُفضلّها عن كل الأصدقاء، بل وكل الأبناء الذين ولدتهم، وأنك تُحبها لأجل ذاتها. وإن قامت الزوجة بعمل حسن، فلتمتدحها وأن تُعجب بها، وأن عملت عملاً غير لائق، فلتنصحها، وتُرشدها للصواب. فلتزدري بالمال وبالرفاهية في كل موضع وفي كل وقت، وأن تُبرهن على السلوك اللائق، وعلى الزينة الداخلية، التي تأتي من الإحتشام والوقار، وان تُعلّم على الدوام ما هو النافع والصالح بالنسبة لها.

٩ـ يجب أن تُصلّوا معًا، وأن يتوجه كل واحد إلى الكنيسة، ومن خلال الكلمات التي يسمعها ويقرأها هناك، ليكن طلب كل منهما من الآخر، الأمور التي تُناسب ما سمعه وما قرأه، وإن إجتزتّم حالة من الفقر، فلتُحضِرْ أمامك أمثلة من الرجال القديسين مثل القديس بولس، والقديس بطرس، اللذان نالا كرامة ومسرة، اكثر من كل الملوك وكل الأثرياء، وكيف عاشا حياتهما في الجوع والعطش. أن تُعلّم إمرأتك أنه لا يوجد شيء أكثر رعبًا مما يحدث في الحياة، سوى أن يقاوم أحد إرادة الله. إن تزوج أحد على هذا الأساس، فلن يكون في هذه الأمور أقل من النساك، وبالطبع لن يكون أقل من أولئك الذين لم يتزوجوا. فإن أردت أن تفعل شيئًا حسنًا، وأن تُقيم ولائم، فلا تدعو أحدًا فاسقًا أو بذيئًا، لكن إن وجدت شخص فقير قديس، يمكن أن يُبارك بيتك، وأن يحمل البركة الإلهية لهذا البيت عندما تطأه قدماه، فلتدعو هذا الإنسان القديس. هل لي أن أقول شيئًا آخر؟ لا ينبغي لأحد محاولة الزواج من أمرأة غنية، بل يتزوج بمن هي أكثر فقرًا منه. لأن هذه الأموال التي ستساهم بها المرأة، لن تكون سببًا للتمتع، بقدر ما ستكون دافعًا للإشمئزاز بسبب الإهانات، وستطلب منه أكثر بكثير مما قدَّمَته، وما يصاحب هذا من شتائم وكلام مزعج وغير لائق.



بالطبع ربما تقول لك، إلى الآن لم آخذ شيئًا مما لك، إلى الآن أرتدي من ملابسي، ومن تلك التي أهداها لي والدّي. ماذا تقولين أيتها المرأة؟ هل لأزلتِ بعد ترتدين مما تمتلكين؟ هل هناك ما هو أتعس من هذا الحديث؟ إن جسدك ليس ملكًا لكِ، فهل لك مال خاص بك؟ بعد الزواج لستما بعد جسدين، بل صرتما جسدًا واحدًا.

يا لعشق هذا المال! لقد صرتُما إنسانًا واحد، وحياة واحدة مشتركة، ولازلتِ تقولين بعد هذه ممتلكاتي؟ هذا الكلام هو كلام ملعون ونجس، والشيطان هو الذي أدخلة إلى الفكر. فالأكثر إحتياجًا من هذه الأمور التي نحتاجها بإستمرار، قد خلقها لنا الله بشكل مشترك، فهل الأمور المادية ليست مشتركة؟ فمن غير الممكن أن تقولي: نوري، وشمسي، ومائي. فالأمور الأكثر أهمية، هي دومًا مشتركة فيما بيننا، فهل الأموال أو الممتلكات ليست مشتركة؟ فلتَضعْ الأموال آلاف المرات، وربما ليس المال، بل لتُفقد الإرادة التي لا تعرف أن تستخدم المال إستخدامًا حسنًا، والتي تُفضله على كل الخيرات الأخرى. فلتُعلّم بهذه الأمور بالإضافة للتعاليم الأخرى، لكن لتفعل هذا بسلوك حسن للغاية. لأن هذه النصيحة الخاصة بالفضيلة بحد ذاتها، قد تحمل كثير من التجهم والعبوس، عندما تُوجّه لفتاه رقيقة وشابة، وعندما تتكلم بحديث فلسفي، يجب أن تُسدي لها خدمة كبيرة، بإن تُخرج من نفسها وفكرها كل ما هو مرتبط بهذا ملكي وهذا ملكُكِ. فإن قالت هذه ممتلكاتي، فقل لها ما هي ممتلكاتك؟ لأنني لا أعرف شيئًا، فأنا لا أمتلك أي شيء فكيف تقولين إذن هذه مِلُكً لي، بينما كل شيء هو مِلكًا لكِ؟ إصفح لها عن هذا الكلام. ألا ترى أن هذا يحدث في حالة الأبناء؟ عندما يأخذ الإبن شيئًا، بينما هو لنا، وبعد ذلك يُريد أن يأخذ الشيء الآخر، فإننا نسامحه ونقول له نعم هذا لك والشيء الآخر هو أيضًا لك.

هذا ما يجب أن نفعله تجاه المرأة، لأن فكرها هو بالأكثر فكر طفولي، فإن قالت هذه ملكي، فقل لها، إن كل شيء هو مِلكُكِ، بل وأنا ذاتي ملكًا لكِ.

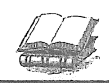
هذا الكلام ليس علامة على النفاق، بل علامة على التعقل الشديد. وبهذه الطريقة سيُمكنك أن تُهدأ من غضبها، وتُزيل عنها حزنها. إذن فلتقل أنا ملكًا لكِ، وهذا ما أوصاني به الرسول بولس "الرجل أيضًا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة"[405]. فإن لم يكن لي سلطان على جسدي، بل التسلط هو لكِ، فبالأكثر جدًا ليس لي تسلط على المال. وأنت حين تتكلم بهذا تُهدأ من روعها، وتُطفئ النار، وتبطل حيل الشيطان. وبناء على ذلك فإنه من خلال ما تقوله، علّمها أن لا تقول أبدًا، هذا ملكي وهذا مِلكُكَ. ولا تناديها أبدًا بشكل مجرد، بل بودٍ، وبكرامةٍ، وبمحبةٍ شديدة. فلتكرّمها، ولن يكون لها إحتياج لأي تكريم من قِبل الآخرين، إن تمتعت بتكريمك أنت. أن تُفضلّها عن كل الآخرين، بسبب جمالها وتعقلّها، وأن تمتدحها كثيرًا. وهكذا ستُقنعها ألا تهتم بأي شيء آخر، بل تزدري بكل شيء.

علّمها مخافة الله، وكل شيء سيفيض ويكثر كما من نبع، وسيمتلئ بيتك بخيرات لا حصر لها. فإن كنّا نطلب الخيرات الروحية، فستأتي الخيرات المادية. لأنه يقول "أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم"[406]. كيف تعتقدون أنه يجب على الأولاد أن يكونوا مثل هؤلاء الآباء؟ وكيف يكون العبيد مثل هؤلاء الأسياد؟ وكيف يجب أن يتحلي كل الأقارب الآخرين بهذا السلوك؟ تُرى ألا سيكون كل هؤلاء مملوئين بخيرات لا حصر لها؟ لأنه كما تُرتَب وتُنَسق كل الأشياء وفقًا لإرادة القادة والزعماء، ويُنظم العبيد في سياق يتناسب مع طريقة حياتهم وسلوكهم، ويتشابهون في تحقيق رغبات هؤلاء، والأشياء التي يُحبونها، والأشياء التي يتعلّمونها، فإنهم يتكلمون نفس الكلام وبنفس الطريقة، ويأتون في ألفة وعشرة مع نفس الأشخاص الذين لهؤلاء عشرة معهم. فإن جعلنا أنفسنا مُتسقة على هذا النحو، مُلاحظين ماذا يقول الكتاب، فإننا سنتعلّم أكثر من هؤلاء، وهكذا سيُمكننا أن نصير مرضيين أمام الله، ونعيش كل حياتنا بالفضيلة،

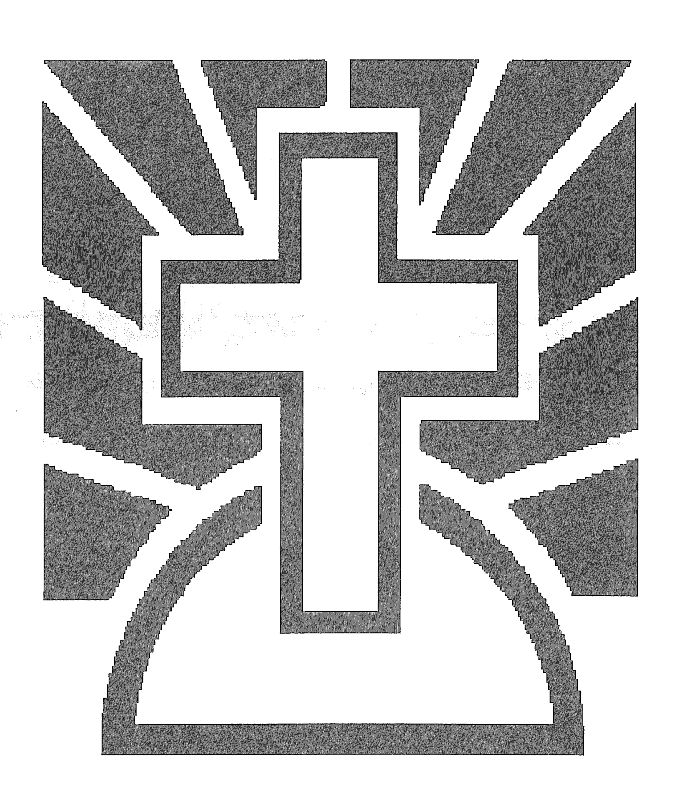
---

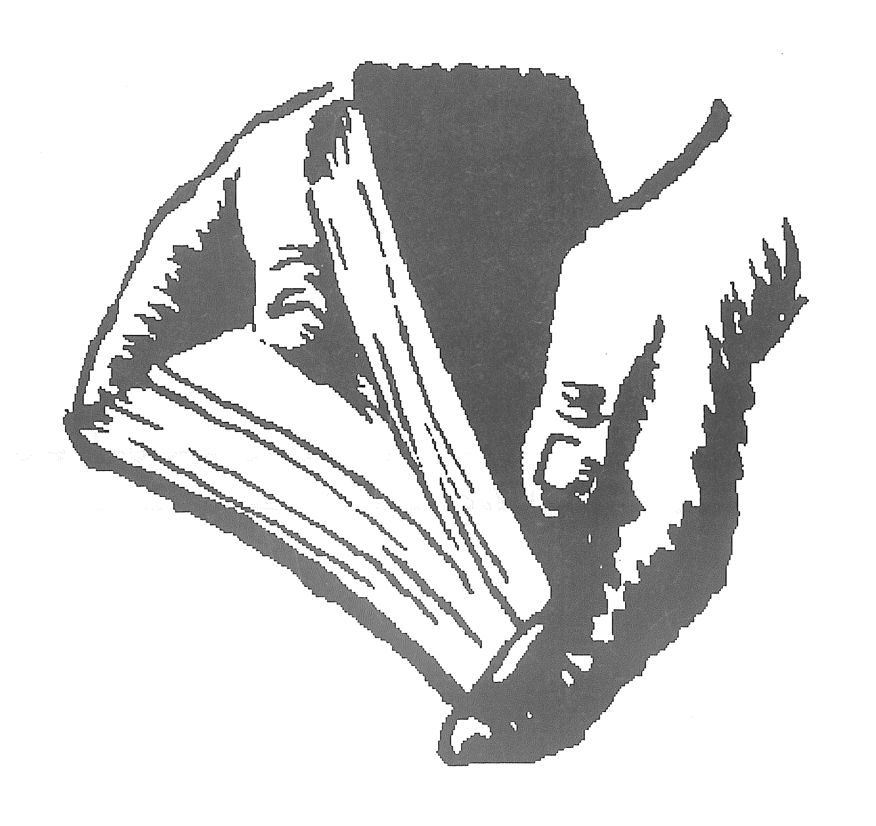
[405] اكو٧:٤.

[406] مت٦:٣٣.



وسننال الخيرات التي وعد بها الله أحباءه، والتي ليتنا جميعًا نكون مستحقين لها بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.





الإصحاح السادس

الإصحاح السادس

العظة الواحدة والعشرون: (أفسس٦:١-٤)

" أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ" (أف٦ : ١ــ٣).

١ـ تمامًا مثل الذي يصنع تمثالاً، فهو يُشكّله مبتدئًا من الرأس فالرقبة والجسم، ثم الرجلين هكذا يتقدم المطوب بولس بحديثه بنفس الطريقة. تحدث عن الرجل، ثم تحدث في الترتيب الثاني عن المرأة، ثم يتقدم إلى المرحلة الثالثة وهم الأبناء. لأن الرجل يسود على المرأة، ومن ناحية أخري فإن الرجل والمرأة يسودان على الأبناء. لاحظ ماذا يقول: "**أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب. التي هي أول وصية بوعد**". إنه لا يتكلم هنا عن المسيح ولا عن الأمور السماوية. إذ هو يتوجه إلى النفوس البسيطة، ولأجل هذا ينصح بإيجاز، لأنهم لا يستطيعون أن يُتابعوا حديثًا مطولاً. فهو لم يذكر شيئًا عن ملكوت الله، لأن الإنسان في هذه المرحلة العمرية لا يستطيع أن يستمع لموضوع مثل هذا. ما تشتهي نفس الصبي الصغير أن تسمعه بالأكثر، هو ما تكلّم به، أنه سيعيش سنين طويلة على الأرض. ولو أراد أحد أن يسأل لأي سبب لم يذكر شيئًا عن ملكوت الله، بل وضع أمام هؤلاء الأبناء وصية الناموس، سنُجيبه لأنهم يتسمون بالبراءة، ولأنه كان يعرف جيدًا أنه حين يخضع الرجل والمرأة للناموس الذي أعطاه لهما، فإن الجهد المطلوب منهما لخضوع الأبناء سيكون قليلاً أو يسيرًا. لأنه عندما يبدأ أي أمر خطواته الأولي، ويكون موضوعه جيدًا، وممكنًا، ولائقًا، سيتقدم بعد ذلك في طريقه وشرعيته بكل سهولة. لأن الأصعب هو أن نضع الأساس، وأن نُدعّم القاعدة.

يقول "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب"، أي كما يوصي الرب، فالرب هو الذي أعطى هذه الوصية. لكن ماذا ستقول لو أن الوالدين أمرًا بممارسة أمور



غريبة؟ بالتأكيد الأب لا يأمر بأمور غريبة، حتى وإن كان بعد غريبًا عن الإيمان. هكذا يحفظ الرسول بولس الإبن ويصونه، قائلاً "في الرب"، أي في تلك الأمور التي لن يأتي فيها في تضاد مع الله. فعندما يكون الأب وثنيًا أو هرطوقيًا، في هذه الحالة لا يجب على الإبن أن يُطيعه، لأن هذه الطاعة لن تكون بحسب إرادة الله. ولكن لماذا يقول "التي هي أول وصية؟". لأن الأولي بحسب الأهمية هي "لا تقتل" و "لا تزني"[407]. لم يقل إنها الوصية الأولي في عدد الوصايا، بل هي الأولي التي تقترن بوعد للمكافأة. أما بالنسبة للوصايا الآخري فلا يوجد بها مكافأة، فهي فقط تنادي بالإمتناع عن إرتكاب الشر، وتأمر بالإبتعاد عنه. أما بقية الوصايا الآخري التي تدعو إلى عمل الخير، فيوجد بها وعد بالمكافأة. ولاحظ كيف وضع أساسًا مُدهشًا لطريق الفضيلة، والكرامة، وإحترام الوالدين. فبعدما نهي عن إرتكاب أعمال الشر، وأراد أن يحملنا ليضعنا على طريق الفضيلة، فهو أمر أولاً بتكريم الوالدين، لأنهما قبل الجميع، وبعد الله، هما اللذان صارا سببًا في وجودنا في الحياة حتى أنه من الطبيعي أن يتمتعا أولاً بسلوكنا الحسن نحوهما، وبعد ذلك يأتي كل البشر الآخرين. لأنه إن لم يكن لدي المرء هذا الفكر، فلن يكون أبدًا رحومًا بالآخريين.

إذن بعدما قدم النصائح الواجبة للأبناء، إنتقل بعد ذلك للآباء.

يقول: "وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (أف ٦: ٤).

لم يقل أن تُحبوهم. لأن المحبة تُمليها عليهم الطبيعة ودون إرادتهم، لأنه أن يُعطي هذا القانون، فهذا أمر لا حاجة له على الإطلاق. لكن ماذا يقول؟ يقول: **"لا تغيظوا أولادكم"**، كما يفعل كثيرون ممن يرفضون ويستبعدون أبناءهم، ويزعجونهم بشدة، فلا يجعلونهم هكذا أُناسًا أحرارًا، بل عبيدًا. من أجل هذا يقول "لا تغيظوا

---

[407] خر ٢٠: ١٣ـ١٤.

أولادكم" ثم يشرح الطريقة التي بها سيصبحون مُطيعين، ويرجع السبب كله إلى الرأس والمبدإ. وكما أظهر أن الرجل صار سببًا في طاعة المرأة (لهذا فإن الجهد الأكبر يُحمّله على الرجل، ناصحًا إياه أن يربحها بقوة المحبة)، هكذا تمامًا يجعله هنا أيضًا سببًا في طاعة الأولاد، قائلاً "بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره". أرايت كيف أنه عندما توجد الروحيات فستتبعها الماديات؟ أتريد لابنك أن يكون مسئولاً؟ عليك أن تُربّيه من البداية بالتهذيب وحسب تأديب الرب. لا تظن أنه أمر عادي وطبيعي أن لا يسمع للكتاب المقدس، لأنه سيسمع لهذه الوصية أولاً في الكتاب المقدس "أكرم أباك وأمك". إن هذا الكلام موجه لك، ولا تقل إنه موجه للرهبان؛ وهل أنا سأجعله راهبًا؟ ليس من الضروري أن يصير (إبنك) راهبًا. لماذا تخاف ذلك الخوف، فهذا الأمر مملوء بالخير الكثير؟ إجعله مسيحيًا. إن معرفة هذه التعاليم ضرورية لغير الرهبان، وأيضًا يجب أن تُوجَه للأولاد. لأنه يوجد جهل كبير في هذا العُمر إذ تزداد في هذه الفترة أحاديث الوثنيين، حين يعرف الأولاد أن الأبطال الذين هم موضع إعجابهم، هم عبيد الشهوات، وجُبناء أمام الموت. على سبيل المثال مثل آخيلفس عندما ندم على أفعاله، وفكرة موت العشيقة من أجل البطل العشيق، وماذا يحدث حين يسكرالآخر، وأمور أخري كثيرة مشابهة. إذن هذه الأدوية (التعاليم المسيحية) هي التي يحتاج إليها الولد.

٢- أليس من العجيب أننا نُرسل أولادنا للمدارس ليتعلموا الفنون، ونصنع كل شيء لأجل تحقيق هذا الهدف، لكننا لا نربيهم بالتهذيب ووصايا الرب؟ من أجل هذا فإننا سنكون أول مَن يجني الثمار، عندما نُربي أولادنا، لكي يصيروا سفهاء، وفاسقين، وغير طائعين، وقساة. إذن يجب علينا أن لا نصنع هذا، بل لنطيع المطوب بولس الذي يُوصينا بأن نُربي أولادنا بتأديب الرب وإنذاره ونُعطي لهم النموذج والمثال، ونجعلهم يعتادون في سن مبكر على قراءة الكتب المقدسة. ياللعجب! لأنني أتكلم بهذه الأمور بصفة دائمة، وأُحسب بأنني أثرثر، لكنني لن أتوقف عن أن أفعل كل ما أستطيع. أخبرني لماذا لا تتمثلوا بالقدماء؟ فأنتن أيتها

النساء يجب أن تَغرنَ من النساء الفضليات. هل أنجبتِ إبنًا؟ تشبهي بحنَّة، تعلّمي جيدًا ماذا فعلت، ذهبت به على الفور إلى الهيكل[٤٠٨]. مَن منكن لا ترغب في أن يكون إبنها ولو لمرة واحدة مثل صموئيل، على أن يكون ملكًا على كل المسكونة مرات عديدة؟ وقد تقول إحداكن وكيف يكون ممكنًا أن يصير مثل صموئيل؟ ولماذا هو غير ممكن؟ لأنك لا تُريدين أن تُسلّمينه إلى الذي يستطيع أن يجعله هكذا. فمَنْ هو الذي يستطيع هذا؟ إنه الله، بعدما تستودع إبنها لديه وتستأمنه عليه. لأنه ولا عالي (الكاهن) والذي كان مُناسبًا جدًا، كان له القدرة على أن يُشكّله. وكيف يمكن لهذا الذي لم يستطع أن يصنع ذلك مع أبناءه؟ لكن إيمان المرأة ورغبتها (أي حنة)، قد حقق ذلك. ولدت أول ولد لها فقط، ولم تعرف إن كانت ستلد أبناء آخرين أم لا. ولم تقل سأنتظر حتى يكبر الولد، لكي يتعرف على هذا العالم، سأتركه قليلاً لكي يعيش طفولته. لكنها بعدما تجنبت كل هذا، حرصت على شيء واحد فقط وهو كيف يجب أن تعهد بهذا الكيان الروحي لله. فليخجل الرجال أمام فكر هذه المرأة (حنَّة)، لقد قدمت صموئيل لله، وتركته في الهيكل. ومن أجل هذا فإن زواجها صار بهيًا، لأنها كانت قبلاً تطلب الروحيات، ولأنها قدمت أول ثمارها لله. ولأجل هذا صارت بطنها خصبة، وربحت أولادًا آخرين، ورأت أولادها يهنئون ويسعدون في العالم. لأنه لو كان البشر يُكرّمون عندما يُكرِمون، ألا يُكرّم الله بالأكثر جدًا، وهو الذي يفعل هذا دون أن يطلب تكريم من أحد؟

إلى متى سنكون جسديين؟ إلى متى سنُحني رؤوسنا إلى الأرض؟ ليت كل شيء يأتي في المرتبة الثانية، ولنحرص أولاً على الإهتمام بتربية أولادنا بتأديب الرب وإنذاره، فإن تَعلّم الطفل أن يُفكر جيدًا منذ البداية، فقد ربح غنى أعظم من كل شيء، وربح مجدًا عظيمًا. أيهما أفضل في إطار البحث عن تحقيق أي شيء له

---

[٤٠٨] صموئيل إبن حنَّة كان نبيًا، وآخر قضاة إسرائيل، ومؤسس نظام المملكة، وهو الذي مسح شاول ملكًا، ومن بعده داود (أنظر سفر ملوك الأول).

أهمية كبيرة، أن تُعلّم إبنك الفن، ويُربِّي تربيه سطحية، والتي سيربح بها أموالاً، أم أن تُعلّمه الفن الذي به سيحتقر المال. فإن أردت أن تجعله غنيًا، فأفعل هذا (أي أن تربيه بتأديب الرب وإنذاره)، لأن الغني ليس هو مَنْ يطلب أموال كثيرة، وخيرات كثيرة تُحيط به، بل الذي ليس له إحتياجًا لأي شيء. هذا ما يجب أن تُعلّمه لإبنك، هذا هو أعظم غنى. لا تبحث عن كيفية تقدمه في التعاليم العالمية، وسعيه في طلب المجد (الباطل)، بل إهتم بالبحث عن الطريقة التي تُعلّمه بها كيف يحتقر مجد هذه الحياة الحاضرة. وبعد ذلك سيمكنه أن يصير أكثر بهاءً وأكثر مجدًا. إن هذه التعاليم يمكن أن يُمارسها الفقير والغني، وهي لا يتعلمها أحد من مُعلّم، ولا بواسطة فن ما، بل بواسطة كلمة الله. ينبغي إذن ألا تشتهي أن يعيش إبنك حياة ممتدة وطويلة في هذه الحياة الحاضرة، بل أن يعيش هناك حياة أبدية لا تنتهي.

فلتمنح إبنك التعاليم العظيمة وليس التعاليم البسيطة والزهيدة. إسمع الرسول بولس وهو يقول "ربوهم بتأديب الرب وإنذاره". لا يجب عليك أن تهتم بأن تجعله خطيبًا، بل أن تربيه كيف يسلك بحكمة. لأنه عندما يتحقق إجادة فن الخطابة، فلن يكون هناك أي ضرر، ولكن عندما تغيب الحكمة، وينحصر الأمر في الخطابة فقط، فلن يكون هناك أي فائدة من الخطابة مهما كان مقدارها. إن التربية تحتاج إلى طرق مستقيمة وليس إلى كلمات، إلى أخلاق وليس إلى إمكانيات، إلى عمل وليس إلى كلام. هذه هي التي تُحضر ملكوت الله، وهي التي تمنح الخيرات الحقيقية. لا تمرن لسانه ولغته بل نقِّ نفسه. لا أقول هذا الكلام، لكي أمنعك عن تثقيف إبنك هكذا، بل لكي أمنعك عن أن تقصر الإهتمام فقط على الأمور. لا تظن أن الرهبان فقط هم الذين يجب عليهم أن يلتزموا بتعاليم الكتاب المقدس بل بالأكثر الأولاد الذين يأتون إلى هذه الحياة أكثر من هؤلاء الرهبان. وذاك الذي يُقيم في الميناء لا يحتاج لبناء قارب ولا أن يكون له قائدًا وفريقًا مكونًا من مجموعة بحارة، الذي يحتاج لهذا الأمر هو المتواجد بصفة دائمة



في عرض البحر، هكذا أيضًا العلماني والمتوحد. فالعلماني هو كمَنْ يوجد في الميناء دون أن يتعرض لأمواج، ويعيش حياة هادئة، ويكون في مأمن من كل العواصف والأعاصير، أما المتوحد فهو كمن يعيش دائمًا في عرض البحر، ويسافر عبر البحار مقاومًا لنوات كثيرة، فإن كان العلماني ليس له إحتياج لهذا، إلا أنه يجب عليه أن يكون مستعدًا، حتى يُغلق أفواه الآخرين.

٣- بقدر ما يتقدم إبنك وينمو في هذه الحياة، بقدر ما يكون إحتياجه أكثر لهذه التربية. حتى وإن كان بعد ينمو ويتربي داخل القصور، فهناك وثنيون كثيرون، وفلاسفة، ممن يفتخرون بمجد هذا العالم، فهذه القصور تشبه مكانًا ممتلئًا بمرضي الإستسقاء. الجميع يسعي بحرارة شديدة نحو المجد الباطل، هؤلاء الذين ليس لهم كيان، يهتمون أن يصبح لهم وضع ما. تأمل إذن فيما يعنيه، أي أن يأتي إبنك إلى هناك كطبيب متميز، يأتي بأجهزته وعقاقيره التي بأمكانها أن تشفي جميع الإلتهابات، تأمله وهو يقترب من كل واحد ويناقشة ويشفي الجسد المريض، ثم يقدم الأدوية من الكتاب المقدس، ويُقدم كلمات وأحاديث الحياة الروحية. أما المتوحد فلِمن سيتحدث؟ هل يتحدث للحائط وللأرفف؟ هل يتحدث للصحراء والأودية الضيقة الممتدة، أم إلى الطيور والأشجار؟ إذن فذاك ليس له إحتياج كبيرًا لتلك التعاليم، بل عليه تتميم هذا العمل، لكي يثقف نفسه لا الآخرين. هؤلاء إذن الذين ينشأون ويتربون في هذا العالم يحتاجون بالأكثر جدًا إلى هذه التعاليم، المحتاج لمثل هذه التعاليم، كثيرًا ما يُخطي أكثر من ذاك المتوحد. وإن أردت أن تنال فهمًا وخبرة في هذا العالم، فسيكون ذلك أكثر نفعًا. لأن الجميع سيُقدرونك من أجل تلك التعاليم الروحية، عندما يرون أن إبنك لا يحترق وهو وسط نار العالم، ولا يشتهي المناصب. وعندئذٍ سيحقق وينال كل هذا. أيضًا عندما لا يشتهيها، سيكون موضع إحترام الملك، لأنه من غير الممكن لمثل هذا الإنسان أن يبقي مهمشًا مخفيًا عن الأنظار. لأنه سيظهر سليمًا بين الأصحاء. ولكن عندما يوجد احد الأصحاء وسط مرضي كثيرين، فإن صيته سيصل سريعًا



إلى أسماع الملك، الذي سيجعله معروفًا لدى الجموع الغفيرة. إذن بعدما عرفتم هذا كله، فلتربوا أولادكم بتأديب الرب وإنذاره.

هل يوجد فقير بينكم؟ فليبقي فقيرًا. لأنه لن يكون قط أكثر دناءة أو تفاهة مِن الذي يجول متسولا في القصور، بل سيصير موضع إعجاب أكثر، وسرعان ما يحصل على المكانة التي يريدها، وليس تلك التي يُعطيها الآخرون. لأنه إن كان بعض الوثنيين، هم أناس لا قيمة لهم، وسفهاء، يتقبلون مثل هذه المكانة بغير إستحقاق (لأن هذه هي الوثنية)، وبالحري يتقبلونها أسميًا، فإنهم يتسربلون بتعاليم تريفوناس الفيلسوف ويطلقوا شعورهم الطويلة، ويتسببون بكلامهم في خزي الكثيرين، فكم بالأكثر يكون الفيلسوف الحقيقي؟ فإن كان المظهر الكاذب، وإن كان ظِل الفلسفة، وهو يُقدم هكذا، يترك هذا الإنطباع الجيد، فماذا سيحدث لو أننا أحببنا الحقيقة والفلسفة الحقيقية؟ ألا يقدرها الجميع؟ ألا يُسلِمون لهؤلاء الحكماء، وبسهولة كبيرة، البيوت والنساء والأولاد أيضًا؟ يبدو أنه لا وجود الآن لمثل هؤلاء الحكماء ولذلك فإنه من غير الممكن أن نجد أو نعثر على المثال والنموذج الذي نقتدي به. يوجد بالطبع بين الرهبان وبين العلمانيين، ولكن ليس كما كان. ومن حيث إنه يوجد بين الرهبان (هذه النماذج)، فأنا أستطيع أن أقدم كثيرين، لكنني سأتكلم عن واحد من كثيرين.

ربما تعرفون أو سمعتم عنه، والبعض رأي الرجل الذي أنوي الحديث عنه، وأقصد يوليانوس العجيب[٤٠٩]. هذا كان رجلاً ناسكًا، متواضعًا، كان أبنًا لوالدين متواضعين، ولم تكن لديه مُطلقًا أي خبرة في التربية العالمية، لكنه كان مملوءً بالحكمة السماوية. عندما كان يأتي إلى المدن (وهذا نادرًا ما كان يحدث)، كان يجتمع إليه حشد كبير من البشر، الأمر الذي لم يكن يحدث

---

[٤٠٩] هو أحد الآباء النساك والذي يُدْعَي أيضًا سافا، وهو مؤسس لتجمعات رهبانية وعاش في سوريا في بدايات القرن الرابع الميلادي، ويُعد من الآباء العموديين.



عندما كان يأتي خطباء وحكماء، أو أي أحد آخر. ماذا أقول؟ ألا يُمجَد الآن أيضًا الأسم الأكثر بهاءً من الملوك؟ فإن كان هذا يحدث في هذا العالم الحاضر، والذي لم يَعدْنا فيه الرب بأي خيرات، فلندرك الآن كم ستكون الخيرات المذخرة لنا في السماء. فإن كان هؤلاء الرهبان قد كُرموا كل هذه الكرامة في هذه الحياة الحاضرة رغم أنهم نزلاء وغرباء، فكم بالحري سيُمَجَدون في الملكوت حيث الحياة إلى الأبد. فإن كان هنا يوجد كل هذا الإهتمام وكل هذه الرعاية، مع وجود الضيقة فكم ستكون الراحة؟ هناك حيث الوعد بالكرامة الحقيقية، لكن هل تُريدون أن أُقدم لكم نماذج من أهل العالم؟ ربما ليس لدينا الآن. بالطبع هناك نماذج مُثقفة، لكنها لم تصل إلى الحكمة السامية. لذلك سأذكر لكم نماذج من القدماء والقديسين. هل لم يكن لهؤلاء الذين كان لهم زوجات وأبناء، قداسة ليست بأقل أبدًا من الرهبان؟ ولكن الآن لا يوجد حديث عن الإلتزامات الحالية أو الحاضرة، بالنسبة للرهبان كما يقول هذا المطوب. عمَن تُريدون أن أتحدث؟ هل عن نوح أم عن إبراهيم؟ هل عن إبن هذا أم عن إبن ذاك؟ هل أتحدث عن يوسف؟ هل تريدون أن يكون الحديث عن الأنبياء، عن موسى وعن إشعياء؟

٤. فإن كان يبدو لكم هذا أمرًا جيدًا، فلنتحدث عن إبراهيم، الذي دائمًا ما يذكره لنا الجميع. ألم تكن له زوجة؟ ألم يكن له أولادًا؟ هذا ما أقوله أنا لكم، وأنتم تقولونه لي. كانت له زوجة، لكنه لم يكن موضع إعجاب بسبب كونه متزوجًا وكان لديه أموالاً، كما أنه لم يكن مرضيًا أمام الله، بسبب أمواله. كان لديه أبناء، لكنه لم يُطوّب لأنه أنجب نسلاً. كان لديه ثلاثمائة وثمانية عشر من العبيد، لكنه لم يُعَجبوا به لأجل هذا. أتريد أن تعرف لأي سبب أُعَجبوا به؟ لأجل ضيافته للغرباء وبسبب إحتقاره للمال، لأجل وقاره. أخبرني ما هو الملمح المميز للحكيم؟ أليس إحتقار المال والمجد الباطل، ورفض كل الشهوات؟ إذن لنتقدم في حديثنا أكثر، مادمنا قد قدمناه (كنموذج)، سأبين لكم كم كان هو فيلسوفًا عظيمًا؟ لم يُعط إعتبارًا للوطن الأرضي بإعتبار أنه الأفضل. لأنه

سمع من اللّه "أذهب من أرضك ومن عشيرتك"[410]، وعلى الفور رَحَلَ، لم يكن مرتبطًا بموضع إقامته. فما كان له أن يرحل، إن كان له أُلفة وعشرة مع المكان، أو مع أي شيء آخر. بعد ذلك إحتقر المجد، والمال أكثر بكثير من كل شيء لأنه بعدما إنتصر على أعدائه إنتصارًا ساحقًا، وكان له الحق أن يأخذ غنائم، إلا أنه قد إحتقرها. بل إبنه أيضًا لم يكن موضع إعجاب بسبب ماله، بل بسبب ضيافته، لا لأجل أولاده، بل لطاعته، لا لأجل زوجته، بل لأجل عقم زوجته. لقد إعتبروا الحياة الحاضرة كلا شيء، لم ينشغلوا بالمال، بل إحتقروا كل شيء.

أخبرني، أي النباتات هي الأفضل؟ أليس تلك التي تحمل في طبيعتها القوة، ولا تؤذيها الأمطار، ولا الصقيع أو البَرَد، ولا قوة إندفاع الرياح، ولا أي شيء آخر شبيه بذلك، بل تقف مُجردة لا تُبال بكل هذا، ودون أن تحتاج لدعامة وسند، ولا إلى سياج أو سور؟ هكذا يكون الإنسان الحكيم، أما الغنى فليس لديه شيئًا وهو يمتلك كل شيء، لديه كل شيء وكأنه لا يمتلك شيئًا. فهو لا يهتم بالبناء الداخلي بل الخارجي فقط، ولذلك فإن طبيعته ضعيفة إذ أنها بلا دعائم. لكن لتخبرني أي جسد هو القوي؟ أليس هو الجسد الصحيح المعافى، الذي لا يمكن للجوع، أو التعب، أو البرد، أو الحر الحارق أن يسود عليه، أم هو ذلك الجسد الذي، يحتاج لخدام الموائد، أو لعمال مهرة مُتخصصين في النسيج (لإعداد ملابس جيدة)، أو إلى صيادين (يحضرون صيدًا متميزًا)، وأطباء، لكي يكون في صحة جيدة؟ إن الحكيم الحقيقي هو ذاك الذي ليس بحاجة لأي شيء من كل هذا. ولهذا قال المطوب بولس "ربوهم بتأديب الرب وإنذاره". إذن لا تضعوا دعائم من الخارج، أي الغنى، والمجد الباطل. لأن هذه عندما تسقط أرضًا، وهي تسقط بالفعل، فإن المرء يقف عاريًا وهزيلاً، ليس فقط أنه لم يستفد من الزمن الماضي،

---

[410] تك١٢: ١.

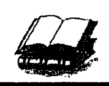


بل لأنه أيضًا يتعرض لأضرار. لأن هذه الدعائم التي أعاقته عن أن يتدرب على صد ضربات الرياح، هي التي سبق وأعدته لكي يسقط مباشرةً على الأرض.

إذن فالغنى يضر بالأكثر، لأنه يجعل البشر غير مُستعدين لتقلبات الحياة. لذلك لنُعِد أولادنا هكذا، حتى يستطيعوا أن يتحملوا كل شيء، ولا يتفاجأوا بما هو آتٍ. دعونا نربيهم بتأديب الرب وإنذاره، وستنتظرنا مكافآت كثيرة لأنه وإن كان البشر الذين يصنعون تماثيل للملوك ويرسمون صورًا، ينالوا كل هذه الكرامة الكبيرة، ألا نتمتع نحن بخيرات لا حصر لها، خاصةً أننا نجعل الصورة الملوكية تظهر في بهاءها (لأن الإنسان خُلق بحسب صورة الله)، طالما أننا مخلوقين بحسب المثال؟ لأن معني المثال، هو فضيلة النفس، عندما نرُبي أولادنا كي يكونوا صالحين، ولا يغضبوا، وأن يكونوا مُتسامحين، كل هذه هي صفات الله، عندما نربي أولادنا أن يُحسنوا إلى الغير، وأن يُحبوا الناس ويحتقروا أمور العالم الحاضر. إذن فليكن هذا هو عملنا، أن نعتاد على ممارسة كل ما هو لائق. لأنه بأي جرأة ودالة سنقف أمام عرش المسيح؟ لأنه إن كان ذاك الذي لديه أولاد غير مُطيعين لا يستحق رتبة الأسقفية، فكم بالحري سيكون غير مُستحق لملكوت الله. ماذا تقول؟ وإن كانت الزوجة والأولاد عبثيين أو فاسدين، فهل نستطيع أن نُعطي حسابًا أو نقدم مُبررًا لهذا؟ بالطبع سنُقدم حسابًا، إن لم نقم بتقديم ما ينبغي علينا القيام به بكل دقة، لأن ممارسة الفضيلة ليست كافية، لأجل تتميم خلاصنا. لأنه إن كان الذي لم يستخدم الوزنة لم يربح شيئًا، بل عُوقب بحسب هذه الطريقة، فمن الواضح أن ممارسة الفضيلة ليست كافية لتتميم الخلاص، بل يجب أن نعتني ونهتم بفضيلة الآخر.

إذن لنهتم جدًا بزوجاتنا وبأولادنا وخدامنا، وأنفسنا، لكي نُصحح ونصلح من أنفسنا ونصلح أولئك أيضًا، ولنترجي الله حتى يُعيننا على هذا العمل. فإن رآنا لا نهتم قط بالآخر فلن يمد لنا يده. لأن الله لا يُقدم لنا عونه، عندما نتراخي وننام، بل عندما نتعب ونُجهد أنفسنا. فالعون لن يُعطي لمن يبقي عاطلاً، بل لمن يعمل. لأن الله

الصالح وحده له القدرة أن ينجز العمل ويكمله، حتى نكون جميعًا مستحقين أن ننال الخيرات التي وعدنا بها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة الثانية والعشرون: (أفسس٦:٥-١٣)

"أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ. عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا." (أف٦: ٥ـــ٨).

١ـ إن ما يقوله الرسول بولس هنا، هو الآتي: أن الأمر لا يتعلق فقط بالرجل والمرأة والأولاد، بل أيضًا بفضيلة العبيد التي هي بمثابة جزء من تكوين وحفظ الوقار الظاهر للبيت. ومن أجل هذا لم يتكلم بإستفاضة عن هؤلاء، بل تطرق لهم في الختام، لأنه من حيث المكانة فهم يأتون في آخر القائمة. تكلّم كثيرًا عنهم، ولكن ليس بقدر كلامه عن الأولاد، الذين نالوا قسطًا أوفر في كلامه. أما بالنسبة للعبيد فهو لم يُعط وعدًا فيما يختص بالحياة الحاضرة، بل أن الوعد يختص بالحياة المستقبلية. يقول: "عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدًا كان أم حرًا"

وبالفعل هو يُعلّم هؤلاء أن يسلكوا بحكمة لأنه إن كانوا من حيث الرتبة هم أدني من الأولاد، إلا أنهم أسمي من حيث الفكر والنضوج. يقول

"أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد" (أف٦: ٥).

إنه يُقيم نفوسهم الحزينة على الفور، ويُعزيهم بشكل مباشر. يقول لا تحزن لأنك وُجدت في مكانة أقل من المرأة ومن الأولاد. العبودية هنا هي فقط بحسب الأسم[411]. السلطة للسيد هي حسب الجسد، وهى مؤقته وسريعة، هكذا فالإنسان

[411] هنا يضع الرسول بولس مسألة التغيير الداخلي والرسالة الروحية في المقام الأول، فعندما تتذوق النفوس الحياة الجديدة تتعامل مع العبيد على أنهم أخوة لهم في المسيح. وتتلاشى مسألة العبودية كمشكلة إجتماعية، لأن الإنسان عندما يصبح مسيحيًا يصبح كل الناس أخوة له.

الذي يسلك حسب الجسد يعتبر إنسانًا دُنيويًا ومحدود بالزمن. يقول "**بخوفٍ ورعدةٍ**". أرايت كيف أنه لا يطلب من المرأة ومن العبيد، الخوف ذاته؟ لأنه إكتفى بالقول "أما المرأة فلتهب رجلها"[٤١٢]، ولكنه هنا يُشدّد قائلاً "**بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح**". هذا ما يكرره دائمًا.

ماذا تقول أيها المطوب بولس؟ إن العبد يعتبر أخ، وقد تمتع بنفس الخيرات (السمائية)، كما أنه عضو في الجسد (جسد المسيح)، وقد صار أخًا ليس فقط لسيده، بل وأيضًا لإبن الله، فكيف يقول بعد ذلك: "أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدةٍ؟" لأنه كان يُحث الأحرار أن يخضع الواحد للآخر في خوف الله، كما قال سابقًا "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله"[٤١٣]، وإن كان يوصي المرأة أن تهب رجلها، بالرغم من أنها مساوية له، فبالأكثر جدًا يوصي العبيد. لأن الأمر لا يتعلق بالأصل الوضيع، بل إن أصل النبل، هو أن يعرف العبد أن يكون الأقل، وأن يكون متواضعًا، يتنازل للغني ويسامحه. وليعمل العبيد لدي الأحرار بخوفٍ شديدٍ ورعدةٍ. يقول "في بساطة قلوبكم". وحسنًا قال هذا، لأنه من الممكن أن يخدموا بخوف ورعدة، ولكن ليس بصدقٍ، لأن هناك عبيد كثيرون يُسببون خِفية ضررًا فادحًا لسيدهم، إذن فهو يرفع هذا الجُرم، قائلاً:

" **لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ" (أف٦ :٦ــ٧).**

أرايت كيف كانت هناك حاجة ماسة دفعت الرسول بولس أن يقول هذا، حتى يغرس فيهم هذا الصلاح. وهل يقصد بكلمة "بنية" هنا من كل النفس؟ لأننا نري كثيرين يقدمون لأسيادهم الخدمة "بخوفٍ ورعدةٍ"، أي أن هناك أمورًا كثيرة تساهم في تقديم الخدمة هكذا، مثل تهديد السيد لهم. لكنه أكّد على أنه

[٤١٢] أف٥:٣٣.
[٤١٣] أف٥:٢١.



عندما يخدم العبد، يخدم كعبد للمسيح، وليس كعبد للإنسان، فلتجعل ما تحققه من إنجازات كأنها تغنيك أنت، وليست مفروضه عليك بالإجبار. تمامًا مثلما يُقنع ذاك الذي عانى معاملة سيئة من شخص آخر، بأن ما يقوم به من عمل لا يتوقف على معاملة هذا الشخص، بل يُؤدَى وكأنه يخصه هو، وأن هذا العمل يتم بنيِّةٍ صالحة، هكذا بالضبط يُعلم العبد هنا. إذن فذاك الذي لطم خد شخص ما، لم يفعل هذا مدفوعًا من فكر ذاك الذي لُطم، بل مدفوعًا من شروره هو، فماذا يقول الكتاب؟ يقول "حَوِّل له الآخر"[٤١٤]، لكي تُبرهن أنك قَبلِت هذه اللطمة بإرادتك، لأن ذاك الذي لقي معاملة سيئة متكررة، لا يرجع السبب إليه هو، فموقفه هو الذي جعله يُلطَم على الخد الآخر، دون أن يتوقع اللطمة على أحد الخدين. إذن لتبرهن على أنك إحتملت بسبب حكمتك. وبناء على ذلك يجب أن تثبت هنا أيضًا، إنك تحتمل وتقبل هذه العبودية بإرادتك، وليس كمن يُرضي الناس. وعليه فإن مثل هذا العبد (الذي يُرضى الناس)، ليس عبدًا للمسيح، بل الذي هو عبد للمسيح لا يفعل هذا، لكي يُرضي الناس. لأنه مَنْ ذا الذي يعتبر عبدًا لله، ويشتهي أن يُرضي الناس؟ ومَنْ ذا الذي يرغب في أن يرضي الناس، ويمكنه أن يكون عبدًا لله؟ يقول "**خادمين بنية صالحة**"، حسنًا تكلّمْ بهذا. لأنه من الممكن أن يعمل ببساطة، وليس بسوء، لكن ليس بكل قدراته، بل إنه فقط يُتمم ما عليه من إلتزاماتٍ، ومن أجل هذا يقول إعملوا برغبة صادقة، لا عن إضطرار، وبنيِّةٍ صالحة، وليس بإجبار وقسوة. إن خدمت بهذه الطريقة، فلن تكون بعد عبدًا، بل تكون قد إشتغلت بنية صالحة، وبصدق، ومن كل نفسك لأجل المسيح، لأن الرسول بولس وهو حُر، خضع لهذه العبودية، وصرخ قائلاً "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربًا ولكن بأنفسنا عبيدًا لكم من أجل يسوع"[٤١٥].

---

[٤١٤] مت٥:٩.

[٤١٥] ٢كو ٤:٥.

٢ـ لاحظ كيف أنه ينزع منك الجذر السيي للعبودية لأنه تمامًا مثل ذاك الذي نهبوا أمواله، فإن كان بعد يُعطي مالاً للسارق بإرادته، فإنه لا ينتسب للمسلوب منهم، بل إلى أعزاء النفس الكرماء، وليس لأولئك الذين تعرّضوا لمعاملة سيئة، بل للذين يفعلون حسنًا، إذ هم يمنحون مما لهم طواعيةً، وهم بهذا الفعل يُدينونك، بل ولن يُهانوا حين يسلبون منهم مال. هكذا هنا أيضًا ستظهر عظمة النفس أكثر من خلال سخائها وكرمها، وستُثبت أنها غير مُكترثة للسلب ولا تُفكر فيه، وسوف تدين ذلك الشخص المُسيء. فلنعمل لدي السادة، كأننا نعمل لدي المسيح. يقول:

"عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا" (أف٦ :٨).

إذن لأنه كان من الطبيعي أن لا يستحي كثير من السادة غير المؤمنين، فلا يُكافئوا العبيد المطيعين، لاحظ كيف ينصح هؤلاء، حتى لا تكون المكافأة مَفروضه، بل تكون المكافأة ناتجه عن ثقة في عمل هؤلاء العبيد. فكما أن أولئك الذين نالوا الإحسان، لا يقومون بمكافأة أو شكر أولئك الذين قدموا الإحسان، فإنهم يجعلون الله مدينًا لهؤلاء، هكذا تمامًا هم السادة إن فعلت بهم خيرًا ولم يكافئوك، فإنهم يجعلون الله مدينًا لك، وهو سيكافئك أكثر.

يقول "وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هذِهِ الأُمُورَ" (أف٦ :٩).

يقول **"هذه الأمور"**، ما هي هذه الأمور؟ أن تعملوا بنيَّةٍ صالحة. لكنه لم يقل "لتعملوا"، وإن كان بالطبع يقول "هذه الأمور"، فهذا ما أعلنه، لأن السيد أيضًا يعمل. يقول لا كمَنْ يُرضي الناس، وأن يكون هذا العمل بخوف ورعدة، هذا هو ما أنتم مدينون به أمام الله، وأن تخشوا لئلا يدينكم الله مرةً بسبب إهمالكم للعبيد. **"تاركين التهديد"**. أي لا تكونوا مزعجين وباعثين على الغم. **"عالمين أن سيدكم أنتم أيضًا في السموات"**. ياللهذه الألغاز التي يتكلم بها! كيف يُخيفهم ! أي أنه يقول لهم، بهذا الكيل الذي تكيلون به لغيركم سيكال لكم أيضًا. ألم



تسمع ما قاله السيد: "أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك"[٤١٦]. يقول لا تعتقد أن ما حدث من العبد تجاه رفيقه، سيلقي مسامحة أو صفحًا. لأن القوانين الدنيوية تعترف بهذا التمييز بين البشر، لأنها هي تحديدًا قوانين عالمية، أما القانون الإلهي فلا يعرف أي تمييز في أي شيء، لأنه يُنعم على الجميع معًا، ويُعطي الجميع نفس الخيرات.

وإن أراد أحد أن يسأل من أين أتت العبودية، ولماذا إخترقت حياة الإنسان (أعرف أن كثيرين يسألون عن هذه الأمور ببساطة ويرغبون أن يعرفوها)، وأنا سأقول لكم إن العبودية هي نتاج الطمع، والقسوة، والجشع، لأن نوح لم يكن لديه عبيدًا، ولا هابيل، ولا شيث، ولا الذين أتوا بعد هؤلاء. الخطية هي التي أفرزت العبودية، وتباهي وتكبر الأبناء على الأباء، فليسمع الأولاد، لأنهم يستحقوا أن يكونوا عبيدًا لوالديهم، لا جاحدين لهم. إن الإنسان وحده هو الذي ينزع عن نفسه اللياقة والأدب، لأن من يُهين والده، ليس بعد إبنًا له. وإن كان الذي يُهين والده، ليس بعد إبنًا له، فإن مَن يُهين أبانا الحقيقي، كيف يكون إبنًا له؟ إنه يتخطَّى كل حدود اللياقة والأدب، صار مُهينًا للطبيعة. وعلى صعيد آخر فإن الحروب والمعارك، قد تُخلّف وراءها أسرى. وقد يقول قائل إن إبراهيم كان لديه عبيدًا، نعم كان لديه، ولكنه لم يكن يُعاملهم كعبيد. لاحظ كيف يضع الرسول بولس ويحمل كل شيء على الرأس (الرجل)، الذي هو رأس المرأة، لكي يُقدم لها المحبة، أما بالنسبة للأبناء فيقول "ربوهم بتأديب الرب وإنذاره"، ومن جهة العبيد يقول للسادة "عالمين أن سيدكم أنتم أيضًا في السموات".

هكذا أنتم كعبيد، فلتصيروا مُحبين للآخرين، وتقدموا لهم الصفح، لكن إن أردتم أن تسمعوا، فسنتكلم نفس الكلام تجاه العبيد، والذي تكلّمنا به فيما سبق من جهة الأولاد. لتعلّموهم أن يصيروا ورعين وأتقياء، وكل الأمور الأخرى ستتبعها. لكن اليوم يَحرص البعض على الذهاب إلى المسرح، مُصطحبًا معه كل

---

[٤١٦] مت١٨: ٣٢.

الأولاد، لكنه لا يأخذهم إلى الكنيسة، ولا يُلزمهم أن يحضروا ويسمعوا (كلمة الله). فكيف إذن سيسمعك العبد، عندما تكون وأنت السيد لا تهتم بآخرين؟ هل إشتريت ذلك العبد، هل صرت سيدًا له؟ عليك أن تأمره أولاً بأن يفعل تلك الأمور التي هي مرضية أمام الله، حتى يكون مترائف تجاه العبيد رفقائه، وأن تتحدث بإستمرار عن الفضيلة. فبيت كل واحد هو مدينة، كل واحد هو قائد لبيته، ومن جهة أن بيت الأغنياء هو مدينة، فهذا واضح تمامًا، نظرًا لأن بها العديد من الحدائق والبساتين، وأيضًا الكثير من السادة. بل وأنا أقول إن بيت الفقراء أيضًا يُعد مدينة، لأنه يوجد به أيضًا سيادة. على سبيل المثال الرجل رأس المرأة، والمرأة تسود على العبيد، ومن ناحية أخري فإن الرجل والمرأة يسودان على الأولاد. إذن ألا يتضح لك أنه لو كان هناك ملك ما، ويوجد تحت سلطانه قادة وولاة كثيرون، ألا ينبغي أن يكون هو الأكثر تدبيرًا، وتواصلاً على المستوي الإجتماعي من الجميع؟ لأن ذاك الذي يعرف أن يقود هؤلاء بطرق مختلفة، يعرف أيضًا كيف يُدبر القادة ذوي القدرات الخاصة. وبالطبع سيُشرف على المتميزين، ويراقب أداءهم. إن المرأة تعتبر في البيت بكل تأكيد مثل ملك بدون تاج، ومن يعرف أن يقود مملكته، سيُدبر كل الأشياء الأخرى حسنًا.

ثم يقول: "أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ" (أف٦: ١٠).

عندما يوشك الرسول بولس على إنهاء الحديث يستخدم دائمًا هذا الطريقة.

٣- ألم أقل عن حق منذ البداية، أن بيت كل واحد، هو بمثابة معسكر كامل؟ لأنه بعدما نَظَمَ كل السلطات، نجده فيما بعد يُسلحهم جيدًا، ثم يقودهم للحرب. فإن لم يسلب أحد سلطة الآخر، بل كل واحد يبقي في رتبته، فإن كل شيء سيُدار بشكل مُتميز يقول: "تقووا في الرب وفي شدة قوته". أي أنه يترجي معونة الله. ونظرًا لأنه يطلب أكثر مما ينبغي أن يكون، فإنه يقول لا تخافوا وليكن رجاءكم في الرب، وكل شيء سيحققه في هدوءٍ وسلام.



"الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ" (أف ٦: ١١).

لم يقل أن تثبتوا في المعارك أو في الحروب، بل قال "ضد مكايد". فإن العدو (أي أبليس)، لا يحاربنا هكذا ببساطة، أو صراحةً، بل بمكايد. ماذا يعني بكلمة "مكايد"؟ يعني تضليّل، وإسقاط البعض عن طريق البدع، وهو الأمر الذي يحدث في حالة المكائد، سواء بالكلام أو بالعمل، أي مكائد في المصارعة بالنسبة للذين يخدعوننا. أشرح ماذا أعني، إن الرسول بولس لا يُظهر قط الخطايا بشكل علني، ولا يتكلم عن عبادة الأوثان، بل يقدم هذا بشكل مختلف، مستخدمًا كلمة المكائد (أي الخداع).

إذن فهو يستنفر بالفعل هِمة الجنود، لكي يجعلهم هادئين غير مضطربين، بأن يقنعهم ويُعلمهم أن معركتنا هي ضد خبير في الحروب يُحارب بشراسة، وبشكل غير مُعلن، وبمكائد كثيرة. فهو يُهيء التلاميذ لكي يكونوا مستعدين دومًا، أولاً بسبب الطبيعة (أي طبيعة إبليس)، وبسبب العدد (عدد أعوانه). أيضًا تكلّم عن السفسطة، وأعَدَّهم ليكونوا يقظين، لأنه أراد لهم ليس فقط أن يهزموا أجنادًا مُصطفين تحت سلطان أبليس، بل أن يُثير فيهم رغبة الإستعداد الدائم لمواجهة مثل هذا العدو. ولكن إن كان قد أنهي حديثه عند هذه النقطة، مشيرًا فقط إلى قوة أجناد الشر الروحية، فهو يُريد أن يقول إنهم قد هزموا رغم هذه القوة، ولكن إن كان قبل هذا وبعده، يُبرهن على أنه من الممكن أن يهزموا هذا العدد، فإنه يُثير فيهم حماس الإستعداد أكثر للحرب. لأنه بقدر وضوح الإعلان عن قوة خصومنا أو اعدائنا، بقدر ما يجعل جنودنا يشعرون بأهميتهم وبمسئوليتهم الكبيرة.

يقول: "فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ ولَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أف ٦: ١٢).

وبعدما أرشدهم إلى نوعية المعركة، نجده بعد ذلك يَلفت الإنتباه إلى المكافآت التي سينالونها. ماذا إذن؟ فبعدما قال إن أعداءنا أقوياء. أضاف إنهم يرغبون في ان ينزعوا منّا خيرات عظيمة. ما هي هذه الخيرات؟ تتضح في هدف المعركة التي تقع في السماويات، فهي ليست من أجل المال، ولا من أجل المجد، بل هي معركة خاصة بالعبودية. إن العدواة تصبح أكثر شدة، والتشاحن يصير أكثر عنفاً، عندما تكون المعركة لأجل الخيرات العظيمة. لأن عبارة "في السماويات"، هي بدلاً من "من أجل السماويات". لا لكي ينال هؤلاء مكافأت ما، لأنهم إنتصروا علينا، بل لكي يحرموننا منها، وكأنه قد قال إن الحالة الماثلة مرتبطة تمامًا بشيء، وهو أن كلمة "في" «εν»، تعني من أجل (υπέρ) أو (διά). لاحظ كيف أنه يُظهر لنا قوة العدو، ويجعلنا حذرين، فالمعرفة، والخطر، والإنتصار، هو من أجل الخيرات العظيمة، فهو يُعاني ويصارع لكي يطردنا من السماء. لكن عن أي رؤساء، وسلاطين، وولاه العالم، وظلمة هذا الدهر يتحدث؟ وأي ظلمة يقصد؟ هل هي ظلمة الليل، لا على الإطلاق، بل هو يتحدث عن ظلمة الشر، لأني عرفت ذات مرة، هكذا يقول، ظلمة الشر التي تسود في هذه الحياة الحاضرة. وهي لن تسود ولن يكون لها مكان في السماء، ولا في الأبدية. ويدعو هؤلاء "ولاة العالم"، لا لانهم سادة العالم، بل لأنهم وراء الأعمال الشريرة التي في العالم. لأن الكتاب يدعو الأعمال الشريرة بالعالم، كما يقول المسيح: "ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم"[٤١٧]. إذن هل لم يكن من العالم؟ ألم يأخذ جسدًا؟ ألم يكن من

[٤١٧] يو ١٧: ١٦.

أناس هذا العالم؟ وأيضًا "لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يُبغضني"[418]. هكذا أيضًا يدعو الأعمال الشريرة بالعالم. أو يدعو الناس الأشرار بالعالم، لأن الشياطين يتسلطون بالأكثر على هؤلاء الناس. يقول: "مع الرؤساء والسلاطين.. مع أجناد الشر الروحية". هنا هو يتكلم عن رؤساء، وقوات.

يقول: "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شيء أَنْ تَثْبُتُوا" (أف٦:١٣).

يدعو الحياة الحاضرة، باليوم الشرير، والحاضر، بالدهر الشرير (ظلمة هذا الدهر)، وذلك بسبب الشرور التي تحدث فيه، وأيضًا " يجب أن تكونوا مُسلحين على الدوام. يقول " **وبعد أن تُتمموا كل شيء**" أي الإنتصار على الشهوات، والرغبات غير المقبولة، وكل تلك الأمور التي تُثير لدينا الإنزعاج. لم يقل فقط " بعد أن تُتمموا"، بل قال "بعد أن تُتمموا كل شيء"، ليس فقط أن تنتصروا، بل أن تثبتوا بعد الأنتصار. لأن كثيرين بعدما حققوا هذا الإنتصار، سقطوا أيضًا. يقول: "بعد أن تُتمموا كل شيء". يجب أن لا تقولوا لهذا نعم، ولذلك لا، لأن هناك ضرورة أن تثبتوا في أماكنكم بعد الإنتصار. لقد جُرحوا ذات مرة، إلا أن تلك الأعضاء التي أُصيبت قد عادت للحياة مرة أخرى، بالفعل هذه التي سقطت قد قامت. فيجب أن نكون ثابتين، وعندئذٍ سيسقط العدو ولن يقوم، ولن نكون متزعزين بعد ذلك، فلنلبس إذن سلاح الله الكامل.

٤ـ أرايت كيف طرد الخوف؟ فإن كنت تقدر على أن تتمم كل شيء، وأن تثبت، فلماذا تتجنب المعركة؟ فلتثبت إذن عندما تتمم كل شيء، وستنتصر. وأرجو أن لا تتشكك أو تتحير، لأنه تكلم كثيرًا عن قوة الأعداء. لأنه وهو يتكلم عن هذه الأمور، لا يقصد أن يُثير أيَّة حيرة أو خوف، بل ما يهدف إليه هو أن ينفض عنهم الكسل. يقول: " **لكي تقدروا أن تُقاموا في اليوم الشرير**". إنه يُعزيهم في هذا

---

[418] يو٧:٧.

الوقت. إنه الوقت الذي يجب أن يثبتوا فيه، حتى لا ينهزموا بعد المعركة. إذن فإن كانت هناك حروب، وقوات، وإن كان الرؤساء غير جسدانيين، وإن كان هناك ولاة العالم، وأجناد الشر الروحية، أخبرني، كيف ستحيا حياة هانئة؟ وكيف تقضي حياتك في ترف وإسراف؟ كيف يمكننا أن ننتصر ونحن غير مسلحين؟ فليقل كل واحد لنفسه هذا الكلام كل يوم، حين يسود عليه الغضب، وشهوة الأمور المادية، ويطلب اللذة، ويسعي في أثر هذه الحياة الباطلة. فليستمع للمطوب بولس الذي يقول: "فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع رؤساء مع السلاطين". هذه الحرب هي أكثر صعوبة من الحرب المادية، فالمعركة عنيفة. عليك أن تُدرك كم من الزمن يصارع ذاك، ومَن يصارع، فلتحمل سلاح الله، حتى تُؤّمن نفسك (من سهام العدو).

إن البعض من الكسالي الخاملين يتكلمون بأمور غير مقبولة، قائلين: لكن يجب أن يرحل الشيطان من وسطنا، وحينئذًا سيخلص الجميع.

ينبغي أن أشكرك أيها الإنسان لأنك تستطيع أن تنتصر على هذا المقاوم، إن أردت مثلي، وتغضب حين تسمع كلام جندي كسول ومتوانٍ، وغافل. فإن رغبت أن تعرف الدوافع، فلتحذر وحصّن نفسك من كل النواحي. لأن الحرب ليست ضد الشيطان، بل أيضًا ضد قواته. إذن كيف يقول إننا سنواجه الظلمة؟ عندما نصير نورًا. وكيف سنواجه اجناد الشر الروحية؟ حين نكتمل في الفضيلة التي نسعي إلى تحقيقها. لأن الشر ضد الخير، والنور يُلاشي الظلمة. فإن كنّا نحن أنفسنا ظلمة، فسنسقط في كل الأحوال في أيدي العدو. إذن كيف سنصبح غالبين أو منتصرين على أجناد الشر الروحية؟ إن أدركنا أننا نحارب ونُصارع ليس مع لحم ودم،وأن أصبحنا نُواجههم هكذا على المستوي الروحي، وبهذه الطريقة سننتصر عليهم. ولأنه كان من الطبيعي أن يُطرَّد هؤلاء (المنحرفين) من قِبل كثيرين، فلا تعتقد أنهم يحاربوننا بمفردهم، بل أن الذين يحاربوننا هم الشياطين التي تعمل في هؤلاء.

فالذي يجب محاربته هو إبليس وأعوانه. هكذا يتحقق أمران من هذا: أولاً يجعل هؤلاء (المؤمنين) أكثر استعداد في مواجهة أولئك الذين يحاربونهم، ثانيًا يُشعل الغضب تجاههم.

لماذا إذن صارت لدينا إمكانية الدخول في حرب ضد أجناد الشر الروحية؟ لأن لدينا الآن حليفًا، إنها نعمة الروح القدس، التي تُعلّمنا هذا الفن، حتى يُمكننا أن نُصارع، ولكن نظرًا لأننا بالطبع نُريد مقاومة عدو الخير، لذلك أصبح هناك صراع. لأن قوة الروح القدس الذي يسكن فينا هي عظيمة جدًا بهذا القدر، خاصة وأن الكتاب يقول: " ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو"[٤١٩]. لقد أعطانا سلطانًا أن نُصارع، ولكن لأننا متوانيين، فإننا نُصارع ضد بشر. ومن حيث أن القديس بولس لم يصارع بشر، فإسمع ماذا يقول: " مَن سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف"[٤٢٠] أيضًا إسمعه وهو يقول " وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا"[٤٢١]. بالطبع كان الشيطان يخضع له، لذلك قال "أنا أمرك بإسم يسوع المسيح أن تخرج منها"[٤٢٢]. ولكن هذه السمات ليست سمات مَن يُصارع. لأن الذي يُصارع هو لم ينتصر بعد، وأن من إنتصر لا يُصارع بعد. لقد أخضع الشيطان، وأسره تمامًا. وبطرس أيضًا لم يصارع ضد الشيطان، بل ما هو أفضل من الصراع، هذا قد فعله. إذ أن كثيرين من المؤمنين، المطيعين، والموعوظين الذين كانوا حوله، هؤلاء كانوا أسمي منه. لذلك قال المطوب بولس "لأننا لا نجهل أفكاره"[٤٢٣]. ولهذا غلبه وتفوق عليه تمامًا. أيضًا إسمع الرسول بولس وهو يقول "فليس عظيمًا و(غريبًا) إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر"[٤٢٤]. هكذا كان

[٤١٩] لو ١٠:١٩.
[٤٢٠] رو ٨:٣٥.
[٤٢١] رو ١٦:٢٠.
[٤٢٢] أع ١٦:١٨.
[٤٢٣] ٢كو ٢:١١.
[٤٢٤] ٢كو ١١:١٥.

يعرف تفاصيل المعركة كافة، ولم يفلت شيء من إنتباهه وإهتمامه. وأيضًا يقول " لأن سر الأثم الآن يعمل"[425]. لكن الصراع مُوَجَّه لنا. إسمعه أيضًا وهو يقول " فإني مُتيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ولا علو ولا عمق ولا خليقة آخري تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي هي في المسيح يسوع ربنا"[426]. لم يقل فقط "عن المسيح" بل قال "عن محبة الله التي في المسيح". لأن كثيرين مُحتذين بالمسيح ظاهريًا لكنهم لا يحبون المسيح، ليس فقط بل إن البعض يقول، لن تُكرهني على أن أرفضه، بل ولا حتى أنه أحبه قليلاً. لكن إن كانت القوات السمائية ليس في إستطاعتها أن تنجح في ذلك، فمن سواه سيُبعد هذا المخادع؟ ليس لأن أولئك شرعوا في ذلك، فهو لم يتكلم في هذه الأمور، ومن أجل هذا قال "فإني مُتيقن". إذن فهو لم يُصارع، لكنه يخشى مكره وخداعه. إسمعه عندما يقول "لكنني أخاف كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح"[427]. وقد يقول قائل، نعم، لكنه إستخدم ذات الفعل «φοβοῦμαι» أي أخاف، كذلك يقول (أخاف) "بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا"[428]. إذن كيف تكون مُتيقنًا، بإنه لا أحد سيفصلك (عن محبة المسيح)؟

٥. أرايت أن الحديث يُعلن عن الإتضاع والخشوع؟ بالفعل كان القديس بولس يُقيم في السماء، ولذلك قال "لستُ أحكم في نفسي"[429]، وأيضًا "أكملت السعي"[430]. ولم يستطع الشيطان أن يعوقه عن هذه الأمور، بل ولا عما يتعلق بموضوعات التلاميذ. ماذا إذن؟ لأنه لم يكن فقط هو سَيِّدًا لهؤلاء، بل وسيد على

[425] ٢كو ٢: ٧.
[426] رو ٨: ٣٨_٣٩.
[427] ٢كو ١١: ٣.
[428] كو ٩: ٢٧.
[429] ١كو ٤: ٣.
[430] ٢تيمو ٤: ٧.

إرادتهم. ربما يكون ذاك ذات مرة سيدًا، وربما لم يكن هناك سيد أو مسيطر، بل أن كسل هؤلاء هو ما جعله هكذا، هؤلاء الذين لم يكونوا حذرين لأنه إن لم يكن ـ بولس ـ قد أتم رسالته وما عليه من واجبات، بسبب التواني أو الكسل، أو لأي سببٍ آخر، لكان هذا مدعاه لأن يسود ويسيطر عليهم، وإن كان (بولس) قد فعل كل شيء، لكن هؤلاء لم يقتنعوا، فإن عدم قناعة هؤلاء (هي التي جعلته يسود عليهم). فالمريض لا يتفوق على الطبيب، بل وَهَن المريض (هو الذي يجعله في حالة ضعف). فعندما فعل (بولس) كل ما كان ينبغي فعله، بدأ الشيطان يُدمر كل شيء، فقد أصبح مهزومًا، وليس (بولس). حتى أنه لم يتفوق في أي موضع على القديس بولس.

أن نجاهد إذن فهذا ما نرغب في تحقيقة، إلا أنه في رسالته إلى أهل رومية لم يترجَّ هذا، فماذا ترجَّي؟ قال: "إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا"[٤٣١] هذا ما ترجاه لهؤلاء، يقول أيضًا "القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًا مما نطلب أو نفكر"[٤٣٢].

ذاك الذي يُجاهد، وهو لازال تحت سيطرة الخطية، هذا أيضًا محبوب، ونسعى ألا يسقط. وسيكون إنتصاره بهيًا ومشرقًا، عندما نخلصه من هذا الصراع. ولنفترض مثلاً أن هناك شهوة شريرة تُحاربنا، فيجب علينا ألا نقبلها، بل وأن نمحوها وهذا هو ما يُثير الإعجاب، لكن إن لم يكن هذا ممكنًا، فعلى الأقل لنُجاهد حتى نُسيطر عليها دومًا، فإن جاهدنا فسنطرد الخطية، وبهذا نكون قد إنتصرنا، هنا يختلف الأمر عما يحدث بالنسبة للرياضيين المتنافسين، إذ أنه في حالة المنافسه إن لم تتفوق على الخصم، فلا تكون قد إنتصرت، أما هنا (في حالة الجهاد ضد الخطية)، إن لم يتغلب عليك الخصم، تكون قد إنتصرت وهذا أمر مُبرر ومنطقي، لأنه في حالة المتسابقين فإن الأثنين يُجاهدان من أجل إحراز النصر،

---

[٤٣١] رو١٦: ٢٠.

[٤٣٢] أف٣: ٢٠

فإن هُزم أحدُهما ، فإن الآخر يُتوَّج. لكن هنا (في حالة الجهاد ضد الخطية)، فلا يحدث شيء مثل هذا ، بل إن الشيطان يبذل محاولات مُضنيةً حتى يتمكن من هزيمتنا. إذن فعندما أَنتزع منه هذا الهدف الذي من أجله يبذل قصاري جهده، فأكون قد إنتصرت، لأن الشيطان لا يتعجل الإنتصار، بل يتأني لكي ينتصر إنتصارًا تامًا. لقد هُزم (الشيطان) بالفعل، لأنه غُلِب وهو قائم في الهلاك. إن الشيطان لا يهدف من إنتصاره أن يُتوج، بل أن يُهلكني. وبناء على ذلك فإنني إن لم أغلب، ولم أُهزم، فأكون قد إنتصرت. إذن ما هي عظمة الإنتصار؟ أن ندوس على الشيطان، لأجل الميراث (الأبدي)، هذا ما فعله الرسول بولس، معتبرًا أن أمور العالم الحاضر ليس لها أية قيمة. فلنتمثل نحن أيضًا به، ولنسعى أن نكون في وضع أسمى وأفضل، وألا نعطي للشيطان دافعًا لكي يُسقطنا.

الغني، والمال، والمجد الباطل، أشياء تُعطي دافعًا للشيطان لاسقاطنا، وكثيرًا ما تُوقظه هذه الأمور وتُثيره، ولكن لماذا الإحتياج إلى أن نُصارع؟ لماذا نضطر إلى الإشتباك؟ ذاك الذي يتشابك مع الآخر، تكون نهايته غير مؤكَّدة، فمَنْ مِن الأثنين لن تُصيبه الهزيمة، وهذا أيضًا سيقع في يد خصمه. أما الذي يدوس على الخطية يكون إنتصاره مؤكدًا. إذن فَلْندُسْ على الخطية، وأعني كل ما هو مرتبط بالأمور الحياتيه، الغضب، الشهوة، التباهي والإفتخار، وكل الشهوات الأخري، حتى لا نكون إن لم نحفظ السلطان الذي أعطاه لنا الله خائنين للعهد، لأنه بهذه الطريقة فقط سننال الخيرات المستقبلية لكن إن صرنا غير أمناء فيما يتعلق بهذا الأمر، فمن سيستأمنا على ما هو أسمى؟ لأنه إن لم نستطع أن ندوس المعاند، المأسور، والمُحتقَر، الذي هو تحت أقدامنا، فكيف سيُعطينا الآب كل ما له؟ فإن لم ننتصر على مَنْ هو خاضع هكذا، فإية جرأة ودالة ستكون لنا عندما نأتي إلى البيت الأبوي؟ أخبرني إن كان لديك إبنًا، وهذا الإبن بعدما هجر العبيد الحافظين للمعروف، وكوّن لنفسه علاقة وعشرة مع الذين أحزنوه، الذين طُردوا



من البيت الأبوي، وإنشغلوا بلعب النرد، وفعل هذا حتى النهاية، ألا يحرمه أبوه من الميراث؟ من الواضح أنه سيفعل هذا.

هكذا نحن أيضًا، إن خالطنا أو أرتبطنا بالشيطان، بعدما نكون قد هجرنا الملائكة المتوافقين معنا، وفي خدمتنا، فإننا على كل الأحوال سنُحرم من الميراث. لكن هذا لن يحدث لأننا حين نتعهد الحرب ضد الشيطان، وننتصر عليه بالمعونة التي تأتينا من السماء، نصير ورثة لملكوت السموات. فإن كان هناك مَن هو عدو لآخر، وإن كان قد ظلم هذا الآخر، وكان أحد متوحشًا أو قاسيًا في سلوكه، فيجب على هذا المظلوم أن يُجّمع كل هذا السخط وكل هذا الغضب، ويُلقيه فوق رأس الشيطان. هنا يصبح السخط شيئًا حسنًا، ومفيدًا، هنا يكون عدم نسيان الإساءة شيئًا صالحًا. وبناء على ذلك إن كان لديك نقائص، فلتنزعها عنك فإنك تستطيع أنت نفسك أن تُبعدها عنك. هل تآمر عليك أحد؟ لتصبح حافظًا للإساءة ضد الشيطان. ولا تُبدد أبدًا هذه العداوة ضد الشيطان. وأيضًا ألم يتآمر عليك؟ لتكون أنت أيضًا حافظًا للإساءة، لأنه أهان سيدك، ولتُحاربه، لأنه يُحارب الأخوة ويحاول أن يهلكهم.

فلتكن دائمًا عدوًا له، عليك أن تجعله في حالة مرارة، ولتكن دائمًا قاسيًا في مواجهته، هكذا سيكون (الشيطان) ذليلاً للغاية، محتقرًا إلى أقصى حد، وخاضعًا جدًا. فإن كنا نحن قساة تجاه الشيطان، فلن يكون قاسيًا علينا، وإن كنا نحن مترفقين عليه، عندئذٍ سيكون هو قاسيًا. إنه عدو، ويحارب بإستمرار راغبًا أن يُفسد علينا حياتنا، وخلاصنا بل حياته وخلاصه أيضًا. فإن كان لا يُحب نفسه، فكيف سيُمكنه أن يحبنا نحن؟ فلنصطّف إذن ولنوجه له ضربه قوية، واثقين أن لنا مُعين وهو الرب يسوع المسيح والقادر أن يجعلنا مقاومين للشيطان، وبعيدين عن شِراكة، ومستحقين لخيرات الدهر الآتي، والتي ليتنا ننالها جميعًا بالنعمة والرآفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثالثة والعشرون: (أفسس٦: ١٤)

"فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ" (أف٦: ١٤).

١. بعدما أعد هذا الجيش، وأيقظ فيهم إرادتهم (لأنه كانت هناك ضرورة لتحقيق الأمرين، أن يكونوا مُستعدين دومًا في مواقعهم، ومُستنفرين بقوة)، وبعدما أثار فيهم الشجاعة (وهذا أيضًا كان مطلوبًا)، نجده فيما بعد يُسلحهم بالكامل. إلا أن الأسلحة لا تُفيد في شيء البته، إن لم يصطفوا في مواقعهم مُسبقًا، وإن لم تُستَنفر إرادة الجيش. لأن الجندي يجب أن يُسلّح أولاً داخليًا ثم بعد ذلك خارجيًا. فإن كان هذا ينطبق عند مواجهة الجنود الآدميين، فإنه سينطبق بالأكثر جدًا عند مواجهة الجنود غير الظاهرين، وهؤلاء من غير الممكن أن يُواجهوا بالأسلحة الخارجية. لذلك يجب أن تشحذ همتهم، وأن تُقوي إرادتهم بصفة دائمة، وأن تجعلهم يتحلون بالشجاعة، وأن تضعهم في نظام، وبعد ذلك سلحهم. لكن لاحظ كيف يمنح الأسلحة. يقول **"فأثبتوا"**، إن الشيء الأول الذي ينبغي أن يهتم به الجنود، هو أن يعرفوا كيف يصطفون في نظام، ومن خلال هذا فإن أمورًا كثيرة جدًا يمكن أن تتحقق. لذلك تكلّم الرسول بولس كثيرًا عن طريقة الإصطفاف، وفي موضع آخر يقول "أسهروا أثبتوا في الإيمان"[٤٣٣]، وأيضًا "أثبتوا هكذا في الرب"[٤٣٤]، وأيضًا " مَنْ يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط"[٤٣٥]. إذن فهو لا يقصد مجرد الإصطفاف، بل ذلك الإصطفاف المنظم تنظيمًا جيدًا، وكل مَنْ هو خبير في شؤن الحرب، يعرف أهمية الإصطفاف المنظم.

فإن كان يجب على المتنافس في جولات الملاكمة والمصارعة أن يكون ثابتًا بكل قوة قبل بداية المباراه، فكم بالحري في الحروب والشؤن العسكرية.

---

[٤٣٣] ١كو١٦: ١٣.

[٤٣٤] في٤: ١.

[٤٣٥] ١كو١٠: ١٢.

فالإنسان الثابت غير المهتز، الذي لا يستند على آخر لا يمكن أن يسقط أبدًا، فموقف الثبات الدقيق، يتضح في الطريقة التي بها يقف المرء. فالكائنات القائمة بإستقامة، هذه قد ثبتت، أما التي لم تثبت، فستصبح عرضه للإنحلال والتفكك. فمحب اللذة لا يقف بثبات، بل يستند على شيء ما، كذلك محب الشهوة، ومُحب المال. فمن يعرف أن يثبت، سيكون الصراع سهلاً بالنسبة له، بسبب ثباته في موقفه، كأنه مدعوم بدعم ما. يقول **"فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق"**، لا يتكلم عن حزام أو منطقة حقيقية، لأن كل ما جاء في هذا الجزء يتكلم عنه بشكل رمزي، ولاحظ كيف يتقدم في كلامه بشكل مُنظم. فهو أولاً يُمنطق الجندي من جديد. ماذا يعني هذا؟ يعني أنه يوقف العمل بتلك المنطقة المتحلله والمتفسخة، بسبب الشهوات، ولا يسمح أن يُعاق، بسبب الثياب المتشابكة حول الساق، بل يتركه يركض بأرجل مَرنة. **"فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم"** ما يعنيه هنا بالأحقاء هو الآتي: فكما هو الحال بالنسبة للقوارب، يكون الأساس هو الجزء الأسفل في الهيكل الكامل للقارب، هكذا بالنسبة لنا فإن الأحقاء هي الأساس لكل الجسد، وكأنه الأساس الذي فوقه يُبني كل شيء، كما يقول الأطباء.

إذن هو يُشدّد نفوسنا، ويمنطق الأحقاء بمِنطَقة، بالطبع هو لا يقصد وسط الجسد، بل يتكلم بشكل رمزي. وكما أن الخصر هو الأساس أو القاعدة للأعضاء العليا والسفلي للجسد، هكذا أيضًا بالنسبة للخصر الروحي، غير المحسوس. إذن فأولئك الذين أُنهكوا مرات عديدة، يضعون أيديهم هناك كأنها سند أو دعامة، هكذا يدعمون أنفسهم بثبات. ومن أجل هذا توضع المنطقة في الحروب، لأجل ضبط (الخصر)، ولكي تضغط وتشدّد هذه المنطقة من الجسد. ولذلك فعندما تركض فإنك ترتدي منطقة (حزامًا)، لكي يُثبّت منطقة الخصر. إذن فهو يتكلم عما يجب أن يتم في النفس، وأي شيء سنفعله بعد ذلك سنكون فيه أقوياء. إن المنطقة (الحزام) تتناسب تمامًا مع الجنود، فمنطقة الخصر هذه تُحاط بحزام جلدي، أما نحن فبأي حزام نُحاط؟ بالأفكار الأساسية، وأقصد أن

تُحاط بالحق. يقول "**مُمنطقين أحقاءكم بالحق**". إذن ينبغي علينا أن نبتعد عن الكذب ونُبغضه، ولنسعي في كل شيء نحو الحق، وأن لا يكذب الواحد على الآخر. وإن تعلّق الأمر بالمجد، فلنطلب الحق، وإن تعلّق بأسلوب الحياة، فلنطلب إسلوب الحياة الحقة. وإن أحطْنا أنفسنا بهذا الإسلوب، إن تمنطقنا بالحق، فلن يتفوق أحد علينا. فإن مَن يطلب عقيدة الحق، لن يُهزم، ولن يفقد شجاعته في هذه الحياة. وبالطبع فإن الأمور الزائفة تأتي من الحياة الأرضية، ومن الواضح أن كل الدُنيويين، هم عبيد للشهوات، وخاضعين لأفكارهم الخاصة. ولذلك فإن كنا متمتعين بالسلام الداخلي، فلن يكون لدينا حاجة للتعاليم الوثنية أو لما يقوله الوثنيون. أرايت كيف أن أولئك يتسمون بالرخاوة والكسل، ولا يستطيعون أن يتقبلوا أي شيء يفوق الفكر الإنساني؟ لأنهم غير مُمنطقين بالحق. من أجل هذا تحديدًا فإن خصر هؤلاء قد ضعف.

٢ـ أرايت المانويين[٤٣٦] أيضًا، وكيف يتجرأون على الحديث في كل شيء بأفكارهم الخاصة؟ يقول ماركيون لم يكن في قدرة الله أن يخلق العالم بدون مادة. ما الدليل على ذلك؟ إنهم يزعمون أن ما يحدث هنا على الأرض، أي الأمور الأرضية وما يختص بالإنسان يؤكد هذا. لأن الإنسان لا يستطيع أن يخلق بطريقة مختلفة (أي لا يستطيع أن يخلق دون وجود مادة). أيضًا إنتبهوا إلى ما يقوله ماركيون، يقول لا يمكن أن يبقي الله غير ملوث، بعدما صار إنسانًا. كيف يثبت ذلك؟ لأن البشر أيضًا لا يستطيعون أن يبقوا هكذا. كان من الممكن أن يصيروا غير ملوثين. أيضًا والنديوس الذي كانت أفكاره مُتجهة إلى الأرضيات، يتكلم إنطلاقًا مما يحدث على الأرض، ومثله أيضًا بولس الساموسطائي[٤٣٧]، وأريوس[٤٣٨].

---

[٤٣٦] المانويون هم أتباع الفيلسوف الفارسي ماني الذي مات سنة٢٧٣م فهؤلاء كانوا يعتقدون بوجود مبدأيْن أزليين للكون وهما غير مخلوقين: النور والظلمة. النور هو إله الخير، والظلمة هي إله الشر.

[٤٣٧] بولس الساموسطائي: كان أسقفًا لأنطاكية سنة ٢٦٠ م كانت تعاليمه ضد عقيدة الثالوث، وقد إعتبر المسيح له المجد مجرد إنسان أعطاه الله قوة وحكمة أكثر من جميع الأنبياء.



إذن ماذا يقول أريوس؟ يقول إن الله عندما يلد، لا يمكنه أن يلد بدون أهواء. كيف تتجرأ أن تقول هذا يا أريوس؟ إنك تتكلم منطلقاً مما يحدث بالنسبة للبشر. أرايت كيف أن أفكارهم جميعًا تتجه إلى أسفل نحو الأرض، إذ هم متراخون، ويستوحون أفكارهم مما يحدث على الأرض؟ أيضًا إذا تعلّق الأمر بالعقائد، وبأسلوب الحياة، فإن الساقطات، ومحبي المال بشدة، ومحبي المجد الباطل، وكل الأشياء الأُخرى، ينجذبون إلى أسفل، ليس لديهم هذه المنطقة مشدودة، حتى يستريحوا عندما يتعبون، بل إن تعبوا، لا يضعوا اليد في هذه المنطقة لكي يثبتوا، لكنهم يَضعَفوا. إذن المتمنطق بالحق لا يتعب أبدًا، بل حتى وإن تعب بعد، سيستريح في هذا الحق.

ماذا إذن، فلتخبرني؟ هل الفقر سيُجبر ذاك على الضعف؟ لا على الإطلاق، لأنه يستريح في الغنى الحقيقي، ومن خلال الفقر سيعرف الغنى الحقيقي. هل العبودية ستجعل الإنسان ضعيفاً ومرهق ومصاب بالإعياء؟ لا على الإطلاق، لأنه يعرف معنى العبودية الحقيقية. وهل المرض يجعله يُصاب بالتذمر؟ هذا أيضًا لا يدعوه للتذمر. يقول "لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة"[439]، حتى يكون لديهم نور لا ينقطع، وهذا أيضًا ما أمر به الخارجين من مصر. لقد أكلوا الفصح وهم متمنطقون. ولماذا أكلوا بهذه الطريقة؟ أتريد أن تعرف التفسير التاريخي، أم التفسير الرمزي للأحداث؟ أنا سأقول الأمرين، وأنتم ستتعمقون فيهما. لأنني لا أتكلم فقط لكي أقدم الشرح، بل لكي يتحول كلامي فيما بينكم إلى عمل. يقول الكتاب: "هذا تأكلونه وأحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيكم في أيديكم"[440]. مُرعبة ومخوفة هذه الأسرار، وتحمل عمقاً كبيرًا. وإن

---

[438] أريوس: هو ليبي المنشإ، تعلم في مدرسة أنطاكية لدى لوكيانوس، ثم جاء إلى مصر ورسم كاهنًا سنة ٣١٠م على إحدي كنائس الأسكندرية، علم بأن الإبن مخلوق، وهو أدنى من الله، لكنه أقدس من كل المخلوقات وأن الله أعطاه سلطانًا أن يخلق جميع المخلوقات. لذلك فهو كائن وسط بين الله والمخلوقات.

[439] لو١٢:٣٥.

[440] خر١٢:١١.

كانت مخوفة هكذا بحسب المثال، فبالأكثر جدًا هي مخوفة بحسب الحقيقة. إذن فقد أكلوا الفصح وهم خارجين من مصر، لاحظ مظهرهم الخارجي، إنه نموذج للسير في الطريق، أن يلبسوا أحذيتهم، ويمسكوا عصيهم في أيديهم، ويأكلونه بعجلة. هل ترغبون أن تسمعوا أولاً التفسير التاريخي، أُم التفسير الرمزي؟ الأفضل أن نُقدم التفسير التاريخي. إذن ماذا يريد التاريخ أن يقول؟ اليهود كانوا جاحدين، ودائمًا ما كانوا ينسون إحسانات الله. ونظرًا لأن الله أراد أن يُذكّرهم بهذا، ودون إرادتهم، فقد حدد لهم طريقة أكل الفصح هذه. ماذا إذن؟ لقد فعل هذا لكي يُلزَمهم بحفظ هذه الشريعة كل عام، وأن يتذكروا الله الذي أخرجهم من أرض مصر. فالله قد أحسن إليهم وبارك لهم في الزمن وليس هذا فقط، بل وفي طريقة الأكل. ولذلك فقد أكلوا وأحقاؤهم مشدودة، وأحذيتهم في أرجلهم، لكي يُجيبوا عندما يسألوا، قائلين إننا مستعدون للمسير وإننا سنخرج من مصر ونتجه نحو أرض الميعاد. هذا هو الجانب الظاهري للأحداث، إلا أن الحقيقة تتمثل فيما هو قادم.

أما بالنسبة لنا فنحن نأكل فصح المسيح. "لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذُبِح لأجلنا". إذًا فنحن نأكل فصحًا أفضل بكثير من الفصح اليهودي. ويوضّح أننا أيضًا نأكل وأحذيتنا في أرجلنا وأحقاءنا مشدودة. لماذا؟ لكي نكون نحن أيضًا مستعدين للخروج، والرحيل من هذه الحياة. ولا يجب على أحد من الذين يأكلون هذا الفصح أن ينظر إلى مصر، بل يتطلع نحو السماء، نحو أورشليم السمائية. لذلك فلتأكل وأنت ممنطق الأحقاء وحذاءك في رجليْك، ولكي تتعلم أن تأكل الفصح على الفور، فيجب عليك أن تكون مهيأً للرحيل والمسير. إنه يُشير هنا إلى أمرين: **أولاً** يجب أن يخرجوا من أرض مصر، **ثانيًا** عندما يُقيمون، فيجب أن يقيموا فيها كوطن غريب. يقول " فإن سيرتنا (مدينتنا) نحن هي في السموات"، فيجب أن نكون مستعدين دومًا كل حياتنا، حتى عندما نُدعى (للسماء)، لا نتأخر، بل أن نقول " ثابت أي مُستعد قلبي". هذا ما يقوله الرسول بولس، ولكنني أنا الذي أحتاج



لوقت طويل من أجل التوبة، لا أستطيع أن أقول هذا. ومن حيث إن المرء يجب أن يكون مُتمنطقًا بالحق، فهذه إشارة إلى النفس المتيقظة، إسمع ما يقول الله لذاك الرجل البار " أشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتُعلمني". وهذا ما يقوله للقديسين، وهذا ما قاله لموسى، وهو نفسه ظهر في سفر حزقيال، مشدود الحقوين، ومن الواضح أن الملائكة أيضًا يَبدون لنا مشدودي الحقوين، لأنهم جنود. هكذا يصبح المرء شجاعًا أو شديد البأس من خلال شد الحقوين، بالطريقة التي بها يكون مستعدًا.

إذن فلنمنطق أنفسنا، لأننا نحن أيضًا مستعدون للخروج من هذه الحياة الحاضرة، وكثيرة هي الصعوبات التي نواجهها أثناء الحياة وحتي الخروج منها. وعندما نأتي إلى هذه الساحة أي ساحة الجهاد الروحي، يأتي الشيطان على الفور، ويمارس نشاطه في كل شيء، ويبتدع شرور، حتى أن أولئك الذين خرجوا من مصر وأُنقذوا، الذين عبروا البحر الحمر، الذين تحرروا من قوات الشر، ومن كوارث كثيرة في نفس الوقت، يبدأ الشيطان في تدميرهم وتحطيمهم. لكن إن كنّا نحن هادئين وغير مُضطرِين، فلنا نحن أيضًا سند قوي، وهو نعمة الروح القدس، هذا السند، يُنير ويُظلل. نحن أيضًا لدينا مَنّ، وربما ليس مَنًّا، بل ما هو أكثر بكثير من المنّ. ولم يخرج من الصخرة ماء، بل شراب روحي. لدينا قلالي تسكن الصحراء الآن، لأنه بالحق قد صارت أرض البرية، مكانًا للفضيلة، فهناك تتجلي الفضيلة. لماذا كان ينبغي على المرء أن يتجنب تلك البرية؟ التي لم يأتِ إليها إنسان. تُرى هل لأن بها عقارب وأفاعي؟ الصحراء ليست هكذا غير مثمرة، بقدر الطبيعة الإنسانية المتقسية.

٣ـ كم من البشر اليوم هم عقارب، وأفاعي، وثعابين. كم هي مواليد الأفاعي، التي نأتي على ذكرها الآن؟ لكن ينبغي أن لا نخاف، لأن قائد هذا الخروج ليس هو موسى، بل يسوع. إذن كيف لنا أن لا نُعاني من الأمور ذاتها؟ يجب أن لا نرتكب نفس الأخطاء التي إرتكابها اليهود في البداية، حتى لا نُعاني مما عانوه.

أولئك (اليهود) لقد تذمروا، وكانوا جاحدين. إذن يجب علينا أن لا نقع في تلك الأمور. كيف سقط أولئك جميعًا؟ إحتقروا الأرض المشتهاة. كيف إحتقروها، وقد كانت موضع إعجابهم؟ بأن أظهروا خوفًا، ورفضًا إراديًا لقبول المصاعب والمشقات لأجل هذه الأرض (أرض الموعد). إذن ينبغي علينا نحن أيضًا أن لا نحتقر السماء، هذا هو الإحتقار المهلك. إن الثمر السماوي ينتقل من خلالنا، ليس هو نبيذًا محفوظًا في أواني فخارية، بل هو عربون الروح القدس، القائم في المدينة السماوية، الذي علّم به الرسول بولس في كل موضع، هؤلاء هم الفلاحون الرائعون (الذين بذروا البذار). هذه الثمار لم يأت بها كالب بن يفنة[٤٤١] ولا يشوع بن نون[٤٤٢]، بل يسوع إبن الآب، لقد حمل إبن الله بالحق، الفضيلة لكل أحد، وكل الثمار (الروحية)، قد أحضرها إلينا من السماء، وأعني بها التسابيح السمائية. لأن ما يقوله الشاروبيم في السماء، هذا قد أمر أن نُسبح به، أي " قدوس قدوي قدوس".

لقد أحضر لنا مدينة الملائكة. إن الملائكة لا يُزوجون ولا يتزوجون، هذه الفضيلة قد زرعها هنا أيضًا، فالملائكة لا يُحبون المال، ولا الخيرات المادية الأخري، وهذا قد غرسه فينا نحن أيضًا، وهم لا يموتون، وهذا قد منحه لنا نحن أيضًا، لأن الموت لم يعد بعد موتًا، بل رقادًا. إسمع ما يقوله ربنا يسوع المسيح "لعازر حبيبنا قد نام"[٤٤٣]. أرايت ثمار أورشليم السماوية؟ والأمر المدهش جدًا هنا، أن الحرب لم تتقرر بعد، بل قدم كل هذا من جهة الوعد الخاص بنا. لأن اليهود تعرضوا لمشاق ومصاعب، حتى عندما أتوا إلى أرض الموعد أيضًا. وربما ما كان ليتعبوا، لو أنهم أرادوا أن يسمعوا (لصوت الله)، ولكانوا قد تملكوا الأرض في كل الحروب بدون أسلحة ومعارك. فقد حققوا نصرًا ساحقًا في أريحا دون حرب،

---

[٤٤١] كالب بن يفنة هو ذاك الشخص الذي أرسلة موسى ليتجسس أرض كنعان، وقد إستحق مع يشوع بن نون أن يدخلا أرض كنعان.

[٤٤٢] يشوع بن نون هو من سبط آفرايم، وقد خلف موسى في قيادة شعب إسرائيل في دخول أرض كنعان.

[٤٤٣] يو ١١:١١.

مُبتهجين بذلك. لكن نحن بعدما نأتي إلى أرض الموعد أي إلى السماء، لا نُحارب، بل نحارب فقط حين نكون في الصحراء، أي في هذه الحياة الحاضرة. "لأن الذي دخل إلى راحتة استراح هو أيضًا من أعماله كما الله من أعماله" وأيضًا "فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نَكِل فإذًا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع"[٤٤٤].

أرايت كيف أنه كما قاد الله أولئك، قادنا نحن أيضًا؟ يقول وهو يُشير إلى المَنْ والصحراء "لم يفضل المكثر والمقلل لم ينقص"[٤٤٥]. وقد أوصانا ألا نكنز كنوزًا على هذه الأرض.

لكن إن كَنَزنَا كنوزًا، فلن يفسدها السوس المحسوس، كما حدث في حالة المَنْ، بل الدود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ. إذن لنفعل كل شيء حسنًا، حتى لا نُعدَّ طعامًا للدود. لأنه يقول "الذي جمع كثيرًا لم يفضل والذي جمع قليلاً لم ينقص"[٤٤٦]. وهذا بالطبع ما يحدث لنا كل يوم، لأن الجميع يملأون البطن إلى أقصي حد، لكن الزائد عن الحد، هو إضافة للرغبات الغبية. لأن ذاك الذي أراد أن يُعلّم بعد كل هذا، يقول: "يكفي اليوم شره"[٤٤٧]، هذا بالفعل ما علّم به من فوق، إلا أنهم لم يقبلوا هذا أيضًا. لكن ينبغي علينا نحن ألا نكون شرهين، جاحدين، وألا نطلب مساكن فاخرة، لأننا في مسيرة نحو الأبدية، ولن نقيم هنا إلى الأبد. فإذا عرف أحد أن الحياة الحاضرة تعتبر مسيرة في الطريق، فلن يسعى في طلب المنازل الفاخرة. أخبرني مَنْ الذي، بينما هو في سعة من العيش، يُفضّل أن يبني بيتًا فخمًا بجوار ما يُسمي بمعسكر التدريب، (أي المعسكر ذو الكثافة الكبيرة في العتاد والجنود)؟ لا أحد، إذ سيصبح عندئذ موْضعًا للسخرية، لأنه

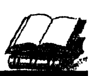
---

[٤٤٤] عب٤: ١٠، غل٦: ٩ــ١٠.

[٤٤٥] خر١٦: ١٨.

[٤٤٦] ٢كو٨: ١٥.

[٤٤٧] مت٦: ٣٤.



سيبني هكذا للأعداء، وربما سيُثير هؤلاء ويستفزهم، حتى وإن كنا نحن ثابتين ومُستقرين، فلن نفعل هذا. الحياة الحاضرة لا تختلف قط عن الفرق العسكرية، وعن مُعسكرات التدريب. من أجل هذا أترجاكم أن نفعل كل شيء حسنًا وأن نسلك بتجرد، وأن لا نكنز لنا كنوزًا هنا على الأرض، لأنه إن أتي السارق، فسنبتعد على الفور. يقول: "أسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أيَّة ساعة يأتي السارق"[٤٤٨]، هكذا يكون الموت حسنًا. إذن قبل أن يأتي لنرسل كل شيء نحو وطننا السماوي. لنكن متمنطقين جيدًا في هذه الحياة الحاضرة، حتى نستطيع أن ننتصر على أعدائنا، وليتنا نكون قد إنتصرنا عليهم قبل ذلك اليوم الذي فيه تُقدم أكاليل المجد السماوي، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٤٤٨] مت٢٤:٤٣.



العظة الرابعة والعشرون: (أفسس٦: ١٤-٢٤)

"فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أف٦: ١٤ــ١٧).

١ــ يقول "ممنطقين أحقاءكم بالحق" (أف١٤:٦).

ماذا يعني هذا الكلام؟ قال لنا قبلاً، أنه ينبغي أن نكون متمنطقين بقوة، حتى لا يعوقنا شيء عن أن نركض. ثم يقول **"ولابسين درع البر"**. تمامًا كما أن الدرع لا يُصيبه جُرح، هكذا هو البر. يقصد بالبر هنا الحياة الفاضلة بشكل عام. ولن يستطيع أحد على الإطلاق أن يغلب مثل هذه الحياة، بل إن كثيرين يُصابون، لكن لا أحد يستطيع أن يوقف مسيرة هذه الحياة، ولا الشيطان ذاته. طالما كنتم لابسين درع البر. وهذا شرط أساسي. وعن هؤلاء يقول المسيح "طوبي للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون"[٤٤٩]. فذاك الذي يلبس هذا الدرع، يكون قويًا للغاية، مثل الدرع القوي، ومثل هذا الإنسان لن يسقط قط.

ثم يقول: " وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ " (أف٦: ١٥).

قيل هذا بشكل غير واضح. إذن ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أنه قد ألبسنًا الجوارب والأحذية الجيدة للإستعداد للتبشير بإنجيل السلام. فإما أنه يعني هذا حتى يكونوا مُستعدين للتبشير، ومن أجل هذا يستخدمون أرجلهم، فيمهدوا ويجهزوا هذا الطريق مسبقًا، وإما إن لم يكن هذا هو ما يعنيه، فالمعنى أن يكونوا مستعدين للخروج. الإستعداد للتبشير، لا يعني شيئًا، سوى الحياة المميزة البارة. الأمر الذي قاله النبي "تُثبّت قلوبهم"[٤٥٠] أي بالإستعداد.

---

[٤٤٩] مت٥: ٦.

[٤٥٠] مز ١٠: ١٧.

يقول "إنجيل السلام" وهذا له ما يُبرره. فبعدما تكلّم عن الحرب والمعركة، يُبيّن أن المعركة يجب أن تكون ضد الشيطان، لأن الإنجيل هو إنجيل السلام. هذه الحرب تُنهي حربًا أخرى، هي الحرب ضد الله. فإن حاربنا ضد الشيطان، صار لنا سلامًا مع الله. إذن يجب أن لا تخافوا أيها الأحباء، الإنجيل هو هو ، والنصرة قد أتت بالفعل.

" حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ " (أف٦: ١٦).

لا يقصد بالإيمان هنا ، مجرد المعرفة، لأنه لن يضع الإيمان في مرحلة لاحقة، بل يقصد بالإيمان هنا النعمة، التي بها تحدث المعجزات. وإنه أمر طبيعي أن يدعوه "ترس الإيمان"، لأنه تمامًا كما أن الترس يحمي الجسد كله، كما لو كان حائط صد ، هكذا هو الإيمان، لأن كل شيء يتراجع أمام الإيمان. يقول: **"الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة"**. إسمع المسيح إذن وهو يقول لتلاميذه "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل من هنا إلى هناك"[٤٥١]، لكن كيف سيكون لنا الإيمان؟ عندما نحقق ما سبق وأشار إليه (التمنطق بالحق ـ وإرتداء درع البر ـ والإستعداد بإنجيل السلام). التجارب والشهوات الغريبة هي ما يدعوها هنا ، بالسهام الشريرة. لكن إن كان الإيمان له سلطانًا على الشياطين، فبالأكثر جدًا ، يكون له سلطانًا على شهوات النفس.

يقول: " وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ " (أف٦: ١٧).

بمعني الخلاص الذي يخصكم. أي أنه يخّص هؤلاء ويحفظهم من كل جانب، كمن يقودهم في الحرب. ثم يكمل "وسيف الروح الذي هو كلمة الله". أي أنه يتكلم عن الروح وسيف الروح. لأنه بواسطة سيف الروح يتجزأ كل شيء ويُقطع، وأيضًا بواسطته يُقطع رأس التنين.

---

[٤٥١] مت١٧: ٢٠.



ثم يقول " مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ" (أف٦: ١٨ــ ٢٠).

فكما أن كلمة الله تحقق كل شيء، هكذا مَنْ تكون لديه الموهبة الروحية. يقول الرسول بولس "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضي من كل سيف ذي حدين"[٤٥٢]. لاحظ حكمة وتعقل المطوب بولس، فقد سلّح هؤلاء تمامًا بكل ما يوفر الأمان، ثم يُعلمهم كيف يجب أن يدعوا الملك، حتى يُساعدهم.

يقول " مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ " (أف٦: ١٨).

لأنه من الممكن أن يُصلي المرء بدون إستنارة الروح، وذلك حين يطلب طلبات تتسم بالحماقة. وفي الصلاة هذه يقول: "ساهرين"، أي ثابتين غير مُضطربين. هكذا يجب أن يكون مسلّحًا بشكل جيد، ويقف بجوار الملك، أي يجب أن يكون يقظًا وساهرًا، وثابت. ثم يقول:

" بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي " (أف٦: ١٩).

ماذا تقول أيها المطوب بولس؟ هل لديك إحتياجًا للتلاميذ؟ وحسنًا قال: "عند إفتتاح فمي". إذن فهو لم يُعط إهتمامًا لما قالوه، بل كذلك يقول المسيح: "سيسلمونكم إلى مجالس.. وتُساقون أمام ولاه فمتي أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم"[٤٥٣]، هكذا مارس كل شيء بالإيمان، وبنعمة الله. يقول الرسول بولس: **"لأعلم جهارًا بسر الإنجيل"**. أي لكي أدافع كما يجب أن يكون الدفاع. هل لأنك مُقيد بسلاسل

---

[٤٥٢] عب٤: ١٢.

[٤٥٣] مت١٠: ١٧ــ ٢٠.

وتحتاج للآخرين؟ أجلّ، فبطرس كان مقيدًا بسلاسل، ولكن رُفعت صلاة بلجاجة من أجله"[٤٥٤].

يقول " الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ" (أف٦: ٢٠).

أي لكي أرد أو أُجيب بجرأة، وبشجاعة، وبحكمة كبيرة.

ثم يقول " وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ أَيْضًا أَحْوَالِي، مَاذَا أَفْعَلُ، يُعَرِّفُكُمْ بِكُلِّ شيء تِيخِيكُسُ الأَخُ الْحَبِيبُ وَالْخَادِمُ الأَمِينُ فِي (عمل) الرَّبِّ " (أف٦: ٢١).

٢. ونظرًا لأنه ذكر السلاسل، فإنه يترك لتيخيكس أن يتكلم عن أحواله. لأن تلك الأمور المختصة بالإيمان، وبالأفكار الباطلة المظلمة، قد أوردها في رسالته، أما الأخبار البسيطة، فقد كلّف بها حامل الرسالة. يقول "لكي تعلموا أنتم أيضًا أحوالي"، أي لكي تعرفوا أحوالي. وهذا يُظهر محبته نحوهم، ومحبة أهل أفسس له.

يقول: " الَّذِي أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ لِهذَا بِعَيْنِهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَحْوَالَنَا، وَلِكَيْ يُعَزِّيَ قُلُوبَكُمْ " (أف٦: ٢٢).

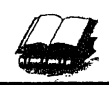
لم يقل هذا فقط، بل قال قبلاً "ألبسوا (سلاح الله) وممنطقين (أحقاءكم)"، إشارة إلى مَنْ يهاجم بصفة دائمة. إسمع ماذا يقول النبي "لتكن له كثوب يتعطف به وكمنطقة يتمنطق بها دائمًا"[٤٥٥]. يقول النبي إن الله أيضًا أناط بنا أن نلبس درع البر، فيُعلمنا بهذا أنه يجب أن نكون على الدوام لابسين لهذه الأشياء، لا لفترة قصيرة، لأن هناك إلتزام دائم بالحرب. يقول آخر "(البار) قلبه كقلب الأسد"[٤٥٦].

---

[٤٥٤] أع١٢: ٥.

[٤٥٥] مز١٠٩: ١٩.

[٤٥٦] ٢صم١٧: ١٠.



لأن الذي يحاط هكذا بدرع، لا يمكن أن يهاب المعركة، بل يتحرك بين الأعداء. ويقول: إشعياء "ما أجمل.. قدمي المبشر المخبر بالسلام"[٤٥٧]. مَنْ ذا الذي لا يُريد أن يركض ليعمل مثل هذا العمل، لينشد بالسلام، السلام الإلهي نحو كل البشر، السلام الذي به يعمل الله كل شيء، بينما البشر لم يتعبوا على الإطلاق؟ ماذا يعني بإستعداد الإنجيل، لنسمع يوحنا السابق (المعمدان)، الذي يقول "أعدوا طريق الرب أصنعوا سبله مستقيمة"[٤٥٨]. إن يوحنا المعمدان يتكلّم عن المعمودية، ونظرًا لأننا نحتاج لإستعداد آخر بعد المعمودية، فإن الرسول بولس يبيّن هذا قائلاً: "بإستعداد إنجيل السلام"[٤٥٩]، مُشيرًا بهذه الكلمات إلى عدم ممارسة أي شيء يتنافى مع قيمة وإستحقاق السلام. ولأن القدمين إلى حد كبير، رمز للحياة، لذلك فإنه عندما ينصح، فدائمًا يقول "فإنظروا كيف تسلكون بالتدقيق"[٤٦٠]، وهو يقصد السلوك في الحياة.

إذن فلنسلك بحسب وصايا الإنجيل، ولنبرهن على هذا بحياة وأعمال نقية طوال أيام حياتنا. بشروا بالسلام، أعدوا الطريق لهذا الإنجيل، لأنه إن صرتم مستعدين تمامًا للسلام وللإيمان، فلتكونوا ثابتين على هذا النهج. الإيمان هو الترس الذي يستقبل أولاً هجمات الأعداء، ويحفظ الأسلحة جيدة بلا إصابات.

فإن كان الإيمان مستقيمًا والحياة مستقيمة، فإن الأسلحة تبقى جيدة لا يُصيبها شيء. لقد تكلّم الرسول بولس كثيرًا في رسائل أُخرى عن الإيمان والرجاء، وهذا يظهر بوضوح في رسالته إلى العبرانيين[٤٦١].

---

[٤٥٧] إش٥٢:٧.

[٤٥٨] مت٣:٣.

[٤٥٩] أف٦:١٥.

[٤٦٠] أف٥:١٥.

[٤٦١] أنظر عب ١١ حين يُشير إلى نماذج الإيمان.

يقول ليكن لكم إيمانًا بخيرات الدهر الآتي، وعندئذ لن يهلك أي شيء من هذه (الأسلحة). وإن واجهت الأخطار والمصاعب بالرجاء والإيمان، فإنك ستحتفظ بهذه الأسلحة في حالة جيدة. يقول " لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه"[٤٦٢]. الإيمان هو الترس الذي يحمي أولئك الذين يؤمنون بدون فحص، لكن إن كان هناك سفسطات، وأفكار، (أي جدال غير مُجدي) فلن يكون الإيمان ترسًا بعد، بل يقودنا إلى الضعف. إذن ليكن الإيمان ترسًا، حتى يحمى ويظلل على كل شيء. ينبغي أيضًا أن لا يكون الترس صغيرًا، حتي لا يترك الأرجل أو أي جزء آخر من الجسد عاريًا، بل يكون مساويًا لحجم جسدنا. لأن هناك أفكار كثيرة تهيج النفس، هناك شكوك، وضيقات وآلام، وكل ذلك يوقفه الإيمان ويُلاشيه. الشيطان يُحرِّض على أمور كثيرة عندما يُلهب نفوسنا، ويقودنا إلى الشك، خاصة عندما ينحرف البعض بالتعليم عن مساره الصحيح، ويتساءلون تُرى هل هناك قيامة؟ ودينونة أخيرة؟ تُرى هل هناك دينونة حقًا؟ لكن إن كنت تحمل ترس الإيمان، فسوف تُطفئ سهام الشرير. هل عبرت إلى داخل نفسك شهوة غريبة، وإشتعلت فيك نار الأفكار الخبيثة؟ ضع امامك الإيمان بخيرات الدهر الآتي، ولن تظهر هذه النار، بل ستُطفأ. يقول: "جميع سهام"، أي أن الأمر لا يخص بعض السهام التي يستطيع الإيمان أن يطفئها ولا يستطيع إطفاء البعض الآخر، بل هو يُطفئ "جميع سهام الشرير". إسمع الرسول بولس الذي يقول: "فإني احسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا"[٤٦٣].

أرايت مقدار السهام التي أطفأها الأبرار آنذاك؟ ألا يبدو لك أنه سهم ناري، حين يشتعل إبراهيم أبو الآباء بنار أُخري، عندما يُقدم إبنه وحيده للذبح؟ وأبرار

---

[٤٦٢] عب ١١:٦.

[٤٦٣] رو ٨:١٨.



أخرين أطفأوا جميع سهام الشرير. إذن إن هاجت علينا أفكار شريرة، أو شهوات غريبة فلنواجهها بالإيمان، وإن كانت مصاعب ومتاعب، فلنسترحْ في الإيمان.

الإيمان هو حصن لكل الأسلحة، إن لم يكن لدينا إيمان، فإن هذه الأسلحة ستتحطم سريعًا. يقول "**حاملين فوق الكل ترس الإيمان**". ماذا يعني بقوله "**فوق الكل**"؟ أي فوق الحق والبر وإستعداد إنجيل السلام. أي أن كل هذه هي ضرورية للإيمان. ومن أجل هذا أضاف "وخذوا خوذة الخلاص". أي ستقدروا بالإيمان أن تحيوا في أمان، وتتجنبوا كل خطر. لأنه تمامًا كما أن الخوذة، تُغطي الرأس من كل جانب، ولا تسمح بأن تُصاب بأي أذي، بل تُنقذها، هكذا الإيمان أيضًا يصير كترس آخر، وخوذة أُخرى للخلاص. فإن أطفأنا سهام الشرير، سنقتني على الفور الأفكار الخلاصية، التي لن تسمح بأن يُعاني الذهن من أي أذى أو شر. لأنه إن خَمَدَت الأفكار العدائية، فإنه سرعان ما ستُولد داخلنا الأفكار التي تُخلصنا والتي ستُثبّت رجاءنا، وستُهيمين على أذهاننا، تمامًا مثل الخوذة على الرأس.

٣ـ أيضًا سنستقبل سيف الروح (كلمة الله)، حتى أننا ليس فقط نحمي أنفسنا من سهامه الموجهة، بل أيضًا نُصيب الشيطان ذاته. لأنه حين لا تكون النفس في حالة يأس، ولم تتلقَ السهام النارية، ستَثْبُتُ بإرادة قوية في مواجهة العدو، سوف تُهشم درعه بسيف الروح، الذي به حطم الرسول بولس كل أفكاره ومفاهيمة، وستُقطع رأس التنين. يقول "وسيف الروح الذي هو كلمة الله"، كلمة الله أي الأمر الإلهي، فهل هذا ما يعنيه هنا، أم هو الأمر الذي نطق به الرسل عندما صنعوا المعجزات بإسم يسوع في كل مكان. ونحن أيضًا فلنحفظ أوامر ووصايا الله في كل شيء، لأننا إن تفذّنا هذه الوصايا، سنسحق التنين، والحية الملتوية المضّلله. وأترجاك أن تلاحظ، حكمة الرسول بولس هنا لأنه قال "الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة"، ولكي ينجحوا في ذلك دون أن يترك لديهم شعورًا بالعظمة، فإنه يُظهر أنهم مُحتاجون لله أكثر من الجميع. إذن ماذا يقول؟ يقول "مُصلين بكل صلوة وطلبة". وكأنه يقول، إن هذه الأمور ستحدث، وكل

شيء سيتحقق عندما تُصلّون، فلا تعتبر نفسك إنك الوحيد المستحق، لا تفعل هذا البته، وهكذا ستنال رضي الله وعطفه.

يقول "**مصلين بكل صلوة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين**". لا تحدد من فضلك أوقات خلال اليوم، إسمع ماذا يقول: "كل وقت"، فهو يقول صلّوا كل حين، ألم تسمع عن تلك الأرملة، كيف ظلت تطلب بلجاجة؟ ألم تسمع عن ذلك الصديق الذي كان يتضرع بصبرٍ وإحتمال في نصف الليل؟ ألم تسمع عن الكنعانية كيف أنها بصلاتها المستمرة كانت تتضرع إلى السيد بإلحاح؟ هؤلاء جميعًا إستطاعوا أن يحققوا كل شيء من خلال لجاجتهم وإلحاحهم. يقول "مُصلين..كل وقت في الروح". بمعنى لنطلب تلك الأمور التي هي بحسب إرادة الله. لا نطلب شيئًا دنيويًا، ولا شيء من هذه الحياة الحاضرة. إذن ليس فقط هو أمر إلزامي أن نصلي على الدوام، بل من الضروري أن نكون "ساهرين". فإما أنه يقصد هنا طوال الليل، أو أنه يقصد ثبات النفس وعدم إضطرابها، ونحن نقبل المعنيين. أرايت كيف ظلت تلك الكنعانية ساهرة، لأنه عندما لم يتجاوب معها الرب، وإستبعدها ووضعها في عداد الكلاب، قالت "نعم يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها"[٤٦٤]، ولم تبتعد حتى حققت مطلبها. وكيف صرخت تلك الأرملة وبقيت طويلاً (على باب قاضي الظلم)، حتى إستطاعت أن تجعله يستجيب، ذاك الذي لم يكن يخشي الله ولا الإنسان؟ كيف ظل ذاك الصديق حتى منتصف الليل، حتى أيقظه، وجعله يشعر بالخجل لأجله لجاجته؟ هذا هو معني أن يبقى الإنسان ساهرًا.

أتريد أن تعرف ماذا يعني سهر النفس؟ إذهب إلى حَنَّة (أم صموئيل)، وإستمع إلى كلامها، قالت "يارب الجنود"[٤٦٥]. بل إسمع لِما حدث قبل هذه الكلمات. يقول

---

[٤٦٤] مت١٥: ٢٧.

[٤٦٥] ١صم١: ١١.



ترك الجميع المائدة، وهي لم تذهب على الفور للنوم ولا للراحة. وبناء على ذلك يبدو لي وهي مازالت تجلس على المائدة، أنها كانت خفيفة، ولم تتثقل بسبب الطعام، وإلا ما كانت قد سكبت كل هذه الدموع. فإذا كان يصعب علينا حقاً أن نصلي صلاة قوية كهذه عندما نكون صائمين، فبالأكثر جدًا ما كانت حَنَّة لتستطيع أن تصلي هكذا بعد تناول الطعام، لو لم تكن مثل الذين لم يتناولوا الطعام وهم على المائدة. فليخزي الرجال أمام هذه المرأة، ولنخزي نحن الذين نتضرع من أجل الملكوت، ونبقى منذهلين ومتحيرين مع حَنَّة التي سكبت دموعًا غزيرة من أجل أن يكون لها ولد. ووقفت أمام الرب، وماذا قالت؟ قالت "يارب الجنود"، وهذا تفسيره يارب إله القوات. كانت الدموع تنسكب وتسبق لسانها، مُترجيه من وراء كل هذا أن تنال عطف الله. وحيث توجد دموع فهناك على كل الأحوال حزن، وحيث يوجد حزن، يوجد أيضًا تقوي وورع.

تقول "إن نظرت إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنس أمتك وذكرتني بل أعطيت أمتك زرع بشر فإني أعطية للرب كل أيام حياته"[٤٦٦]. لم تقل أعطية للرب سنة واحدة، أو سنتين مثلما نفعل نحن. ولا قالت إن أعطيتني إبنًا، سأقدم مالاً، بل قالت إن هذه العطية كلها أي الإبن البكر، إبن الصلاة، سأردها للرب. هذه كانت ذرية إبراهيم. فهو حين طلب منه الله إبنه وحيده، قدمه له، أما حنة فقد قدمته قبل طلبه. لكن لاحظ تقوي وورع حَنَّة. يقول الكتاب "كانت تتكلم في قلبها وشفتاها فقط تتحركان وصوتها لم يُسمع"[٤٦٧]. هكذا كل من يشتهي أن ينجح، لا يأتي إلى الله بخمول، وتثاؤب، وتَثَقّل، ولا بعجلة، وعدم تبصر. ولكن هل الله لا يستطيع أن يُعطي بدون الصلاة؟ تُرى هل لم يكن يعرف شهوة حَنَّة قبل أن تطلبها؟ لكنه إن أعطاها قبل أن تطلب، ما كانت رغبتها قد ظهرت، وما كانت فضيلتها قد إتضحت، وما كانت قد إكتسبت مجازاة كبيرة بهذا القدر.

---

[٤٦٦] ١صم١:١١.

[٤٦٧] ١صم١:١٣.

٤ـ إذن عندما نسمع أن الكتاب يقول "الرب قد أغلق رحمها وكانت ضرتها تغيظها"[٤٦٨]، فإنه يُريد أن يُظهر مدي حكمة المرأة. لاحظ أن رجلها كان مُطيعًا لها، فقد قال لها "أنا خير لك من عشرة بنين"[٤٦٩]. يقول الكتاب "وكانت ضرتها تغيظها"، أي كانت تُهينها، وتشتمها، ولم تشأ أن تُقابل الإهانة بإهانة أبدًا، ولم تلعنها ولم تقل لزوجها إنتقم لي لأن زوجتك الأخرى قد أهانتني. إن ضرتها كان لها أبناء، أما حَنَّة فكانت تنعم بمحبة زوجها الشديدة. وبهذه المحبة قد عزّاها قائلا: "أنا خير لك من عشرة بنين". ولنلاحظ حكمة حَنَّة مرة أخرى، يقول الكتاب "أن عالي ظنها سكري"[٤٧٠]. لكن إنتبه ماذا قالت له "لا تحسب أمتك إبنه بليعال لأني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلمت إلى الآن"[٤٧١]. هذه بالحقيقة هي سمة القلب المنسحق، تظهر عندما لا نغضب في مواجهة من يهينوننا، وعندما لا يُصيبنا اليأس، وعندما لا ندافع عن أنفسنا. لا شيء يجعل الفكر أكثر حكمة مثل الضيقة، ولا شيء مُبهج بهذا القدر، مثل الحزن بحسب مشيئة الله. تقول "لأني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلمت إلى الآن".

فلنتمثل جميعًا بهذه المرأة (حَنَّة). فلتسمعن أيتها النساء العاقرات، إسمعوا يا مَنْ تحبون أولادكم، إسمعوا أيها الرجال والنساء، لأنه كثيرًا ما يُساهِم الرجال في هذا الأمر إسمع الكتاب وهو يقول "وصلَّي إسحق لأجل إمرأته لأنها كانت عاقرًا"[٤٧٢]. لأن الصلاة تقدر أن تحقق أشياء كبيرة. يقول "بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين ولأجلي"، واضعًا نفسه آخِر الجميع. ماذا تفعل أيها المطوب بولس،

---

[٤٦٨] اصم١:٥ـ٦.

[٤٦٩] اصم١:٨.

[٤٧٠] اصم١:١٣.

[٤٧١] اصم١:١٦.

[٤٧٢] تك٢٥:٢١.

تضع نفسك آخِر الجميع؟ يقول نعم "لكي يُعطي لي كلامًا عند إفتتاح فمي لأعلم جهارًا بسر الإنجيل الذي لأجله أنا سفير في سلاسل".

إلى مَنْ تتوجه كسفير؟ يقول، إلى الناس بمحبة الله الغنية! لقد أرسل من سمائه سفراء عنه، عن السلام، وتم إلقاء القبض عليهم وقيدهم الناس بسلاسل، ولم يحترموا حتى الناموس الإنساني العادي، فالسفير لا يجب أن يتعرض لأي أذي. أما الرسول بولس فيعلن أنه سفير في السلاسل. يقول إن السلاسل تُقيدني وتُعوق البشارة جهارًا، إلا أن صلواتكم تفتح فمي، لكي أُعلم جهارًا بسر الإنجيل، كما يجب أن أتكلم. أي لكي أتكلم بكل تلك التعاليم التي أُرسلت لكي أُبشر بها. ثم يقول "ولكن لكي تعلموا أيضًا أحوالي، وماذا أفعل يعرفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب والخادم الأمين في الرب". فإن كان أمينًا فلن يتكلم بالكذب، بل سيقول كل الحقيقة.

"الذي أرسلته إليكم لهذا بعينه لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزي قلوبكم". يا للعجب كم هي عظيمة هذه المحبة ! فهو بهذا الكلام يقول إنه لا يدع فرصة لأولئك الذين يرغبون في إخافتكم، لأنه من الواضح أن هؤلاء كانوا مُعرضين للخطر، فهذا ما يعنيه بقوله "يُعزي قلوبكم". حتى لا يترك هؤلاء وهم معرضون للهزيمة.

بعد ذلك يقول: " سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَةِ، وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ مِنَ اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (أف٦: ٢٣).

إنه يتمني ويترجي لهؤلاء سلامًا ومحبة وإيمانًا. وحسنًا قال هذا، لأنه يُريد، ألا يقتصر الأمر على كلام المحبة، ثم يختلطوا بالمختلفين عنهم في الإيمان، حتى يكون لدي هؤلاء إيمان، وثقة فيما يتعلق بالدهر الآتي. السلام والمحبة هما تجاه الله، فإن كان هناك سلام ستوجد محبة أيضًا، وإن كان هناك محبة، فسيكون

هناك سلام. يقول "بإيمان"، لأنه ما فائدة وجود المحبة بدون الإيمان، ولن تستطيع المحبة أن توجد بشكل مختلف عما هي عليه مع الإيمان.

ثم يختم كلامه قائلاً: " اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. آمِينَ " (أف٦: ٢٤).

هنا إنتقل الرسول بولس من الكلام عن موضوع الإيمان، إلى الكلام عن النعمة بشكل خاص. يقول "في عدم فساد آمين". ماذا يعني بقوله في عدم فساد؟ يعني الأمور اللائقة، والخيرات الأبدية، وهذا لن يتحقق بالغنى، ولا بالمجد، بل بتلك الخيرات الأبدية غير الزائلة. يقول "في عدم فساد"، أي بالفضيلة. لأن كل خطية هي فساد، وكما نقول إن عذراء تفسد[٤٧٣]، هكذا النفس أيضًا. من أجل هذا يقول الرسول بولس "تفسد أذهانكم"، وفي موضع آخر يقول "مقدمًا في التعليم نقاوة"[٤٧٤].

٥. أخبرني ما هو فساد الجسد؟ أليس هو تحلل كل شيء فيه، وتفكك هذه الرابطة (بين أعضاءه)؟ هذا ما يحدث في النفس، عندما تخترقها الخطية. لأن جمال النفس هو في العفة، والبر، والقوة، هي في الشجاعة والتعقل. لأن البذئ، والطماع، وذاك الذي يُسلّم نفسه للأعمال الشريرة، والجبان، هو شخص ضعيف، وهزيل البنية والتكوين. ومن حيث أن الخطايا تُثير فساد، فهذا يبدو واضحًا من ضعف النفس، لأن الخطايا تجعل البشر فاحشين، وضعفاء، وتؤدي بهم إلى الوهن. من أجل هذا تحديدًا نقول إن عذراء تفسد، ليس لأن الجسد وحده يفسد، بل بسبب فساد النفس، لأن هذا العمل هو مزيج (من الأثنين)، فإن كانت الخطية تخص الجسد وحده بإعتبار أن هذا هو الفساد، فسيكون الزواج فسادًا، وبناء

[٤٧٣] يبدو أن هذا التعبير كان معروفًا ومفهومًا آنذاك، وهو يشير إلي الحذر والحرص الذي ينبغي على النفس أن تتوخاه في مسيرتها نحو الأبدية

[٤٧٤] ٢كو١١: ٣، تيطس٢: ٧.



على ذلك فإن الفساد ليس هو التزواج أو اللقاء الحميمي بين زوجين، بل الفساد هو الخطية، فلنحتقر الخطية. وإنتبه أيضًا إلى هذا الأمر ماذا يمكن أن يُحدِث من فساد للألفة والعشرة، بل وإنقضاء هذه العشرة؟ إن الفساد في كل موضع هو تحول من حالة إلى حالة أخري أسوأ، إسمع الكتاب الذي يقول "كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض". وأيضًا يقول "أناس فاسدة أذهانهم"[٤٧٥]. إن جسدنا زائل، أما النفس فهي أبدية. إذن يجب ألاَّ تُفسَد النفس، هذا ما صنعته الخطية السابقة. وأن كانت تستطيع أن تُفسِد النفس أيضًا بعد المعمودية، وتجعلها مُحاصرة بدود الجحيم، ألا أنها لن تقترب منها، إن وجدتها في عدم فساد. إن الدود لا يقترب من الماس، وإن إقترب، لن يؤثر عليه في شيء.

إذن لا تُفسد النفس، فالذي يَفسد يُصبح مملوءً بالعفونة. إسمع النبي الذي يقول: "قد أنتنت قاحت حُبر ضربي من جهة حماقتي"[٤٧٦]. إلا أن هذا الفساد يتلاشى تمامًا ويصبح لا وجود له، حين يلبس الإنسان عدم الفساد. لأنه حيث يوجد عدم فساد، فلا وجود للفساد. لأن إفتراض وجود الفساد في الذي لبس عدم فساد، يجعله في وضع لا نهاية له، وهذا موت أبدي. وذلك ما سوف يحدث إن بقي الجسد (الفاسد) خالدًا لا يموت. وهكذا إن إنتقلنا إلى الحياة الأخرى ونحن نحمل الفساد، فسيكون الفساد الذي لبس عدم الفساد، لا نهاية له. لأنه حين يحترق شخص، ويأكله الدود تمامًا، فهذا هو الفساد اللابس عدم الفساد. كما حدث مع المطوب أيوب البار الذي أصابه فساد (في الجسد)، لزمن طويل ولم يهلك، بل لبس لحمة الدود، وصار يحك جلده، وتصفي دمه بسبب كثرة جروحه"[٤٧٧]. شيء مثل هذا ستُعاني منه النفس (في الحياة الأخري)، عندما يُحاصرها ويأكلها الدود، ليس لسنتين، ولا لثلاثة، ولا لعشرة، ولا لمائة، ولا لسنوات عديدة، بل إلى الأبد. يقول

[٤٧٥] تك٦:١٢، ٢تيمو٣:٨.

[٤٧٦] مز٣٨:٥.

[٤٧٧] أيوب ٧:٥.

الكتاب "دودهم لا يموت"[٤٧٨]. إذن لنخف، أترجاكم لنخف، حتى لا تصدمنا الحقائق. الفساد يتمثل في الطمع، الذي هو أكثر مقتًا وكرهًا من كل النقائص الأخري، والذي يقود إلى عبادة الأوثان. لنتجنب الفساد، ولنفضّل حياة عدم الفساد. هل كسبت أكثر من فلان؟ هذا الذي كسبته سيتلف، لكن الطمع سيبقي، وسيُصبح سببًا في فساد حالة النقاوة، لأن المتعة ستمضي وتنقضي، لكن الخطية تبقي غير مضمحلة. إنه شر مُخيف، أن نفقد كل شيء في هذه الحياة الحاضرة. ولكن الكارثة ستكون عظيمة، أن نأتي إلى الحياة الأخرى ونحن نحمل معنا هذا القدر من الخطية. يقول المرنم "في الهاوية مَنْ يحمدك؟"[٤٧٩]. هناك يوجد قضاء، إلا أنه لن يكون هناك وقت للتوبة بعد. كم تعذّب الغني في الجحيم![٤٨٠] لكنه لم يربح أي شيء. كم قال أولئك الذين لم يعطوا طعامًا للمسيح! لكنهم أقتيدوا للنار الأبدية. كم قالوا أولئك الذين إرتكبوا الخطية "يارب يارب أليس بإسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين"[٤٨١]، لكنه لم يعرفهم. كل هذا قد حدث وسيحدث، ولكن لن يوجد أي نفع أو فائدة، إن لم تكن التوبة الآن، قبل فوات الأوان.

إذن فلنخف، ربما ستقول عندئذٍ "يارب متى رأيناك جائعًا (ولم نطعمك)"[٤٨٢]. فلنعط طعامًا للرب الآن، لا ليوم واحد، ولا ليومين، ولا لثلاثة أيام، لأنه يقول "لا تدع الرحمة والحق يتركانك"[٤٨٣]. لم يقل إصنع هذا مرة واحدة، أو مرتين، لأن العذارى لديهن رحمة، ويجب علينا نحن أيضًا أن نكون رحماء مملوءين ثمرًا في بيت الله. فليُدرك كل واحد منّا مقدار ثقل الخطية الذي يحمله، ولنمارس المحبة

---

[٤٧٨] مر ٩:٤٦.

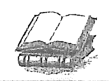
[٤٧٩] مز ٦:٥.

[٤٨٠] لو ١٦:١٩ـ٣١.

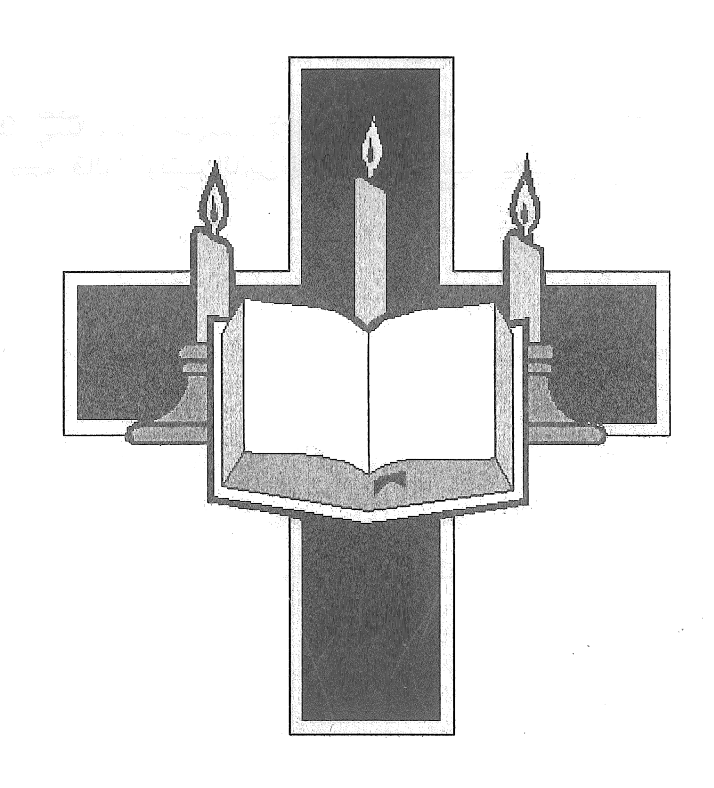
[٤٨١] مت ٧:٢٢.

[٤٨٢] مت ٢٥:٤٤.

[٤٨٣] أم ٣:٣.



تجاه كل الناس بشكل متوازن، وبشكل متزايد، حتى لا نكون حريصين فقط على محو الخطايا، بل أيضًا سيدافع عنّا الذين أحسنا إليهم، عندما يجيء وقت الدينونة. لأنه إن لم تكن الخيرات (التي تُقدمها)، كثيرة بهذا القدر لتنزع الخطايا، وتجعل الذين ينالونها يدافعوا عنّا وقت الدينونة، فإنه لن يستطيع أحد أن يُنقذنا من الجحيم، والذي ليتنا جميعًا أن نُنقذ منه، بالنعمة والرآفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.



فهرس لبعض الكلمات التي وردت بالنص



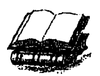
(ب)

(ت)

(ث)

(ج)





(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

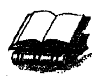
(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)





فهرس لشواهد الآيات الكتابية الواردة بالهوامش

أولاً: العهد القديم:







إنجيل مرقس:

إنجيل لوقا:

إنجيل يوحنا:



رسالة كورنثوس الثانية:



الرسالة إلي أهل غلاطية:

الرسالة إلي أهل أفسس:

الرسالة إلي أهل فيلبي:

الرسالة إلي أهل كولوسي:

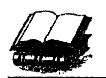
رسالة تسالونيكي الأولي:

رسالة تسالونيكي الثانية:

رسالة تيموثاوس الأولي:

رسالة تيموثاوس الثانية:

الرسالة إلي أهل عبرانين:



الرسالة إلى تيطس:

رسالة بطرس الأولي:

رسالة يوحنا الأولي: